

# العقائد الإسلامية

مركز المصطفى للدراسات الإسلامية

بقلم: علي الكوراني العاملي

## المجلد الأول

يتضمن مسائل المعرفة والفطرة

الطبعة الثانية مزيدة ومنتقدة



## مقدمة



# الفصل الأول

الفطرة



## آيات فطرة السماوات والكون

في هذا الفصل بحوث كثيرة ، لكن أصوله بشكل عام موضع اتفاق بين المسلمين ، لذلك رتبنا مواد موضوعاته من المصادر المختلفة تحت عناوين مناسبة ، ليسهل على الباحث الرجوع إليها . وبسطنا القول أحياناً في بعضها ل حاجتها إلى ذلك .

و هذه آيات فطرة الكون ، وهي تنفع في فهم فطرة الإنسان:

فَلَمَّا رَأَ الشَّمْسَ بَازَغَةً قَالَ هَذَا رَبِّيْ هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمٍ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ . إِنِّي وَجَهْتُ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ . الانعام : ٧٩-٧٨

قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفَيْ أَنْ شَكَّ فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤْخِرُكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمٍّ قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصْدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأَتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ . إِبْرَاهِيمٌ : ١٠

قَالَ بَلْ رُبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ مِّنَ الشَّاهِدِينَ . وَتَالَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُؤْلُوا مُدْبِرِينَ . الأنبياء : ٥٦ - ٥٧

يَا قَوْمٍ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ . وَيَا قَوْمٍ اسْتَغْفِرُوا رَبِّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدُكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ . هُودٌ : ٥١ - ٥٢

فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرُوُكُمْ

فِيهِ لَيْسَ كَمُثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ . الشُّورِي : ١١  
 الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طَبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَنَاهُوتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى  
 مِنْ قُطُورٍ . الْمَلْك : ٣

الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطَّرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ جَاعِلَ الْمَلَائِكَةَ رُسُلًا أُولَى أَجْنَحَةً مَثْنَى وَثَلَاثَ  
 وَرَبْعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . فاطِر : ١  
 قُلْ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالَمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا  
 كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ . الزَّمْر : ٤٦

قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَتَخْذُ وَلَيَا فَاطَّرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعِمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ  
 أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ . الْأَنْعَامُ : ١٤

إِنِّي وَجَهْتُ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حِينًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ . الْأَنْعَامُ :  
 ٧٩

رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطَّرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ  
 وَلِيُّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَالْحَقِيقَى بِالصَّالِحِينَ . يُوسُفُ : ١٠١  
 إِنْفَطَارُ الْكَوْنِ عِنْدَ الْقِيَامَةِ

إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ . وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَشَرَتْ . وَإِذَا الْبَحَارُ فُجِرَتْ . وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ .  
 عَلِمْتَ نَفْسًا مَا قَدَّمْتَ وَأَخَرَتْ . الْانْفَطَارُ : ٥ - ١

فَكَيْفَ تَتَقَوَّنَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوَلْدَانَ شَيْبًا . السَّمَاءُ مُنْفَطَرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا .  
 إِنَّ هَذِهِ تَذَكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا . الْمَزْمُولُ : ١٧ - ١٩

تَكَادُ السَّمَاوَاتُ تَنْفَطَرُ مِنْ عَظَمَةِ اللَّهِ

تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَنْفَطَرُنَّ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي  
 الْأَرْضِ إِلَّا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ الشُّورِي : ٥ ، وَقَالَ فِي بِحَارِ الْأَنْوَارِ : ٣٤٦/٧٠: تَكَادُ  
 السَّمَاوَاتُ يَنْفَطَرُنَّ ، أَيِّ يَتَشَقَّقُنَّ مِنْ عَظَمَةِ اللَّهِ ، وَرَوَى عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنِ الْبَاقِرِ

علَّـيـهـ: أي يتصدعن من فوقهن. انتهى. وروى نحوه السيوطي في الدر المثور: ٣٦

### تكاد السماوات تفطر من الافتراء على الله

تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطِرُنَ مِنْهُ وَتَنْسَقُ الْأَرْضُ وَتَخْرُ الجَبَلُ هَذَا . أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا . وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا . إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا أَتَى الرَّحْمَنَ عَبْدًا . لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَهُمْ عَدَدًا . مريم ٩٠ - ٩٣ .



### فطرة الله التي فطر الناس عليها

وَقَالُوا كُوْنُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهَدُوا قُلْ بَلْ مَلَةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُسْرِكِينَ . قُولُوا أَمَنَّا بِاللهِ وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْنَا وَمَا أَنْزَلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرَّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ . فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدُوا وَإِنْ تَوَلُّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شَقَاقٍ فَسَيَكْفِيَهُمُ اللهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ . صِبْغَةُ اللهِ وَمَنْ أَحْسَنَ مِنَ اللهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ . قُلْ أَتَحْاجِجُونَا فِي اللهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ . البقرة : ١٣٥ - ١٣٩

إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْلَمُونَ . هود : ٥١

وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَيْهِ وَقَوْمِهِ إِنِّي بَرَآءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ . إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِيْنِ . وَجَعَلَهَا كَلْمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ . الزخرف : ٢٦ - ٢٨

وَجَاءَ مِنْ أَفْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ . اتَّبَعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ . وَمَا لَيْ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ . أَتَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ أَهْلَهَ إِنْ يُرِدُنَ الرَّحْمَنُ بِبَصَرٍ لَا تُغْنِ شَفَاعَتَهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقَذُونَ . يس : ٢٠ - ٢٣ .

قَالُوا أَمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى . قَالَ أَمَتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلِمَكُمُ السُّحْرَ فَلَا قَطَعْنَ أَيْدِيْكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلَافٍ وَلَا صَلَبَنَكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيْنَا أَشَدُ عَذَابًا وَأَبْقَى . قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي

فَطَرَنَا فَأَفْضَى مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَفْضِي هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا . طَهٌ : ٧٠ - ٧٢

### الفطرة الأولى والفطرة الثانية

وَقَالُوا أَنَّا كُنَّا عَظَامًا وَرُفَاتًا أَنَّا لَمْ بَعُثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا . قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا . أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِدُّنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَةً فَسَيَنْخُضُونَ إِلَيْكَ رُؤُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا . يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَنَطَّوْنَ إِنْ لَبَّتُمْ إِلَّا قَلِيلًا . الإِسْرَاءٌ : ٤٩ - ٥٢

### فطرة الناس على معرفة الله تعالى وتوحيده

نهج البلاغة: ٢١٥/١: ومن خطبة له عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُبَارَكُ: إن أفضلي ما توسل به المتسلون إلى الله سبحانه وتعالى الإيمان به وبرسوله ، والجهاد في سبيله فإنه ذروة الإسلام ، وكلمة الأخلاص فإنها الفطرة ، وإقام الصلاة فإنها الملة). ورواوه في الفقيه: ٢٠٥/١: الكافي: ١٢/٢: (علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن هشام بن سالم ، عن أبي عبدالله عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُبَارَكُ قال قلت: فطرة الله التي فطر الناس عليها؟ قال: التوحيد .

علي بن إبراهيم ، عن محمد بن عيسى ، عن يونس ، عن عبدالله بن سنان ، عن أبي عبد الله عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُبَارَكُ قال: سأله عن قول الله عز وجل: فطرة الله التي فطر الناس عليها ، ما تلك الفطرة؟ قال: هي الإسلام ، فطّرهم الله حين أخذ ميثاقهم على التوحيد ، قال: أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ؟ وفيهم المؤمن والكافر .

علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن ابن أذينة ، عن زراره عن أبي جعفر عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُبَارَكُ قال: سأله عن قول الله عز وجل: حُنَفَاءُ اللَّهِ غَيْرُ مُشْرِكِينَ بِهِ؟ قال: الحنيفية من الفطرة التي فطر الله الناس عليها. لا يُبَدِّلَ لِخَلْقِ اللَّهِ؟ قال: فطّرهم على المعرفة

بـه .

المحاسن للبرقي: ٢٤١/١: (عنه ، عن أبيه ، عن محمد بن أبي عمير ، عن عمر بن أذينة قال سألت أبا جعفر<sup>عليه السلام</sup> عن قول الله: حُنَفَاءُ اللَّهِ غَيْرُ مُشْرِكِينَ بِهِ ، ما الحنيفية ؟ قال: هي الفطرة التي فطر الناس عليها ، فطر الله الخلق على معرفته .

محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن ابن محبوب ، عن علي بن رئاب ، عن زرارة قال: سألت أبا عبدالله<sup>عليه السلام</sup> عن قول الله عز وجل: فِطْرَةُ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ؟ قال: فطرهم جميعاً على التوحيد .

علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن فضال ، عن ابن أبي جميلة ، عن محمد الحلبي ، عن أبي عبدالله<sup>عليه السلام</sup> في قول الله عز وجل: فِطْرَةُ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ؟ قال: فطرهم على التوحيد .

عنه ، عن الحسن بن علي بن فضال ، عن ابن بكر ، عن زرارة قال سألت أبا عبدالله<sup>عليه السلام</sup> عن قول الله: وَإِذْ أَخَذَ رِبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتُهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلْسُتُ بِرِبِّكُمْ قَالُوا بَلَى . قال: ثبتت المعرفة في قلوبهم ونسوا الموقف وسيذكرونها يوماً ما ، ولو لا ذلك لم يدر أحد من خالقه ولا من رازقه .

ورواه في علل الشرائع: ١١٧/١ ، ورواه في تفسير القمي ، وفيه: فمنهم من أقر بلسانه في الذر ولم يؤمن بقلبه فقال الله: فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل .

التوحيد للصدوق ٣٣٠-٣٢٨/٣: (روى الصدوق عشر روايات تحت عنوان (باب فطرة الله عز وجل الخلق على التوحيد) وقد تقدم أكثرها ، وجاء في السابعة منها (التوحيد و محمد رسول الله و علي أمير المؤمنين) .

معاني الأخبار للصدوق ٣٥٠/٣: (محمد بن أبي عمير ، عن عمر بن أذينة ، عن زرارة قال: سألت أبا جعفر<sup>عليه السلام</sup> عن قول الله عز وجل: حُنَفَاءُ اللَّهِ غَيْرُ مُشْرِكِينَ بِهِ ، وقلت: ما

الحنفية ؟ قال: هي الفطرة. انتهى. ورواه في بحار الأنوار: ٢٧٦/٣ ، وروى عدداً وافراً من هذه الأحاديث: ٢٧٦/٣ و ٢٢٣ ، والحلبي في مختصر بصائر الدرجات/١٥٨-١٦٠ ، والحوizي في تفسير نور الثقلين: ٩٦/٢ و ١٨٦/٤ .... وغيرهم .

### الفطرة حالة استعداد لا تعني الاجبار وسلب الإختيار

نهج البلاغة: ١٢٠/١: (اللهم داحي المدحوات وداعم المسموّات ، وجابل القلوب على فطرتها ، شقيها وسعiederها ، إجعل شرائف صلواتك ونوامي برّكاتك على محمد عبدك ورسولك ، الخاتم لما سبق ، والفاتح لما استقبل) .

علل الشرائع: ١٢١/١: (أبي ، قال حدثنا سعد بن عبد الله ، عن أحمد بن أبي عبد الله ، عن أبيه ، عن غير واحد ، عن الحسين بن نعيم الصحاف قال: قلت ل أبي عبد الله عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُلْكُ: أيكون الرجل مؤمناً قد ثبت له الإيمان ينقله الله بعد الإيمان إلى الكفر ؟ قال: إن الله هو العدل ، وإنما بعث الرسل ليذعن الناس إلى الإيمان بالله ، ولا يدعوا أحداً إلى الكفر . قلت فيكون الرجل كافراً قد ثبت له الكفر عند الله فينقله الله بعد ذلك من الكفر إلى الإيمان ؟ قال: إن الله عز وجل خلق الناس على الفطرة التي فطرهم الله عليها لا يعرفون إيماناً بشريعة ولا كفراً بجحود ، ثم ابتعث الله الرسل إليهم يذعنونهم إلى الإيمان بالله ، حجّة الله عليهم ، فمنهم من هداه الله ، ومنهم من لم يهدى. انتهى. ورواه في الكافي: ٤١٦/٢ ، وجاء في هامشه: قال المجلسي رَحْمَةُ اللَّهِ: الظاهر أن كلام السائل استفهام ، وحاصل الجواب: أن الله خلق العباد على فطرة قابلة للايمان ، وأتم على جميعهم الحجة بإرسال الرسل وإقامة الحجج ، فليس لأحد منهم حجّة على الله في القيامة ، ولم يكن أحد منهم مجبوراً على الكفر لا بحسب الخلقة ولا من تقصير في الهدایة وإقامة الحجّة ،

لكن بعضهم استحق الهدایات الخاصة منه تعالى فصارت مؤيدة لآيمانهم ، وبعضهم لم يستحق ذلك لسوء اختياره ، فمنعهم تلك الألطاف فكفروا ، ومع ذلك لم يكونوا مجبورين ولا مجبولين بعد ذلك من الإيمان إلى الكفر .

تفسير العياشي: ١٠٤/١:

عن مساعدة عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله: كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ .

فقال: كان ذلك قبل نوح. قيل: فعلى هدىً كانوا؟ قال: بل كانوا ضلالاً ، وذلك أنه لما انقرض آدم وصالح ذريته بقي شيش وصيه لا يقدر على إظهار دين الله الذي كان عليه آدم وصالح ذريته ، وذلك أن قabil تواعدته بالقتل كما قتل أخيه هابيل ، فسار فيهم بالتجافية والكتمان ، فازدادوا كل يوم ضلالاً حتى لم يبق على الأرض معهم إلا من هو سلف ، ولحق الوصي بجزيرة في البحر يعبد الله ، فبدأ الله تبارك وتعالى أن يبعث الرسل ، ولو سئل هؤلاء الجهال لقالوا: قد فرغ من الأمر وكذبوا إنما هي ( هو ) أمر يحكم به الله في كل عام ، ثم قرأ: فيها يفرق كل أمر حكيم ، فيحكم الله تبارك وتعالى ما يكون في تلك السنة من شدة أو رخاء أو مطر أو غير ذلك .

قلت: أفضلاً كانوا قبل النبيين أم على هدى؟

قال: لم يكونوا على هدى ، كانوا على فطرة الله التي فطرهم عليها لا تبديل لخلق الله ، ولم يكونوا ليهتدوا حتى يهدى لهم الله ، أما تسمع يقول إبراهيم: لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَا كُوَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ، أي ناسيًّا للميثاق. انتهى. ورواه في تفسير نور الثقلين:

٧٣٦/١

تفسير التبيان: ١٩٥/٢: (إِنْ قِيلَ: كَيْفَ يَكُونُ الْكُلُّ كُفَّارًا مَعَ قَوْلِهِ: فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ

آمنوا؟ قلنا: لا يمتنع أن يكونوا كلهم كانوا كفاراً ، فلما بعث الله إليهم الأنبياء مبشرين ومنذرين اختلفوا ، فآمن قوم ولم يؤمن آخرون .  
وروي عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: كانوا قبل نوح أمة واحدة على فطرة الله ، لا مهتدين ولا ضاللاً ، فبعث الله النبيين . . . .

بحار الأنوار: ٢٤٦/٦٥: (وقال النيسابوري: إعلم أن جمهور الحكماء زعموا أن الإنسان في مبدأ فطرته خال عن المعرف والعلوم ، إلا أنه تعالى خلق السمع والبصر والفؤاد وسائر القوى المدركة حتى ارتسما في خياله بسبب كثرة ورود المحسوسات عليه حقائق تلك الماهيات وحضرت صورها في ذهنه. ثم إن مجرد حضور تلك الحقائق إن كان كافياً في جزم الذهن بثبوت بعضها لبعض أو انتفاء بعضها عن بعض فتلك الأحكام علوم بدائية ، وإن لم يكن كذلك بل كانت متوقفة على علوم سابقة عليها - ولا محالة تنتهي إلى البديهيات قطعاً للدور أو التسلسل - فهي علوم كسبية. فظهر أن السبب الأول لحدوث هذه المعرف في النفوس الإنسانية هو أنه تعالى أعطى الحواس والقوى الداركة للصور الجزئية. وعندى أن النفس قبل البدن موجودة عالمية بعلوم جمة هي التي ينبغي أن تسمى بالبديهيات ، وإنما لا يظهر آثارها عليها ، حتى إذا قوي وترقى ظهرت آثارها شيئاً فشيئاً. وقد برهنا على هذه المعانى في كتابنا الحكيمية فالمراد بقوله: لا تعلمون شيئاً ، أنه لا يظهر أثر العلم عليهم ، ثم إنه بتوسط الحواس الظاهرة والباطنة يكتسب سائر العلوم. ومعنى: لعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ، إن تصرفوا كل آلة في ما خلقت لاجله ، وليس الواو للترتيب حتى يلزم من عطف (جعل) على (أخرج) أن يكون جعل السمع والبصر والأفتدة متأخراً عن الالخاراج من البطن .

بحار الأنوار: ٩٣/١: (مص: قال الصادق عليه السلام: الجهل صورة ركبت فيبني آدم ،

إقبالها ظلمة ، وإدبارها نور ، والعبد متقلب معها كتقلب الظل مع الشمس ، ألا ترى إلى الإنسان تارة تجده جاهلاً بخصال نفسه حامداً لها عارفاً بعيتها في غيره ساخطاً ، وتارة تجده عالماً بطبعه ساخطاً لها حامداً لها في غيره ، فهو متقلب بين العصمة والخذلان ، فإن قابلته العصمة أصاب ، وإن قابله الخذلان أخطأ ، ومفتاح الجهل الرضا والإعتقداد به ، ومفتاح العلم الإستبدال مع إصابة موافقة التوفيق ، وأدنى صفة الجاهل دعوه العلم بلا إستحقاق ، وأوسطه جهله بالجهل ، وأقصاه جحوده العلم ، وليس شئ إثباته حقيقة نفيه إلا الجهل والدنيا والحرص ، فالكل منهم كواحد ، والواحد منهم كالكل .

وقال في هامشه: قوله عليه السلام: الجهل صورة ركبت.. إلخ. لأن طبيعة الإنسان في أصل فطرتها خالية عن الكمالات الفعلية والعلوم الثابتة ، فكأن الجهل عجز في طينتها وركب مع طبيعتها ، ولكن في أصل فطرتها له قوة كسب الكمالات بالعلوم والتنور والمعارف .

قوله عليه السلام: فالكل كواحد ، لعل معناه أن هذه الخصال كخصلة واحدة لتشابه مباديهها ، وانبعاث بعضها عن بعض ، وتنقى بعضها ببعض ، كما لا يخفى .

بحار الأنوار: ١١/١٠:

... عن البارق عليه السلام أنه قال: إنهم كانوا قبل نوح أمة واحدة على فطرة الله لا مهتدين ولا ضاللاً ، فبعث الله النبيين. انتهى .

قال المجلسي رحمه الله: وعلى هذا فالمعنى أنهم كانوا متبعدين بما في عقولهم غير مهتدين إلى نبوة ولا شريعة .

الاقتصاد للشيخ الطوسي ١٠٠/١: (إإن قيل: لو كانت المعرفة لطفاً لما عصى أحد .  
قلنا: اللطف لا يوجب الفعل ، وإنما يدعو إليه وينبئ الداعي إليه ويسهله ، فربما

وَقَعَ عَنْهُ الْفَعْلُ ، وَرَبِّمَا يَكُونُ مَعَهُ أَقْرَبُ وَإِنْ لَمْ يَقُعْ .

شَرْحُ الْأَسْمَاءِ الْحَسَنِيٍّ: ٨٤/٢: (كَمَا سُئِلَ عَنْهُ: أَنْحَنَ فِي أَمْرٍ فَرَغَ أَمْ فِي أَمْرٍ مُسْتَأْنَفٍ؟ فَقَالَ: فِي أَمْرٍ فَرَغَ وَفِي أَمْرٍ مُسْتَأْنَفٍ ، فَالْمُوْضُوْعُ عَنِ السَّعِيدِ وَالشَّقِيقِ الْأَخْرَوِيَّانِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا يَأْذِنَهُ فَمِنْهُمْ شَقِيقٌ وَسَعِيدٌ .

إِنْ قَلْتَ: هَذَا فِيمَا سُوِّيَ هَذَا الْوَجْهُ يَنْفَيُ قَوْلَهُ عَنِ الْمُحَاجَةِ: كُلُّ مُولُودٍ يُولَدُ عَلَى فَطْرَةِ الْإِسْلَامِ ، إِلَّا أَنْ أَبْوَاهُ يَهُودَانِهُ وَيَنْصُرَانِهُ وَيَمْجَسَانِهُ؟

قَلْتَ: كُلُّ مُولُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفَطْرَةِ رُوحًا وَصُورَةً بِالْجَهَةِ النُّورَانِيَّةِ ، وَالسَّعِيدُ سَعِيدٌ فِي بَطْنِ أُمِّهِ وَكَذَا الشَّقِيقُ جَسْدًا وَمَادَةً ، وَإِذَا جَعَلْنَا بَطْنَ الْأُمِّ النَّشَاءَ الْعِلْمِيَّةَ فَكُلُّ مُولُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفَطْرَةِ وَجَوْدًا ، وَالسَّعِيدُ سَعِيدٌ مَاهِيَّةً وَمَفْهُومًا ، وَكَذَا الشَّقِيقُ شَقِيقٌ مَاهِيَّةً وَمَفْهُومًا ، كُلُّ مَنْهُمَا بِالْحَمْلِ الْأُولَى ، لَيْسَ فَاقِدًا لِنَفْسِهِ ، وَلَيْسَ مَفْهُومُ أَحَدِهِمَا هُوَ الْمَفْهُومُ مِنَ الْآخِرِ ، فَإِنَّ الْمَفَاهِيمَ مِنْ أَيْةِ نَشَاءٍ كَانَتْ فَطْرَتَهَا وَذَاتِهَا الْإِخْتِلَافُ ، وَالْوُجُودُ أَيْةٌ مَرْتَبَةٌ مِنْ ذَاتِهِ وَجَبْلَتِهِ الْوَحْدَةُ وَالْإِتْفَاقُ ، مَا بِهِ الْإِمْتِيَازُ فِيهِ عَيْنُ مَا بِهِ الْإِشْتِرَاكُ ، بِهِ اسْتِمْسَاكُ الْمَاهِيَّاتِ الَّتِي هِيَ مَثَارُ الْكُثْرَةِ وَالْمُخَالَفَةِ ، فَهُوَ جَهَةٌ ارْتِبَاطُهَا وَنَظَمُهَا وَبِهِ لَا اِنْفَصَامٌ لَهَا .

وَبِالْجَمْلَةِ قَدْ ظَهَرَ لَكَ أَنَّ اخْتِلَافَ الْوَجُودَاتِ مَرْتَبَةٌ فِي الْعَيْنِ ، وَانْخِلَافُ قَبْوُلِ الْمَاهِيَّاتِ لِمَرَاتِبِ الْوَجُودِ الْمُقْوَلِ بِالْتَّشْكِيكِ فِيهِ ، عَلَى طَبْقِ اخْتِلَافِ الْمَاهِيَّاتِ بِحَسْبِ الْمَفْهُومِ فِي الْعِلْمِ. وَهَذَا مَعْنَى اخْتِلَافِ الطِّينَةِ فِي الْأَزْلِ كَمَا هُوَ عَنِ الْأَئْمَةِ عَلَيْهِمُ الْمَأْوَرُ . . . وَهُوَ مَقْتَضَى الْعَدْلِ .

وَيُمْكِنُ التَّوْفِيقُ بَيْنَ هَذَا الْقَوْلِ التَّحْقِيقِيِّ الْبَرْهَانِيِّ وَالذِّوقِيِّ الْوَجْدَانِيِّ ، وَبَيْنَ الْقَوْلِ بِالْتَّسْوِيَّةِ فِي الطِّينَةِ بِاعتِبَارِ الْوَجُودِ وَالْمَاهِيَّةِ ، وَلَا سِيمَا فِي مَقَامِ الْجَمْعِ .

شَرْحُ الْأَسْمَاءِ الْحَسَنِيٍّ: ٥٤/١: (قَالَ صَدَرُ الْمَتَأْلِهِينَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يُولِي أَحَدًا

إلا ما تولاه طبعاً وإرادة ، وهذا عدل منه ورحمة. وقد ورد أن الله تعالى خلق الخلق كلهم في ظلمة ثم قال: ليختر كل منكم لنفسه صورة أخلقه عليها ، وهو قوله: **خَلَقَنَاكُمْ ثُمَّ صَوَرَنَاكُمْ** ، فمنهم من قال رب اخلقني خلقاً قبيحاً بعد ما يكون في التناسب وأوغله في التنافر ، حتى لا يكون مثلي في القبح والبعد عن الاعتدال أحد ، ومنهم من قال خلاف ذلك ، وكل منهما أحب لنفسه التفرد فإن حب الفردانية فطرة الله السارية في كل الأمم التي تقوم بها وجود كل شيء ، فخلق الله كلاً على ما اختاره لنفسه ، فتحت كل منكر معروف وقبل كل لعنة رحمة وهي الرحمة التي وسعت كل شيء ، فإن الله يولي كلاً ما تولى ، وهو قوله تعالى: **وَمَنْ يُشَاقِقُ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَتَبَيَّنَ عَيْرَ سَيِّلَ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلَّهُ مَا تَوَلَّ** و **نُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاعَتْ مَصِيرًا** ، فإن شك في ذلك شاك فليتأمل قوله تعالى: **إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجَبَالِ فَأَكَيْنَ أَنْ يَحْمِلُنَّا ..** الآية ، ليعلم أن الله تعالى لا يحمل أحداً شيئاً قهراً وقسراً ، بل يعرضه أولاً فإن تولاه ولاه وإلا فلا. وهذا من رحمة الله وعدله .

لا يقال: ليس تولي الشيء ما تولاه عدلاً حيث لا يكون ذلك التولي عن رشد وبصيرة فإن السفيه قد يختار لنفسه ما هو شر بالنسبة إليه وضر لجهله وسفاهته ، فالعدل والشفقة عليه منعه إياه ، لأننا نقول: هذا التولي والتوجيه الذي كلامنا فيه أمر ذاتي لا يحكم عليه بالخير والشر بل هو قبلهما ، لأن ما يختاره السفيه إنما يعد شرًّا بالقياس إليه لأنه مناف لذاته بعد وجوده ، فلذاته اقتضاء أول متعلق بتفيض هذه السفاهة ، فذلك هو الذي أوجب أن يسمى ذلك شرًّا بالقياس إليه . وأما الاقتضاء الأول الذي كلامنا فيه فلا يمكن وصفه بالشر ، لأنه لم يكن قبله اقتضاء يكون هذا بخلافه فيوصف بأنه شر ، بل هو الاقتضاء الذي جعل الخير

خيراً ، لأن الخير لشيء ليس إلا ما يقتضيه ذاته. والتولي الذي كلامنا فيه هو الإستدعاء الذاتي الأزلي والسؤال الوجودي الفطري الذي يسأله الذات المطيبة السامعة لقول كن ، قوله ليس أمر قسر وقهراً ، لأن الله عز وجل غني عن العالمين ، فكأنه قال لربه إئذن لي أن أدخل في عدلك وهو الوجود ، فقال الله تعالى كن .

تفسير الميزان: ٣٤٦/٢ : (لَكُنْ يُمْكِنُ أَنْ يُقَالُ إِنَّ الْإِنْسَانَ بِحَسْبِ خَلْقَتِهِ عَلَى نُورٍ  
الْفَطْرَةِ هُوَ نُورٌ إِجْمَالِيٌّ يَقْبِلُ التَّفْصِيلَ ، وَأَمَّا بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْمَعْارِفِ الْحَقِيقَةِ وَالْأَعْمَالِ  
الصَّالِحَةِ تَفْصِيلًاً فَهُوَ فِي ظُلْمَةٍ بَعْدِ لَعْدَمِ تَبْيَانِ أَمْرِهِ . وَالنُورُ وَالظُّلْمَةُ بِهَذَا الْمَعْنَى لَا  
يَتَنَافَىَانِ وَلَا يَمْتَنَعُ اجْتِمَاعَهُمَا ، وَالْمُؤْمِنُ بِإِيمَانِهِ يَخْرُجُ مِنْ هَذِهِ الظُّلْمَةِ إِلَى نُورِ  
الْمَعْارِفِ وَالطَّاعَاتِ تَفْصِيلًاً ، وَالْكَافِرُ بِكُفُرِهِ يَخْرُجُ مِنْ نُورِ الْفَطْرَةِ إِلَى ظُلْمَاتِ  
الْكُفُرِ وَالْمَعَاصِي التَّفْصِيلِيَّةِ .

وَالْأَتِيَانُ بِالنُورِ مُفْرَدًا وَبِالظُّلْمَاتِ جَمِيعًا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلْمَاتِ إِلَى النُورِ  
، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُورِ إِلَى الظُّلْمَاتِ ، لِإِشَارَةِ إِلَى أَنَّ الْحَقَّ وَاحِدٌ لَا اخْتِلَافٌ فِيهِ كَمَا  
أَنَّ الْبَاطِلَ مُشَتَّتٌ مُخْلِفٌ لَا وَحْدَةٌ فِيهِ ، قَالَ تَعَالَى: وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَبَعُوا  
السُّبُّلَ فَتَنَرَّقَ بِكُمْ ... الْأَنْعَامُ : ١٥٣

مجموعة الرسائل للشيخ الصافى ٢٤٣: (للشيخ المفید فی بحث الإعتقاد بالفطرة رأى آخر غير ما ذهب إليه الشيخ الصدوق ، ولتوسيح ذلك نقول: توجد في باب الإعتقاد بالفطرة وآيات الفطرة وأحاديثها كالحديث (فطرهم على التوحيد أو (كل مولود يولد على الفطرة) ثلاثة أوجه:

الوجه الأول: أن المراد من ذلك هو أن الله جعل فطرة الإنسان نقية مقتضية للتوحيد والعقائد الحقة ، وحب الحق والخير والتصديق بحسن العدل وقبح الظلم

والنفور عن الباطل والشر ، بحيث لو لم يحجب هذه الفطرة الأمور المخالفة من قبل التربية فالإنسان بنفسه سيهتدي إلى الله ويقر بوجود الصانع ، كما يتقبل العقائد الحقة عندما تعرض عليه .

والصادق فسر الفطرة بهذا المعنى وقد بحثنا بتفصيل في (رسالتنا) في تفسير آية الفطرة حول هذا الوجه وكونه موافقاً لاصول العقائد الإسلامية في الفطرة والأحاديث الشريفة التي تدل على هذا المعنى .

الوجه الثاني: أن معنى ( فطر الله الخلق على التوحيد ) فطّرهم للتوحيد ، أي خلق الناس للاعتقاد بالتوحيد ، وإلى هذا المعنى ذهب الشيخ الاعظم المفید ، واختاره .

الوجه الثالث: هو أنه عبر عن إرادة التوحيد منهم بالإرادة التكوينية ، والظاهر أن المفید استظهر من كلام الصادق هذا الوجه ، فأجاب عن ذلك بقوله: لو كان الأمر كذلك لكان الجميع موحدين .

وبديهي أن لو كان الأمر دائراً بين الوجه الثاني والثالث ، فالقول الصحيح والمعتبر هو قول المفید ( الوجه الثاني ) .

لكن بما أننا قلنا بأن الوجه المعتبر المستفاد من الآية والروايات هو القول الأول وهو ما اختاره الصادق ظاهراً ، وفيه رجحان على القول الثاني ظاهراً .



## الفصل الثاني

الفطرة والميثاق وعالم الذر



## عالم الذر

تفسير نور الثقلين: ٥٥/١: (في كتاب علل الشريعة بإسناده إلى حبيب قال: حدثني الثقة عن أبي عبدالله عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُبَرَّكُ قال: إن الله تبارك وتعالى أخذ ميثاق العباد وهم أظلة قبل الميلاد ، فما تعارف من الأرواح اختلف ، وما تناكر منها اختلف .

وبإسناده إلى حبيب ، عن رواه ، عن أبي عبد الله عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُبَرَّكُ قال: ما تقول في الأرواح إنها جنود مجندة فما تعارف منها اختلف وما تناكر منها اختلف ؟ قال فقلت إننا نقول ذلك ، قال: فإنه كذلك ، إن الله عز وجل أخذ من العباد ميثاقهم وهم أظلة قبل الميلاد وهو قوله عز وجل: **وَإِذَا أَخْذَ رِبَّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتِهِمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ** ، إلى آخر الآية ، قال: فمن أقر به يومئذ جاءت ألفته ها هنا ، ومن أنكره يومئذ جاء خلافه ها هنا .

في كتاب التوحيد ، بإسناده إلى أبي بصير عن أبي عبدالله عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُبَرَّكُ قال: قلت له: أخبرني عن الله عز وجل هل يراه المؤمن يوم القيمة ؟ قال: نعم وقد رأوه قبل يوم القيمة ، فقلت متى ؟ قال: حين قال لهم أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى ، ثم سكت ساعة ثم قال: وإن المؤمنين ليرونـه في الدنيا قبل يوم القيمة ، ألسـت تراه في وقتـك هذا ؟ قال أبو بصير فقلـت له: جعلـتـكـيـ فـدـاكـ فأـحـدـثـ بـهـذـاـ عـنـكـ ؟ فـقـالـ: لـاـ ، فـإـنـكـ إـذـاـ حـدـثـتـ بـهـ فـأـنـكـرـهـ مـنـكـ جـاهـلـ بـعـنـىـ ماـ تـقـولـ ثـمـ قـدـرـ أـنـ ذـلـكـ تـشـبـيـهـ كـفـرـ . وـلـيـسـتـ الرـؤـيـةـ بـالـقـلـبـ كـالـرـؤـيـةـ بـالـعـيـنـ ، تـعـالـىـ اللهـ عـمـاـ يـصـفـهـ الـمـشـبـهـوـنـ وـالـمـلـحـدـوـنـ .

في الكافي ، محمد بن يحيى ، عن محمد بن موسى ، عن العباس بن معروف ،

عن ابن أبي نجران ، عن عبد الله بن سنان ، عن ابن أبي يعفور ، عن أبي حمزة عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال له رجل: كيف سميت الجمعة ؟ قال: إن الله عز وجل جمع فيها خلقه لولاية محمد صلوات الله عليه ووصيه في الميثاق ، فسماه يوم الجمعة لجمعه فيه خلقه .

في غولي الثنائي ، وقال عليه السلام: أخذ الله الميثاق من ظهر آدم بنعمان ، يعني عرفة ، فأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها فنشرهم بين يديه كالذرث ثم كلامهم ، وتلا: أَسْتُ بِرِّبِّكُمْ قَالُوا بَلَى .

في الكافي ، أبو علي الأشعري ، عن محمد بن عبد الجبار ، عن صفوان ، عن أبي عميرة ، عن عبد الرحمن الحذاء ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان علي بن الحسين (عليهما السلام) لا يرى بالعزل بأساً ، أتقراً هذه الآية: وَإِذْ أَخَذَ رُبُكَ مِنْ بَنِي آدَمِ مِنْ ظُهُورِهِمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَسْتُ بِرِّبِّكُمْ قَالُوا بَلَى ، فَكُلْ شَيْءاً أَخَذَ اللَّهُ مِنْهُ الْمِيثَاقَ فَهُوَ خَارِجٌ وَإِنْ كَانَ عَلَى صَخْرَةٍ صَمَاءً .

عن ابن مسakan ، عن بعض أصحابه ، عن أبي جعفر عليه السلام قال قال رسول الله صلوات الله عليه: إن أمتي عرضت علي في الميثاق ، فكان أول من آمن بي علي عليه السلام ، وهو أول من صدقني حين بعثت ، وهو الصديق الأكبر ، والفاروق يفرق بين الحق والباطل . عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله: أَسْتُ بِرِّبِّكُمْ قَالُوا بَلَى ، قالوا بِأَسْنَتِهِمْ ؟ قال: نعم وقالوا بقلوبهم ، فقلت: وأي شيء كانوا يومئذ ؟ قال: صنع منهم ما اكتفى به .

عن الأصبغ بن نباتة ، عن علي عليه السلام قال: أتاه ابن الكوا فقال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن الله تبارك وتعالى هل كلام أحداً من ولد آدم قبل موسى ؟ فقال علي عليه السلام: قد كلام الله جميع خلقه بربهم وفاجرهم وردوا عليه الجواب ، فشقق ذلك

علي ابن الكوا ولم يعرفه ، فقال له: كيف كان ذلك يا أمير المؤمنين ؟ فقال له: أو ما تقرأ كتاب الله إذ يقول لنبيه: **وَإِذْ أَخَذَ رِبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّسْهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَّسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى** ، فقد أسمعهم كلامه وردوا عليه الجواب ، كما تسمع في قول الله يابن الكوا وقالوا بلى ، فقال لهم: إني أنا الله لا إله إلا أنا ، وأنا الرحمن ، فأقرروا له بالطاعة والربوبية ، وميز الرسل والأنبياء والوصياء ، وأمر الخلق بطاعتهم فأقرروا بذلك في الميثاق ، فقال الملائكة عند إقرارهم: شهدنا عليكم يا بني آدم أن تقولوا يوم القيمة إنا كنا عن هذا غافلين .

في الكافي ، محمد بن يحيى وغيره ، عن أحمد عن موسى بن عمر ، عن ابن سنان عن سعيد القماط ، عن بكير بن أعين قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام: لأي علة وضع الله الحجر في الركن الذي هو فيه ولم يضع في غيره ؟ ولأي علة يُقبل ؟ ولأي علة أخرج من الجنة ، ولأي علة وضع ميثاق العباد فيه والعهد فيه ولم يوضع في غيره ، وكيف السبب ذلك ؟ تخبرني جعلني الله فداك فإن تفكري فيه لعجب ! قال فقال: سألت وأغضلت في المسالة واستقصيت ، فافهموا الجواب وفرغ قلبك وأصنع سمعك ، أخبرك إن شاء الله ، إن الله تبارك وتعالى وضع الحجر الأسود وهي جوهرة أخرجت من الجنة إلى آدم عليه السلام فوضعت في ذلك الركن لعنة الميثاق ، وذلك أنه لما أخذ من بني آدم من ظهورهم ذريتهم حين أخذ الله عليهم الميثاق في ذلك المكان وفي ذلك المكان ترائي لهم ، وفي ذلك المكان يهبط الطير على القائم عليه السلام فأول من يباعيده ذلك الطير ، وهو والله جبرئيل عليه السلام وإلى ذلك المقام يسند القائم ظهره وهو الحجة والدليل على القائم ، وهو الشاهد لمن وافي في ذلك المكان ، والشاهد على من أدى إليه الميثاق والعهد الذي أخذ الله عز وجل على العباد .

فأما علة ما أخرجه الله من الجنة ، فهل تدري ما كان الحجر ؟ قلت: لا ، قال: كان ملكاً من عظام الملائكة عند الله فلما أخذ الله من الملائكة الميثاق كان أول من آمن به وأقر ذلك الملك ، فاتخذه الله أميناً على جميع خلقه ، فألقمه الميثاق وأودعه عنده ، واستعبد الخلق أن يجددوا عنده في كل سنة الإقرار بالميثاق والعهد الذي أخذ الله عز وجل عليهم ، ثم جعله الله مع آدم في الجنة يذكره الميثاق ويجدد عنده الإقرار في كل سنة ، فلما عصى آدم أخرج من الجنة أنساً الله العهد والميثاق الذي أخذ الله عليه وعلى ولده محمد ﷺ ولو صيه عليه السلام وجعله تائهاً حيراناً ، فلما تاب الله على آدم حول ذلك الملك في صورة بيضاء ، فرماه من الجنة إلى آدم وهو بأرض الهند ، فلما نظر إليه أنس إليه وهو لا يعرفه بأكثراً من أنه جوهرة ، وأنطقه الله عز وجل ، فقال له: يا آدم أتعرفني ؟ قال لا ، قال: أجل استحوذ عليك الشيطان فأنساك ذكر ربك ، ثم تحول إلى صورته التي كان مع آدم عليه السلام في الجنة ، فقال لآدم: أين العهد والميثاق ، فوثب إليه آدم عليه السلام وذكر الميثاق وبكي وخضع وقبله ، وجدد الإقرار بالعهد والميثاق ، ثم حوله الله عز وجل إلى جوهرة درة بيضاء صافية تضي ، فحمله آدم على عاتقه إجلالاً وتعظيمًا ، فكان إذا أعا حمله عنه جبرئيل عليه السلام حتى وافى به مكة فما زال يأنس به بمكة ويجدد الإقرار له كل يوم وليلة ، ثم إن الله عز وجل لما بنى الكعبة وضع الحجر في ذلك المكان ، لأنه تبارك وتعالى حين أخذ الميثاق من ولد آدم أخذه في ذلك المكان ، وفي ذلك المكان ألقى الله الملك الميثاق ، ولذلك وضع في ذلك الركن وتنحى آدم من مكان البيت إلى الصفا وحالي المروءة ، ووضع الحجر في ذلك الركن ، فلما نظر آدم من الصفا وقد وضع الحجر في الركن كبر الله وھله ومجده ، فلذلك جرت السنة بالتكبير واستقبال

الركن الذي فيه الحجر من الصفا ، فإن الله أودعه الميثاق والوعيد دون غيره من الملائكة...

بخار الأنوار: ٢٧٦/٣

سن البزنتي ، عن رفاعة ، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله: **إِذَا أَخَذَ رَبِّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلْسُتُ بِرِّبِّكُمْ قَالُوا بَلَى**. قال: نعم لله الحجة على جميع خلقه أخذهم يوم أخذ الميثاق هكذا وقبض يده. نعم لله الحجة على جميع خلقه أخذهم يوم أخذ الميثاق ، هكذا وقبض يده .

بخار الأنوار: ٢٤٤/٥

عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن الله عز وجل خلق الخلق فخلق من أحب مما أحب ، وكان ما أحب أن خلقه من طينة الجنة ، وخلق من أبغض مما أبغض وكان ما أبغض أن خلقه من طينة النار ، ثم بعثهم في الظلال: فقلت وأي شيء الظلال ؟ فقال: ألم تر إلى ظلك في الشمس شيء وليس بشيء ؟ ثم بعث منهم النبيين فدعوهم إلى الإقرار بالله وهو قوله عز وجل: **وَلَئِنْ سَأَلْتُهُمْ مَنْ خَلَقُهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ** ، ثم دعوهم إلى الإقرار بالنبيين فأنكر بعض وأقر بعض ، ثم دعوهم إلى ولايتنا فأقر بها والله من أحب ، وأنكرها من أبغض ، وهو قوله عز وجل: **فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَبُوا بِهِ مِنْ قَبْلٍ** ، ثم قال أبو جعفر عليه السلام: كان التكذيب ثم .

توضيح: قوله عليه السلام: في الظلال ، أي عالم الأرواح بناء على أنها أجسام لطيفة ، ويحتمل أن يكون التشبيه للتجرد أيضاً تقريراً إلى الافهام ، أو عالم المثال على القول به قبل الانتقال إلى الابدان .

## تذكير الأنبياء بميثاق الفطرة

سمى الله عز وجل القرآن الكريم: **الذِّكْر** ، ووصف عمل النبي ﷺ بأنه تذكير ، واستعمل مادة التذكير في القرآن للتذكير بالله تعالى ، والتذكير باليوم الآخر ، والتذكير بالفطرة والميثاق .

ووصف أمير المؤمنين علي عَلَيْهِ الْكَلَمُ وَمِنْهُ أَعْلَمُ بِالْأَنْوَارِ عَمَلَ الْأَنْبِيَاءَ عَلَيْهِمْ بِأَنَّهُ مَطَالِبُهُ لِلنَّاسِ بِالْإِنْسَجَامِ مَعَ مِيثَاقِ الْفَطْرَةِ ، قَالَ عَلَيْهِ الْكَلَمُ فِي خطبة طويلة في نهج البلاغة: ٢٣/١ ، يذكر فيها خلق آدم عَلَيْهِ الْكَلَمُ وصفته:

« فأهبطه إلى دار البلية ، وتناسل الذرية ، اصطفى سبحانه من ولده أنبياء ، أخذ على الوحي ميثاقهم ، وعلى تبليغ الرسالة أماناتهم ، لما بدل أكثر خلقه عهد الله إليهم فجهلوا حقه واتخذوا الانداد معه ، واجتالتهم الشياطين عن معرفته ، واقتطعوهم عن عبادته ، بعث فيهم رسلاه وواتر إليهم أنبياءه ، ليستأدوهم ميثاق فطرته ، ويدركوهم منسي نعمته ، ويحتاجوا عليهم بالتبليغ ، ويثيروا لهم دفائن العقول ، ويروهم آيات المقدرة من سقف فوقيهم مرفوع.... إلى آخر الخطبة » .

وقال الشيخ محمد عبده في شرح قوله عَلَيْهِ الْكَلَمُ « ليستأدوهم ميثاق فطرته »: كأن الله تعالى بما أودع في الإنسان من الغرائز والقوى ، وبما أقام له من الشواهد وأدلة الهدى قد أخذ عليه ميثاقاً بأن يصرف ما أوتي من ذلك فيما خلق له ، وقد كان يعمل على ذلك الميثاق ولا ينقضه لو لا ما اعترضه من وساوس الشهوات ، فبعث إليه النبيين ليطلبوا من الناس أداء ذلك الميثاق ، أي ليطالبواهم بما تقتضيه فطرتهم وما ينبغي أن تسوقهم إليه غرائزهم .

دفائن العقول: أنوار العرفان التي تكشف للإنسان أسرار الكائنات ، وترتفع به إلى الایقان بصانع الموجودات ، وقد يحجب هذه الأنوار غيوم من الأوهام وحجب

من الخيال ، فيأتي النبيون لإثارة تلك المعرفات الكامنة وإبراز تلك الأسرار الباطنة .

وقال الراغب الأصفهاني في المفردات/١٧٩:

**الذِّكْرُ:** تارة يقال ويراد به هيئة للنفس بها يمكن للإنسان أن يحفظ ما يقتنيه من المعرفة ، وهو كالحفظ إلا أن الحفظ يقال اعتباراً بإحرازه ، والذكر يقال اعتباراً باستحضاره ، وتارة يقال لحضور الشئ القلب أو القول ، ولذلك قيل الذكر ذكران: ذكر بالقلب وذكر باللسان ، وكل واحد منها ضربان ، ذكر عن نسيان وذكر لا عن نسيان بل عن إدامة الحفظ. وكل قول يقال له ذكر .

فمن الذكر باللسان قوله تعالى: **لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كَلَّا فِيهِ ذَكْرٌ** ، وقوله تعالى: **وَهَذَا ذَكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ** ، وقوله: **هَذَا ذَكْرٌ مِنْ مَعِي وَذَكْرٌ مِنْ قَبْلِي** ، وقوله: **أَعْنَزْلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ يَسِّنَا** ، أي القرآن ، وقوله تعالى: **وَالْقُرْآنُ ذِي الذِّكْرِ ...** ومن الذكر عن النسيان قوله: **فَإِنَّمَا نَسِيَتُ الْحُوَوتَ وَمَا أَنْسَيْنَاهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنَّ أَذْكُرَهُ** .

ومن الذكر بالقلب واللسان معاً قوله تعالى: **فَادْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ أَبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرِكُمْ** وقوله: **فَادْكُرُوا اللَّهَ عَنْدَ الْمَسْعَرِ الْحَرَامِ وَادْكُرُوهُ كَمَا هَدَأْكُمْ ...**

والذكرى: كثرة الذكر ، وهو أبلغ من الذكر ، قال تعالى: **رَحْمَةً مِنَ وَذِكْرِي لَأُولَي الْأَبْابِ** ، وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين... .

وقال الراغب أيضاً: الوعظ زجر مقتنن بتخويف. قال الخليل: هو التذكير بالخير فيما يرق له القلب. والعظة والموعظة الاسم ، قال تعالى: **يَعْظُمُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** ، **قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ**. قد جاءتكم موعظة من ربكم... .

وقال أبو هلال العسكري في الفروق اللغوية/١٢١:

الفرق بين التذكير والتنبيه: أن قولك ذكر الشئ ، يقتضي أنه كان عالماً به ثم نسيه فرده إلى ذكره بعض الأسباب ، وذلك أن الذكر هو العلم الحادث بعد النسيان على ما ذكرنا. ويجوز أن ينبه الرجل على الشئ لم يعرفه قط ، ألا ترى أن الله ينبه على معرفته بالزلزال والصواعق وفيهم من لم يعرفه البتة فيكون ذلك تنبيهاً كما يكون تنبيهاً لغيره ، ولا يجوز أن يذكره ما لم يعلمه قط . انتهى .

وفيما ذكره اللغويون فوائد ومحال للنظر ، وحاصل المسألة: أنه يصح القول إن تسمية القرآن والدين بالذكر لأنه يدل على ما أودعه الله تعالى في عمق فكر الإنسان ومشاعره من الفطرة على التوحيد ومعرفة الله ، ولكن السبب الأهم أنه يشير ما بقي في ذهنه ووجاداته من نشأته الأولى وحينه إلى عالم الغيب والآخرة ، وإحساسه بالميثاق الذي أخذ عليه في تلك النشأة .

وقد لاحظت أن الروايات صريحة في أخذ الميثاق على الناس قبل خلقهم في هذه الدنيا ، وهي متواترة في مصادر المسلمين ، ولذا فإن تفسير تذكير الأنبياء لا يصح حصره بتذكير الإنسان بفطرته لكي ينسجم معها ، والتغافل عن التذكير الحقيقي بالميثاق الذي صرحت به الأحاديث الشريفة .

### كل مولود يولد على الفطرة

الكافي: ١٢/٢:

قال رسول الله ﷺ: كل مولود يولد على الفطرة ، يعني المعرفة بأن الله عز وجل خالقه ، كذلك قوله: **وَلَئِنْ سَأَلُوكُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ** .

علل الشرائع: ٣٧٦/٢

أبي حَمَّامَةَ قال: حدثنا محمد بن يحيى ، عن محمد بن أحمد ، عن سهل بن زياد ،

عن علي بن الحكم ، عن فضيل بن عثمان الأعور قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: ما من مولود ولد إلا على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه ، وإنما أعطى رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه الذمة وقبل الجزية عن رؤوس أولئك بأعيانهم على أن لا يهودوا ولا ينصروا ولا يمجسوا . فأما الأولاد وأهل الذمة اليوم فلا ذمة لهم ! انتهى. ورواه الصدوق في الفقيه: ٤٩٢/٣٣٠ ، وفي التوحيد: ٦٥/١٠٠ ، وروى المجلسي عدداً من هذه الأحاديث في بحار الأنوار: ٩٦/١١ ، والعاملي في وسائل الشيعة: ٥٠/٢ هامش من لا يحضره الفقيه: ٢ هامش: ٥٠

وقال الفاضل التفرشي: قوله: إلا على الفطرة ، أي على فطرة الإسلام وخلقته ، أي المولود خلق في نفسه على الخلقة الصحيحة التي لو خلقي وطبعه كان مسلماً صحيحاً بالإعتقاد والأفعال ، وإنما يعرض له الفساد من خارج ، فصيروفته يهودياً أو نصراانياً أو مجوسيأً إنما هي من قبل أبيه غالباً لأنهما أشد الناس اختلاطاً وتربية له، ولعل وجه انتفاء ذمتهم أن ذمة رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه لم تشملهم، بل أعطاهم الذمة بسبب أن لا يفسدوا اعتقاد أولادهم ليحتاجوا إلى الذمة. ولم يعطوا الذمة من قبل الأوصياء عليهم السلام لعدم تمكنتهم في تصرفات الإمامة ، وإنما يعطوها من قبل من ليس له تلك الولاية ، فإذا ظهر الحق وقام القائم عليه السلام لم يقرروا على ذلك ولا يقبل منهم إلا الإسلام. وأخذ الجزية منهم هذا الزمان من قبل أخذ الخراج من الأرض ، والمنع عن التعرض لهم باعتبار الأمان. وأما قوله في حديث زرارة الآتي: ذلك إلى الإمام ، فمعناه أنه إذا كان متمكناً ويرى المصلحة في أخذ الجزية منهم كما وقع في زمان رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه وهو لا ينافي انتفاء الذمة عنهم اليوم. انتهى .

تفسير البيان: ٢٤٧/٨: (قال مجاهد: فطرة الله الإسلام ، وقيل فطر الناس عليها ولها

وبها بمعنى واحد ، كما يقول القائل لرسوله: بعثتك على هذا ولهذا وبهذا بمعنى واحد. ونصب فطرة الله على المصدر ، وقيل تقديره: اتبع فطرة الله التي فطر الناس عليها ، لأن الله تعالى خلق الخلق للإيمان ، ومنه قوله ﷺ: كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه . ومعنى الفطر الشق ابتداءً ، يقولون: أنا فطرت هذا الشئ أي أنا ابتدأته ، والمعنى خلق الله الخلق للتوحيد والإسلام .

بخار الأنوار: ٢٢/٣: (غوالى): قال النبي ﷺ: كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه يهودانه وينصرانه .

بيان: قال السيد المرتضى رحمه الله في كتاب الغرر والدرر بعد نقل بعض التأویلات عن المخالفین في هذا الخبر: وال الصحيح في تأویله أن قوله يولد على الفطرة ، يحتمل أمرین:

أحدهما: أن تكون الفطرة هاهنا الدين ، ويكون على بمعنى اللام ، فكأنه قال: كل مولود يولد للدين ومن أجل الدين ، لأن الله تعالى لم يخلق من يبلغه مبلغ المكلفين إلا ليعبدءه فيتتفع بعبادته ، يشهد بذلك قوله تعالى: **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّا**  
**وَالْإِنْسَا****لِإِلَيْعَبْدُو**ن . والدليل على أن على تقوم مقام اللام ما حكاه يعقوب بن السكري عن أبي يزيد ، عن العرب أنهم يقولون: صف على كذا وكذا حتى أعرفه ، بمعنى صف لي ، ويقولون: ما أغبطك على يريدون ما أغبطك لي ، والعرب تقيم بعض الصفات مقام بعض ، وإنما ساغ أن يريد بالفطرة التي هي الخلقة في اللغة الدين من حيث كان هو المقصود بها ، وقد يجري على الشئ اسم ماله به هذا الضرب من التعلق والاختصاص ، وعلى هذا يتأنى قوله تعالى: **فَأَقْ****وَجْهَكَ لِلَّدِي****نِ حَنِيْفًا فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا** ، أراد دين الله الذي خلق الخلق

له. وقوله تعالى: **لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ**، أراد به أن ما خلق الله العباد له من العبادة والطاعة ليس مما يتغير ويختلف حتى يخلق قوماً للطاعة وآخرين للعصية . ويجوز أن يريده بذلك الأمر ، وإن كان ظاهره ظاهر الخبر فكأنه قال: لا تبدلوا ما خلقكم الله له من الدين والطاعة بأن تتصوا وتخالفوا .

والوجه الآخر في تأويل قوله عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُبِينُ على الفطرة: أن يكون المراد به الخلقة ، وتكون لفظة ( على ) على ظاهرها لم يرد بها غيره ، ويكون المعنى: كل مولود يولد على الخلقة الدالة على وحدانية الله تعالى وعبادته والإيمان به ، لأنه عز وجل قد صور العخلق وخلقهم على وجه يقتضي النظر فيه معرفته والإيمان به وإن لم ينظروا ويزرموا ، فكأنه عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُبِينُ قال: كل مخلوق ومولود فهو يدل بخلقه وصورته على عبادة الله تعالى وإن عدل بعضهم فصار يهودياً أو نصراوياً . وهذا الوجه أيضاً يحتمله قوله تعالى: **فَطْرَةُ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا** .

وإذا ثبت ما ذكرناه في معنى الفطرة فقوله عليه الصلاة والسلام: حتى يكون أبواه يهودانه وينصرانه ، يحتمل وجهين:

أحدهما: أن من كان يهودياً أو نصراوياً من خلقته لعبادتي وديني فإنما جعله أبواه كذلك ، أو من جرى مجراهما منمن أوقع له الشبهة وقلده الضلال عن الدين ، وإنما خص الآبوين لأن الأولاد في الأكثري ينشئون على مذاهب آبائهم وأيالفون أديانهم ونحلهم ، ويكون الغرض بالكلام تنزيه الله تعالى عن ضلال العباد وكفرهم ، وأنه إنما خلقهم للإيمان فصدتهم عنه آباؤهم ، أو من جرى مجراهما .

والوجه الآخر: أن يكون معنى يهودانه وينصرانه أي يلحقانه بأحكامهما ، لأن أطفال أهل الذمة قد أهل الحق الشرع أحکامهم بأحكامهم ، فكأنه عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُبِينُ قال: لا

تتوهموا من حيث لحقت أحكام اليهود والنصارى أطفالهم أنهم خلقوا لدينهم ، بل لم يخلقوا إلا للإيمان والدين الصحيح ، لكن آباءهم هم الذين أدخلوهم في أحكامهم ، وعبر عن إدخالهم في أحكامهم بقوله: يهودانه وينصرانه .

\* \*

وقال البخاري في صحيحه: (أن أبي هريرة (رض) قال: قال رسول الله (ص): ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة ، هل تحسون فيها من جدعاء ، ثم يقول أبو هريرة (رض): فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبدل لخلق الله ذلك الدين القيم .

وقال في: ١٠٤/٢: (عن أبي هريرة (رض) قال قال رسول الله (ص): كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ، كمثل البهيمة تنتج البهيمة ، هل ترى فيها جدعاء. انتهى. وروى نحوه في: ٢٠٧٦ وفدي: ٢١١٧ ورواه أحمد في مسنده: ٢٣٣/٢ كما في رواية البخاري الأولى. ورواه في: ٢٧٥/٢ وزاد ( ثم يقول واقرئوا إن شئتم: فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبدل لخلق الله ) .

وروى أحمد في: ٢٨٢/٢: (عن طاوس عن أبي هريرة أن النبي (ص) قال: كل مولود ولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ، مثل الأنعام تنتج صحاحاً فتكوى آذانها. انتهى. وروى نحوه في: ٣٤٦/٢ وج ٣٥٣/٣ ، وروى نحوه مسلم في: ٥٢/٨ وأبو داود في: ٤١٦ ، والترمذنج ٣٠٣/٣ ، والحاكم: ٣٢٣/٢ ، وكتز العمال: ٢٦٦/١ ، والسيوطى في الدر المنشور: ٢٢٤/٢ وج ١٥٥/٥ ، والبيهقي في سنته: ٢٠٢/٦ و ١٣٠/٩

وفي شعب الإيمان: ٩٧/١: عن أبي هريرة ، وروى عنه أيضاً أن رسول الله (ص) قال: كل إنسان تلده أمه على الفطرة يلکزه الشيطان في حضنيه ، إلا مريم وابنها. انتهى. وهو غريب يشبه مقولات النصارى .

## وكل الحيوانات فطرت على معرفة الله تعالى

الكافي: ٥٣٩/٦: (أبو علي الأشعري ، عن محمد بن عبد الجبار ، عن الحجاج ، وابن فضال ، عن ثعلبة ، عن يعقوب بن سالم ، عن رجل ، عن أبي عبدالله عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: مهما أبهم على البهائم من شيء فلا يفهم عليها أربعة خصال: معرفة أن لها خالقاً ، ومعرفة طلب الرزق ومعرفة الذكر من الأنثى ، ومخافة الموت. انتهى .

ورواه في من لا يحضره الفقيه: ٢٨٨/٢ وقال: (وأما الخبر الذي روي عن الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قال: لو عرفت البهائم من الموت ما تعرفون ما أكلتم منها سميأً قط ، فليس بخلاف هذا الخبر ، لأنها تعرف الموت لكنها لا تعرف منه ما تعرفون. انتهى ، ورواه في وسائل الشيعة: ٣٥٢/٨ .

ومحل هذا الموضوع في المعرفة ، لكن أوردناه هنا ليتضح أن الإنسان والحيوان مفطوران على معرفة الله تعالى ، بل والجماد أيضاً كما قال تعالى (وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَيِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا يَقْعُدُهُنَّ تَسْبِيحُهُمْ) .

## التوجه الفطري إلى الله تعالى

شرح الأسماء الحسني: ٦٧/١: (يا ملجمي عند اضطراري: فإن الإنسان إذا انقطعت جميع وسائله وابتعدت تمام حبائله التجأ إليه تعالى بالفطرة وتشبث به بالجبلة ، ولذا استدل الأئمة المعصومون كثيراً على منكري الصانع بالحالات المشاهدة ، والوقوع في مظان التهلكة .

شرح الأسماء الحسني: ١٦٤/١: ( يا أحب من كل حبيب: أما أنه أحب من كل حبيب لأهله فواضح، وقد مر ، وأما أنه أحب للكل كما هو مقتضى الإطلاق فلأن كل كمال وإفضل لما كان عكس كماله وإفضاله ومحبوبيتها باعتبار

وجهها إلى الله ، رجع محبوبيتها إلى محبوبيته ، فإليه يرجع عاقب الشاء كما ورد عن المعصوم ، ولكن لا يستشعر بذلك إلا الخواص .

والتفاصل والإيمان والكفر بذلك الاستشعار ، أو لأنه أحب لهم إجمالاً أو فطرة ، كما أن الجاهل يعلم أن العالم خير منه ، والغضبان يصدق بأن الحليم أشرف منه ، والبخيل بأن الجواد أفضل منه ، فهم يحبون الصفات الحميدة فطرة وإن أحبو تلك الرذائل بالغريرة الثانية .

شرح الأسماء الحسنى:٤/٤ : (تنبيهاً على أنه تعالى هو المعروف بتلك الصلات والصفات عند الفطرة الأولى التي فطر الناس عليها ، فلا تذهب العقول إلى غيره تعالى حتى عقول الكفار ، كما قال تعالى: **وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ** **لَيَقُولُنَّ اللَّهُ** ، وحين قال الخليل عليه السلام: إن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب ، لم ينكِر نمروذ بل بهت ، لأن فطرته حاكمة بأن القادر على ذلك ليس إلا هو .

رأي صاحب تفسير الميزان في عالم الذر والمعرفة والميثاق  
 تفسير الميزان للطباطبائي: ٣٠٥/٨: (وَإِذْ أَخَذَ رِبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّهُمْ  
 وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَلْسُتُ بِرِّيْكُمْ فَلَوْلَا بَلَىٰ شَهَدُنَا  
 أخذ الشئ من الشئ يوجب انفصال المأخوذ من المأخوذ منه واستقلاله دونه بنحو من الأنحاء ، وهو يختلف باختلاف العنيات المتعلقة بها والإعتبارات المأخوذة فيها كأخذ اللقمة من الطعام وأخذ الجرعة من ماء القدح ، وهو نوع من الأخذ ، وأخذ المال والأثاث من زيد الغاصب ، أو الجواد أو البائع أو المعير ، وهو نوع آخر ، أو أنواع مختلفة أخرى ، وكأخذ العلم من العالم وأخذ الأهبة من

المجلس وأخذ الحظ من لقاء الصديق ، وهو نوع ، وأخذ الولد من والده للتربية ، وهو نوع.. إلى غير ذلك .

فمجرد ذكر الأخذ من الشئ لا يوضح نوعه إلا ببيان زائد ، ولذلك أضاف الله سبحانه وإلى قوله **وَإِذْ أَخَذَ رِبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ** ، الدال على تفريقهم وتفصيل بعضهم من بعض: قوله **مِنْ ظُهُورِهِمْ** ، ليدل على نوع الفصل والأخذ ، وهو أخذ بعض المادة منها بحيث لا تنقص المادة المأخوذ منها بحسب صورتها ولا تنقلب عن تمامها واستقلالها ، ثم تكميل الجزء المأخوذ شيئاً تاماً مستقلاً من نوع المأخوذ منه ، فيؤخذ الولد من ظهره من يلده ويولده وقد كان جزء ، ثم يجعل بعد الأخذ والفصل إنساناً تاماً مستقلاً من والديه بعد ما كان جزءاً منهما ، ثم يؤخذ من ظهر هذا المأخوذ مأخوذ آخر وعلى هذه الوتيرة حتى يتم الأخذ وينفصل كل جزء عما كان جزءاً منه ويتفرق الأناسي وينتشر الأفراد وقد استقل كل منهم عن سواه ، ويكون لكل واحد منهم نفس مستقلة لها ما لها وعليها ما عليها .

فهذا مفاد قوله: **وَإِذْ أَخَذَ رِبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّهُمْ** ، ولو قال أخذ ربك من بني آدم ذريتهم أو نشرهم ونحو ذلك ، بقي المعنى على إبهامه .

وقوله: **وَأَشَهَدُهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلْسُتُ بِرِّيْكُمْ** ، ينبي عن فعل آخر إلهي تعلق بهم بعد ما أخذ بعضهم من بعض ، وفصل بين كل واحد منهم وغيره ، وهو إشهادهم على أنفسهم ، والإشهاد على الشئ هو إحضار الشاهد عنده وإراءته حقيقته ليتحمله علمًا تحملًا شهودياً ، فإشهادهم على أنفسهم هو إراءتهم حقيقة أنفسهم ليتحملوا ما أريد تحملهم من أمرها ، ثم يؤدوا ما تحملوه إذا سئلوا .

وللنفس في كل ذي نفس جهات من التعلق والإرتباط بغيرها يمكن أن يستشهد الإنسان على بعضها دون بعض ، غير أن قوله: **أَلْسُتُ بِرِّيْكُمْ** ، يوضح ما أشهدوا

لأجله وأريد شهادتهم عليه ، وهو أن يشهدوا ربوبيته سبحانه لهم فيؤدوها عند المسألة . فالإنسان وإن بلغ من الكبر والخيال ما بلغ وغرته مساعدة الأسباب ما غرته واستهواه ، لا يسعه أن ينكر أنه لا يملك وجود نفسه ولا يستقل بتدبير أمره ، ولو ملك نفسه لوقاها مما يكرهه من الموت وسائر آلام الحياة ومصائبها ، ولو استقل بتدبير أمره لم يفتقر إلى الخضوع قبال الأسباب الكونية والوسائل التي يرى لنفسه أنه يسودها ويحكم فيها ، ثم هي كالإنسان في الحاجة إلى ماوراءها والإندیاد إلى حاكم غائب عنها يحكم فيها لها أو عليها ، وليس إلى الإنسان أن يسد خلتها ويرفع حاجتها .

فالحاجة إلى رب مالك مدبر حقيقة الإنسان ، والفقير مكتوب على نفسه ، والضعف مطبوع على ناصيته ، لا يخفى ذلك على إنسان له أدنى الشعور الإنساني والعالم والجاهل والصغير والكبير والشريف والوضيع في ذلك سواء . فالإنسان في أي منزل من منازل الإنسانية نزل ، يشاهد من نفسه أن له رباً يملكه ويدبر أمره ، وكيف لا يشاهد ربه وهو يشاهد حاجته الذاتية ، وكيف يتصور وقوع الشعور بالحاجة من غير شعور بالذى يحتاج إليه .

فقوله: **اللَّهُمَّ بِرِّبِّكُمْ** بيان ما أشهد عليه ، وقوله: **قَالُوا بَلَى شَهَدْنَا** ، اعتراف منهم بوقوع الشهادة وما شهدوه .

ولذا قيل إن الآية تشير إلى ما يشاهده الإنسان في حياته الدنيا أنه يحتاج في جميع جهات حياته من وجوده وما يتعلق به وجوده من اللوازم والأحكام ، ومعنى الآية إننا خلقنا بني آدم في الأرض وفرقناهم وميزنا بعضهم من بعض بالتناسل والتوالد وأوقفناهم على احتياجهم ومربوبيتهم لنا ، فاعترفوا بذلك قائلين: بلى شهدنا أنك ربنا . وعلى هذا يكون قولهم بلى شهدنا من قبيل القول

بلسان الحال أو إسناداً لللازم القول إلى القائل بالملزوم ، حيث اعترفوا بحاجاتهم ولزمهم الإعتراف بمن يحتاجون إليه .

والفرق بين لسان الحال والقول بلازم القول ، أن الأول انكشف المعنى عن الشئ دلالة صفة من صفاتة وحال من أحواله عليه ، سواء شعر به أم لا ، كما تفصح آثار الديار الخربة عن حال ساكنيها وكيف لعب الدهر بهم وعدت عاديه الايام عليهم فأسكتن أجراهم وأحمدت أنفاسهم ، وكما يتكلم سيماء البائس المسكين عن فقره ومسكته وسوء حاله. والثاني انكشف المعنى عن القائل لقوله بما يستلزم أو تكلمه بما يدل عليه بالالتزام .

فعلى أحد هذين النوعين من القول أعني القول بلسان الحال والقول بالإستلزم يحمل اعترافهم المحكي بقوله تعالى: **قَالُوا بَلَى شَهَدْنَا** ، والأول أقرب وأناسب فإنه لا يكتفي في مقام الشهادة إلا بالصريح منها المدلول عليه بالمطابقة دون الإلتزام . ومن المعلوم أن هذه الشهادة على أي نحو تحققت فهي من سخن الإشهاد المذكور في قوله: **اللَّسْتُ بِرَبِّكُمْ** ، فالظاهر أنه قد استوفى الجواب بعين اللسان الذي سألهم به ، ولذلك كان هناك نحو ثالث يمكن أن تحمل عليه هذه المساءلة والمجاوبة ، فإن الكلام الإلهي يكشف به عن المقاصد الإلهية بالفعل والإيجاد ، كلام حقيقي ، وإن كان بنحو التحليل كما تقدم مراراً في مباحثنا السابقة فليكن هنا قوله: **اللَّسْتُ بِرَبِّكُمْ** ، وقولهم: **بَلَى شَهَدْنَا** ، من ذاك القبيل ، وسيجيئ للكلام تتمة . وكيف كان ، فقوله: **وَإِذْ أَخَذَ رِبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ . . . الْآيَة** ، يدل على تفصيلبني آدم بعضهم من بعض وإشهاد كل واحد منهم على نفسه ، وأخذ الإعتراف على الربوبية منه ، ويدل ذيل الآية وما يتلوه - أعني قوله: **أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ** ، أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما

فعل المبطلون - على الغرض من هذا الأخذ والإشهاد . و هو على ما يفيده السياق إبطال حجتين للعباد على الله ، و بيان أنه لو لا هذا الأخذ والإشهاد وأخذ الميثاق على انحصار الربوبية كان للعباد أن يتمسّكوا يوم القيمة بإحدى حجتين يدفعون بها تمام الحجة عليهم في شر كفهم بالله والقضاء بالنار على ذلك من الله سبحانه . والتدبر في الآيتين وقد عطفت إحدى الحجتين على الأخرى بأو التردیدية ، وبنية الحجتان جمیعاً على العلم اللازم للإشهاد ، ونقلتا جمیعاً عن بنی آدم الماخوذین المفرقین ، يعطي أن الحجتين كل واحدة منهما مبنيه على تقدیر من تقدیری عدم الاشهاد كذلك .

والمراد إننا أخذنا ذريتهم من ظهورهم وأشهدهناهم على أنفسهم فاعترفوا بربوبيتنا فتّمت لنا الحجة عليهم يوم القيمة ، ولو لم نفعل هذا ولم نشهد كل فرد منهم على نفسه بعد أخذه ، فإن كنا أهملنا الاشهاد من رأس ، فلم يشهد أحد نفسه وأن الله ربه ولم يعلم به ، لأقاموا جمیعاً الحجة علينا يوم القيمة بأنهم كانوا غافلين في الدنيا عن ربوبيتنا ، ولا تکلیف على غافل ولا مؤاخذة ، وهو قوله تعالى: أنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كَانَ عَنْ هَذَا غَافِلِينَ .

وإن كنا لم نهمل أمر الإشهاد من رأس وأشهدهنا بعضهم على أنفسهم دون بعض ، بأن أشهدهنا الإباء على هذا الأمر الهمام العظيم دون ذرياتهم ثم أشرك الجميع كان شرك الإباء شركاً عن علم بأن الله هو رب لا رب غيره ، فكانت معصية منهم ، وأما الذرية فإنما كان شركهم بمجرد التقليد فيما لا سبيل لهم إلى العلم به لا إجمالاً ولا تفصيلاً ، ومتابعة عملية محضره لآبائهم ، فكان آباؤهم هم المشركون بالله العاصون في شركهم لعلمهم بحقيقة الأمر ، وقد قادوا ذريتهم الضعاف في سبيل شركهم بتربيتهم عليه وتلقينهم ذلك ، ولا سبيل لهم إلى العلم بحقيقة الأمر

وإدراك ضلال آبائهم وإضلالهم إياهم ، فكانت الحجة لهؤلاء الذرية على الله يوم القيمة لأن الذين أشركوا وعصوا بذلك وأبطلوا الحق هم الآباء ، فهم المستحقون للمؤاخذة والفعل فعلهم ، وأما الذرية فلم يعرفوا حقاً حتى يؤمروا به فيعصوا بمخالفته فهم لم يعصوا شيئاً ولم يبطلوا حقاً ، وحيثند لم تتم حجة على الذرية فلم تتم الحجة على جميعبني آدم. وهذا معنى قوله تعالى: **أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ أَبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَ كَنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَهُمْ كُنَّا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطَلُونَ**

فإن قلت: هنا بعض تقادير آخر لا يفي بها البيان السابق ، كما لو فرض إشهاد الذرية على أنفسهم دون الآباء مثلاً ، أو إشهاد بعض الذرية مثلاً ، كما أن تكامل النوع الإنساني في العلم والحضارة على هذه الوتيرة يirth كل جيل ما تركه الجيل السابق ويزيد عليه بأشياء ، فيحصل للأحق ما لم يحصل للسابق .

قلت: على أحد التقديرين المذكورين تتم الحجة على الذرية أو على بعضهم الذين أشهدوا ، وأما الآباء الذين لم يشهدوا فليس عندهم إلا الغفلة المحضرية عن أمر الربوبية ، فلا يستقلون بشرك إذ لم يشهدوا ، ولا يسع لهم التقليد إذ لم يسبق عليهم فيه سابق ، كما في صورة العكس فيدخلون تحت المحتجين بالحجة الأولى (إِنَّا كَنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ) .

وأما حديث تكامل الإنسان في العلم والحضارة تدريجياً فإنما هو في العلوم النظرية الإكتسابية التي هي نتائج وفروع تحصل للإنسان شيئاً فشيئاً ، وأما شهود الإنسان نفسه وأنه محتاج إلى رب يربه فهو من مواد العلم التي إنما تحصل قبل النتائج ، وهو من العلوم الفطرية التي تطبع في النفس انتباعاً أولياً ثم يتفرع عليها الفروع. وما هذا شأنه لا يتأخر عن غيره حصولاً ، وكيف لا ونوع الإنسان إنما يتدرج إلى معارفه وعلومه عن الحس الباطني بالحاجة ، كما قرر في محله .

فالمحصل من الآيتين أن الله سبحانه فصل بينبني آدم بأخذ بعضهم من بعض ، ثم أشهدهم جميعاً على أنفسهم وأخذ منهم الميثاق بربوبيته ، فهم ليسوا بغافلين عن هذا المشهد وما أخذ منهم من الميثاق ، حتى يحتاج كلهم بأنهم كانوا غافلين عن ذلك لعدم معرفتهم بالربوبية ، أو يحتاج بعضهم بأنه إنما أشرك وعصى آباؤهم وهم براء .

ولذلك ذكر عدة من المفسرين أن المراد بهذا الطرف المشار إليه بقوله: **وَإِذْ أَخَذَ رُبُّكَ** ، هو الدنيا ، والآياتان تشيران إلى سنة الخلقة الإلهية الجارية على الإنسان في الدنيا ، فإن الله سبحانه يخرج الذرية الإنسانية من أصلاب آبائهم إلى أرحام أمهاتهم ومنها إلى الدنيا ، ويشهد لهم في خلال حياتهم على أنفسهم ويريهم آثار صنعه وآيات وحدانيته ووجوه احتياجاتهم المستغرقة لهم من كل جهة ، الدالة على وجوده ووحدانيته ، فكأنه يقول لهم عند ذلك **اللَّسْتُ بِرَبِّكُمْ** ، وهم يجيبونه بلسان حالهم **بَلَى شَهَدْنَا** بذلك وأنت ربنا لا رب غيرك ، وإنما فعل الله سبحانه ذلك لئلا يحتاجوا على الله يوم القيمة بأنهم كانوا غافلين عن المعرفة ، أو يحتاج الذرية بأن آباءهم هم الذين أشركوا ، وأما الذرية فلم يكونوا عارفين بها وإنما هم ذرية من بعدهم نشأوا على شركهم من غير ذنب .

وقد طرح القوم عدة من الروايات تدل على أن الآيتين تدلان على عالم الذر ، وأن الله أخرج ذرية آدم من ظهره فخرجوا كالذر فأشهدهم على أنفسهم وعرفهم نفسه ، وأخذ منهم الميثاق على ربوبيته ، ففتمت بذلك الحجة عليهم يوم القيمة . وقد ذكروا وجوهاً في إبطال دلالة الآيتين عليه وطرح الروايات بمخالفتها لظاهر الكتاب ، وهي:

١- أنه لا يخلو إما أنه جعل الله هذه الذرية المستخرجة من صلب آدم عقلاً أو

لم يجعلهم كذلك ، فإن لم يجعلهم عقلاً فلا يصح أن يعرفوا التوحيد وأن يفهموا خطاب الله تعالى ، وإن جعلهم عقلاً وأخذ منهم الميثاق وبنى صحة التكليف على ذلك وجب أن يذكروا ذلك ولا ينسوه ، لأنأخذ الميثاق إنما تم الحجة به على المأمور منه إذا كان على ذكر منه من غير نسيان ، كما ينص عليه قوله تعالى: **أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ** . ونحن لا نذكر وراء ما نحن عليه من الخلقة الدنيوية الحاضرة شيئاً ، فليس المراد بالآية إلا موقف الإنسان في الدنيا وما يشاهده فيه من حاجته إلى رب يملكه ويدبر أمره وهو رب كل شيء .

٢ - أنه لا يجوز أن ينسى الجمع الكثير والجم الغفير من العقلاً أمراً قد كانوا عرفوه وميزوه حتى لا يذكوه ولا واحد منهم ، وليس العهد به بأطول من عهد أهل الجنة بحوادث مضت عليهم في الدنيا وهم يذكرون ما وقع عليهم في الدنيا كما يحكى في موضع من كلامه قوله: **قَالَ قَاتِلُهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ** ... إلى آخر الآيات ، الصافات: ٥١ . وقد حكى نظير ذلك عن أهل النار قوله: **وَقَالُوا مَا**

**لَنَّا لَنَرَى رِجَالًا كَانَ نَعْدُهُمْ مِنَ الْأَشْرَكِ** . ص: ٦٢ ... إلى غير ذلك من الآيات .

ولو جاز النسيان على هؤلاء الجماعة مع هذه الكثرة لجاز أن يكون الله سبحانه قد كلف خلقه فيما مضى من الزمن ثم أعادهم ليثيهم أو ليعاقبهم جزاء لأعمالهم في الخلق الأول وقد نسوا ذلك ، ولازم ذلك صحة قول التناصخية أن المعاد إنما هو خروج النفس عن بدنها ثم دخولها في بدن آخر لتجد في الثاني جزاء الأعمال التي عملتها في الأول .

٣ - ما أورد على الأخبار الناطقة بأن الله سبحانه أخذ من صلب آدم ذريته وأخذ منهم الميثاق بأن الله سبحانه قال: **أَخْذَ رُبُكَ مِنْ بَنِي آدَمَ** ولم يقل من آدم ، وقال من **ظُهُورِهِمْ** ولم يقل من ظهره ، وقال **ذُرِّيَّتِهِمْ** ولم يقل ذريته ، ثم أخبر بأنه إنما فعل

بهم ذلك لثلا يقولوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ أو يَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ أَبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ ... الآية. وهذا يقتضي أن يكون لهم آباء مشركون فلا يتناول ظاهر الآية أولاد آدم لصلبه.

ومن هنا قال بعضهم إن الآية خاصة ببعض بنى آدم غير عامة لجميعهم ، فإنها لا تشمل آدم وولده لصلبه وجميع المؤمنين ، ومن المشركين من ليس له آباء مشركون ، بل تختص بالمشركين الذين لهم سلف مشرك .

٤ - إن تفسير الآية بعالم الذر ينافي قولهم كما في الآية: إِنَّمَا أَشْرَكَ أَبَاؤُنَا لِدَلَالَتِه على وجود آباء لهم مشركين ، وهو ينافي وجود الجميع هناك بوجود واحد جمعي .

٥ - ما ذكره بعضهم أن الروايات مقبولة مسلمة غير أنها ليست بتأويل للآية ، والذي تقضه من حديث عالم الذر إنما هو أمر فعله الله سبحانه وتعالى آدم قبل وجودهم في هذه النشأة ليجرؤوا بذلك على الأعراق الكريمة في معرفة ربوبيته ، كما روي أنهم ولدوا على الفطرة ، وكما قيل إن نعيم الأطفال في الجنة ثواب إيمانهم بالله في عالم الذر. وأما الآية فليست تشير إلى ما تشير إليه الروايات ، فإن الآية تذكر أنه إنما فعل بهم ذلك لتنقطع به حجتهم يوم القيمة: إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ، ولو كان المراد به ما فعل بهم في عالم الذر لكان لهم أن يحتجوا على الله فيقولوا ربنا إنك أشهدتنا على أنفسنا يوم آخر جتنا من صلب آدم فكنا على يقين بأنك ربنا ، كما أنا اليوم وهو يوم القيمة على يقين من ذلك لكنك أنسينا موقف الإشهاد في الدنيا التي هي موطن التكليف والعمل ووكلتنا إلى عقولنا ، فعرف ربوبيتكم من عرفها بعقله وأنكرها من أنكرها بعقله ، كل ذلك بالإستدلال ، فما ذنبنا في ذلك وقد نزعت منا عين المشاهدة وجهزتنا بجهاز شأنه الإستدلال وهو

يخطئ ويصيب .

٦- أن الآية لا صراحة لها فيما تدل عليه الروايات لإمكان حملها على التمثيل ، وأما الروايات فهي إما مرفوعة أو موقوفة ولا حجية فيها .

هذه جملة ما أوردوه على دلالة الآية وحجية الروايات ، وقد زيفها المثبتون لنشأة الذر وهم عامة أهل الحديث وجمع من غيرهم من المفسرين بأجوبة: فالجواب عن الأول ، أن نسيان الموقف وخصوصياته لا يضر بتمام الحجة ، وإنما المضر نسيان أصل الميثاق وزوال معرفة وحدانية رب تعالى وهو غير منسي ولا زائل عن النفس ، وذلك يكفي في تمام الحجة ، ألا ترى أنك إذا أردت أن تأخذ ميثاقاً من زيد فدعوته إليك وأدخلته بيتك وأجلسته مجلس الكرامة ثم بشرته وأنذرته ما استطعت ولم تزل به حتى أرضيته فأعطيك العهد وأخذت منه الميثاق ، فهو مأخوذ بميثاقه مادام ذاكراً لأصله وإن نسي حضوره عندك ودخوله بيتك وجميع ما جرى بينك وبينه وقت أخذ الميثاق ، غير أصل العهد .

والجواب عن الثاني ، أن الإمتناع من تجويز نسيان الجمع الكثير لذلك مجرد استبعاد من غير دليل على الإمتناع ، مضافاً إلى أن أصل المعرفة بالربوبية مذكور غير منسي كما ذكرنا وهو يكفي في تمام الحجة ، وأما حديث التناسخة فليس الدليل على امتناع التناسخ منحصراً في استحالة نسيان الجماعة الكثيرة ما مضى عليهم في الخلق الأول ، حتى لو لم يستحل ذلك صح القول بالتناسخ ، بل لابطال القول به دليل آخر كما يعلم بالرجوع إلى محله ، وبالجملة لا دليل على استحالة نسيان بعض العوالم في بعض آخر .

والجواب عن الثالث ، أن الآية غير ساكتة عن إخراج ولد آدم لصلبه من صلبه ،

فإن قوله تعالى: **وَإِذْ أَخَذَ رُبُكَ مِنْ بَنِي آدَمَ ، كاف وحده في الدلالة عليه ، فإن فرض بني آدم فرض إخراجهم من صلب آدم من غير حاجة إلى مؤونة زائدة ، ثم إخراج ذريتهم من ظهورهم بإخراج أولاد الأولاد من صلب الأولاد وهكذا ، ويحصل منه أن الله أخرج أولاد آدم لصلبه من صلبه ثم أولادهم من أصلابهم ثم أولاد أولادهم من أصلاب أولادهم حتى ينتهي إلى آخرهم ، نظير ما يجري عليه الأمر في هذه النشأة الدنيوية التي هي نشأة التوالد والتناسل .**

وقد أجاب الرازي عنه في تفسيره بأن الدلالة على إخراج أولاده لصلبه من صلبه من ناحية الخبر ، كما أن الدلالة على إخراج أولاد أولاده من أصلاب آبائهم من ناحية الآية ، فبمجموع الآية والخبر تتم الدلالة على المجموع ، وهو كما ترى .

وأما الأخبار المشتملة على ذكر إخراج ذرية آدم من صلبه وأخذ الميثاق منهم ، فهي في مقام شرح القصة لا في مقام تفسير الفاظ الآية حتى يورد عليها بعدم موافقه الكتاب أو مخالفته . وأما عدم شمول الآية لأولاد آدم من صلبه لعدم وجود آباء مشركين لهم وكذا بعض من عداهم فلا يضر شيئاً ، لأن مراد الآية أن الله سبحانه إنما فعل ذلك لئلا يقول المشركون يوم القيمة إنما أشرك آباؤنا ، ولا أن يقول كل واحد منهم إنما أشرك آبائي ، فهذا مما لم يتعلّق به الغرض أبداً ، فالقول قول المجموع من حيث المجموع لا قول كل واحد ، فيؤول المعنى إلى أنا لو لم نفعل ذلك لكان كل من أردنا إهلاكه يوم القيمة يقول لم أشرك أنا وإنما أشرك من كان قبلي ولم أكن إلا ذرياً وتابعاً لا متبعاً .

والجواب عن الرابع ، يظهر من الجواب عن سابقه ، قد دلت الآية والرواية على أن الله فصل هناك بين الآباء والأبناء ثم ردّهم إلى حال الجمع .

والجواب عن الخامس ، أنه خلاف ظاهر بعض الروايات وخلاف صريح بعض آخر منها ، وما في ذيله من عدم تمام الحجة من جهة عروض النسيان ، ظهر الجواب عنه من الجواب عن الإشكال الأول .

والجواب عن السادس ، أن استقرار الظهور في الكلام كاف في حجتة ، ولا يتوقف ذلك على صفة الصراحة ، وإمكان الحمل على التمثيل لا يوجب الحمل عليه ما لم يتحقق هناك مانع عن حمله على ظاهره ، وقد تبين أن لا مانع من ذلك. وإنما أن الروايات ضعيفة لا معول عليها فليس كذلك ، فإن فيها ما هو الصحيح ، وفيها ما يوثق بصدره كما سيجيء إن شاء الله تعالى في البحث الروائي التالي .

هذا ملخص ما جرى بينهم من البحث فيما استفید من الآية من حديث عالم الدر إثباتاً ونفيأً ، واعتراضأً وجواباً . واستيفاء التدبر في الآية والروايات ، والتأمل فيما يرومه المثبتون بإثباتهم ويدفعه المنكرون بإنكارهم ، يوجب توجيه البحث إلى جهة أخرى غير ما تшاجر فيه الفريقان بإثباتهم ونفيهم .

فالذى فهمه المثبتون من الرواية ثم حملوه على الآية واتهضوا لإثباته محصله: أن الله سبحانه بعدهما خلق آدم إنساناً تماماً سوياً أخرج نطفه التي تكونت في صلبه ثم صارت هي بعينها أولاده الصليبين إلى الخارج من صلبه ، ثم أخرج من هذه النطف نطفها التي ستكون أولاداً له صلبين ففصل بين أجزائها والأجزاء الأصلية التي اشتقت منها ، ثم من أجزاء هذه النطف أجزاء أخرى هي نطفها ثم من أجزاء الأجزاء أجزاءها ، ولم يزل حتى أتى آخر جزء مشتق من الأجزاء المتعاقبة في التجزي .

وبعبارة أخرى: أخرج نطفة آدم التي هي مادة البشر وزعها بفصل بعض أجزائه من بعض إلى ما لا يحصى من عدد بني آدم بحداء كل فرد ما هو نصيبيه من

أجزاء نطفة آدم ، وهي ذرات منبطة غير محصورة ، ثم جعل الله سبحانه هذه الذرات المنبطة عند ذلك أو كان قد جعلها قبل ذلك كل ذرة منها إنساناً تماماً في إنسانيته هو بعينه الإنسان الدنيوي الذي هو جزء المقدم له ، فالجزء الذي لزيد هناك هو زيد هذا بعينه والذي لعمرو هو عمرو هذا بعينه ، فجعلهم ذوي حياة وعقل وجعل لهم ما يسمعون به وما يتكلمون به وما يضمرون به معاني فيظهرونها أو يكتمنها ، وعند ذلك عرفهم نفسه فخاطبهم فأجابوه وأعطوه الإقرار بالربوبية ، إما بموافقة ما في ضميرهم لما في لسانهم أو بمخالفة ذلك .

ثم إن الله سبحانه ردهم بعد أخذ الميثاق إلى مواطنهم من الأصلاب حتى اجتمعوا في صلب آدم وهي على حياتها ومعرفتها بالربوبية وإن نسوا ما وراء ذلك مما شاهدوه عند الإشهاد وأخذ الميثاق ، وهم بأعيانهم موجودون في الأصلاب حتى يؤذن لهم في الخروج إلى الدنيا فيخرجون ، وعندهم ما حصلوه في الخلق الأول من معرفة الربوبية ، وهي حكمهم بوجود رب لهم من مشاهدة أنفسهم محتاجة إلى من يملكونه ويدبر أمرهم .

هذا ما يفهمه القوم من الخبر والآية ويرومون إثباته ، وهو مما تدفعه الضرورة وينفيه القرآن والحديث بلا ريب ، وكيف الطريق إلى اثبات أن ذرة من ذرات بدن زيد وهو الجزء الذري الذي انتقل من صلب آدم من طريق نطفته إلى ابنه ثم إلى ابن ابنه حتى انتهى إلى زيد هو زيد بعينه وله إدراك زيد وعقله وضميره وسمعه وبصره ، وهو الذي يتوجه إليه التكليف وتم له الحجة ويحمل عليه العهود والمواثيق ويقع عليه الثواب والعقاب ، وقد صح بالحججة القاطعة من طريق العقل والنقل أن إنسانية الإنسان بنفسه التي هي أمر وراء المادة حادث بحدوث هذا البدن الدنيوي ، وقد تقدم شطر من البحث فيها .

على أنه قد ثبت بالبحث القطعي أن هذه العلوم التصديقية البديهية والنظرية ، ومنها التصديق بأن له رياً يملكه ويدبر أمره ، تحصل للإنسان بعد حصول التطورات ، والجميع تنتهي إلى الإحساسات الظاهرة والباطنة ، وهي تتوقف على وجود التركيب الدنيوي المادي ، فهو حال العلوم الحصوصية التي منها التصديق بأن له رياً هو القائم برفع حاجته .

على أن هذه الحجة إن كانت متوقفة في تمامها على العقل والمعرفة معاً فالعقل مسلوب عن الذرة حين أرجعت إلى موطنها الصليبي حتى تظهر ثانياً في الدنيا ، وإن قيل إنه لم يسلب عنها ما تجري في الأصلاب والأرحام فهو مسلوب عن الإنسان ما بين ولادته وبلوغه أعني أيام الطفولة ، ويختل بذلك أمر الحجة على الإنسان وإن كانت غير متوقفة عليه، بل يكفي في تمامها مجرد حصول المعرفة ، فأي حاجة إلى الإشهاد وأخذ الميثاق، وظاهر الآية أن الإشهاد وأخذ الميثاق إنما هما لأجل إتمام الحجة ، فلا محالة يرجع معنى الآية إلى حصول المعرفة فيؤول المعنى إلى ما فسرها به المنكرون .

وبتقرير آخر إن كانت الحجة إنما تتم بمجموع الإشهاد والتعریف وأخذ الميثاق سقطت بنسیان البعض وقد نسي الإشهاد والتکلیم وأخذ الميثاق ، وإن كان الإشهاد وأخذ الميثاق جمیعاً مقدمة لثبوت المعرفة ثم زالت المقدمة ولزمت المعرفة وبها تام الحجة ، تمت الحجة على كل إنسان حتى الجنين والطفل والمعتوه والجاهل ، ولا يساعد عليه عقل ولا نقل ، وإن كانت المعرفة في تمام الحجة بها متوقفة على حصول العقل والبلوغ ونحو ذلك وقد كانت حصلت في عالم الدر فتمت الحجة ثم زالت وبقيت المعرفة حجة ناقصة ثم كملت ثانياً لبعضهم في الدنيا فتمت الحجة ثانياً بالنسبة إليهم ، فكما أن لحصول العقل في

الدنيا أسباباً تكوينية يحصل بها وهي الحوادث المتكررة من الخير والشر ، وحصول الملكة المميزة بينهما من التجارب حصولاً تدريجياً ينتهي من جانب إلى حد من الكمال ومن جانب إلى حد من الضعف لا يعبأ به ، كذلك المعرفة لها أسباب إعدادية تهيي الإنسان إلى التلبس بها وليس تحصل قبل ذلك ، وإذا كانت تحصل في ظرفنا هذا بأسبابها المعدة لها كالعقل ، فأي حاجة إلى تكوينه تكويناً آخر في سالف من الزمان لاتمام الحجة والحججة تامة دونه وماذا يعني ذلك .

على أن هذا العقل الذي لا تتم حججه ولا ينفع إشهاد ولا يصح أخذ ميثاق بدونه حتى في عالم الذر ، المفروض هو العقل العملي الذي لا يحصل للإنسان إلا في هذا الظرف الذي يعيش فيه عيشة اجتماعية ، فتتكرر عليه حوادث الخير والشر وتهيج عواطفه وإحساساته الباطنية نحو جلب النفع ودفع الضرر ، فتتعاقب عليه الأعمال عن علم وإرادة في خططي ويصيب ، حتى يتدرّب في تمييز الصواب من الخطأ والخير من الشر والنفع من الضر .

والظرف الذي يثبتونه يعني ما يصفونه من عالم الذر ليس بموطن العقل العملي ، إذ ليس فيه شرائط حصوله وأسبابه ، ولو فرضوه موطنًا له وفيه أسبابه وشرائطه كما يظهر مما يصفونه تعويلاً على ما في ظواهر الروايات أن الله دعاهم هناك إلى التوحيد فأجابه بعضهم بلسان يوافقه قلبه وأجابه آخرون وقد أصرروا الكفر وبعث إليهم الأنبياء والوصياء فصدقهم بعض وكذبهم آخرون ، ولا يجري ما هنا إلا على ما جرى به ما هنالك ، إلى غير ذلك مما ذكروه ، كان ذلك إثباتاً لنشأة طبيعية قبل هذه النشأة الطبيعية في الدنيا نظير ما يثبته القائلون بالأدوار والأكوار ، واحتاج إلى تقديم كينونة ذرية أخرى تتم بها الحجة على من هنالك

من الإنسان ، لأن عالم الذر على هذه الصفة لا يفارق هذا العالم الحيوي الذي نحن فيه الآن ، فلو احتاج هذا الكون الدنيوي إلى تقديم إشهاد وتعريف حتى تحصل المعرفة وتم الحجة لاحتاج إليه الكون الذري من غير فرق فارق أبطة . على أن الإنسان لو احتاج في تتحقق المعرفة في هذه النشأة الدنيوية إلى تقدم وجود ذري يقع فيه الإشهاد ويوجد فيه الميثاق حتى تثبت بذلك المعرفة بالربوبية ، لم يكن في ذلك فرق بين إنسان وإنسان ، فما بال آدم وحواء استثنى من هذه الكلية ، فإن لم يحتاجا إلى ذلك لفضل فيهما أو لكرامة لهما ففي ذريتهما من هو أفضل منهما وأكرم ، وإن كان ل تمام خلقتهما يومئذ فأثبتت فيهما المعرفة من غير حاجة إلى إحضار الوجود الذري ، فلكل من ذريتهما أيضاً خلقة تامة في ظرفه الخاص به ، فلم لم يؤخر إثبات المعرفة فيهم ولهم إلى تمام خلقتهم بالولادة حتى تتم عند ذلك الحجة ، وأي حاجة إلى التقديم .

فهذه جهات من الإشكال في تتحقق الوجود الذري للإنسان على ما فهموه من الروايات لا طريق إلى حلها بالأبحاث العلمية ، ولا حمل الآية عليه معها حتى بناء على عادة القوم في تحويل المعنى على الآية إذا دلت عليه الرواية وإن لم يساعد عليه لفظ الآية ، لأن الرواية القطعية الصدور كالآية مصونة عن أن تنطق بالمحال . وأما الحشووية وبعض المحدثين من يبطل حجة العقل الضرورية قبل الرواية ويتمسك بالأحاديث في المعارف اليقينية ، فلا بحث لنا معهم .

هذا ما على المثبتين . بقي الكلام فيما ذكره النافون أن الآية تشير إلى ما عليه حال الإنسان في هذه الحياة الدنيا ، وهو أن الله سبحانه أخرج كلا من آحاد الإنسان من الأصلاب والأرحام إلى مرحلة الإنفصال والتفرق ، وركب فيهم ما يعرفون به ربوبيته واحتياجهم إليه ، كأنه قال لهم إذا وجه وجوههم نحو أنفسهم

المستغرقة في الحاجة: **السْتُّ بِرِّيكُمْ** ، وكأنهم لما سمعوا هذا الخطاب من لسان الحال قالوا: بل أنت ربنا شهدنا بذلك ، وإنما فعل الله ذلك لتسع عليهم حجتها بالمعرفة وتنقطع حجتهم عليه بعدم المعرفة ، وهذا ميثاق مأخوذ منهم طول الدنيا جار ما جرى الدهر والإنسان يجري معه .

والآية بسياقها لا تساعد عليه ، فإنه تعالى افتتح الآية بقوله: **وَإِذْ أَخَذَ رُبُّكَ . . .** الآية فعبر عن ظرف هذه القضية بإذ ، وهو يدل على الزمن الماضي أو على أي ظرف محقق الواقع نحوه ، كما في قوله: **وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ، إِلَى أَنْ قَالَ: قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ** . المائدة: ١١٩ ، فعبر بإذ عن ظرف مستقبل لتحقيق وقوعه .

وقوله: **وَإِذْ أَخَذَ رُبُّكَ خطابَ النَّبِيِّ (ص)** أوله ولغيره كما يدل عليه قوله: **أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ . . .** الآية ، إن كان الخطاب متوجهاً إلينا معاشر السامعين للآيات المخاطبين بها والخطاب خطاب دنيوي لنا معاشر أهل الدنيا ، والظرف الذي يتکي عليه هو زمن حياتنا في الدنيا أو زمن حياة النوع الإنساني فيها وعمره الذي هو طول إقامته الأرض ، والقصة التي يذكرها في الآية ظرفها عين ظرف وجود النوع في الدنيا فلا مصحح للتعبير عن ظرفها بل لفظة إذ الدالة على تقدم ظرف القصة على ظرف الخطاب ، ولا عنابة أخرى في المقام تصحيح هذا التعبير من قبيل تحقق الواقع ونحوه وهو ظاهر .

فقوله: **وَإِذْ أَخَذَ رُبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّهُمْ** ، في عين أنه يدل على قصة خلقه تعالى النوع الإنساني بنحو التوليد ، وأخذ الفرد من الفرد وبث الكثير من القليل ، كما هو المشهود في نحو تكون الآحاد من الإنسان وحفظهم وجود النوع بوجود البعض من البعض على التعاقب ، يدل على أن للقصة وهي تنطبق على

الحال المشهود نوعاً من التقدم على هذا المشهود من جريان الخلقة وسيرها . وقد تقدمت استحالة ما افترضوا لهذا التقدم من تقدم هذه الخلقة بنحو تقدماً زمانياً بأن يأخذ الله أول فرد من هذا النوع فياخذ منه مادة النطفة التي منها نسل هذا النوع فيجزئها أجزاء ذرية بعدد أفراد النوع إلى يوم القيمة ، ثم يليس وجود كل فرد بعينه وعقله وسمعه وبصره وضميره وظهره وبطنه ويكتسيه وجوده التي هي له قبل أن يسير مسيره الطبيعي فيشهده نفسه ويأخذ منه الميثاق ، ثم ينزعه منها ويردها إلى مكانها الصليبي ، حتى يسير سيره الطبيعي وينتهي إلى موطنها الذي لها من الدنيا ، فقد تقدم بطلان ذلك وأن الآية أجنبية عنه .

لكن الذي أحال هذا المعنى هو استلزم و وجود الإنسان بماله من الشخصية الدنيوية مرتين في الدنيا واحدة بعد أخرى ، المستلزم لكون الشئ غير نفسه بتعدد شخصيته ، فهو الأصل الذي تنتهي إليه جميع المشكلات السابقة .

وأما وجود الإنسان أو غيره في امتداد مسيره إلى الله ورجوعه إليه في عوالم مختلفة النظام متفاوتة الحكم فليس بمحال ، وهو مما يثبته القرآن الكريم ولو كره ذلك الكافرون الذين يقولون إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحي وما يهلكنا إلا الدهر فقد أثبت الله الحياة الآخرة للإنسان وغيره يوم البعث وفيه هذا الإنسان بعينه ، وقد وصفه بنظام وأحكام غير هذه النشأة الدنيوية نظاماً وأحكاماً . وقد أثبت حياة برزخية لهذا الإنسان بعينه وهي غير الحياة الدنيوية نظاماً وحكماً . وأثبت بقوله: وَإِنْ مَنْ شَاءْ إِلَّا عَنْدَنَا خَزَانَةُ وَمَا تُنَزَّلُهُ إِلَّا بَقَدْرٍ مَعْلُومٍ . الحجر : ٢١ ، أن لكل شئ عنده وجوداً وسيراً غير مقدر في خزائنه وإنما يلتحقه الأقدر إذا نزله إلى الدنيا مثلاً ، فللعالم الإنساني على سعته سابق وجود عنده تعالى في خزائنه ، أنزله إلى هذه النشأة .

وأثبت بقوله: إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون. فَسُبْحَانَ اللَّهِ يَعْلَمُ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ . يس : ٨٣ ، قوله: وَمَا أَمْرَنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٌ بِالْبَصَرِ . القراءة : ٥٠ ، وما يشابههما من الآيات .

أن هذا الوجود التدريجي الذي للأشياء ومنها الإنسان هو أمر من الله يفيضه على الشيء ويلقيه إليه بكلمة كن ، إفاضة دفعية وإلقاء غير تدريجي .

فلوجود هذه الأشياء وجهان: وجه إلى الدنيا وحكمه أن يحصل بالخروج من القوة إلى الفعل تدريجياً ومن العدم إلى الوجود شيئاً فشيئاً ، ويظهر ناقصاً ثم لا يزال يتكملاً حتى يفنى ويرجع إلى ربه .

ووجه إلى الله سبحانه وهي بحسب هذا الوجه أمور تدريجية ، وكل ما لها فهو لها في أول وجودها من غير أن تتحمل قوة تسوقها إلى الفعل .

وهذا الوجه غير الوجه السابق وإن كانوا وجهين لشيء واحد ، وحكمه غير حكمه وإن كان تصوره التام يحتاج إلى لطف قريحة ، وقد شرحته في الأبحاث السابقة بعض الشرح ، وسيجيئ إن شاء الله استيفاء الكلام في شرحه .

ومقتضى هذه الآيات أن للعالم الإنساني على ما له من السعة وجوداً جمياً عند الله سبحانه ، وهو الذي يلي جهته تعالى ويفيضه على أفراده لا يغيب فيها بعضهم عن بعض ولا يغيبون فيه عن ربهم ولا هو يغيب عنهم ، وكيف يغيب فعل عن فاعله أو ينقطع صنع عن صانعه ، وهذا هو الذي يسميه الله سبحانه بالملكون ، ويقول: وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَيَكُونُ مِنَ الْمُوْقِنِينَ . الانعام: ٧٥ ويشير إليه بقوله: كَلَّا لَمْ تَعْلَمُوْنَ عِلْمَ الْيَقِيْنِ . لَتَرَوُنَ الْجَحِيْمَ . ثُمَّ لَتَرَوُنَهَا عَيْنَ الْيَقِيْنِ . التكاثر: ٧ .

وأما هذا الوجه الدنيوي الذي نشاهده نحن من العالم الإنساني ، وهو الذي

يفرق بين الآحاد ويشتت الأحوال والأعمال بتوزيعها على قطعات الزمان وتطبيقها على مر الليالي والأيام ويحجب الإنسان عن ربه بصرف وجهه إلى التمتعات المادية الأرضية واللذائذ الحسية ، فهو متفرع على الوجه السابق متأخر عنه. وموقع تلك النشأة وهذه النشأة في تفرعها عليها موقعاً كن ويكون في قوله تعالى: **أَنْ تَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ** . يس : ٨٢ .

ويتبين بذلك أن هذه النشأة الإنسانية الدنيوية مسبوقة بنشأة أخرى إنسانية هي هي بعينها غير أن الآحاد موجودون فيها غير محظوظين عن ربهم ، يشاهدون فيها وحدانيته تعالى في الربوبية بمشاهدته أنفسهم ، لا من طريق الإستدلال ، بل لأنهم لا ينقطعون عنه ولا يفقدونه ويعرفون به وبكل حق من قبله. وأما قذارة الشرك وألوان المعااصي فهو من أحكام هذه النشأة الدنيوية دون تلك النشأة التي ليس فيها إلا فعله تعالى القائم به ، فافهم ذلك .

وأنت إذا تدبرت هذه الآيات ثم راجعت قوله تعالى: **وَإِذْ أَخَذَ رِبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ** ... الآية ، وأجدت التدبر فيها وجدتها تشير إلى تفصيل أمر تشير هذه الآيات إلى إجماله ، فهي تشير إلى نشأة إنسانية سابقة فرق الله فيها بين أفراد هذا النوع وميز بينهم **وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ قَالُوا بَلَى شَهَدْنَا** .

ولا يرد عليه ما أورد على قول المثبتين في تفسير الآية على ما فهموه من معنى عالم الذر من الروايات على ما تقدم ، فإن هذا المعنى المستفاد من سائر الآيات والنشأة السابقة التي تشبهه لا تفارق هذه النشأة الإنسانية الدنيوية زماناً ، بل هي معها محيطة بها لكنها سابقة عليها السبق الذي في قوله تعالى: **كُنْ فَيَكُونُ** ، ولا يرد عليه شيء من المحاذير المذكورة .

ولا يرد عليه ما أوردهناه على قول المنكرين في تفسيرهم الآية بحال وجود النوع

الإنساني في هذه النشأة الدنيوية من مخالفته لقوله: **وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ** ، ثم التجوز في الإشهاد بإرادة التعريف منه وفي الخطاب بقوله: **السْتُّ بِرَبِّكُمْ** بإرادة دلالة الحال ، وكذا في قوله: **قَالُوا بَلِّي** ، قوله: **شَهِدْنَا** ، بل الظرف ظرف سابق على الدنيا وهو غيرها ، والإشهاد على حقيقته والخطاب على حقيقته .  
ولا يرد عليه أنه من قبيل تحمل الآية معنى لا تدل عليه ، فإن الآية لا تأبى عنه ، وسائر الآيات تشير إليه بضم بعضها إلى بعض .

وأما الروايات فسيأتي أن بعضها يدل على أصل تحقق هذه النشأة الإنسانية كالآية ، وبعضها يذكر أن الله كشف لادم عليه السلام عن هذه النشأة الإنسانية وأراه هذا العالم الذي هو ملکوت العالم الإنساني وما وقع فيه من الاشهاد وأخذ الميثاق ، كما أرى إبراهيم عليه السلام ملکوت السماوات والأرض .

رجعنا إلى الآية ، قوله: **وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ** ، أي واذكر لأهل الكتاب في تتميم البيان السابق ، أو واذكر للناس في بيان ما نزلت السورة ٢٠: لاجل بيانيه ، وهو أن الله عهداً على الإنسان وهو سائله عنه وأن أكثر الناس لا يفون به وقد تمت عليهم الحجة ، أذك ل لهم موطنًا قبل الدنيا أخذ فيه ربكم من بني آدم من ظهورهم ذريتهم فما من أحد منهم إلا استقل من غيره وتميز منه فاجتمعوا هناك جميعاً وهم فرادى فأراهم ذواتهم المتعلقة بربهم وأشهدهم على أنفسهم فلم يحتاجوا عنه وعاينوا أنه ربهم ، كما أن كل شئ بفطرته يجد ربه من نفسه من غير أن يحتجب عنه ، وهو ظاهر الآيات القرآنية كقوله: **وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَكَنْ لَا تَفْتَهُونَ تَسْبِحُهُمْ** . الاسراء : ٤٤ .

**السْتُّ بِرَبِّكُمْ** ، وهو خطاب حقيقي لهم لا بيان حال ، وتكليم إلهي لهم فإنهم يفهمون مما يشاهدون أن الله سبحانه يريد به منهم الإعتراف وإعطاء الموثق ،

ولا يعني بالكلام إلا ما يلقى للدلالة به على معنى مراد ، وكذا الكلام في قوله:  
قَالُوا بَلَى شَهَدْنَا .

وقوله: أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كَانَ عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ، الخطاب للمخاطبين بقوله: أَسْتُ  
بِرِّيْكُمُ الْقَائِلِينَ بَلَى شَهَدْنَا ، فهم هناك يعانيون الاشهاد والتتكليم من الله  
والتكليم بالإعتراف من أنفسهم ، وإن كانوا في نشأة الدنيا على غفلة مما عدا  
المعرفة بالإستدلال ، ثم إذا كان يوم البعث وانطوى بساط الدنيا وانمحت هذه  
الشواغل والحجب عادوا إلى مشاهدتهم ومعاينتهم ، وذكروا ما جرى بينهم وبين  
ربهم . ويحتمل أن يكون الخطاب راجعاً إلينا معاشر المخاطبين بالأيات ، أي  
إنما فعلنا ببني آدم ذلك حذر أن يقولوا أيها الناس يوم القيمة كذا وكذا ،  
وال الأول أقرب ويفيده قراءة أن يقولوا بلفظ الغيبة .

وقوله: أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ أَبَاؤُكُمْ مِنْ قَبْلِ ، هذه حجة الناس إن فرض الإشهاد وأخذ  
الميثاق من الآباء خاصة دون الذرية ، كما أن قوله أن يقولوا الخ ، حجة للناس  
إن ترك الجميع فلم يقع إشهاد ولا أخذ ميثاق من أحد منهم .

ومن المعلوم أن لو فرض ترك الإشهاد وأخذ الميثاق في تلك النشأة كان لازمه  
عدم تحقق المعرفة بالربوبية في هذه النشأة إذ لا حجاب بينهم وبين ربهم في  
تلك النشأة ، فلو فرض هناك علم منهم كان ذلك إشهاداً وأخذ ميثاق ، وأما هذه  
النشأة فالعلم فيها من وراء الحجاب وهو المعرفة من طريق الإستدلال ، فلو لم  
يقع هناك بالنسبة إلى الذرية إشهاد وأخذ ميثاق كان لازمه في هذه النشأة أن لا  
يكون لهم سبيل إلى معرفة الربوبية فيها أصلاً ، وحينئذ لم يقع منهم معصية شرك  
بل كان ذلك فعل آبائهم وليس لهم إلا التبعية العملية لآبائهم والنشوء على  
شركهم من غير علم ، فصح لهم أن يقولوا إِنَّمَا أَشْرَكَ أَبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَ كَانَ ذُرِّيَّةً مِنْ

بَعْدَهُمْ أَفْعَلْنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطَلُونَ .

قوله تعالى: وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ . ، تفصيل الآيات تفريق بعضها وتمييزه من بعض ليتبين بذلك مدلول كل منها ولا تختلط وجوه دلالتها ، وقوله: وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ، عطف على مقدر والتقدير لغaiات عالية كذا وكذا ولعهم يرجعون من الباطل إلى الحق .

( ثم أورد صاحب الميزان رواية ابن الكوا المتقدمة ، وقال ):

أقول والرواية كما تقدم وبعض ما يأتي من الروايات يذكر مطلق أخذ الميثاق من بني آدم من غير ذكر إخراجهم من صلب آدم وإراءتهم إياه. وكان تشبيههم بالذر كما في كثير من الروايات تمثيل لكثرتهم كالذر لا لصغرهم جسماً أو غير ذلك ، ولكرثة ورود هذا التعبير في الروايات سميت هذه النشأة بعالم الذر . وفي الرواية دلالة ظاهرة على أن هذا التكليم كان تكليماً حقيقةً لا مجرد دلالة الحال على المعنى. وفيها دلالة على أن الميثاق لم يؤخذ على الربوبية فحسب ، بل على النبوة وغير ذلك. وفي كل ذلك تأييد لما قدمناه .

وفي تفسير العياشي عن رفاعة قال: سالت أبا عبدالله عن قول الله: وَإِذْ أَخَذَ رِبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّهُمْ ، قال نعم لله الحجة على جميع خلقه أخذهم يوم أخذ الميثاق هكذا ، وقبض يده .

أقول: وظاهر الرواية أنها تفسر الأخذ في الآية بمعنى الإحاطة والملك .

وفي تفسير القمي عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن ابن مسakan ، عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله: وَإِذْ أَخَذَ رِبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّهُمْ وَأَشَهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلْسُتُ يَرِيْكُمْ قَالُوا بَلَى ، قلت: معاينة كان هذا ؟ قال: نعم . . . ( إلى آخر الرواية المتقدمة ) . . .

أقول: والرواية ترد على منكري دلالة الآية علىأخذ الميثاق في الذر تفسيرهم قوله: **وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَّسْتُ بِرَبِّكُمْ** ، أن المراد به أنه عرفهم آياته الدالة على ربوبيته ، والرواية صحيحة ومثلها في الصراحة والصحة ما سيأتي من روایة زرارة وغيره .

وفي الكافي عن علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمر ، عن زرار: أن رجلاً سأله أباً جعفر عليه السلام عن قول الله عز وجل: **وَإِذْ أَخْذَ رِبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّتُهُمْ** . إلى آخر الآية ، فقال وأبوه يسمع: حدثني أبي أن الله عز وجل قبض قبضه من تراب التربة التي خلق منها آدم فصب عليها الماء العذب الفرات، ثم تركها أربعين صباحاً ، ثم صب عليها الماء المالح الاجاج ، فتركها أربعين صباحاً ، فلما اختمرت الطينة أخذها فعركها عركاً شديداً ، فخرجوا كالذر من يمينه وشماله ، وأمرهم جميعاً أن يقعوا في النار ، فدخلها أصحاب اليمين فصارت عليهم برداً وسلاماً ، وأبى أصحاب الشمال أن يدخلوها .

أقول: وفي هذا المعنى روایات آخر ، وكأن الأمر بدخول النار كنایة عن الدخول حظيرة العبودية والإنقياد للطاعة .

وفيه بإسناده عن عبدالله بن محمد الحنفي وعقبه جميعاً عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن الله عز وجل خلق الخلق ، فخلق من أحب مما أحب ، فكان ما أحب أن خلقه من طينة الجنة ، وخلق من أبغض مما أبغض ، وكان ما أبغض أن خلقه من طينه النار ، ثم بعثهم في الظلال ، فقيل: وأي شيء الظلال قال: ألم تر إلى ذلك في الشمس شيء وليس بشيء ، ثم بعث معهم النبيين فدعوههم إلى الإقرار بالله ، وهو قوله ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله ، ثم دعوهם إلى الإقرار فأقر بعضهم وأنكر بعض ، ثم دعوهם إلى ولايتنا ، فأقر بها والله من أحب وأنكرها من أبغض ،

وهو قوله: وما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل ، ثم قال أبو جعفر عَلَيْهِ الْكَلَمُ كَانَ التكذيب ثَمَّ .

أقول: والرواية وإن لم تكن مما وردت في تفسير آية الذر ، غير أنها أوردناها لاشتمالها على قصة أخذ الميثاق وفيها ذكر الظلال ، وقد تكرر ذكر الظلال في لسان أئمة أهل البيت عَلَيْهِمُ الْكَلَمُ والمراد به كما هو ظاهر الرواية وصف هذا العالم الذي هو بوجه عين العالم الدنيوي وبوجه غيره ، وله أحكام غير أحكام الدنيا بوجه وعيتها بوجه ، فينطبق على ما وصفناه في البيان المتقدم .

وفي الكافي وتفسير العياشي عن أبي بصير قال: قلت لابي عبدالله عَلَيْهِ الْكَلَمُ كيف أجابوا وهم ذر؟ قال: جعل فيهم ما إذا سألهُم أجابوه ، وزاد العياشي يعني في الميثاق .

أقول: وما زاد العياشي من كلام الراوي ، وليس المراد بقوله جعل فيهم ما إذا سألهُم أجابوه دلالة حالهم على ذلك ، بل لما فهم الراوي من الجواب ما هو من نوع الجوابات الدنيوية استبعد صدوره عن الذر ، فسأل عن ذلك فأجابه عَلَيْهِ الْكَلَمُ بأن الأمر هناك بحيث إذا نزلوا في الدنيا كان ذلك منهم جواباً دنيوياً باللسان والكلام اللفظي ، ويفيد قوله عَلَيْهِ الْكَلَمُ ما إذا سألهُم ولم يقل ما لو تكلموا ونحو ذلك .

وفي تفسير العياشي أيضاً عن أبي بصير عن أبي عبدالله عَلَيْهِ الْكَلَمُ: في قول الله: أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ، قالوا بِأَسْتَهُمْ؟ قال نعم وقالوا بقلوبهم ، فقلت وأين كانوا يومئذ؟ قال صنع منهم ما اكتفى به..

أقول: جوابه عَلَيْهِ الْكَلَمُ إنهم قالوا بِأَسْتَهُمْ وقلوبهم مبني على كون وجودهم يومئذ بحيث لو انتقلوا إلى الدنيا كان ذلك جواباً بلسان على التحو المعهود في الدنيا ، لكن اللسان والقلب هناك واحد ، ولذلك قال عَلَيْهِ الْكَلَمُ نعم وبقلوبهم فصدق اللسان

وأضاف إليه القلب. ثم لما كان في ذهن الراوي أنه أمر واقع في الدنيا ونشأة الطبيعة وقد ورد في بعض الروايات التي تذكر قصة إخراج الذرية من ظهر آدم تعين المكان له وقد روى بعضها هذا الراوي أعني أبا بصير ، سأله عليه السلام عن مكانهم بقوله وأين كانوا يومئذ؟ فأجابه عليه السلام بقوله: صنع منهم ما اكتفى به ، فلم يجده بتعيين المكان بل بأن الله سبحانه خلقهم خلقاً يصح معه السؤال والجواب ، وكل ذلك يؤيد ما قدمناه في وصف هذا العالم .

والرواية كغيرها مع ذلك كالصريح في أن التكليم والتكلم في الآية على الحقيقة دون المجاز ، بل هي صريحة فيه .

وفي الدر المتنور أخرج عبد بن حميد والحكيم الترمذى في نوادر الأصول ، وأبوالشيخ في العظمة ، وابن مردوحه ، عن أبي إمامه أن رسول الله (ص) قال: خلق الله الخلق وقضى القضية ، وأخذ ميثاق النبيين وعرشه على الماء ، فأخذ أهل اليمين بيمينه ، وأخذ أهل الشمال بيده الأخرى ، وكلتا يدي الرحمن يمين ، فقال: يا أصحاب اليمين ، فاستجابوا له ، فقالوا: ليك ربنا وسعديك ، قال: اللست بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى . قال: يا أصحاب الشمال ، فاستجابوا له ، فقالوا: ليك ربنا وسعديك ، قال: اللست بِرَبِّكُمْ؟ قالوا: بلى. فخلط بعضهم ببعض فقال قائل منهم: رب لم خلّط بيننا ، قال ولهم أَعْمَالٌ مِنْ دُونَ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ، أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كَانَ عَنْ هَذَا غَافِلِينَ، ثم ردّهم في صلب آدم ، فأهل الجنة أهلها وأهل النار أهلها . فقال قائل يا رسول الله فما الأعمال؟ قال: يعمل كل قوم لمنازلهم ، فقال عمر بن الخطاب: إذاً نجتهد .

أقول: قوله (ص): وعرشه على الماء ، كناية عن تقدم أخذ الميثاق وليس المراد به تقدم خلق الأرواح على الأجساد زماناً ، فإن عليه من الإشكال ما على عالم

الذر بالمعنى الذي فهمه جمهور المثبتين ، وقد تقدم .

وقوله (ص) يعلم كل قوم لمنازلهم ، أي أن كل واحد من المنزلين يحتاج إلى أعمال تتناسب في الدنيا ، فإن كان العامل من أهل الجنة عمل الخير لا محالة وإن كان من أهل النار عمل الشر لا محالة ، والدعوة إلى الجنة وعمل الخير ، لأن عمل الخير يعين منزله في الجنة وإن عمل الشر يعین منزله في النار لا محالة ، كما قال تعالى: **وَلَكُلُّ وِجْهٌ هُوَ مُوْلَيْهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ**. البقرة : ١٤٨ فلم يمنع تعين الوجهة عن الدعوة إلى استباق الخيرات ، ولا منافاة بين تعين السعادة والشقاوة بالنظر إلى العلل التامة ، وبين عدم تعينها بالنظر إلى اختيار الإنسان في تعين عمله ، فإنه جزء العلة وجزء علة الشئ لا يتعين معه وجود الشئ ولا عدمه بخلاف تمام العلة ، وقد تقدم استيفاء هذا البحث في موارد من هذا الكتاب ، وأخرها في تفسير قوله تعالى: **كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ . فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالُّ الْاَعْرَافُ : ٣٠** ، وأخبار الطينة المتقدمة من أخبار هذا الباب بوجه .

وفيه ، أخرج عبد بن حميد ، وابن حرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وأبو الشيخ ، عن ابن عباس: في قوله **وَإِذَا أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ** الآية ، قال: خلق الله آدم وأخذ ميثاقه أنه ربه ، وكتب أجله ورزقه ومصيبيه ، ثم أخرج ولده من ظهره كهيئة الذر ، فأخذ مواثيقهم أنه ربهم ، وكتب آجالهم وأرزاقهم ومصائبهم . أقول: وقد روي هذا المعنى عن ابن عباس بطرق كثيرة في ألفاظ مختلفة ، لكن الجميع تشرك في أصل المعنى وهو إخراج ذرية آدم من ظهره وأخذ الميثاق منهم .

وفيه ، أخرج ابن عبدالبر في التمهيد من طريق السدي عن أبي مالك وعن أبي صالح ، عن ابن عباس ، وعن مرة الهمданى ، عن ابن مسعود وناس من الصحابة: في قوله تعالى: **وَإِذَا أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرَيْتَهُمْ** ، قالوا: لما

أخرج الله آدم من الجنة ، قبل تهبيطه من السماء مسح صفحه ظهره اليمنى ، فأخرج منه ذرية بيضاء مثل اللؤلؤ كهيئة الذر ، فقال لهم أدخلوا الجنة برحمتي ، ومسح صفحه ظهره اليسرى فأخرج منه ذرية سوداء كهيئة الذر فقال ادخلوا النار ولا أبيالي ، فذلك قوله أصحاب اليمين وأصحاب الشمال. ثم أخذ منهم الميثاق ، فقال **السُّتُّ بِرِّبِّكُمْ قَالُوا بَلَى** ، فأعطاه طائفة طائعين ، وطائفة كارهين على وجه التقية ، فقال هو والملائكة: شهدنا أن يقولوا يوم القيمة إنا كنا عن هذا غافلين ، أو يقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل ، قالوا فليس أحد من ولد آدم إلا وهو يعرف الله أنه ربه وذلك قوله عز وجل: **وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا** ، وذلك قوله: **فَلَلَّهُ الْحُجَّةُ الْبَالَغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَا كُمْ أَجْمَعِينَ** ، يعني يوم أخذ الميثاق .

أقول: وقد روى حديث الذر كما في الرواية موقوفة وموصولة عن عدة من أصحاب رسول الله ﷺ ، كعلي عليه السلام ، وابن عباس ، وعمر بن الخطاب ، وعبد الله بن عمر ، وسلمان ، وأبي هريرة ، وأبي أمامة ، وأبي سعيد الخدري ، وعبد الله بن مسعود ، وعبد الرحمن بن قتادة ، وأبي الدرداء وأنس ومعاوية وأبي موسى الأشعري . كما روي من طرق الشيعة عن علي وعلي بن الحسين ، ( ومحمد بن علي ) ، وجعفر بن محمد ، والحسن بن علي العسكري عليهما السلام .

ومن طرق أهل السنة أيضاً عن علي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد بطرق كثيرة ، فليس من بعيد أن يدعى تواتره المعنوي .

واعلم أن الروايات في الذر كثيرة جداً ، وقد تركنا إيراد أكثرها لوفاء ما أوردنا من ذلك بمعناها . وهنا روايات أخرى في أخذ الميثاق عن النبي ﷺ وسائر الأنبياء عليهما السلام سنوردها في محلها إن شاء الله تعالى. انتهى .

## عوالم وجود الإنسان

تحصل من بحث صاحب الميزان رحمه الله أنه جعل الأقوال في عالم الذر ثلاثة: الأول: نفي وجود عالم الذر ، والقول بأن ما ورد في الآية من إشهاد الناس وإقرارهم بالربوبية ، إنما هو تعبير مجازي عن تكوينهم الذي يهديهم إلى ربهم تعالى. وهو قول عدد من المتأثرين بالفلسفة اليونانية من القدماء ، وبالثقافة الغربية من المتأخرین .

الثاني: أن عالم الذر بمعنى أن الله تعالى استخرج نطف أبناء آدم عليه السلام من ظهره ، ثم من ظهور أبنائه إلى آخر أب ، ثم كونهم بشكل معين وأشهدهم فأقرروا ، ثم أعادهم إلى حالتهم الأولى في ظهر آدم عليه السلام. وقد ذهب إليه بعض المفسرين من السنة والشيعة .

الثالث: أن عالم الذر هو عالم الملکوت والخزائن ، وهو الوجه الذي اختاره صاحب الميزان رحمه الله وأطال في الكلام حوله واختصر في الإستدلال عليه . ولكن يرد عليه إشكالات متعددة ، أهمها:

أولاً: أن عالم الملکوت اسم عام لكل عوالم ملك الله تعالى ، وتفسير عالم الذر به لا يحل المشكلة ، لأنه يبقى السؤال وارداً في أي عالم من ملکوت الله تعالى تم خلق الناس وأخذ الميثاق منهم ؟

ثانياً: أن تفسير عالم الذر بعالم الملکوت تفسير استحساني لا دليل عليه، وطريقنا إلى معرفة عوالم خلق الله وأفعاله سبحانه وتعالى ، محصور بما أخبرنا به النبي وآلـه صلـى الله علـيهـمـ، وما دلـ العـقـلـ عـلـيـهـ بـ دـلـالـةـ قـطـعـيـةـ ، لا ظـنـيـةـ أو اـحـتمـالـيـةـ.

ثالثاً: أن عوالم وجود النبي وآلـه صلـى الله علـيهـمـ ووجود الناس قبل هذا العالم ، وردت فيها

أحاديث كثيرة لا يمكن إغفالها في البحث ، كما فعل بعضهم ، ولا نفيها بجرة قلم كما فعل بعضهم ، كما لا يمكن دمجها في عالم واحد كعالم الملوك أو الخزائن كما فعل صاحب الميزان رحمه الله بل هي عوالم متعددة قد تصل إلى عشرة عوالم ، نذكر منها:

**عالم الأنوار الأولى:** أو عالم الأشباح ، وهو أول ظلال أو في خلقه الله تعالى من نور عظمته ، وهو نور نبينا وآلته صلى الله عليه وعليهم .

**عالم الأظلة:** الذي تم فيه خلق جميع الناس وتعارفهم .

**عالم الذر ،** الذي أخذ فيه الميثاق على الناس ، وتدل الأحاديث على أنه نفس عالم الأظلة أو مرتبط به بنحو من الإرتباط .

**عالم الطينة ،** التي خلق منها الناس .

وذكرت أحاديث أخرى أن خلق الأرواح تم قبل خلق الأجساد .. الخ .

كما ذكرت الآيات والأحاديث عوالم أخرى مثل قوله تعالى : هَلْ أَتَى عَلَى إِنْسَانٍ حِينٌ مِنَ الدَّهَرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا . أي كان في ذلك الحين شيئاً ، ولكنه غير مذكور ، كما ورد في الرواية عن الإمام الباقر عليه السلام .

وهذه العوالم كلها من عالم الملوك ومن خزائن ملكه تعالى ، ولكنها ليست نفس عالم الملوك ولا الخزائن .

وقد تقدم عدد من روایات العوالم الأربع الأولى ، ونورد فيما يلي عدداً آخر ، وبعضاها نص على أن عالم الذر هو عالم الأظلة .

**من روایات عالم الأشباح ( ظلال النور )**

الأصول الستة عشر/١٥: (عبد عن عمرو ، عن أبي حمزة قال: سمعت علي بن الحسين عليه السلام يقول: إن الله خلق محمداً وعلياً وأحد عشر من ولده من نور عظمته

، فأقامهم أشباحاً في ضياء نوره يعبدونه قبل خلق الخلق ، يسبحون الله ويقدسونه ، وهم الأئمة من ولد رسول الله ﷺ.

ورواه الكليني في الكافي: ٥٣٠/١ ، عن محمد بن يحيى ، عن محمد بن أحمد ، عن محمد بن الحسين ، عن أبي سعيد العصفوري ، عن عمرو بن ثابت ، عن أبي حمزة . . . كما في الأصول الستة عشر .

الكافي: ٤٤٢/١ : (الحسين ( عن محمد ) بن عبد الله ، بن محمد بن سنان ، عن المفضل ، عن جابر بن يزيد قال: قال لي أبو جعفر ع: يا جابر إن الله أول ما خلق خلق محمدأ ﷺ وعترته الهداء المهتدية ، فكانوا أشباح نور بين يدي الله ، قلت: وما الأشباح ؟ قال: ظل النور ، أبدان نورانية بلا أرواح ، وكان مؤيداً بروح واحدة وهي روح القدس ، فبه كان يعبد الله وعترته ، ولذلك خلقهم حلماء علماء ببرة أصفياء ، يعبدون الله بالصلوة والصوم والسجدة والتسبيح والتهليل ، ويصلون الصلوات ويحجون ويصومون. انتهى. رواه البحري في حلية الأبرار: ١٩/١

علل الشرائع: ٢٠٨/١: (حدثنا إبراهيم بن هارون الهاشمي قال: حدثنا محمد بن أحمد بن أبي الثلوج قال: حدثنا عيسى بن مهران قال: حدثنا منذر الشراك قال: حدثنا إسماعيل بن علية قال: أخبرني أسلم بن ميسرة العجلي ، عن أنس بن مالك ، عن معاذ بن جبل: أن رسول الله ﷺ قال: إن الله عز وجل خلقني وعلياً وفاطمة والحسن والحسين قبل أن يخلق الدنيا بسبعينة آلاف عام. قلت فأين كنتم يا رسول الله ؟ قال: قدام العرش نسبح الله تعالى ونحمده ونقدسه ونمجده. قلت: على أي مثال ؟ قال: أشباح نور ، حتى إذا أراد الله عز وجل أن يخلق صورنا صيرنا عمود نور ، ثم قدفنا في صلب آدم ، ثم أخرجنا إلى أصلاب الآباء وأرحام الأمهات ،

ولا يصيّنا نجس الشرك ولا سفاح الكفر ، يسعد بنا قوم ويُشقي بنا آخرون ، فلما صيرنا إلى صلب عبد المطلب أخرج ذلك النور فشقه نصفين فجعل نصفه في عبد الله ونصفه في أبي طالب ، ثم أخرج النصف الذي لي إلى آمنة والنصف إلى فاطمة بنت أسد فأخرجتني آمنة وأخرجت فاطمة عليها ، ثم أعاد عز وجل العمود إلى فخرّت مني فاطمة ، ثم أعاد عز وجل العمود إلى علي فخرج منه الحسن والحسين - يعني من النصفين جميعاً - فما كان من نور علي فصار في ولد الحسن ، وما كان من نورِي صار في ولد الحسين ، فهو ينتقل في الأئمة من ولده إلى يوم القيمة .

شرح الأخبار: ٦/٣: (صفوان الجمال قال: دخلت على أبي عبدالله جعفر بن محمد عليهما السلام وهو يقرأ هذه الآية: فَلَقَّى عَادَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلْمَاتٍ فَأَلَّبَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ). ثم التفت إلى فقال: يا صفوان إن الله تعالى أَلْهَمَ آدَمَ عليهما السلام أن يرمي بطرفه نحو العرش ، فإذا هو بخمسة أشباح من نور يسبحون الله ويقدسونه ، فقال آدم: يا رب من هؤلاء؟ قال: يا آدم صفوتي من خلقي ، لولاهم ما خلقت الجنة ولا النار ، خلقت الجنة لهم ولمن والاهم ، والنار لمن عاداهم. لو أن عبداً من عبادي أتى بذنوب كالجبال الرواسي ثم توسل إلى بحق هؤلاء لعفوت له .

فلما أن وقع آدم في الخطيئة قال: يا رب بحق هؤلاء الأشباح اغفر لي ، فأوحى الله عز وجل إليه: إنك توسلت إلى بصفوتي وقد عفوت لك. قال آدم: يا رب بالغفرة التي غفرت إلا أخبرتني من هم؟ فأوحى الله إليه: يا آدم هؤلاء خمسة من ولدك ، لعظيم حقهم عندي استحققت لهم خمسة أسماء من أسمائي ، فأننا المحمود وهذا محمد ، وأنا الأعلى وهذا علي ، وأنا الفاطر وهذه فاطمة ، وأنا

المحسن وهذا الحسن ، وأنا الإحسان وهذا الحسين .

شرح الأخبار: ٥١٤/٣: (عن عبدالقادر بن أبي صالح ، عن هبة الله بن موسى ، عن هناد بن إبراهيم ، عن الحسن بن محمد ، عن محمد بن فرحان ، عن محمد بن يزيد ، عن الليث بن سعد ، عن العلاء بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ): أنه لما خلق الله تعالى آدم أبا البشر ونفخ فيه من روحه التفت آدم يمنة العرش فإذا في النور خمسة أشباح ... الحديث .

شرح الأخبار: ٥٠٠/٢: (أحمد بن محمد بن عيسى المصري ، بإسناده عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لما خلق الله عز وجل آدم ﷺ ونفخ فيه من روحه ، نظر آدم ﷺ يمنة العرش ، فإذا من النور خمسة أشباح على صورته ركعاً سجداً فقال: يا رب هل خلقت أحداً من البشر قبلي؟ قال: لا. قال: فمن هؤلاء الذين أراهم على هيئتي وعلى صورتي؟ قال: هؤلاء خمسة من ولدك ، لولاهم ما خلقتك ولا خلقت الجنة ولا النار ولا العرش ولا الكرسي ولا السماء ولا الأرض ولا الملائكة ولا الإنس ولا الجن ، هؤلاء خمسة اشتقت لهم أسماء من أسمائي ، فأنا المحمود وهذا محمد وأنا الأعلى وهذا علي ، وأنا الفاطر وهذه فاطمة ، وأنا الإحسان وهذا حسن ، وأنا المحسن وهذا الحسين ... .

تحف العقول: ١٦٣/

... بل اشتقاد الحقيقة والمعنى من اسمه تعالى كما جاء في حديث المراج: إن الله تعالى قال لي: يا محمد اشتقت لك إسماً من أسمائي فأنا المحمود وأنت محمد ، واشتقت لعلي إسماً من أسمائي فأنا الأعلى وهو علي ، وهكذا فاطمة والحسن والحسين ﷺ فكلهم أشباح نور من نوره تعالى جل اسمه .

كفاية الأثر/٧٠: (قال هارون: حدثنا حيدر بن محمد بن نعيم السمرقندى ، قال حدثني أبوالنصر محمد بن مسعود العياشى ، عن يوسف بن المشحت البصري ، قال حدثنا إسحق بن الحارث ، قال حدثنا محمد بن البشار ، عن محمد بن جعفر قال حدثنا شعبة ، عن هشام بن يزيد ، عن أنس بن مالك قال: كنت أنا وأبوزر وسلمان وزيد بن ثابت وزيد بن أرقم عند النبي ﷺ ودخل الحسن والحسين (عليهم السلام) فقبلهما رسول الله ﷺ وقام أبوذر فانكب عليهما وقبل أيديهما ، ثم رجع فقعد معنا ، فقلنا له سرًا: أرأيت رجلاً شيخاً من أصحاب رسول الله ﷺ يقوم إلى صبيين من بني هاشم فينكب عليهما ويقبل أيديهما ؟ فقال: نعم ، لو سمعتم ما سمعت فيهما من رسول الله ﷺ لفعلتم بهما أكثر مما فعلت. قلنا: وماذا سمعت يا أبازدر ؟ قال: سمعته يقول لعلي ولهمما: يا علي والله لو أن رجلاً صلى وصام حتى يصير كالشن البالي إذاً ما نفعه صلاته وصومه إلا بحكم ، يا علي من توسل إلى الله بحكم فحق على الله أن لا يرده ، يا علي من أحبكم وتمسك بكم فقد تمسك بالعروة الوثقى. قال: ثم قام أبوذر وخرج ، وتقدمنا إلى رسول الله ﷺ فقلنا: يا رسول الله أخبرنا أبوذر عنك بكى وكيت .

قال: صدق أبوذر ، صدق والله ، ما أظلمت الخضراء ولا أقتل الغبراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذر. ثم قال: خلقني الله تبارك وتعالى وأهل بيتي من نور واحد قبل أن يخلق آدم بسبعة آلاف عام ، ثم نقلنا إلى صلب آدم ، ثم نقلنا من صلبه في أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات ، فقلت: يا رسول الله فأين كتم على أي مثال كتم ؟ قال: كنا أشباحاً من نور تحت العرش نسيح الله تعالى ونمجده ، ثم قال: لما عرج بي إلى السماء وبلغت سدرة المنتهى ودعني جبريل

فقلت: حبيبي جبرئيل أفي هذا المقام تفارقني؟ فقال: يا محمد إني لا أجوز  
هذا الموضع فتحرق أجنحتي.

ثم زج بي في النور ما شاء الله، فأوحى الله إلي: يا محمد إني أطلعت إلى الأرض  
اطلاعة فاخترتك منها فجعلتك نبياً، ثم أطلعت ثانيةً فاخترت منها علياً فجعلته  
وصيك ووارث علمك والإمام بعده، وأخرج من أصلابكما الذرية الطاهرة  
والأئمة المعصومين خزان علمي، فلولاكم ما خلقت الدنيا ولا الآخرة ولا الجنة  
ولا النار. يا محمد أتحب أن تراهم قلت: نعم يا رب، فنوديت: يا محمد إرفع  
رأسك، فرفعت رأسي فإذا أنا بأنوار علي والحسن والحسين وعلي بن الحسين  
ومحمد بن علي وعمر بن محمد وموسى بن جعفر وعلي بن موسى ومحمد بن  
علي وعلي بن محمد والحسن بن علي، والحجة يتلاؤ من بينهم كأنه كوكب  
دربي، فقلت: يا رب من هؤلاء، ومن هذا؟ قال: يا محمد هم الأئمة بعده  
المطهرون من صلبك، وهو الحجة الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً ويسفي  
صدور قوم مؤمنين.

قلنا: يا بائنا وأمهاتنا أنت يا رسول الله لقد قلت عجباً. فقال عليه السلام: وأعجب من هذا  
أن قوماً يسمعون مني هذا ثم يرجعون على أعقابهم بعد إذ هداهم الله، ويؤذوني  
فيهم، لا أتالهم الله شفاعتي.

بصائر الدرجات/٨٣: (أحمد بن محمد ويعقوب بن يزيد، عن الحسن بن علي بن  
فضال، عن أبي جميلة، عن محمد بن الحلبي، عن أبي عبد الله عليه السلام) قال قال  
رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه: إن الله مثل لي أمتى في الطين وعلمني أسماءهم كلها، كما علم  
آدم الأسماء كلها، فمر بي أصحاب الرأيات فاستغفرت لعلي وشيعته، إن ربي

وعدني في شيعة علي خصلة ، قيل يا رسول الله وما هي ؟ قال المغفرة منهم لمن آمن واتقى ، لا يغادر منهم صغيرة ولا كبيرة ، ولهم تبدل السيئات حسنات .

الحسن بن محبوب عن صالح بن سهل عن أبي عبد الله عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُبَرَّكُ: أن بعض قريش قال لرسول الله عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُبَرَّكُ: بأي شيء سبقت الأنبياء وأنت بعثت آخرهم وخاتمهم ؟ قال: إني كنت أول من أقر بربى وأول من أجاب ، حيث أخذ الله ميثاق النبيين وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَّا تُبَرِّكُمْ قَالُوا بَلَى ، وَكُنْتُ أَنَا أَوَّلُ نَبِيٍّ قَالَ بَلَى ، فَسَبَقْتُهُمْ بِالْإِقْرَارِ بِاللَّهِ .

حدثنا أحمد بن محمد ، عن الحسن بن علي بن النعمي ، عن ابن مسكان ، عن عبد الرحيم القصير ، عن أبي جعفر عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُبَرَّكُ: إن أمتي عرضت عليَّ عند الميثاق ، وكان أول من آمن وصدقني علي ، وكان أول من آمن بي وصدقني حيث بعثت فهو الصديق الأكبر .

حدثنا العباس بن معروف ، عن حماد بن عيسى ، عن أبي الجارود ، عن أبي بصير ، عن أبي جعفر عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُبَرَّكُ: قال رسول الله عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُبَرَّكُ ذات يوم وعنه جماعة من أصحابه: اللهم لقني إخواني مرتين ، فقال من حوله من أصحابه: أما نحن إخوانك يا رسول ؟ فقال: لا ، إنكم أصحابي ، وإنواني قوم من آخر الزمان آمنوا بي ولم يروني ، لقد عرفنيهم الله بأسمائهم وأسماء آبائهم من قبل أن يخرجهم من أصلاب آبائهم وأرحام أمهاتهم ، لأحدهم أشد بقية على دينه من خرط القتاد في الليلة الظلماء ، أو كالقابض على جمر الغضا. أولئك مصابيح الدجى ، ينجيهم الله من كل فتنة غباء مظلمة. انتهى. ورويات البصائر هذه ليس فيها تصريح بعالم الأظلة أو الأشباح ، لكن يصح حملها عليه بالقرائن .

## من روایات عالم الأظلية

الإعتقادات للصدوق ٢٦: (وقال النبي ﷺ: الأرواح جنود مجندة ، فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف. قال الصادق ع: إن الله آخى بين الأرواح في الأظلية قبل أن يخلق الأبدان بالي عَام ، فلو قد قام قائمنا أهل البيت لورث الأخ الذي آخا بينهما في الأظلية ، ولم يورث الأخ من الولادة. انتهى. ورواه في الفقيه: ٣٥٢/٤ ، ورواه في بحار الأنوار: ٢٤٩/٦ ، ورواه الصدوق في الخصال/ ١٦٩ ، قال: حدثنا علي بن محمد بن موسى (رض) قال: حدثنا حمزة بن القاسم العلوي قال: حدثنا محمد بن عبدالله بن عمران البرقي قال: حدثنا محمد بن علي الهمданى ، عن علي بن أبي حمزة ، عن أبي عبدالله وأبي الحسن (عليهما السلام) قالا: لو قد قام القائم لحكم بثلاث لم يحكم بها أحد قبله: يقتل الشيخ الزانى ، ويقتل مانع الزكاة ، ويورث الأخ أخاه في الأظلية .

الكافى: ٤٤١/١: (علي بن محمد ، عن سهل بن زياد ، عن محمد بن علي بن إبراهيم ، عن علي بن حماد ، عن المفضل قال: قلت لابي عبدالله ع: كيف كتمت حيث كتمت في الأظلية ؟ فقال: يا مفضل كنا عند ربنا ليس عنده أحد غيرنا ، في ظلة خضراء نسبحه ونقدسه ونهلله ونمجده ، وما من ملك مقرب ولا ذي روح غيرنا ، حتى بدا له في خلق الأشياء ، فخلق ما شاء كيف شاء من الملائكة وغيرهم ، ثم أنهى علم ذلك إلينا. انتهى. والمقصود بقوله ع: ثم أنهى علم ذلك إلينا ، شيء قوله تعالى: وَعَلِمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا .

الكافى: ٤٣٦/١: (محمد بن يحيى ، عن محمد بن الحسين ، عن محمد بن إسماعيل بن بزيع ، عن صالح بن عقبة ، عن عبدالله بن محمد الجعفري ، عن أبي جعفر ع قال: إن الله خلق ، فخلق ما أحب

ما أحب ، وكان ما أحب أن خلقه من طينة الجنة ، وخلق ما أبغض مما أبغض ، وكان ما أبغض أن خلقه من طينة النار ، ثم بعثهم في الظلال. فقلت: وأي شيء ظلال؟ قال: ألم تر إلى ظلك في الشمس شيء وليس بشيء ، ثم بعث الله فيهم النبيين يدعونهم إلى الإقرار بالله وهو قوله: **وَلَئِنْ سَأَلْتُهُمْ مَنْ خَلَقُوكُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ** . ثم دعاهم إلى الإقرار بالنبيين ، فأقر بعضهم وأنكر بعضهم ، ثم دعاهم إلى ولايتنا فأقر بها والله من أحب وأنكرها من أبغض ، وهو قوله: **فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلٍ** . ثم قال أبو جعفر عليه السلام: كان التكذيب ثم انتهى.

ورواه في الكافي: ١٠/٢: عن محمد بن يحيى ، عن محمد بن الحسين ، عن محمد بن إسماعيل ، عن صالح بن عقبة ، عن عبد الله بن محمد الجعفي وعقبة ، جميعاً عن أبي جعفر عليه السلام قال... ورواه في علل الشرائع: ١١٨/١ ، رواه في بصائر الدرجات ٨٠/ ، وفيه ( كان التكذيب ثمت ) .

الكافي: ٢/٨: ( حدثني علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن فضال ، عن حفص المؤذن ، عن أبي عبد الله عليه السلام ، وعن محمد بن إسماعيل بن بزيع ، عن محمد بن سنان ، عن إسماعيل بن جابر ، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه كتب بهذه الرسالة إلى أصحابه وأمرهم بمدارستها والنظر فيها وتعاهدها والعمل بها ، فكانوا يضعونها في مساجد بيوتهم ، فإذا فرغوا من الصلاة نظروا فيها .

قال: وحدثني الحسن بن محمد ، عن جعفر بن محمد بن مالك الكوفي ، عن القاسم بن الريبع الصحاف ، عن إسماعيل بن مخلد السراج ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: خرجت هذه الرسالة من أبي عبد الله عليه السلام إلى أصحابه:

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد ، فاسألكوا ربكم

العاافية ، وعليكم بالدعة والوقار والسكينة ، وعليكم بالحياة والتنزه عما تنزعه عنه الصالحون قبلكم ، وعليكم بمجاملة أهل الباطل... .

وإياكم وما نهاكم الله عنه أن تركبواه ، وعليكم بالصمت إلا فيما ينفعكم الله به من أمر آخر تكم وياجركم عليه.. وعليكم بالدعاء ، فإن المسلمين لم يدر كوا نجاح الحوائج عند ربهم بأفضل من الدعاء والرغبة إليه... .

فاتقوا الله أيتها العصابة الناجية أن أتم الله لكم ما أعطاكم ، فإنه لا يتم الأمر حتى يدخل عليكم مثل الذي دخل على الصالحين قبلكم... .

واعلموا أنه ليس من علم الله ولا من أمره أن يأخذ أحد من خلق الله في دينه بهوى ولا رأي ولا مقاييس ، قد أنزل الله القرآن وجعل فيه تبيان كل شيء ، وجعل للقرآن ولتعلم القرآن أهلاً لا يسع أهل علم القرآن الذين آتاهم الله علمه أن يأخذوا فيه بهوى لا رأي ولا مقاييس ، أغناهم الله عن ذلك بما آتاهم من علمه وخصهم به ووضعه عندهم ، كرامة من الله أكرمهم بها ، وهم أهل الذكر الذين أمر الله هذه الأمة بسؤالهم ، وهم الذين من سألهـ - وقد سبق في علم الله أن يصدقهم ويتبع أثرهم - أرشدوه وأعطوه من علم القرآن ما يهتدي به إلى الله بإذنه ، وإلى جميع سبل الحق ، وهم الذين لا يرحب عنهم وعن مسألهـ وعن علمهم الذي أكرمهم الله به وجعله عندهم إلا من سبق عليه في علم الله الشقاء في أصل الخلق تحت الظلة ، فأولئك الذين يرغبون عن سؤال أهل الذكر والذين آتاهم الله علم القرآن ووضعه عندهم وأمر بسؤالهم ، وأولئك الذين يأخذون بأهوائهم وآرائهم ومقاييسهم حتى دخلهم الشيطان... .

الأصول الستة عشر/٦٣: (جابر قال سألت أبا جعفر ع عن تفسير هذه الآية ، عن

قول الله عز وجل: **وَأَنَّ لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الْطَّرِيقَةِ لَا سَقِيَاهُمْ مَاءً غَدَقًا** ، يعني لو أنهم استقاموا على الولاية في الأصل تحت الأظلمة ، حين أخذ الله ميثاق ذرية آدم ، لاسقيناهم ماء غدقاً يعني لأنسقينا أظلتهم الماء العذب الفرات .

تفسير القمي: ٣٩١/٢: (أخبرنا أَحْمَدُ بْنُ إِدْرِيسَ قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ سَعِيدٍ ، عَنِ النَّضْرِ بْنِ سَوِيدٍ ، عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ سَلِيمَانَ ، عَنْ جَابِرٍ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرَ عَلَيْهِ الْكَلَمُ يَقُولُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: وَأَنَّ لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الْطَّرِيقَةِ لَا سَقِيَاهُمْ مَاءً غَدَقًا: يعني من جرى فيه شيء من شرك الشيطان. على الطريقة: يعني على الولاية في الأصل عند الأظلمة ، حين أخذ الله ميثاق ذرية آدم. انتهى .  
ونحوه في تفسير نور الثقلين: ٤٣٨/٥

بصائر الدرجات/٧٣: (حدثنا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ ، عَنْ عَلَيِّ بْنِ الْحَكَمِ ، عَنْ سَيْفِ بْنِ عَمِيرٍ ، عَنْ أَبِي بَكْرِ الْحَضْرَمِيِّ ، عَنْ حَذِيفَةَ بْنِ أَسِيدِ الْغَفَارِ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَا تَكَامَلَتِ النُّبُوَّةُ لِنَبِيٍّ فِي الْأَظْلَةِ حَتَّى عُرِضَتْ عَلَيْهِ وَلَا يَتِي وَلَا يَهُوَ أَهْلُ بَيْتِيِّ ، وَمَثَلُوا لَهُ ، فَأَقْرَبُوا بِطَاعَتِهِمْ وَوَلَّوْهُمْ .

تفسير العياشي: ١٢٦/٢: (عن زراة وحرمان ، عن أبي جعفر وأبي عبدالله (عليهم السلام) قالا: إن الله خلق الخلق وهي أظللة ، فأرسل رسوله محمدأ (عليه السلام) فمنهم من آمن به ومنهم من كذبه ، ثم بعثه في الخلق الآخر فآمن به من كان آمن في الأظللة ، وجحده من جحد به يومئذ ، فقال: ما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل .

تفسير فرات الكوفي: ١٤٧:

( فرات قال: حدثني عثمان بن محمد معنناً: عن أبي خديجة قال: قال محمد بن

علي (عليه السلام): لو علم الناس متى سمي علي أمير المؤمنين ما اختلف فيه اثنان. قال: قلت: متى؟ قال فقال لي: في الأظلة حين أخذ الله من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألسنت بربكم قالوا: بلى. محمد نبيكم ، علي أمير المؤمنين وليكم .

الايضاح لابن شاذان ١٠٦: ( . . . فوالله ما الحق إلا واضح بين منير ، وما الباطل إلا مظلم كدر ، وقد عرفتم موضعه ومستقره ، إلا أن الميثاق قد تقدم في الظلة بالسعادة والشقاوة ، وقد بين الله جل ذكره لنا ذلك بقوله: **وَإِذْ أَخْدَرْتِ رِبَّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلْسُتُ بِرِبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا .** )

شرح الأسماء الحسني: ١٦٦/١: ( قد عرف النور بأنه الظاهر بذاته المظهر لغيره وهو القدر المشترك بين جميع مراتبه من الضوء وضوء الضوء والظل وظل الظل ، في كل بحسبه وهذا المعنى حق حقيقة الوجود ، إذ كما أنها موجودة بذاتها وبها توجد المهييات المعدومة بذواتها بل لا موجودة ولا معدومة ، كذلك تلك الحقيقة ظاهرة بذاتها مظهراً لغيرها من الأعيان ، والمهييات المظلمة بذواتها بل لا مظلمة ولا نورية ، فمراتب الوجود من الحقائق والرقيقات والأرواح والأشباح والأشعة والأظلة كلها أنوار لتحقق هذا المعنى فيها ، حتى في الأشباح المادية وأظلال الأظلال. انتهى .

ويدل النص التالي على أن حديث عالم الظلال كان معروفاً في حياة النبي ﷺ ثم غاب من بعده كما غابت أحاديث كثيرة في فضائله ﷺ والسبب في ذلك أن هذه الأحاديث فيها ذكر فضل بنى هاشم وبني عبد المطلب وفضل علي وفاطمة والأئمة الإثني عشر الموعودين في هذه الأمة ! وقد عتموا عليها ما استطاعوا ! وما

رووه منها من فضائل النبي ﷺ جردوه من فضائل أهل بيته وعترته إلا ما أفلت منها ، وما رواه أهل البيت علیهم السلام وشیعهم ! )

قال في كنز العمال: ٤٢٧/١٢: ( عن ابن عباس قال: سألت رسول الله(ص) فقلت: فداك أبي وأمي أين كنت وآدم في الجنة ؟ فتبسم حتى بدت نواجذه ثم قال: كنت في صلبه وركب بي السفينه في صلب أبي نوح ، وقدف بي في صلب أبي إبراهيم ، لم يلتقي أبوياي قط على سفاح ، لم يزل الله ينقلني من الأصلاب الحسنة إلى الأرحام الطاهرة مصفى مهذباً ، لا تتشعب شعبتان إلا كنت في خيرهما ، قد أخذ الله بالنبوة ميثاقي وبالإسلام عهدي ، ونشر في التوراة والإنجيل ذكري ، وبين كلنبي صفتني ، تشرق الأرض بنوري والغمام لوجهني ، وعلمني كتابه ، ورقني بي في سمائه وشق لي اسمأ من اسمائه ، فذو العرش محمود وأنا محمد ، ووعدني أن يحبوني بالحوض والكوثر ، وأن يجعلني أول مشفع ، ثم أخرجنني من خير قرن لأمتني وهم الحمادون ، يأمرن بالمعروف وينهون عن المنكر .

قال ابن عباس: فقال حسان بن ثابت في النبي (ص):

مستودع حيث يُخْصَفُ الورقُ	من قبلها طبت في الظلال وفي
أنت ولا نطفة ولا علقُ	ثم سكنت البلاد لا بشرُ
الجَمَّ أهل الضلالة الغرق	مطهِرٌ ترك السفين وقد
تُنْقلُ من صلْبٍ إلى رحمٍ	إذا مضى عالم بدا طبق

فقال النبي (ص): يرحم الله حساناً ! فقال علي بن أبي طالب: وجبت الجنة لحسان ورب الكعبة. كر ، وقال: هذا حديث غريب جداً ، والمحفوظ أن هذه الأبيات للعباس. انتهى. ولكن نسبة هذه الأبيات إلى حسان أولى ، فهي تشبه شعره إلى

حد كبير ، ولم يعهد في التاريخ شعر للعباس عم النبي ، كما عهد لعمه أبي طالب صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . ورواه في مجمع الزوائد للعباس في: ٢١٧/٨ ، وقال: رواه الطبراني وفيهم من لم أعرفهم ، قال: عن خريم بن أوس بن جارية بن لام قال: كنا عند النبي (ص) فقال له العباس بن عبدالمطلب: يا رسول الله إني أريد أن أمدحك ، فقال له (ص): هات لا يفحضر الله فاك ، فأنشأ يقول:

مستودع حيث يخصف الورق  
أنت ولا مضحة ولا علق  
ألجم نسراً وأهله الغرق  
إذا مضى عالم بدا طبق  
من خنفف عليه تحتها النطق  
رض وضاءت بنورك الأفق  
النور سبل الرشاد نخترق

قبلها طبت في الظلال وفي  
ثم هبطت البلاد لا بشر  
بل نطفة تركب السفين وقد  
تنقل من صالب إلى رحم  
حتى احتوى بيتك المهيمن  
وأنت لما ولدت أشرقت الأ  
فحن في ذلك الضياء وفي

٢٧/١: وروى نحوه في مناقب آل أبي طالب:  
٢٧/٢: وفي مناقب آل أبي طالب:

دون البرية خداماً وحجاباً  
جبريل آدم عند الذنب إذ تابا  
للقاصدين إلى الرحمن محراباً  
أشباحكم كن في بدو الظلال له  
وأنتم الكلمات اللاي لقناها  
وأنتم قبلة الدين التي جعلت  
وقد روى إخواننا السنة أحاديث كثيرة وصححوا عدداً منها تنص على أن خلق  
النبي ونبيته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد تما قبل خلق آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ ولكنها مجردة عن فضل أهل بيته ،  
ففي مسند أحمد: ١٢٧/٤: (الكلبي عن عبد الله بن هلال السلمي ، عن عرباض بن

سارية قال: قال رسول الله ﷺ: إني عبد الله لخاتم النبيين وإن آدم عليه السلام منجدل في طينته ، وسألنيكم بأول ذلك: دعوة أبي إبراهيم ، وبشارة عيسى بي ، ورؤيا أمي التي رأت ، وكذلك أمها النبي يرئن. انتهى. ورواه في مستدرك الحاكم: ٤١٨/٢ وص ٦٠٠ في ٦٠٨ وزاد فيه: ( وإن أَمَّ رَسُولُ اللَّهِ رَأَتْ حِينَ وَضُعْتَهُ لَهُ نُورًا أَضَاءَتْ لَهَا قَصْوَرَ الشَّامِ ، ثُمَّ تَلَّا: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَكَذِيرًا وَدَاعِيًّا إِلَى اللَّهِ يَادِنْهُ وَسِرَاجًا مُنِيرًا). هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

ورواه في مجمع الروايد: ٢٢٣/٨ تحت عنوان: باب قدم نبوته ﷺ كما في الحاكم وقال ( رواه أحمد بأسانيد ، والبزار ، والطبراني بعنده ، وقال: سأحدثكم بتأويل ذلك: دعوة إبراهيم دعا ، وابعث فيهم رسولاً منهم ، وبشارة عيسى بن مريم قوله ، ومبشرًا برسول يأتي من بعدي إسمه أحمد ، ورؤيا أمي التي رأت في منامها أنها وضعت نورًا أضاءت منه قصور الشام. وأحد أسانيد أحمد رجاله رجال الصحيح غير سعيد بن سويد وقد وثقه ابن حبان .

وعن ميسرة العجر قال قلت يا رسول الله متى كتبت نبأ؟ قال: وآدم بين الروح والجسد. رواه أحمد والطبراني ورجاله رجال الصحيح.

وعن عبدالله بن شقيق عن رجل قال قلت يا رسول الله متى جعلت نبأ؟ قال: وآدم بين الروح والجسد. رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح .

وعن ابن عباس قال: قيل يا رسول الله متى كتبت نبأ؟ قال وآدم بين الروح والجسد. رواه الطبراني في الأوسط والبزار ، وفيه جابر بن يزيد الجعفي وهو ضعيف.

وعن أبي مريم قال أقبل أعرابي حتى أتى النبي (ص) وعنه خلق من الناس فقال:

ألا تعطيني شيئاً أتعلمه وأحمله وينفعني ولا يضرك ، فقال الناس منه أجلس ، فقال النبي (ص) دعوه فإنما يسأل الرجل ليعلم ، فأفرجوا له حتى جلس ، فقال: أي شيء كان أول نبوتك ؟ قال: أخذ الميثاق كما أخذ من النبيين ، ثم تلا: *وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّنَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ فُحِّ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيلًا* ، وبشري المسيح عيسى بن مريم ، ورأت أم رسول الله (ص) في منامها أنه خرج من بين رجليها سراج أضاءت له قصور الشام .

فقال الأعرابي هاه وأدنى منه رأسه وكان في سمعه شيء ، فقال النبي (ص) ووراء ذلك. رواه الطبراني ورجاله وثقوا .

وروى أحاديثه في كنز العمال: ٤٠٩/١١ وقال في مصادرها: (ابن سعد ، حل - عن ميسرة الفجر ، ابن سعد - عن أبي الجدعاء ، طب - عن ابن عباس). وقال في هامشه: أخرجه الترمذى كتاب المناقب باب فضل النبي (ص) رقم (٣٦٠٩) وقال: حسن صحيح غريب .

وفي: ٤١٨/١١ وص ٤٤٩ وص ٤٥٠ ، وقال في مصادره (حم ، طب ، ك ، حل ، هب - عن عرباض بن سارية) . (حم وابن سعد ، طب ، ك ، حل هب - عن عرباض بن سارية) (ابن سعد - عن مطرف بن عبد الله بن الشخير) (ابن سعد - عن عبدالله بن شقيق عن أبيه أبي الجدعاء ، ابن قانع - عن عبدالله بن شقيق عن أبيه ، طب - عن ابن عباس ، ابن سعد - عن ميسرة الفجر) (ابن عساكر - عن أبي هريرة) .

ورواها السيوطي عن المصادر المتقدمة وغيرها في الدر المنشور: ١٣٩/١ وج ١٨٤/٥ وج ٢١٣/٦ .

وروى إخواننا كذلك أحاديث متعددة عن اختيار الله تعالى لبني هاشم تؤيد هذه

الأحاديث ، وليس هذا مقام الكلام فيها .

## من روايات عالم طينة الخلق

مجمع الزوائد: ١٢٨/٩: (وعن بريدة قال: بعث رسول الله(ص)علياً أميراً على اليمن ، وبعث خالد بن الوليد على الجبل ، فقال: إن اجتمعتما فعلي على الناس ، فالتقوا وأصابوا من الغنائم ما لم يصيروا مثله ، وأخذ على جارية من الخمس ، فدعا خالد بن الوليد بريدة فقال: إغتنمها فأخبر النبي(ص)ما صنع !

قدمنت المدينة ودخلت المسجد ورسول الله(ص)في منزله ، وناس من أصحابه على بابه ، فقالوا: ما الخبر يا بريدة ؟

فقلت: خيراً فتح الله على المسلمين. فقالوا: ما أقدمك ؟ قلت: جارية أخذها على من الخمس ! فجئت لأخبر النبي(ص).

قالوا: فأخبر النبي(ص) فإنه يسقط من عين النبي(ص)! ورسول الله(ص)يسمع الكلام ، فخرج مغضباً فقال: ما بال أقوام ينتقصون علياً ! من تنقص علياً فقد تنقصني ، ومن فارق علياً فقد فارقني. إن علياً مني وأنا منه ، خلق من طينتي وخلقت من طينة إبراهيم ، وأنا أفضل من إبراهيم ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم . يا بريدة أما علمت أن لعلي أكثر من الجارية التي أخذ ، وأنه وليكم بعدي ! فقلت: يا رسول الله بالصحة إلا بسطت يدك فبأيعتنى على الإسلام جديداً ! قال: فما فارقته حتى بايعته على الإسلام. رواه الطبراني في الأوسط ، وفيه جماعة لم أعرفهم وحسين الأشقر ضعفه الجمهور ، ووثقه ابن حبان .

مجمع الزوائد: ٢٠٨/٥: (وعن جابر - قال: لما قدم جعفر من أرض الحبشة تلقاه رسول الله ، فلما نظر إلى رسول الله حجل إعظاماً لرسول الله(ص)فقبل رسول الله

بين عينيه ، وقال له: يا حبيبي أنت أشبه الناس بخلقي وخلقي ، وخلقت من الطينة التي خلقت منها ، يا حبيبي حدثني عن بعض عجائب أهل الحبشة. قال: نعم بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، بينما أنا قائم في بعض طرقها إذ أنا بعجز على رأسها مكيل ، وأقبل شاب يركض على فرس فزحها وألقى المكيل عن رأسها ، واستوت قائمة وأتبعته البصر وهي تقول: الويل لك غداً إذا جلس الملك على كرسيه فاقتصر للمظلوم من الظالم ! قال جابر: فنظر إلى رسول الله(ص) وهو يقول: لا قدس الله أمة لا تأخذ للمظلوم حقه من الظالم غير متعنت. رواه الطبراني في الأوسط وفيه مكي بن عبد الله الرعيني وهو ضعيف. انتهى. ورواه في مجمع الزوائد: ٢٧٢/٩ ، وروى أيضاً

وعن أسامة بن زيد أن النبي(ص) قال لجعفر: خلقك كخلقي وأشبه خلقي خلفك فأنت مني ، وأنت يا علي فمني وأبو ولدي. رواه الطبراني عن شيخه أحمد بن عبد الرحمن بن عفال وهو ضعيف .

كنز العمال: ٦٦٢/١١: (خلق الناس من أشجار شتى ، وخلقت أنا وجعفر من طينة واحدة. ابن عساكر عن وهب بن جعفر بن محمد عن أبيه مرسلاً ، ووهد كأن يضع الحديث .

مسند جابر بن عبد الله ، عن مكي بن عبد الله الرعيني ، ثنا سفيان بن عيينة ، عن ابن الزبير ، عن جابر قال: لما قدم جعفر من أرض الحبشة تلقاه رسول الله ، فلما نظر جعفر إلى رسول الله حجل إعظاماً منه لرسول الله(ص) ، فقبل رسول الله بين عينيه وقال: يا حبيبي ! أنت أشبه الناس بخلقي وخلقي وخلقت من الطينة التي خلقت منها يا حبيبي. عق ، وأبو نعيم ، قال عق غير محفوظ ، وقال في الميزان: مكي له مناكيير ، وقال في المغني: تفرد عن ابن عيينة بحديث عب. انتهى. ورواه

في كنز العمال: ٦٦٢/١١، بعدة روايات في بعضها من طيتي وفي بعضها من شجري.

الكافي: ٢/٢: (علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن حماد بن عيسى ، عن ربعي بن عبد الله عن رجل، عن علي بن الحسين (عليه السلام) قال: إن الله عز وجل خلق النبيين من طينة علية: قلوبهم وأبدانهم ، وخلق قلوب المؤمنين من تلك الطينة و ( جعل ) خلق أبدان المؤمنين من دون ذلك وخلق الكفار من طينة سجين ، قلوبهم وأبدانهم ، فخلط بين الطيتيين ، فمن هذا يلد المؤمن الكافر ويلد الكافر المؤمن ، ومن هاهنا يصيب المؤمن السيئة ، ومن هاهنا يصيب الكافر الحسنة. فقلوب المؤمنين تحن إلى ما خلقوا منه وقلوب الكافرين تحن إلى ما خلقوا منه. انتهى.

ورواه في علل الشرائع: ٨٢/١ وروى في ١١٦: محمد بن يحيى ، عن محمد بن الحسن ، عن النضر بن شعيب ، عن عبدالغفار الجازي ، عن أبي عبد الله عاشور قال: إن الله عز وجل خلق المؤمن من طينة الجنة وخلق الكافر من طينة النار. وقال: إذا أراد الله عز وجل بعد خيراً طيب روحه وجسده فلا يسمع شيئاً من الخير إلا عرفه ولا يسمع شيئاً من المنكر إلا أنكره .

قال وسمعته يقول: الطينات ثلاثة: طينة الأنبياء والمؤمن من تلك الطينة إلا أن الأنبياء هم من صفوتها ، هم الأصل ولهم فضلهم ، والمؤمنون الفرع من طين لازب ، كذلك لا يفرق الله عز وجل بينهم وبين شيعتهم. وقال: طينة الناصب من حما مسنون ، وأما المستضعفون فمن تراب ، لا يتحول مؤمن عن إيمانه ولا ناصب عن نصبه ، والله المشيئة فيهم .

علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن محبوب ، عن صالح بن سهل قال: قلت لأبي

عبد الله عليه السلام: جعلت فداك من أي شيء خلق الله عزوجل طينة المؤمن؟ فقال: من طينة الأنبياء ، فلم تنجس أبداً.

محمد بن يحيى وغيره ، عن أحمد بن محمد وغيره ، عن محمد بن خلف ، عن أبي نهشل قال: حدثني محمد بن إسماعيل ، عن أبي حمزة الشمالي قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: إن الله عزوجل خلقنا من أعلى علينا ، وخلق قلوب شيعتنا مما خلقنا منه ، وخلق أبدانهم من دون ذلك ، وقلوبهم تهوي إلينا لأنها خلقت مما خلقنا منه ، ثم تلا هذه الآية: كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلْمِنَا وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلْمُنَا كتاب مرقوم يشهده المقربون. وخلق عدونا من سجين ، وخلق قلوب شيعتهم مما خلقهم منه وأبدانهم من دون ذلك ، فقلوبهم تهوي إليهم ، لأنها خلقت مما خلقوا منه ، ثم تلا هذه الآية: كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجْنِنَا وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجْنُنَا ١١٦/١

الكافي: ٣٨٩/١: (أحمد بن محمد ، عن محمد بن الحسن ، عن محمد بن عيسى بن عبيد ، عن محمد بن شعيب ، عن عمران بن إسحاق الزعفراني ، عن محمد بن مروان ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: إن الله خلقنا من نور عظمته ، ثم صور خلقنا من طينة مخزونة مكونة من تحت العرش ، فأسكن ذلك النور فيه ، فكنا نحن خلقاً وبشراً نورانيين لم يجعل لاحد في مثل الذي خلقنا منه نصيباً ، وخلق أرواح شيعتنا من طيتنا وأبدانهم من طينة مخزونة مكونة أسفل من تلك الطينة . . . الحديث .

الكافي: ٤٠٢/١: (أحمد بن محمد ، عن محمد بن الحسين ، عن منصور بن العباس ، عن صفوان بن يحيى ، عن عبد الله بن مسakan ، عن محمد بن عبد الخالق وأبي

بصير قال: قال أبو عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ: يا أبا محمد . . . وإن عندنا سرًا من سر الله وعلماً من علم الله أمرنا الله بتبليغه ، فبلغنا عن الله عز وجل ما أمرنا بتبليغه ، فلم نجد له موضعًا ولا أهلاً ولا حمالة يحتملونه حتى خلق الله لذلك أقواماً ، خلقوا من طينة خلق منها محمد وآله وذراته عَلَيْهِ السَّلَامُ وَمَنْ نُورَ خَلْقُ اللهِ مِنْهُ مُحَمَّدًا وَذَرِيْتَهُ ، وَصَنَعُهُمْ بِفَضْلِ صَنْعِ رَحْمَتِهِ الَّتِي صَنَعَ مِنْهَا مُحَمَّدًا وَذَرِيْتَهُ ، فَبَلَّغُنَا عَنِ اللَّهِ مَا أَمْرَنَا بِتَبْلِيْغِهِ فَقَبَلُوهُ وَاحْتَمَلُوا ذَلِكَ ، وَبَلَّغُهُمْ ذَكْرَنَا فَمَالَتْ قُلُوبُهُمْ إِلَى مَعْرِفَتِنَا وَحَدِيْشَنَا ، فَلَوْلَا أَنَّهُمْ خَلَقُوا مِنْ هَذَا لَمَا كَانُوا كَذَلِكَ ، لَا وَاللَّهِ مَا احْتَمَلُوهُ . . . الْحَدِيثُ .

### من آيات وروايات عالم الملائكة

قال تعالى: أَوَ لَمْ يَنْفَكِرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جَهَنَّمَ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ أَوَ لَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدْ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدِهِ يُؤْمِنُونَ . الاعراف ١٨٤-١٨٥

وَكَذَلِكَ تُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَيَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ . فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ الْلَّيْلُ رَأَى كَوْكِبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفْلَى قَالَ لَا أُحِبُّ الْأَفْلِينَ . فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازَخًَا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفْلَى قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَا كُوَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ . الأنعام :

٧٥ - ٧٧

قُلْ مَنْ يَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَاهُ عَلَيْهِ إِنْ كُتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ اللَّهُ قُلْ فَانِي تُسْحَرُونَ . المؤمنون : ٨٨ - ٨٩

فَسُبْحَانَ الَّذِي يَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَحُونَ . يس : ٨٣

نهج البلاغة: ١٦٢/١: ( . . . ) هو القادر الذي إذا ارتمت الأوهام لتدرك منقطع قدرته، وحاول الفكر المبرأ من خطرات الوساوس أن يقع عليه في عميقات غيوب

ملكته، وتولهت القلوب إليه لتجري في كيفية صفاته ، وغمضت مداخل العقول في حيث لا تبلغه ... .

نهج البلاغة: ١٦٣/١: (وأرانا من ملكته قدرته ، وعجائب ما نطق به آثار حكمته ، واعتراف الحاجة من الخلق إلى أن يقيمه بمساك قدرته ، ما دلنا باضطرار قيام الحجة . . . . .

نهج البلاغة: ١٦٨/١: (ثم خلق سبحانه لاسكان سماواته ، وعمارة الصريح الأعلى من ملكته ، خلقاً بديعاً من ملائكته ملا بهم فروج فجاجها ، وحشى بهم فتوق أجوانها . وبين فجوات تلك الفروج زجل المسبحين منهم في حظائر القدس وسترات الحجب وسرادقات المجد. ووراء ذلك الرجيج الذي تستك منه الأسماع . . . . .

نهج البلاغة: ٤٥/٢: (الحمد لله الذي انحسرت الأوصاف عن كنه معرفته ، ورددت عظمته العقول فلم تجد مساغاً إلى بلوغ غاية ملكته... .

مستدرك الوسائل: ١٨٥/١١: (الآمدي في الغرر ، عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ الْكَلَمُ أَنَّهُ قَالَ: التفكير في ملكت السماوات والأرض عبادة المخلصين .

الكافي: ٣٥/١: (عن حفص بن غياث قال: قال لي أبو عبد الله عَلَيْهِ الْكَلَمُ: من تعلم العلم وعمل به وعلم الله، دعى في ملكت السماوات عظيماً، فقيل: تعلم الله واعمل الله وعلم الله. انتهى .

وروى نحوه في كنز العمال: ١٦٤/١٠ وفي سنن الترمذى: ١٥٥/٤ ، وروى في مجمع

الزواائد: ٢٤٨/١٠: ( البراء بن عازب قال قال رسول الله (ص): من قضى نهmetه في الدنيا حيل بينه وبين شهوته في الآخرة ، ومن مد عينيه إلى زينة المترفين ، كان مهيناً في ملکوت السموات. ومن صبر على القوت الشديد صبراً جميلاً أسكنه الله من الفردوس حيث شاء .

وسائل الشيعة: ٢٧٨/١١: ( ثم قال: وذلك إذا انتهكت المحارم ، واكتسب المآثم ، وتسلط الأشرار على الآخيار ، ويفشو الكذب ، وظهور الحاجة ، وتفشو الفاقة ، ويتباهون في الناس ، ويستحسنون الكوبة والمعاذف ، وينكر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .. إلى أن قال: فأولئك يدعون في ملکوت السماء: الأرجاس الأنجاس.... الحديث .

الكافي: ٩٣/١: (محمد بن أبي عبد الله رفعه قال: قال أبو عبد الله عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُبَرَّأُ: يا ابن آدم لو أكل قلب طائر لم يشبعه ، وبصرك لو وضع عليه خرق أبرة لغطاه ، تزيد أن تعرف بهما ملکوت السماوات والأرض ، إن كنت صادقاً فهذه الشمس خلق من خلق الله فإن قدرت أن تملأ عينيك منها فهو كما تقول .

الكافي: ٢٧٣/١: (علي بن إبراهيم ، عن محمد بن عيسى ، عن يونس ، عن ابن مسakan ، عن أبي بصير قال: سألت أبا عبد الله عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُبَرَّأُ عن قول الله عز وجل: وَسَأْلُوكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي، قال: خلق أعظم من جبرائيل وميكائيل ، كان مع رسول الله عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُبَرَّأُ وهو مع الأئمة ، وهو من الملکوت .

الكافي: ٢٦٣/٢: (علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن النوفلي ، عن السكوني، عن أبي عبد الله عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُبَرَّأُ قال: قال النبي عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُبَرَّأُ: طوبى للمساكين بالصبر ، وهم الذين يرون ملکوت السماوات والأرض .

تفسير الإمام العسكري/٥١٣:

وَكَذَلِكَ نُرِى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَيَكُونَ مِنَ الْمُوْقِنِينَ ، قوى الله بصره لما رفعه دون السماء حتى أبصر الأرض ومن عليها ظاهرين ومسترين ، فرأى رجلاً وامرأة على فاحشة فدعا عليهما بالهلاك فهلكا ، ثم رأى آخرين فدعا عليهمما بالهلاك فهلكا ، ثم رأى آخرين فهم بالدعاء عليهمما ، فأوحى الله تعالى إليه: يا إبراهيم أكف دعوتك من عبادي وإمائي ... الحديث . انتهى . وروى نحوه في الكافي: ٣٠٥/٨ وفي كنز العمال: ٢٦٩/٤ .

علل الشرائع: ١٣١/١: (قالوا حدثنا محمد بن أبي عبد الله الكوفي الأستاذ ، عن موسى بن عمران النخعي ، عن عمه الحسين بن يزيد النوفلي ، عن علي بن سالم عن أبيه ، عن ثابت بن دينار قال سألت زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام عن الله جل جلاله: هل يوصف بمكان ؟ فقال: تعالى عن ذلك . قلت: فلم أسرى بنبيه محمد صلوات الله عليه وآله وسلام إلى السماء ؟ قال: ليهيه ملكوت السموات ، وما فيها من عجائب صنعه وبدائع خلقه . . . .

علل الشرائع: ١٥/١: (حدثنا علي بن أحمد ، عن محمد بن أبي عبد الله ، عن محمد بن إسماعيل البرمي قال: حدثنا جعفر بن سليمان بن أيوب الخراز قال: حدثنا عبد الله بن الفضل الهاشمي قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: لأي علة جعل الله عز وجل الأرواح في الأبدان بعد كونها في ملكته الأعلى في أرفع محل ؟ فقال عليه السلام: إن الله تبارك وتعالى علم أن الأرواح في شرفها وعلوها متى ما تركت على حالها نزع أكثرها إلى دعوى الريوبية دونه عز وجل ، فجعلها بقدرته في الأبدان التي قدر لها في ابتداء التقدير نظراً لها ورحمة بها ، وأحوج بعضها إلى بعض وعلق بعضها على بعض ورفع بعضها على بعض في الدنيا ، ورفع بعضها

فوق بعض درجات في الآخرة ، وكفى بعضها بعض .

قلت: فقول الله عز وجل: **ثُمَّ دَنَّ قَدْلَى . فَكَانَ قَابَ قَوْسِينَ أَوْ أَدْنَى .**؟ قال: ذاك

رسول الله ﷺ دنا من حجب النور فرأى ملوكوت السموات ، ثم تدلّى ﷺ فنظر من تحته إلى ملوكوت الأرض حتى ظن أنه في القرب من الأرض ، كتاب قوسين أو أدنى .



وقد روت مصادر إخواننا السنة عدداً من الروايات عن عالم الملوكوت ، كالتي رواها أحمد في مسنده: ٣٦٣/٢ ، من حديث المراج . . . فلما نزلت وانتهيت إلى سماء الدنيا فإذا أنا برهج ودخان وأصوات فقلت من هؤلاء ؟ قال: الشياطين يحرفون على أعينبني آدم أن لا يتفكروا في ملوكوت السموات والأرض ، ولو لا ذلك لرأيت العجائب .

وروى الهيثمي في مجمع الزوائد: ١٧٨/٩: (وعن رقبة بن مصقلة قال لما حضر الحسين بن علي رضي الله عنهما قال: أخرجوني إلى الصحراء لعلي أتفكر أنظر في ملوكوت السماوات يعني الآيات ، فلما أخرج به قال: اللهم إني أحتسب نفسي عندك فإنها أعز الأنفس على ، وكان مما صنع الله له أنه أحتسب نفسه. رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح ، إلا أن رقبة لم يسمع من الحسن فيما أعلم ، وقد سمع من أنس فيما قيل .

### من آيات وروايات عالم الخزائن

وَالْأَرْضَ مَدَنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتَنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٌ . وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ . وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَرَائِثُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدْرٍ مَعْلُومٍ . الحجر : ١٩ - ٢١

الصحيفة السجادية: ٧١/١: (اللهم يا منتهى مطلب الحاجات ، ويَا مِنْ عَنْدِهِ نَيلُ الْمُطَلَّبَاتِ ، وَيَا مِنْ لَا يَبْعِيْعُ نَعْمَهُ بِالْأَثْمَانِ ، وَيَا مِنْ لَا يَكْدُرُ عَطَايَاهُ بِالْإِمْتَانِ ، وَيَا مِنْ لَا يَسْتَغْنِي بِهِ وَلَا يَسْتَغْنِي عَنْهُ ، وَيَا مِنْ يَرْغُبُ إِلَيْهِ وَلَا يَرْغُبُ عَنْهُ ، وَيَا مِنْ لَا تَفْنِي خَرَائِنَهُ الْمَسَائِلُ ، وَيَا مِنْ لَا تَبْدِلُ حُكْمَتِهِ الْوَسَائِلُ ، وَيَا مِنْ لَا تَنْقُطُ عَنْهُ حَوَائِجُ الْمُحْتَاجِينَ ، وَيَا مِنْ لَا يَعْنِي دُعَاءَ الدَّاعِينَ... .

مصباح المتهجد/٤٧: (سُبْحَانَ الْحَيِّ الْقَيُومَ ، سُبْحَانَ الدَّائِمِ الْبَاقِيِّ الَّذِي لَا يَزُولُ ، سُبْحَانَ الَّذِي لَا تَنْقُصُ خَرَائِنَهُ ، سُبْحَانَ مَنْ لَا يَنْفَدُ مَا عَنْهُ ، سُبْحَانَ مَنْ لَا تَبْيَدُ مَعَالِمَهُ ، سُبْحَانَ مَنْ لَا يَشَوِّرُ فِي أَمْرِهِ أَحَدًا ، سُبْحَانَ مَنْ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ .

مصباح المتهجد/٥٧٨: (الْحَمْدُ لِلَّهِ الْفَاسِيُّ فِي الْخَلْقِ أَمْرُهُ وَحْمَدُهُ ، الظَّاهِرُ بِالْكَرْمِ مَجْدُهُ ، الْبَاسِطُ بِالْجُودِ يَدُهُ ، الَّذِي لَا تَنْقُصُ خَرَائِنَهُ ، وَلَا تَزِيدُهُ كُثْرَةُ الْعَطَاءِ إِلَّا كَرَمًاً وَجُودًاً ، إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْوَهَابُ .

مستدركُ الحاكم: ٥٢٥/١: (عَنْ رَسُولِ اللَّهِ تَعَالَى أَنَّهُ كَانَ يَدْعُو: اللَّهُمَّ احْفَظْنِي بِالْإِسْلَامِ قَائِمًاً ، وَاحْفَظْنِي بِالْإِسْلَامِ قَاعِدًاً ، وَاحْفَظْنِي بِالْإِسْلَامِ رَاقِدًاً ، وَلَا تَشْتَمِّ بِي عَدُوًاً حَاسِدًاً. اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ خَرَائِنَهُ بِيْدِكَ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ كُلِّ شَرٍّ خَرَائِنَهُ بِيْدِكَ. هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الْبَخَارِيِّ وَلَمْ يَخْرُجْهَا .

هَذَا مَا تِيسِّرُ لَنَا تَتَّبِعُهُ مِنَ الْأَحَادِيثِ الدَّالَّةِ عَلَى وَجْهِ الإِنْسَانِ فِي عَوَالِمِ قَبْلِ الدِّينِ. وَفِيهَا بحوثٌ شَرِيفَةٌ فِي عَدْدِ هَذِهِ الْعَوَالِمِ وَتَرْتِيبِهَا وَصَفَاتِهَا ، قَلْمَانِ تَعْرِضُ المُتَكَلِّمُونَ وَالْمُفَسِّرُونَ لِبَحْثِهَا .

وَفِيهَا بحوثٌ أُخْرَى فِي امْتِنَانِ الإِنْسَانِ فِيهَا وَاختِيَارِهِ الْكُفُرُ أَوِ الإِيمَانُ قَبْلُ وَصُولِهِ .

إلى عالم الأرض. وقد بحثها المفسرون والمتكلمون في باب الجبر والاختيار ، والقضاء والقدر .

قال المجلسي رحمه الله في بحار الأنوار: ٢٦٠/٥: (بيان: إعلم أن أخبار هذا الباب من متشابهات الأخبار ومعضلات الآثار ، ولا صاحبنا رضي الله عنهم فيها مسالك: منها ، ما ذهب إليه الأخباريون ، وهو أنها نؤمن بها مجملًا ، ونعرف بالجهل عن حقيقة معناها ، وعن أنها من أي جهة صدرت ، ونرد علمها إلى الأئمة عليهم السلام . ومنها ، أنها محمولة على التقىة لموافقتها لروايات العامة ، ولما ذهبت إليه الأشاعرة وهم جلهم ، ولمخالفتها ظاهرًا لما مر من أخبار الإختيار والإستطاعة . ومنها ، أنها كنایة عن علمه تعالى بما هم إليه صائرون ، فإنه تعالى لما خلقهم مع علمه بأحوالهم فكأنه خلقهم من طينات مختلفة .

ومنها ، أنها كنایة عن اختلاف استعداداتهم وقابلياتهم ، وهذا أمر بين لا يمكن إنكاره ، فإنه لا شبهة في أن النبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأبا جهل ليسا في درجة واحدة من الإستعداد والقابلية ، وهذا لا يستلزم سقوط التكليف ، فإن الله تعالى كلف النبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حسب ما أعطاه من الإستعداد لتحصيل الكمالات ، وكلف أبا جهل حسب ما أعطاه من ذلك ، ولم يكلفه ما ليس في وسعه ، ولم يجره على شيء من الشر والفساد .

ومنها ، أنه لما كلف الله تعالى الأرواح أولاً في الذر وأخذ ميثاقهم فاختاروا الخير والشر باختيارهم في ذلك الوقت ، وتفرع اختلاف الطينة على ما اختاروه باختيارهم كما دل عليه بعض الأخبار السابقة ، فلا فساد في ذلك .

ولا يخفى ما فيه وفيه كثير من الوجوه السابقة ، وترك الخوض في أمثال تلك المسائل الغامضة التي تعجز عقولنا عن الاحاطة بكل منها أولى ، لا سيما في تلك

المسألة التي نهى أئمتنا عن الخوض فيها. (مسألة القضا والقدر) .

ولنذكر بعض ما ذكره في ذلك علماؤنا رضوان الله عليهم ومخالفوهم .

فمنها: ما ذكره الشيخ المفید قدس الله روحه في جواب المسائل السروية حيث سئل: ما قوله - أَدَمُ اللَّهُ تَعَالَى يَدِهِ - في معنى الأخبار المروية عن الأئمة الهادية عَلَيْهِمُ السَّلَامُ في الأشباح وخلق الله تعالى الأرواح قبل خلق آدم عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بـ١٠٠٠ عام ، وإخراج الذرية من صلبه على صور الذر ، ومعنى قول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها اختلف وما تناكر منها اختلف .

الجواب: وبالله التوفيق ، إن الأخبار بذكر الأشباح تختلف ألفاظها ، وتبين معانيها ، وقد بنت الغلة عليها أباطيل كثيرة ، وصنفوا فيها كتبًا لغوا فيها ، وهزئوا فيما أثبتوه منه في معانيها ، وأضافوا ما حوتة الكتب إلى جماعة من شيوخ أهل الحق وترخصوا الباطل بإضافتها إليهم ، من جملتها كتاب سموه كتاب (الأشباح والأظللة) نسبوه في تأليفه إلى محمد بن سنان ، ولسنا نعلم صحة ما ذكروه في هذا الباب عنه .

وإن كان صحيحاً فإن ابن سنان قد طعن عليه وهو متهم بالغلو ، فإن صدقوا في إضافة هذا الكتاب إليه فهو ضلال لضال عن الحق، وإن كذبوا فقد تحملوا أوزار ذلك.

والصحيح من حديث الأشباح الرواية التي جاءت عن الثقة بأن آدم عَلَيْهِمُ السَّلَامُ رأى على العرش أشباحاً يلمع نورها فسأل الله تعالى عنها ، فأوحى إليه أنها أشباح رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأمير المؤمنين والحسن والحسين وفاطمة صلوات الله عليهم ، وأعلم أنه لو لا الأشباح التي رآها ما خلقه ولا خلق سماءً ولا أرضاً. والوجه فيما أظهره الله تعالى من الأشباح والصور لادم أن دله على تعظيمهم وتبجيلهم ،

وجعل ذلك إجلالاً لهم ومقدمة لما يفترضه من طاعتهم ، ودليلًا على أن مصالح الدين والدنيا لا تتم إلا بهم ، ولم يكونوا في تلك الحال صوراً مجيبة ، ولا أرواحاً ناطقة ، لكنها كانت على مثل صورهم في البشرية ، يدل على ما يكونوا عليه في المستقبل في الهيئة ، والنور الذي جعله عليهم يدل على نور الدين بهم وضياء الحق بحجتهم. وقد روي أن أسماءهم كانت مكتوبة إذ ذاك على العرش ، وأن آدم عليه السلام لما تاب إلى الله عز وجل وناجاه بقبول توبته سأله بحقهم عليه ومحلهم عنده فأجابه ، وهذا غير منكر في العقول ولا مضاد للشرع المنقول ، وقد رواه الصالحون الثقة المأمونون ، وسلم لروايته طائفة الحق ، ولا طريق إلى إنكاره ، والله ولي التوفيق. انتهى .

ويدل كلام المفید فی تفسیر القرآن أن العلة في عصره كانوا استغلوا أحاديث الأشباح والظلال وبنوا عليها أباطيل تخالف مذهب أهل البيت عليهم السلام ، فشنع بسببيها الخصوم على المذهب ، فنفي المفید دعوى الخصوم ، وفي نفس الوقت أثبت أحاديث الأشباح والظلال ، ثم فسرها بتفسير يفهمه العوام ولا يثير الخصوم .

وقال في هامش الكافي: ٣/٢: (الأخبار مستفيضة في أن الله تعالى خلق السعداء من طينة عليين (من الجنة) وخلق الأشقياء من طينة سجين (من النار) وكل يرجع إلى حكم طينته من السعادة والشقاء ، وقد أورد عليها: أولاً: بمخالفة الكتاب. وثانياً: باستلزم الجبر الباطل .

أما البحث الأول ، فقد قال الله تعالى: هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ، وقال: وببدأ خلق الإنسان من طين ، فأفاد أن الإنسان مخلوق من طين ، ثم قال تعالى: وَكُلُّ وِجْهٍ هُوَ مُوَلِّهَا .. الآية. وقال: مَا أَصَابَ مَنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا.. الآية. فأفاد أن للإنسان غاية ونهاية من السعادة

والشقاء ، وهو متوجّهٌ إليها سائر نحوها. وقال تعالى: **كَمَا بَدَأْكُمْ تَعُودُونَ فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ .. الآية**. فأفاد أن ما ينتهي إليه أمر الإنسان من السعادة والشقاء هو ما كان عليه في بدء خلقه وقد كان في بدء خلقه طيناً ، فهذه الطينة سعادة وطينة شقاء ، وآخر السعيد إلى الجنة وآخر الشقي إلى النار ، فهما أولهما لكون الآخر هو الأول ، وحيثند صح أن السعداء خلقوا من طينة الجنة والأشقياء خلقوا من طينة النار. وقال تعالى: **كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارَ لَفِي عَلَيْنَ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عَلَيْوْنَ كِتَابٌ مَرْفُومٌ يَشْهَدُهُ الْمُقْرَبُونَ ، كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سِجِّينٍ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٍ كِتَابٌ مَرْفُومٌ وَيَلِّيْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ .. الآيات**. وهي تشعر بأن علیين وسجين هما ما ينتهي إليه أمر الأبرار والفحار من النعمة والعقاب ، فافهم .

وأما البحث الثاني، وهو أن أخبار الطينة تستلزم أن تكون السعادة والشقاء لازمين حتميين للإنسان ، ومعه لا يكون أحدهما اختيارياً كسيباً للإنسان وهو الجبر الباطل . والجواب عنه ، أن اقتضاء الطينة للسعادة أو الشقاء ليس من قبل نفسها بل من قبل حكمه تعالى وقضائه ما قضى من سعادة وشقاء ، فيرجع الإشكال إلى سبق قضاء السعادة والشقاء في حق الإنسان قبل أن يخلق ، وإن ذلك يستلزم الجبر. وقد ذكرنا هذا الإشكال مع جوابه في باب المشيئة والإرادة في المجلد الأول من الكتاب/ ١٥٠ ، وحاصل الجواب: أن القضاء متعلق بصدور الفعل عن اختيار العبد فهو فعل اختياري في عين أنه حتمي الوقع ، ولم يتعلّق بالفعل سواء اختاره العبد أو لم يختره ، حتى يلزم منه بطalan الإختيار. وأما شرح ما تشمل عليه هذه الأخبار تفصيلاً فأمر خارج عن مجال هذا البيان المختصر ، فليرجع فيه إلى مطولات الشروح والتعليق والله الهادي . (الطباطبائي) انتهى .

ونختم بالقول: إن مسألة وجود الإنسان في عوالم قبل عالم الأرض ، أوسع مما يبحثه المتكلمون وال فلاسفة ، وهي تحتاج إلى تتبع كامل وبحث دقيق في أحاديثها الشريفة ، للتوصل إلى عدد تلك العوالم وصفاتها ، ولا يبعد أنها تحل كثيرةً من المشكلات ، ومنها مشكلة الجبر والاختيار ، وقد تبين من مجموعها أنأخذ الميثاق تم من الذر المأخذ من طين آدم كما في بعضها ، وفي عالم الظلال كما في بعضها ، ومن المحتمل أنه حصل في أكثر من عالم .

كما لا يصح استبعاد أن تكون الذرة إنساناً كاملاً عاقلاً بعد ما سمعنا عن عالم الذرة والجينات .

ولا يصح القول بأن عالم الذر هو عالم الملائكة وإن كان جزء من عالم الملائكة إلا من باب تسمية الجزء باسم الكل. والملائكة كما رأيت في آياته وأحاديثه شامل لعوالم الشهادة والغيب ، والبعد عن الله تعالى والحضور ، وعالم الذر أو الظلال واحد من عوالم الحضور .



## الفصل الثالث

### الفطرة بمعنى الولادة في الإسلام



### قولهم من ولد على الإسلام فهو من أهل الجنة

الكافي: ٣٤٠/٨:

قال علي بن الحسين: ولم يولد لرسول الله ﷺ من خديجة على فطرة الإسلام إلا فاطمة ؑ وقد كانت خديجة ؑ ماتت قبل الهجرة سنة ، ومات أبو طالب بعد موت خديجة سنة ، فلما فقدمها رسول الله ﷺ سُمِّ المقام بمكة ودخله حزن شديد وأشفق على نفسه من كفار قريش ، فشكى إلى جبرئيل ؑ ذلك ، فأوحى الله عز وجل إليه: أخرج من القرية الظالم أهلها وهاجر إلى المدينة فليس لك اليوم بمكة ناصر ، وانصب للمشركين حرباً. فعند ذلك توجه رسول الله ﷺ إلى المدينة. انتهى. ورواه في بحار الأنوار: ١١٧/١٩

مستدرك الوسائل: ٥٨/١١:

وعن إسماعيل بن موسى ، بإسناده عن أبي البختري قال: لما انتهى علي ؑ إلى البصرة خرج أهلها . . . إلى أن قال: فقاتلوهم وظهروا عليهم وولوا منهزمين ، فأمر علي منادياً ينادي: لا تعطونا في غير مقبل ، ولا تطلبوا مدبراً ، ولا تجهزوا على جريح ، ومن ألقى سلاحه فهو آمن ، ومن أغلق بابه فهو آمن ، وما كان بالعسكر فهو لكم مغنم ، وما كان في الدور فهو ميراث يقسم بينهم على فرائص الله عز وجل ، فقام إليه قوم من أصحابه فقالوا: يا أمير المؤمنين من أين أحلت

لنا دماءهم وأموالهم وحرمت علينا نسائهم ؟ فقال: لأن القوم على الفطرة ، وكان لهم ولاء قبل الفرقة ، وكان نكاحهم لرشدة. فلم يرضهم ذلك من كلامه. فقال لهم: هذه السيرة في أهل القبلة فأنكر تموها ، فانظروا أيكم يأخذ عائشة في سهمه ؟ ! فرضوا بما قال ، فاعترفوا صوابه وسلموا لامره. انتهى. ورواه المغربي في شرح الأخبار: ٣٩٥/١ ، وروته أيضاً مصادر التاريخ .

### القول بأن من ولد في الإسلام فهو من أهل الجنة

الدر المنشور: ١١٥/٢

وأخرج البيهقي عن ابن عابد قال: خرج رسول الله(ص) في جنازة رجل فلما وضع قال عمر بن الخطاب: لا تصل عليه يا رسول الله فإنه رجل فاجر ، فالتفت رسول الله(ص) إلى الناس قال: هل رأه أحد منكم على الإسلام ؟ فقال رجل: نعم يا رسول الله حرس ليلة في سبيل الله ، فصلى عليه رسول الله(ص) وحثى عليه التراب وقال: أصحابك يظنون أنك من أهل النار ، وأنا أشهد أنك من أهل الجنة. وقال: يا عمر إنك لا تسأل عن أعمال الناس ولكن تسأل عن الفطرة .

صحيح مسلم: ٤/٢

... فسمع رجلاً يقول الله أكبر ، الله أكبر ، فقال رسول الله (ص): على الفطرة ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن لا إله إلا الله ، فقال رسول الله (ص): خرجت من النار ، فنظروا فإذا هو راعي معزى .

كتن العمال: ٣٦٦/٨

كنا مع رسول الله(ص) في سرية فسمعنا منادياً ينادي: الله أكبر ، الله أكبر ، فقال

النبي (ص): على الفطرة فقال: أشهد أن لا إله إلا الله ، قال: خرج من النار ، فابتدرناه فإذا هو شاب حبشي يرعى غنماً له في واد ، فأدرك صلاة المغرب فأذن لنفسه - أبو الشيخ .

سنن الترمذى: ٨٧/٣

... واستمع ذات يوم فسمع رجلاً يقول: الله اكبر ، الله اكبر ، فقال: على الفطرة ،  
فقال: أشهد أن لا إله إلا الله ، قال خرجت من النار .

مسند أَحْمَد: ٢٤١/٣

... نحن مع رسول الله(ص) في سفر إذ سمع رجلاً يقول الله اكبر، الله اكبر ، فقال النبي(ص): على الفطرة ، قال أشهد ان لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، فقال النبي(ص): خرج هذا من النار. انتهى .

وقد صحت الروايات عند اخواننا أن الخليفة عمر قد وسع دائرة شفاعة النبي ﷺ حتى تشمل المنافقين بل والكافر ، بل صحت رواياتهم بأن مذهب الخليفة عمر أن جهنم تنتهي بعد مدة وينقل أهلها إلى الجنة.. إلخ. وسيأتي ذلك في بحث الشفاعة إن شاء الله تعالى .

## الفطرة والنبوة والشرع الإلهية

الكافى: ٤٢٤/٨:

علي بن إبراهيم، عن أبيه ، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر، عن أبان بن عثمان، عن إسماعيل الجعفي ، عن أبي جعفر ع عليهما السلام قال: كانت شريعة نوح عليهما السلام أن يعبد الله بالتوحيد والإخلاص وخلع الأنداد ، وهي الفطرة التي فطر الناس عليها ، وأخذ الله مثاقفه على نوح وعلى النبئين أن يعبدوا الله تبارك وتعالى ولا يشركوا به شيئاً

وأمر بالصلة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والحلال والحرام، ولم يفرض عليه أحكام حدود ولا فرض مواريث شريعته ، فلبت فيهم نوح ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم سراً وعلانية ، فلما أبوا وعتوا قال: رب إني مغلوب فانتصر. فأوحى الله عز وجل إليه أللّهُ أَنَّ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمَكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْشِّرْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ. فلذلك قال نوح عليه السلام: ولا يلدووا إلا فاجراً كفراً. فأوحى الله عز وجل إليه: أَنِ اصْنُعْ الْفُلْكَ. انتهى. ورواه العياشى في تفسيره ١٤٤/٢ ، ورواه في بحار الأنوار: ٣٣١/١١

الكافى: ١٧/٢

علي بن إبراهيم، عن أبيه ، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر ، وعدة من أصحابنا عن أحمد بن محمد بن خالد ، عن إبراهيم بن محمد الثقفي ، عن محمد بن مروان ، جمياً عن أبان بن عثمان ، عمن ذكره عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إن الله تبارك وتعالى أعطى محمداً عليه السلام شرائع نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهما السلام: التوحيد والاخلاص وخلع الأنداد والفطرة الحنفية السمحنة لا رهبانية ولا سياحة، أحل فيها الطيبات وحرم فيها الخبائث ، ووضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم ، ثم افترض عليه الصلاة والزكاة والصيام والحج والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والحلال والحرام والمواريث والحدود والفرائض والجهاد في سبيل الله، وزاده الوضوء، وفضلها بفاتحة الكتاب وحواتيم سورة البقرة والمفصل، وأحل له المغنم والفي ، ونصره بالرعب ، وجعل له الأرض مسجداً وطهوراً ، وأرسله كافة إلى الإيض والاسود والجن والانس ، وأعطاه الجزية وأسر المشركين وفداهم ، ثم كلفه ما لم يكلف أحداً من الأنبياء ، أنزل عليه سيف من السماء في غير غمد وقيل له: قاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك .

ورواه في بحار الأنوار: ٣١٧/٧٢ وقال:

تبين: قوله عَزَّلَهُ اللَّهُ تَعَالَى (شريعة نوح) يحتمل أن يكون المراد بالشريعة أصول الدين ، ويكون التوحيد والإخلاص وخلع الأنداد بياناً لها ، والفطرة الحنيفية معطوفة على الشريعة ، وإنما خص عَزَّلَهُ اللَّهُ تَعَالَى ما به الاشتراك بهذه الثلاثة ، مع اشتراكه عَزَّلَهُ اللَّهُ تَعَالَى معهم في كثير من العبادات لاختلاف الكيفيات فيها دون هذه الثلاثة ، ولعله عَزَّلَهُ اللَّهُ تَعَالَى لم يرد حصر المشتركات فيما ذكر لعدم ذكر السائل أصول الدين كالعدل والمعاد ، مع أنه يمكن إدخالها بعض ما ذكر ، لا سيما الإخلاص بتكلف .

ويمكن أن يكون المراد منها الأصول وأصول الفروع المشتركة وإن اختلفت في الخصوصيات والكيفيات ، وحيثند يكون جميع تلك الفقرات إلى قوله عَزَّلَهُ اللَّهُ تَعَالَى (وزاده) بياناً للشريعة ، ويشكّل حينئذ ذكر الرهبانية والسياحة ، إذ المشهور أن عدمهما من خصائص نبينا عَزَّلَهُ اللَّهُ تَعَالَى ، إلا أن يقال المراد عدم الوجوب وهو مشترك ، أو يقال إنهما لم يكونا في شريعة عيسى عَزَّلَهُ اللَّهُ تَعَالَى أيضاً .

وإن استشكّل بالجهاد وأنه لم يجاهد عيسى عَزَّلَهُ اللَّهُ تَعَالَى فالجواب أنه يمكن أن يكون واجباً عليه لكن لم يتحقق شرائطه ، ولذا لم يجاهد .

ولعل قوله عَزَّلَهُ اللَّهُ تَعَالَى (زاده وفضله) بهذا الوجه أوفق .

وكأن المراد بالتوحيد نفي الشريك في الخلق ، وبالإخلاص نفي الشريك في العبادة ، وخلع الأنداد تأكيد لهما ، أو المراد به ترك أتباع خلفاء الجور وأئمة الصلاة أو نفي الشرك الخفي ، أو المراد بالإخلاص نفي الشرك الخفي ، وبخلع الأنداد نفي الشريك في استحقاق العبادة .

والأنداد: جمع ند ، وهو مثل الشئ الذي يضاده في أموره ، ويناده أي يخالفه .

والفطرة: ملة الإسلام التي فطر الله الناس عليها ، كما مر .

والحنيفية: المائلة من الباطل إلى الحق ، أو الموافقة لملة إبراهيم عليه السلام قال في النهاية: الحنيف عند العرب من كان على دين إبراهيم ، وأصل الحنف الميل ، ومنه الحديث بعثت بالحنيفية السمحنة السهلة ، وفي القاموس: السمحنة الملة التي ما فيها ضيق .

بخار الأنوار: ٦٨/٧٦

مكا: عن الصادق عليه السلام قال: كان بين نوح وإبراهيم عليهم السلام ألف سنة ، وكانت شريعة إبراهيم بالتوحيد والأخلاق وخلع الانداد ، وهي الفطرة التي فطر الناس عليها وهي الحنيفية. وأخذ عليه ميثاقه وأن لا يعبد إلا الله ، ولا يشرك به شيئاً ، قال: وأمره بالصلوة والأمر والنهي ، ولم يحكم له أحكام فرض المواريث، وزاده في الحنيفية: الختان وقص الشارب وتنف الابط وتقليم الاظفار وحلق العانة ، وأمره ببناء البيت والحج والمناسك ، فهذه كلها شريعته عليه السلام .

### معنى الفطرة والصبغة

تفسير التبيان: ٤٨٥/١

قوله تعالى: صِبْغَةُ اللهِ: معناه فطرة الله في قول الحسن وقتادة وأبي العالية ومجاهد وعطاء وابن زيد والسدسي .

وقال الفراء والبلخي: إنه شريعة الله في الختان الذي هو التطهير .  
وقوله صبغة الله ، مأخوذه من الصبغ ، لأن بعض النصارى كانوا إذا ولد لهم مولود جعلوه في ماء طهور يجعلون ذلك تطهيراً له ويسمونه العمودية ، فقيل صبغة الله أي تطهير الله ، تطهيركم بتلك الصبغة وهو قول الفراء .  
وقال قتادة: اليهود تصبغ أبناءها يهوداً والنصارى تصبغ أبناءها نصارى ، فهذا غير

المعنى الأول ، وإنما معناه أنهم يلقنون أولادهم اليهودية والنصرانية ، فيصيغونهم بذلك لما يشربون قلوبهم منه ، فقيل صبغة الله التي أمر بها ورضي بها يعني الشريعة ، لا صبغتكم .

وقال الجبائي: سمي الدين صبغة لأن هيئة تظاهر بالمشاهدة من أثر الطهارة والصلوة وغير ذلك من الآثار الجميلة التي هي كالصبغة ، وقال أمية :

فِي صَبْغَةِ اللَّهِ كَانَ إِذْ نَسِيَ الْهُدُو وَخَلَى الصَّوَابِ إِذْ عَزَّمَ

تفسير التبيان: ٣٣٤/٣:

وقوله: **وَلَمْ يَرْهُمْ فَلِيْغِيْرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ**: اختلفوا في معناه فقال ابن عباس ، والربيع بن أنس ، عن أنس: إنه الأخصاء ، وكرهوا الأخصاء في البهائم ، وبه قال سفيان ، وشهر بن حوشب ، وعكرمة ، وأبو صالح. وفي رواية أخرى عن ابن عباس: فليغرين دين الله ، وبه قال إبراهيم ومجاحد ، وروى ذلك عن أبي جعفر وأبي عبدالله (عليهم السلام). قال مجاهد: كذب العبد يعني عكرمة في قوله إنه الأخصاء ، وإنما هو تغيير دين الله الذي فطر الناس عليه في قوله: **فَطَرَ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْيَقِيْمُ**. وهو قول قتادة والحسن والسدي والضحاك وابن زيد .

وقال الكفعي في المصباح ٣٤٠/٣:

الفاطر: أي المبتدع لأنه فطر الخلق أي ابتدعهم ، وخلقهم من الفطر وهو الشق ، ومنه: **إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ** ، أي انشقت ، وقوله: **تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرُنَّ** ، أي يتشققن كأنه سبحانه شق العدم بإخراجنا منه، وقوله تعالى: **فَاطِرُ السَّمَوَاتِ** ، أي مبدى خلقها.

بحار الأنوار: ٣/٢٧٦-٢٨١: (سن: المحسن بن أحمد ، عن أبي الأحمر ، عن أبي

جعفر الأحول ، عن محمد بن مسلم ، عن أبي جعفر عليه السلام قال: عروة الله الوثقى التوحيد ، والصبغة الإسلام .

بيان: قال البيضاوي في قوله تعالى: صبغة الله: أي صبغنا الله صبغته وهي فطرة الله التي فطر الناس عليها ، فإنها حلية الإنسان ، كما أن الصبغة حلية المصبوع ، أو هدانا هدایته وأرشدنا حجته ، أو ظهر قلوبنا بالإيمان تطهيره. وسماه صبغة لأنها ظهر أثره عليهم ظهور الصبغ على المصبوع ، وتدخل قلوبهم تداخل الصبغ الثوب ، أو للمشاكلة فإن النصارى كانوا يغمون أولادهم في ماء أصفر يسمونه العمودية ويقولون هو تطهير لهم وبه تحقق نصرانيتهم .

مع: أبي ، عن سعد ، عن أحمد بن محمد ، عن أبيه ، عن فضالة ، عن أبيان ، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عز وجل: صبغة الله وَمَنْ أَحْسَنَ مِنَ الله صبغة ، قال: هي الإسلام .

شف: من كتاب القاضي القزويني ، عن هارون بن موسى التلعكري ، عن محمد بن سهل ، عن الحميري ، عن ابن يزيد ، عن علي بن حسان ، عن عبد الرحمن بن كثير ، عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله الله عز وجل: فطرة الله التي فطر الناس عليها ، قال : هي التوحيد ، وأن محمداً رسول الله ، وأن علياً أمير المؤمنين .

شي: عن زرار ، عن أبي جعفر وحرمان ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: الصبغة الإسلام .

شي: عن عبد الرحمن بن كثير ، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله: صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة: قال: الصبغة معرفة أمير المؤمنين عليه السلام بالولاية في الميثاق .

بحار الأنوار: ٢٠٩/١: (ل: ماجيلويه ، عن محمد العطار ، عن الأشعري ، عن أحمد

بن محمد ، عن ابن معروف ، عن ابن مهزيار ، عن حكم بن بهلول ، عن ابن همام ، عن ابن أذينة ، عن أبان بن أبي عياش ، عن سليم بن قيس الهلالي قال: سمعت علياً عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول لأبي الطفيل عامر بن وائلة الكناني: يا أبو الطفيل العلم علماً: علم لا يسع الناس إلا النظر فيه وهو صبغة الإسلام ، وعلم يسع الناس ترك النظر فيه وهو قدرة الله عز وجل .

بيان: قال الفيروزآبادي: الصبغة بالكسر: الدين والملة ، وصبغة الله: فطرة الله ، أو التي أمر الله بها محمدًا عَلَيْهِ السَّلَامُ وهي الختانة. انتهى .

أقول: المراد بالصبغة هنا الملة أو كل ما يصبح الإنسان بلون الإسلام من العقائد الحقة ، والأعمال الحسنة ، والأحكام الشرعية .

وقدرة الله تعالى: لعل المراد بها هنا تقدير الأعمال ، وتعلق قدرة الله بخلقها ، أي علم القضاء والقدر والجبر والإختيار ، فإنه قد نهي عن التفكير فيها .

وفي نهج البلاغة: أنه قال أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ وقد سئل عن القدر فقال: طريق مظلم فلا تسلكوه. انتهى .

بحار الأنوار: ١٣٠/٦٧:

البقرة-١٣٨: صبغة الله وَمَنْ أَحْسَنْ مِنَ اللهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ الروم-٣٠:  
 فَأَقْمِ وَجْهَكَ لِلَّدِينِ حَنِيفًا فَطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ  
 ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيْمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ  
 كَ: عن علي ، عن أبيه ومحمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد جمیعاً ، عن ابن محبوب ، عن عبدالله بن سنان ، عن أبي عبدالله عَلَيْهِ السَّلَامُ في قول الله عز وجل: صبغة الله وَمَنْ أَحْسَنْ مِنَ اللهِ صِبْغَةً، قال: الإسلام .

بيان: قيل على هذه الأخبار يحتمل أن تكون (صبغة) منصوبة على المصدر من مسلمون في قوله تعالى قبل ذلك: لَا تُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ. ثم يحتمل أن يكون معناها وموردها مختصاً بالخواص والخاص المخاطبين (قولوا) في صدر الآيات حيث قال: قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْنَا ، دون سائر أفرادبني آدم بل يتعين هذا المعنى إن فسر الإسلام بالخصوص والانقياد للأوامر والنواهي كما فعلوه ، وإن فسر بالمعنى العرفي فتوجيه التعميم فيه كتوجيه التعميم في فطرة الله . . . .

وقيل: صبغة الله إبداع الممكناًت وإخراجها من العدم إلى الوجود وإعطاء كل ما يليق به من الصفات والغايات وغيرهما . . . .

وقيل: معناه كل مولود يولد على معرفة الله والإقرار به ، فلا تجد أحداً إلا وهو يقر بأن الله صانعه ، وإن سماه بغير اسمه أو عبد معه غيره ، ومنه حديث حذيفة (على غير فطرة محمد) أراد دين الإسلام الذي هو منسوب إليه. انتهى .

وقال بعضهم: المراد بالفطرة كونه خلقاً قابلاً للهداية ومتهيئاً لها ، لما أوجد فيه من القوة القابلة لها ، لأن فطرة الإسلام وصوابها موضوع في العقول ، وإنما يدفع العقول عن إدراكتها تغيير الآبوين ، أو غيرهما .

وأجيب عنه بأن حمل الفطرة على الإسلام لا يأبه العقل ، وظاهر الروايات يدل عليه . وحملها على خلاف الظاهر لا وجہ له من غير مستند .

... لا تبديل لخلق الله: أي بأن يكونوا كلهم أو بعضهم عند الخلق مشركين ، بل كان كلهم مسلمين مقررين به أو قابلين للمعرفة ، وأراهم نفسه: أي بالرؤى العقلية الشبيهة بالرؤى العينية في الظهور ليرسخ فيهم معرفته ، ويعرفوه في دار التكليف، ولو لا تلك المعرفة الميثاقية لم يحصل لهم تلك القابلية ، وفسر <sup>الثانية</sup> الفطرة في

ال الحديث بالمحبولة على معرفة الصانع والإذعان به. كذلك قوله في هذه الآية أيضاً محملة على هذا المعنى: ولئن سألهم، أي كفار مكة كما ذكره المفسرون أو الاعم كما هو الظاهر من الخبر ، ليقولن الله ، لفطرتهم على المعرفة. وقال البيضاوي: لوضوح الدليل المانع من إسناد الخلق إلى غيره ، بحيث اضطروا إلى إذعانه .

والمشهور أنه مبني على أن كفار قريش لم يكونوا ينكرون أن الصانع هو الله ، بل كانوا يعبدون الأصنام لزعمهم أنها شفاء عند الله ، وظاهر الخبر أن كل كافر لو خلي وطبعه وترك العصبية ومتابعة الأهواء وتقليد الأسلاف والآباء، لا يقر بذلك كما ورد ذلك الأخبار الكثيرة .

قال بعض المحققين: الدليل على ذلك ما ترى أن الناس يتوكلون بحسب الجبلة على الله ويتوجهون توجهاً غريزياً إلى مسبب الأسباب ومسهل الأمور الصعب ، وإن لم يتقطعوا بذلك، ويشهد لهذا قول الله عز وجل قال: أَرَأَيْتُكُمْ إِنْ أَنَّا كُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَنَّكُمُ السَّاعَةَ أَغْيَرُ اللَّهَ تَدْعُونَ إِنْ كُتُمْ صَادِقِينَ . بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَسْأُونَ مَا تُشْرِكُونَ .

وفي تفسير مولانا العسكري عَلَيْهِ أَنَّه سُئلَ مولانا الصادق عن الله فقال للسائل: يا عبد الله هل ركبت سفينة قط ؟ قال: بلى ، قال: فهل كسر بك حيث لا سفينة تنجيك ولا سباحة تغريك ؟ قال بلى ، قال: فهل تعلق قلبك هناك أن شيئاً من الأشياء قادر على أن يخلصك من ورطتك ؟ قال: بلى ، قال الصادق: فذلك الشيء هو الله القادر على الأنجاء حين لا منجي ، وعلى الإغاثة حين لا مغيث .

ولهذا جعلت الناس معدورين في تركهم اكتساب المعرفة بالله عز وجل متراكين على ما فطروا عليه، مرضياً عنهم بمجرد الإقرار بالقول ، ولم يكلفووا الإستدلالات

العلمية في ذلك ، وإنما التعمق لزيادة البصيرة ولطائفه مخصوصة. وأما الإستدلال فللرد على أهل الضلال .

ثم إن أفهام الناس وعقولهم متفاوتة في قبول مراتب العرفان ، وتحصيل الإطمئنان كماً وكيفاً ، شدةً وضعفاً ، سرعةً وبطئاً ، حالاً وعلماً ، وكشفاً وعياناً ، وإن كان أصل المعرفة فطرياً ، إما ضروري أو يهتدي إليه بأدنى تنبية ، فلكل طريقة هداه الله عز وجل إليها إن كان من أهل الهدایة ، والطرق إلى الله بعدد أنفاس الخلائق ، وهم درجات عند الله ، يرفع الدين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات .

قال بعض المنسوبين إلى العلم: إن علم أن أظهر الموجودات وأجلالها هو الله عز وجل ، فكأن هذا يقتضي أن يكون معرفته أول المعارف ، وأسبقها إلى الأفهام وأسهلها على العقول ، ونرى الأمر بالضد من ذلك ، فلا بد من بيان السبب فيه . وإنما قلنا إن أظهر الموجودات وأجلالها هو الله فمعنى لا تفهمه إلا بمثال ، هو: أنا إذا رأينا إنساناً يكتب أو يخيط مثلاً ، فإن كونه حياً من أظهر الموجودات في حياته وعلمه وقدرته للخياطة أجلى عندها من سائر صفاته الظاهرة والباطنة ، إذ صفاته الباطنة كشهوته وغضبه وخلقه وصحته ومرضه ، وكل ذلك لا نعرفه ، وصفاته الظاهرة لا نعرف بعضها ، وبعضاها نشك فيه ، كمقدار طوله ، واختلاف لون بشرته وغير ذلك من صفاته. أما حياته وقدرته وإرادته وعلمه وكونه حيواناً فإنه جلي عندها من غير أن يتعلق حس البصر بحياته وقدرته وإرادته ، فإن هذه الصفات لا تحس بشئ من الحواس الخمس ، ثم لا يمكن أن يعرف حياته وقدرته وإرادته إلا بخياطته وحركته ، فلو نظرنا إلى كل ما في العالم سواء لم نعرف به صفاته ، فما عليه إلا دليل واحد ، وهو مع ذلك جلي واضح .

ووجود الله وقدرته وعلمه وسائر صفاته يشهد له بالضرورة كل ما نشاهد وندركه بالحواس الظاهرة والباطنة من حجر ومدر ، ونبات وشجر ، وحيوان وسماء ، وأرض وكوكب ، وبر وبحر ، ونار وهواء ، وجوهر وعرض ، بل أول شاهد عليه أنفسنا ، وأجسامنا وأصنافنا ، وتقلب أحوالنا ، وتغير قلوبنا ، وجميع أطوارنا ، في حركاتنا وسكناتنا .

وأظهر الأشياء في علمنا أنفسنا ، ثم محسوساتنا بالحواس الخمس ، ثم مدركاتنا بالبصيرة والعقل ، وكل واحد من هذه المدركات له مدرك واحد ، وشاهد ودليل واحد ، وجميع ما في العالم شواهد ناطقة ، وأدلة شاهدة بوجود خالقها ومدبرها ومصرفها ومحركها ، ودالة على علمه وقدرته ولطفه وحكمته . وال الموجودات المدركة لا حصر لها .

فإن كانت حياة الكاتب ظاهرة عنده وليس يشهد له إلا شاهد واحد ، وهو ما أحسسنا من حركة يده ، فكيف لا يتصور في الوجود داخل نفوسنا وخارجها إلا وهو شاهد عليه وعلى عظمته وجلاله ، إذ كل ذرة فيها تنادي بسان حالها أنه ليس وجودها بنفسها ، ولا حركتها بذاتها وإنما يحتاج إلى موجد ومحرك لها ، يشهد بذلك أولاً تركيب أعضائنا واتلاف عظامنا ، ولحومنا وأعصابنا ونبات شعورنا ، وتشكل أطرافنا ، وسائر أجزائنا الظاهرة والباطنة ، فإننا نعلم أنها لم تأتلف بنفسها ، كما نعلم أن يد الكاتب لم تتحرك بنفسها . ولكن لما لم يبق في الوجود مدرك ، ومحسوس ومعقول ، وحاضر وغائب إلا وهو شاهد ومعرف عظم ظهوره ، فانهارت العقول ، ودهشت عن إدراكه .

فإذن ما يقصر عن فهمه عقولنا له سببان: أحدهما خفاوه في نفسه وغموضه ، وذلك لا يخفى مثاله ، والآخر ما يتناهى وضوحيه . وهذا كما أن الخفافش يبصر

بالليل ولا يبصر بالنهار ، لا لخفاء النهار واستداره ، ولكن لشدة ظهوره ، فإن بصر الخفاف ضعيف يبهره نور الشمس إذا أشراق ، فيكون قوة ظهوره مع ضعف بصره سبباً لامتناع أبصاره فلا يرى شيئاً إلا إذا امترج الظلام بالضوء ، وضعف ظهوره. فكذلك عقولنا ضعيفة ، وجمال الحضرة الإلهية في نهاية الأشراق والإستنارة وفي غاية الإستغراق والشمول ، حتى لا يشذ عن ظهوره ذرة من ملوكوت السماوات والأرض ، فصار ظهوره سبب خفائه ، فسبحان من احتجب بإشراق نوره ، واختفى عن البصائر والأبصار بظهوره . ولا تعجب من اختفاء ذلك بسبب الظهور ، فإن الأشياء تُسبّب بآضدادها وما عم وجوده حتى لا ضد له عسر إدراكه ، فلو اختلفت الأشياء فدل بعضها دون البعض أدركت التفرقة على قرب ، ولما اشتراك في الدلالة على نسق واحد أشكل الأمر. ومثاله نور الشمس المشرق على الأرض ، فإننا نعلم أنه عرض من الأعراض يحدث في الأرض ، ويزول عند غيبة الشمس . . . .

الدر المنشور: ١٥٥/٥

**فَأَقِمْ وَجْهَكَ . . . الْآيَة** . أخرج الفريابي وابن أبي شيبة وابن حرير وابن المنذر عن مجاهد (رض) قوله: **فَطَرَ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا**، قال: الدين الإسلام ، لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ، قال لدین الله .

وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهم في قوله: **لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ** ، قال: دين الله. ذلك الدين القيم ، قال: القضاء القيم .

### دور الفطرة في المعرفة والثقافة والحضارة

تفسير نور الثقلين: ١٧٥/٤

في توحيد المفضل بن عمر المنقول عن أبي عبدالله الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ في الرد على

الدهرية:

تأمل يا مفضل ما أنعم الله تقدست أسماؤه به على الإنسان من هذا النطق الذي يعبر به عما في ضميره وما يخطر بقلبه ونتيجة فكره ، به يفهم غيره ما في نفسه ، ولو لا ذلك كان بمنزلة البهائم المهمللة التي لا تخبر عن نفسها بشيء ، ولا تفهم عن مخبر شيئاً ، وكذلك الكتابة التي بها تقييد أخبار الماضين للباقين وأخبار الباقين للاتين وبها تجلد الكتب في العلوم والآداب وغيرها ، وبها يحفظ الإنسان ذكر ما يجري بينه وبين غيره من المعاملات والحساب ، ولو لاها لا نقطع أخبار بعض الأزمنة عن بعض وأخبار الغائبين عن أوطانهم ، ودرست العلوم وضاعت الآداب ، وعظم ما يدخل على الناس من الخلل في أمورهم ومعاملاتهم ، وما يحتاجون إلى النظر فيه من أمر دينهم وما روی لهم مما لا يسعهم جهله .

ولعلك تظن أنها مما يخلص إليه بالحيلة والفتنة ، وليس مما أعطيه الإنسان من خلقه وطباعه. وكذلك الكلام إنما هو شيء يصطلاح عليه الناس فيجري بينهم ، ولهذا صار يختلف في الأمم المختلفة بألسن مختلفة ، وكذلك الكتابة ككتابه العربي والسرياني وال عبراني والروماني وغيرها من سائر الكتابة التي هي متفرقة في الأمم ، إنما اصطلاحوا عليها كما اصطلاحوا على الكلام .

فيقال لمن ادعى ذلك إن الإنسان وإن كان له في الأمرين جميعاً فعل أو حيلة ، فإن الشيء الذي يبلغ به ذلك الفعل والحيلة عطية وهبّة من الله عز وجل في خلقه ، فإنه لولم يكن له لسان مهياً للكلام وذهن يهتدي به للأمور ، لم يكن ليتكلم أبداً ، ولو لم يكن له كف مهياً وأصابع للكتابة لم يكن ليكتب أبداً ، واعتبر ذلك من البهائم التي لا كلام لها ولا كتابة. فأصل ذلك فطرة الباري عز وجل ، وما تفضل به على خلقه ، فمن شكر أثيّب ، ومن كفر فإن الله غني عن العالمين .

## بحث في دور الفطرة والنبوة في الحياة الإنسانية

تفسير الميزان: ١٢٨/١٠:

قوله تعالى: **وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أَوْتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ.**

قد مر أن المراد به الإختلاف الواقع في نفس الدين من حملته ، وحيث كان الدين من الفطرة كما يدل عليه قوله تعالى:

**فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلَّدِينِ حَنِيقًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا . . . الرَّوْم : ٣٠**

على أن الفطرة لا تنافي الغفلة والشبهة ولكن تنافي التعمد والبغى ، ولذلك خص البغي بالعلماء ومن استبانت له الآيات الإلهية ، قال تعالى: **وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِنَّكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**. البقرة : ٣٩ ، والآيات في هذا المعنى كثيرة ، وقد قيد الكفر في جميعها بتكذيب آيات الله ثم أوقع عليه الوعيد. وبالجملة فالمراد بالآية أن هذا الإختلاف ينتهي إلى بغي حملة الكتاب من بعد علم . . .

وقد تبين من الآية:

**أولاً:** حد الدين ومعرفته وهو أنه نحو سلوك في الحياة الدنيا يتضمن صلاح الدنيا بما يوافق الكمال الآخروي والحياة الدائمة الحقيقة عند الله سبحانه ، فلابد في الشريعة من قوانين تتعرض لحال المعاش على قدر الإحتياج .

**وثانياً:** أن الدين أول ما ظهر ظهر رافعاً للإختلاف الناشئ عن الفطرة ، ثم استكمل رافعاً للإختلاف الفطري وغير الفطري معاً .

**وثالثاً:** أن الدين لا يزال يستكمل حتى تستوعب قوانينه جهات الإحتياج في الحياة فإذا

استوعبها ختم ختماً فلا دين بعده ، وبالعكس إذا كان دين من الأديان خاتماً كان مستوعباً لرفع جميع جهات الاحتياج ، قال تعالى: مَا كَانَ مُحَمَّدُ أَبَا أَحَدٍ مِّنْ رِجَالِكُمْ وَلَكُنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّنَ . الأحزاب : ٤٠ ، وقال تعالى: وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبَيَّنَ لِكُلِّ شَيْءٍ النَّحْلُ : ٨٩ ، وقال تعالى: إِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ . لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدِيهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ . حم السجدة : ٤٢ .

ورابعاً: أن كل شريعة لاحقة أكمل من سابقتها .

وخامساً: السبب في بعث الأنبياء وإنزال الكتب ، وبعبارة أخرى العلة في الدعوة الدينية هو أن الإنسان بحسب طبعه وفطرته سائر نحو الإختلاف ، كما أنه سالك نحو المجتمع المدني ، وإذا كانت الفطرة هي الهدادية إلى الإختلاف لم تتمكن من رفع الإختلاف ، وكيف يدفع شئ ما يجذبه إليه نفسه ، فرفع الله سبحانه هذا الإختلاف بالنبوة والتشريع بهداية النوع إلى كماله اللائق بحالهم المصلح لشأنهم .

وهذا الكمال كمال حقيقي داخل في الصنع والإيجاد ، فما هو مقدمته كذلك ، وقد قال تعالى: الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى . طه : ٥٠ ، فيبين أن من شأنه وأمره تعالى أن يهدي كل شئ إلى ما يتم به خلقه ، ومن تمام خلقة الإنسان أن يهتدي إلى كمال وجوده في الدنيا والآخرة ، وقد قال تعالى أيضاً: كُلَا نُمَدُّ هَوْلَاءِ وَهَوْلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا . الإسراء : ٢٠ ، وهذه الآية تفيد أن شأنه تعالى هو الإمداد بالعطاء يمد كل من يحتاج إلى إمداده في طريق حياته ووجوده ويعطيه ما يستحقه ، وأن عطاءه غير محظور ولا ممنوع من قبله تعالى إلا أن يمتنع ممتنع بسوء حظ نفسه من قبل نفسه لا من قبله تعالى .

ومن المعلوم أن الإنسان غير متمكن من تتميم هذه النقيصة من قبل نفسه ، فإن

فطرته هي المؤدية إلى هذه النقيصة ، فكيف يقدر على تتميمها وتسوية طريق السعادة والكمال في حياته الاجتماعية .

وإذا كانت الطبيعة الإنسانية هي المؤدية إلى هذا الاختلاف العائق للإنسان عن الوصول إلى كماله الحري به ، وهي فاقدة عن تدارك ما أدى إليه وإصلاح ما أفسدته فالإصلاح لو كان يجب أن يكون من جهة غير جهة الطبيعة وهي الجهة الإلهية التي هي النبوة بالوحي ، ولذا عبر تعالى عن قيام الأنبياء بهذا الأصلاح ورفع الاختلاف بالبعث ، ولم ينسبه في القرآن كله إلا إلى نفسه ، مع أن قيام الأنبياء كسائر الأمور له ارتباطات بالمادة بالروابط الزمانية والمكانية .

فالنبوة حالة إلهية ، وإن شئت قل غيبية ، نسبتها إلى هذه الحالة العمومية من الإدراك والفعل نسبة اليقظة إلى النوم ، بها يدرك الإنسان المعارف التي بها يرتفع الاختلاف والتناقض في حياة الإنسان ، وهذا الإدراك والتلقى من الغيب هو المسمى في لسان القرآن بالوحي ، والحالة التي يتخذها الإنسان منه لنفسه بالنبوة . ومن هنا يظهر أن هذا - أعني تأدية الفطرة إلى المجتمع المدني من جهة وإلى الاختلاف من جهة أخرى وعنته تعالى بالهداية إلى تمام الخلقة - مبدأ حجة على وجود النبوة ، وبعبارة أخرى دليل النبوة العامة .

تقريره: أن نوع الإنسان مستخدم بالطبع وهذا الاستخدام الفطري يؤديه إلى المجتمع المدني وإلى الاختلاف والفساد في جميع شؤون حياته الذي يقضي التكوين والإيجاد برفعه ، ولا يرتفع إلا بقوانين تصلاح الحياة الاجتماعية برفع الاختلاف عنها. وهداية الإنسان إلى كماله وسعادته بأحد أمرين ، إما بفطرته وإما بأمر ورائه ، لكن الفطرة غير كافية فإنها هي المؤدية إلى الاختلاف فكيف ترفعه ، فوجب أن يكون بهداية من غير طريق الفطرة والطبيعة وهو التفهيم

الإلهي غير الطبيعي المسمى بالنبوة والوحي ، وهذه الحجة مؤلفة من مقدمات مصري بها في كتاب الله تعالى كما عرفت فيما تقدم ، وكل واحدة من هذه المقدمات تجريبية بينتها التجربة للإنسان تاريخ حياة واجتماعاته المتنوعة التي ظهرت وانقرضت في طي القرون المترادفة الماضية إلى أقدم أعصار الحياة الإنسانية التي يذكرها التاريخ. فلا الإنسان انصرف في حين من أحيان حياته عن حكم الاستخدام ، ولا استخدامه لم يؤد إلى الإجتماع وقضى بحياة فردية ، ولا اجتماعه المكون خلا عن الاختلاف ، ولا الاختلاف ارتفع بغير قوانين اجتماعية ، ولا أن فطرته وعقله الذي يعده عقلاً سليماً قدرت على وضع قوانين تقطع منابت الاختلاف وتقلع مادة الفساد .

وناهيك في ذلك ما تشاهده من جريان الحوادث الاجتماعية وما هو نصب عينيك من انحطاط الأخلاق وفساد عالم الإنسانية والحروب المهلكة للحرث والنسل والمقاتل المبيدة للملاليين بعد الملاليين من الناس ، وسلطان التحكم ونفوذ الإستعباد في نفوس البشر وأعراضهم وأموالهم في هذا القرن الذي يسمى عصر المدنية والرقي والثقافة والعلم ، فما ظنك بالقرون الخالية أعصار الجهل والظلمة. وأما أن الصنع والإيجاد يسوق كل موجود إلى كماله اللائق به فأمر جار في كل موجود بحسب التجربة والبحث ، وكذا كون الخلقة والتكونين إذا اقتضى أثراً لم يقتض خلافه بعينه أمر مسلم ثبته التجربة والبحث ، وأما أن التعليم وال التربية الدينين الصادرين من مصدر النبوة والوحي يقدران على دفع هذا الاختلاف والفساد ، فأمر يصدقه البحث والتجربة معاً ، أما البحث فلان الدين يدعو إلى حقائق المعارف وفوائض الأخلاق ومحاسن الأفعال ، فصلاح العالم الإنساني مفروض فيه ، وأما التجربة فالإسلام أثبت ذلك في اليقين من الزمان الذي كان

الحاكم فيه على الإجتماع بين المسلمين هو الدين ، وأثبت ذلك بتربيه أفراد من الإنسان صلحت نفوسهم وأصلحوا نفوس غيرهم من الناس على أن جهات الكمال والعروق النابضة في هيكل الإجتماع المدني اليوم التي تضمن حياة الحضارة والرقي مرهونة للتقدم الإسلامي وسريانه في العالم الديني على ما تعطيه التجزية والتحليل من غير شك. انتهى .

وأنت تلاحظ أن صاحب الميزان رحمه الله فسر الفطرة بالغرائز الخيرة والشريرة معاً ، ولكن والذي يظهر من الأحاديث الشريفة اختصاصها ببعض الغرائز الخيرة .

تفسير الميزان: ١٥١/١١:

فلو كان في الدنيا خير مرجو وسعادة لوجب أن ينسب إلى الدين وتربيته. ويشهد بذلك ما نشاهده من أمر الأمم التي بنت اجتماعها على كمال الطبيعة وأهملت أمر الدين والأخلاق فإنهم لم يلبثوا دون أن افتقدوا الصلاح والرحمة والمحبة وصفاء القلب وسائر الفضائل الخلقية والفطرية ، مع وجود أصل الفطرة فيهم ، ولو كانت أصل الفطرة كافية ولم تكن هذه الصفات بين البشر من البقايا الموروثة من الدين ، لما افتقدوا شيئاً من ذلك .

على أن التاريخ أصدق شاهد على الإقباسات التي عملتها الأمم المسيحية بعد الحروب الصليبية فاقتبسوا مهام النكبات من القوانين العامة الإسلامية فتقلدوها وتقديموا بها ، والحال أن المسلمين اتخذوها وراءهم ظهرياً فتأخر هؤلاء وتقديم أولئك .. والكلام طويل الذيل .

وبالجملة الأصلان المذكوران - أعني السراية والوراثة وهما التقليد الغريزي في الإنسان والتحفظ على السيرة المألفة - يوجبان نفوذ الروح الديني في

الإجتماعات كما يوجبان في غيره ذلك ، وهو تأثير فعلي .

فإن قلت: فعلى هذه فما فائدة الفطرة فإنها لا تغني طائلاً ، وإنما أمر السعادة بيد النبوة ، وما فائدة بناء التشريع على أساس الفطرة على ما تدعيه النبوة .

قلت: ما قدمناه في بيان ما للفطرة من الإرتباط بسعادة الإنسان وكماله يكفي في حل هذه الشبهة ، فإن السعادة والكمال الذي تجلبه النبوة إلى الإنسان ليس أمراً خارجاً عن هذا النوع ولا غريباً عن الفطرة ، فإن الفطرة هي التي تهتدي إليه لكن هذا الإهتداء لا يتم لها بالفعل وحدها من غير معين يعينها على ذلك ، وهذا المعين الذي يعينها على ذلك وهو حقيقة النبوة ليس أيضاً أمراً خارجاً عن الإنسانية وكمالها منضماً إلى الإنسان كالحجر الموضوع في جنب الإنسان مثلاً ، وإلا كان ما يعود منه إلى الإنسان أمراً غير كماله وسعادته كالشلل الذي يضifie الحجر إلى نقل الإنسان في وزنه ، بل هو أيضاً كمال فطري للإنسان مذكور في هذا النوع وهو شعور خاص وإدراك مخصوص مكمون في حقيقته لا يهتدي إليه بالفعل إلا آحاد من النوع أخذتهم العناية الإلهية ، كما أن للبالغ من الإنسان شعوراً خاصاً بلذة النكاح لا تهتدي إليه بالفعل بقية الأفراد غير البالغين بالفعل ، وإن كان الجميع من البالغ وغير البالغ مشتركين في الفطرة الإنسانية والشعور شعوراً مرتبط بالفطرة. وبالجملة لاحقيقة النبوة أمر زائد على إنسانية الإنسان الذي يسمى نبياً وخارج عن فطرته، ولا السعادة التي تهتدي سائر الأمة إليها أمر خارج عن إنسانيتهم وفطرتهم غريب عما يستأنسه وجودهم الإنساني ، وإن لم تكن كمالاً وسعادة بالنسبة إليهم .

فإن قلت: فيعود الإشكال على هذا التقرير إلى النبوة فإن الفطرة على هذا كافية وحدها والنبوة غير خارجة عن الفطرة . فإن المتحصل من هذا الكلام هو أن

النوع الإنساني المتمدن بفطرته وال مختلف في اجتماعه يتميز من بين أفراده آحاد من الصالحة فطرتهم مستقيمة وعقولهم سليمة عن الأوهام والتهوّسات ورذائل الصفات ، فيهتدون بإستقامة فطرتهم وسلامة عقولهم إلى ما فيه صلاح الإجتماع وسعادة الإنسان فيضعون قوانين فيها مصلحة الناس وعمان الدنيا والآخرة ، فإن النبي هو الإنسان الصالح الذي له نبوغ اجتماعي .

قلت: كلا وإنما هو تفسير لا ينطبق على حقيقة النبوة ولا ما تستتبعه .

أما أولاً ، فلان ذلك فرض افترضه بعض علماء الإجتماع ممن لا قدم له في البحث الديني والفحص عن حقائق المبدأ والمعاد. فذكر أن النبوة نبوغ خاص اجتماعي استتبعته استقامة الفطرة وسلامة العقل ، وهذا النبوغ يدعوا إلى الفكر في حال الإجتماع وما يصلح به هذا الإجتماع المختل وما يسعد به الإنسان الاجتماعي فهذا النابغة الاجتماعي هو النبي والفكر الصالح المترشح من قواه الفكرية هو الوحي ، والقوانين التي يجعلها لصلاح الإجتماع هو الدين ، وروحه الظاهر الذي يفيض هذه الأفكار إلى قواه الفكرية ولا يخون العالم الإنساني بإتباع الهوى هو الروح الأمين وهو جبرائيل ، والموحي الحقيقي هو الله سبحانه والكتاب الذي يتضمن أفكاره العالية الظاهرة هو الكتاب السماوي ، والملائكة هي القوى الطبيعية أو الجهات الداعية إلى الخير ، والشيطان هي النفس الإمارة بالسوء أو القوى أو الجهات الداعية إلى الشر والفساد ، وعلى هذا القياس . وهذا فرض فاسد وقد مر في البحث عن الإعجاز ، وأن النبوة بهذا المعنى لأن تسمى لعبة سياسية أولى بها من أن تسمى نبوة إلهية .

وقد تقدم أن هذا الفكر الذي يسمى هؤلاء الباحثون نبوغه الخاص نبوة ، من خواص العقل العملي الذي يميز بين خير الأفعال وشرها بالمصلحة والمفسدة ،

وهو أمر مشترك بين العقلاة من أفراد الإنسان ومن هداية الفطرة المشتركة ، وتقديم أيضاً إن هذا العقل بعينه هو الداعي إلى الاختلاف ، وإذا كان هذا شأنه لم يقدر من حيث هو كذلك على رفع الاختلاف واحتاج فيه إلى متمم يتمم أمره ، وقد عرفت أنه يجب أن يكون هذا المتمم نوعاً خاصاً من الشعور يختص به بحسب الفعلية بعض الآحاد من الإنسان ، وتهتدي به الفطرة إلى سعادة الإنسان الحقيقية في معاشه ومعاده .

ومن هنا يظهر أن هذا الشعور من غير سُنخ الشعور الفكري ، بمعنى أن ما يجده الإنسان من النتائج الفكرية من طريق مقدماتها العقلية ، غير ما يجده من طريق الشعور النبوي والطريق غير الطريق .

ولا يشك الباحثون في خواص النفس في أن في الإنسان شعوراً نفسياً باطنياً ، ربما يظهر في بعض الآحاد من أفراده يفتح له باباً إلى عالم وراء هذا العالم ، ويعطيه عجائب من المعارف والمعلومات وراء ما يناله العقل والفكر ، صرح به جميع علماء النفس من قدمائنا وجمع من علماء النفس من أوروبا مثل جمز الإنجليزي وغيره .

فقد تحصل أن باب الوحي النبوي غير باب الفكر العقلي ، وأن النبوة وكذا الشريعة والدين والكتاب والملك والشيطان لا ينطبق عليها ما اختلفوا من المعاني.

### أمور ورد أنها من الفطرة

من لا يحضره الفقيه: ١٣٠/١:

وقال رسول الله ﷺ: إن المجنوس جزوا لحاصم ووفروا شواربهم ، وإنما نجز الشوارب وننفعي اللحى ، وهي الفطرة. انتهى. ورواه في وسائل الشيعة: ٤٢٣/١

حدثنا أبو أحمد محمد بن جعفر البندار ، قال حدثنا جعفر بن محمد بن نوح ، قال حدثنا أبو محمد عبد الله بن أحمد بن حماد من أهل قومس ، قال حدثنا أبو محمد الحسن بن علي الحلواني ، قال حدثنا بشر بن عمر ، قال حدثنا مالك بن أنس ، عن سعيد بن أبي سعيد المقبري ، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: خمس من الفطرة: تقليم الأظفار: وقص الشارب ، وتنف الابط ، وحلق العانة ، والإختنان . انتهى . ورواه في وسائل الشيعة: ٤٣٤/١

مستدرك الوسائل: ١٢٠/٢

دعائم الإسلام: عن أمير المؤمنين أنه قال: من الفطرة أن يستقبل بالعليل القبلة إذا احتضر. انتهى. ورواه في بحار الأنوار: ٢٤٣/٨٥ وروى نحوه الحاكم في المستدرك: ٣٥٣/١ والبيهقي في سننه: ٣٨٤/٣

الكافي: ٤٩٦/٥

عدة من أصحابنا ، عن سهل بن زياد ، عن محمد بن الحسن بن شمون ، عن عبد الله بن عبد الرحمن ، عن مسمع أبي سيار ، عن أبي عبد الله علّي قال: قال رسول الله ﷺ: من أحب أن يكون على فطرتي فليستن بستي وإن من سنتي النكاح .

بحار الأنوار: ٢٦٣/٢٢

كما: العدة ، عن سهل ، عن جعفر بن محمد الأشعري ، عن ابن القداح عن أبي عبد الله علّي قال: جاءت امرأة عثمان بن مظعون إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله إن عثمان يصوم النهار ويقوم الليل، فخرج رسول الله ﷺ مغضباً يحمل نعليه

حتى جاء إلى عثمان فوجده يصلي ، فانصرف عثمان حين رأى رسول الله ﷺ  
فقال له: يا عثمان لم يرسلني الله بالرهبانية، ولكن بعثني بالحنفية السهلة السمحاء،  
أصوم وأصلي وأمس أهلي، فمن أحب فطرتي فليستن بستي ومن ستي النكاح.

بخار الأنوار: ٢٢٠/١٠٣:

جع: قال ﷺ: النكاح ستي فمن رغب عن ستي فليس مني .  
وقال: تناكحوا تكثروا فإنني أباهمي بكم الأمم يوم القيمة ولو بالسقوط .

وروى البخاري في صحيحه: ٥٦٧:

... عن ابن عمر رضي الله عنهمما عن النبي (ص) قال: من الفطرة قص الشارب ...  
عن أبي هريرة رواية الفطرة خمس أو خمس من الفطرة: الختان ، والاستحداد ،  
وتنف الابط ، وتقليم الأظفار ، وقص الشارب .

... عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهمما أن رسول الله (ص) قال: من الفطرة حلق  
العانية ، وتقليم الأظفار ، وقص الشارب .

... عن أبي هريرة (رض) سمعت النبي (ص) يقول: الفطرة خمس: الختان ،  
 والاستحداد ، وقص الشارب ، وتقليم الأظفار ، وتنف الابط .

... عن ابن عمر عن النبي (ص) قال: خالفوا المشركين ، ووفرروا اللحى واحفوا  
الشوارب . انتهى . وروى نحوه في: ١٤٣/٧ ورواه النسائي: ١/١٤

وروى مسلم في: ١٥٣/١: عن عائشة . . . قالت: قال رسول الله (ص): عشر من  
الفطرة: قص الشارب، وإعفاء اللحية ، والسواك ، واستنشاق الماء ، وقص الأظفار  
، وغسل البراجم ، وتنف الابط ، وحلق العانية ، وانتقاص الماء. قال زكريا: قال

صعب: ونسية العاشرة إلا أن تكون المضمضة ، زاد قتيبة قال وكيع: انتقاد الماء ، يعني الإستنجاء. انتهى. ورواه النسائي: ١٢٦/٨ ونحوه في سنن ابن ماجة: ١٠٧/١ والبيهقي في سننه: ١/٣ .

وروى في كنز العمال: ٥٢٠/٩: عن مجاهد قال: غسل الدبر من الفطرة .

### أمور ورد أنها تضر بالفطرة

الكافي: ٤٠٠/٢: عدّة من أصحابنا ، عن أحمد بن أبي عبدالله ، عن عثمان بن عيسى ، عن رجل عن عبد الله عليه السلام قال: من شك في الله بعد مولده على الفطرة لم يفئ إلى خير أبداً .

شرح الأسماء الحسني: ٤٣/٢:

اللهم إن الطاعة تسرك والمعصية لا تضرك ، فهب لي ما يسرك ، واغفر لي ما لا يضرك ، يا أرحم الراحمين .

أي: لو خلitti يا إلهي ونفسي الخائنة الجانية وأوهامي المؤملة المرجية ، فمن يزيل آثار زلاتي الجمة الكثيرة ، كما هو مقتضى الجمع المضاف المفيد للعموم ، لأن إمهال العظيم الصبور مديد موفر ، فإذا استحكمت الملكات الرذيلة وتجوهرت العادات السيئة صارت طبيعة ثانية مخالفة للفطرة الأولى الإسلامية (المحكمة الراسخة كيماً) والذاتي لا يتبدل ، والنفس موضوع بسيط ولا ضد له .

تهذيب الأحكام: ٢٦٩/٣: ... عن زرار و محمد بن مسلم قالا: قال أبو جعفر عليه السلام: كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: من قرأ خلف إمام يأتى به فمات بعث على غير الفطرة .

كنز العمال: ٢٨٦/٨: عن علي قال: من قرأ خلف الإمام فقد أخطأ الفطرة. ليس من الفطرة القراءة مع الإمام.

كنز العمال: ٦٢/٣: لن تزال أمتى على الفطرة ما لم يتخذوا الأمانة مغناً ، والزكاة مغراً ، عن ثوبان .

صحيح البخاري: ١٩٢/١: شعبة عن سليمان ، قال سمعت زيد بن وهب قال رأى حذيفة رجلاً لا يتم الركوع والسجود قال: ما صلิต ، ولو مت مت على غير الفطرة التي فطر الله محمداً(ص). انتهى. ونحوه في سنن البيهقي: ٣٨٦/٢ ، وكنز العمال: ٢٠٠/٨ ، ومسند أحمد: ٣٨٤/٥ .



## الفصل الرابع

تقوية الفطرة وتضييقها وإساءة استعمالها



## قابلية الفطرة للتقوية والتخرير

بحار الأنوار: ٢٦٩/٧٣:

... ثم الناس في هذه القوة على درجات ثلاثة في أول الفطرة وبحسب ما يطرأ عليها من الأمور الخارجة من التفريط والإفراط والاعتدال ، أما التفريط فيفقد هذه القوة أو يضعفها بأن لا يستعملها فيما هو محمود عقلاً وشرعاً مثل دفع الضرر عن نفسه على وجه سائع ، والجهاد مع أعدائه والبطش عليهم ، وإقامة الحدود على الوجه المعتبر ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فتحصل فيه ملكة الجن بل ينتهي إلى عدم الغيرة على حرمته وأشباه ذلك. انتهى. أقول: ويدل عليه أيضاً قوله ﷺ (ولكن أبواه يهودانه أو ينصرانه) .

بحار الأنوار: ٣٧٢/٦٠:

الإقبال: عن الحسين بن علي (عليه السلام) في دعاء يوم عرفة:  
... ابتدأتنى بنعمتك قبل أن أكون شيئاً مذكوراً وخلقتني من التراب ، ثم أسكنتني الأصلاب ، آمناً لريب المنون واختلاف الدهور ، فلم أزل ظاعناً من صلب إلى رحم في تقادم الأيام الماضية والقرون الخالية ، لم تخرجني لرأفتك

بي ولطفك لي وإحسانك إلي في دولة أئمة الكفرة الذين نقضوا عهدهك، وكذبوا رسلك ، لكنك أخرجتني رأفةً منك وتحنناً علي للذى سبق لي من الهدى الذين يسرتني وفيه أنسأتهني ، ومن قبل ذلك رؤفت بي بجميل صنفك ، وسوابع نعمتك ، فابتدعت خلقى ، من مني يمني ، ثم أسكنتني في ظلمات ثلاث بين لحم وجلد ودم، لم تشهرني بخلقي ، ولم تجعل إلي شيئاً من أمري ، ثم أخرجتني إلى الدنيا تماماً سوياً، وحفظتني في المهد طفلاً صبياً ، ورزقني من الغذاء لبناً مريضاً، وعطفت على قلوب الحواضن ، وكفلتني الأمهات الرحائم ، وكلاطني من طوارق الجان ، وسلمتني من الزيادة والنقسان ، فتعالىت يا رحيم يا رحمن .

حتى إذا استهلكت ناطقاً بالكلام ، أتممت على سوابع الانعام ، فريتني زائداً في كل عام حتى إذا كملت فطرتي ، واعتدلت سريرتي ، أوجبت علي حجتك بأن ألهمني معرفتك ، وروعتني بعجائب فطرتك ، وأنطقتني لما ذرأت لي في سمائك وأرضك من بداع خلقك ، ونبهتني لذكرك وشكرك ، وواجب طاعتك وعبادتك ، وفهمتني ما جاءت به رسلك.. إلخ. انتهى .

قال المجلسي رحمه الله إشارة إلى قوة الأعضاء والقوى الظاهرة ، واعتدال السريرة إلى كمال القوى الباطنة ... أقيمت في روعي أي قلبي عجائب الفطرة ، لكنه بعيد عن الشائع في إطلاق هذا اللفظ بحسب اللغة. انتهى .

أقول: الظاهر أن معناه: جعلتني أدرك روائع وعجائب ما فطرته من مخلوقاتك .

تفسير الميزان: ١٧٨/١٦:

الفطرة بناء نوع من الفطر بمعنى الإيجاد والإبداع ، وفطرة الله منصوب على الأغراء أي إلزم الفطرة، فيه إشارة إلى أن هذا الدين الذي يجب إقامة الوجه له، هو الذي تهتف به الخلقه وتهدي إليه الفطرة الإلهية التي لا تبديل لها .

وذلك أنه ليس الدين إلا سنة الحياة والسبيل التي يجب على الإنسان أن يسلكها حتى يسعد في حياته ، فلا غاية للإنسان يتبعها إلا السعادة ، وقد هدى كل نوع من أنواع الخلقة إلى سعادته التي هي بغية حياته بفطرته ونوع خلقته ، وجهزه في وجوده بما يناسب غايته من التجهيز ، قال تعالى: **رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى**. طه: ٥٠ ، وقال: **الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى وَالَّذِي قَدَرَ فَهَدَى**. الأعلى: ٣ . فالإنسان كسائر الأنواع المخلوقة مفطور بفطرة تهديه إلى تتميم نوافذه ورفع حوائجه وتهتف له بما ينفعه وما يضره في حياته ، قال تعالى: **وَنَفْسٌ وَمَا سَوَّا هَا فَالْهَمَّهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا الشَّمْسُ** : ٨ ، وهو مع ذلك مجهز بما يتم له به ما يجب له أن يقصد من العمل ، قال تعالى: **ثُمَّ السَّبِيلَ يَسِّرْهُ** . عبس: ٢٠ .

فللإنسان فطرة خاصة تهديه إلى سنة خاصة في الحياة وسبيل معينة ذات غاية مشخصة ليس له إلا أن يسلكها خاصة ، وهو قوله: **فَطْرَةُ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا** ، وليس الإنسان العائش في هذه النشأة إلا نوعاً واحداً لا يختلف ما ينفعه وما يضره بالنظر إلى هذه البنية المؤلفة من روح وبدن ، فما للإنسان من جهة أنه إنسان إلا سعادة واحدة وشقاء واحد ، فمن الضروري حينئذ أن يكون تجاه عمله سنة واحدة ثابتة يهديه إليها هاد واحد ثابت ، ول يكن ذاك الهدادي هو الفطرة ونوع الخلقة ، ولذلك عقب قوله: **فَطْرَةُ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا** ، بقوله: لا **تَبْدِيلٌ لِخَلْقِ اللَّهِ** ، فلو اختلفت سعادة الإنسان باختلاف أفراده لم ينعقد مجتمع واحد صالح يضمن سعادة الأفراد المجتمعين ، ولو اختلفت السعادة باختلاف الأقطار التي تعيش فيها الأمم المختلفة بمعنى أن يكون الأساس الوحيد للسنة الاجتماعية ، أعني الدين هو ما يقتضيه حكم المنطقة ، كان الإنسان أنواعاً مختلفة باختلاف الأقطار ، ولو اختلفت السعادة باختلاف الأزمنة ، بمعنى أن

تكون الأعصار والقرون هي الأساس الوحيد للسنة الدينية، اختلفت نوعية كل قرن وجيل مع من ورثوا من آبائهم أو أخلفوا من أبنائهم، ولم يسر الإجتماع الإنساني سير التكامل، ولم تكن الإنسانية متوجهة من النقص إلى الكمال ، إذ لا يتحقق النقص والكمال إلا مع أمر مشترك ثابت محفوظ بينهما .

وليس المراد بهذا إنكار أن يكون لاختلاف الأفراد أو الأمكانة أو الأزمنة بعض التأثير في انتظام السنة الدينية في الجملة ، بل إثبات أن الأساس للسنة الدينية هو البنية الإنسانية التي هي حقيقة واحدة ثابتة مشتركة بين الأفراد ، فالإنسانية سنة واحدة ثابتة بثبات أساسها الذي هو الإنسان ، وهي التي تدير رحى الإنسانية مع ما يلحق بها من السنن الجزئية المختلفة باختلاف الأفراد أو الأمكانة أو الأزمنة. وهذا هو الذي يشير إلى قوله بعد ذلك: **الَّذِينُ قَيَّمُوا لَكُنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ** . . . . وللقوم في مفردات الآية ومعناها أقوال أخرى متفرقة ، منها: أن المراد بإقامة الوجه تسديد العمل ، فإن الوجه هو ما يتوجه إليه وهو العمل وإقامته تسدده . وفيه أن وجه العمل هو غايته المقصودة منه وهي غير العمل ، والذي في الآية هو: **فَأَقِمْ وَجْهَكَ** ، ولم يقل فأقم وجه عملك . . . .

ومنها ، أن لا في قوله: **لَا تُبَدِّلَ لَخْلُقَ اللَّهِ** ، تفيد النهي أي لا تبدلوا خلق الله أي دينه الذي أمرتم بالتمسك به ، أولاً تبدلوا خلق الله بإنكار دلالته على التوحيد ، ومنه من نسب إلى ابن عباس أن المراد به النهي عن الخصاء .

وفيه ، أن لا دليل على أخذ الخلق بمعنى الدين ولا موجب لتسمية الأعراض عن دلاله الخلقة أو إنكارها تبديلاً لخلق الله ، وأما ما نسب إلى ابن عباس ففساده ظاهر .

ومنها ، ما ذكره الرازي في التفسير الكبير قال: ويحتمل أن يقال خلق الله الخلق

لعبادته وهم كلهم عبيد لا تبديل لخلق الله ، أي ليس كونهم عبيداً مثل كون المملوك عبداً للإنسان فإنه ينتقل عنه إلى غيره ويخرج عن ملكه بالعتق ، بل لا خروج للخلق عن العبادة والعبودية. وهذا لبيان فساد قول من يقول العبادة لتحصيل الكمال والعبد يكمل بالعبادة فلا يبقى عليه تكليف ، وقول المشركين إن الناقص لا يصلح لعبادة الله، وإنما الإنسان عبد الكواكب والكواكب عبيد الله، وقول النصارى إن عيسى كان يحل الله فيه وصار إليها ، فقال: لا تبديل لخلق الله بل كلهم عبيد لا خروج لهم عن ذلك. إنتهى .

وفيه، أنه مغالطة بين الملك والعبادة التكويين والمملوك والعبادة التشريعين، فإن ملكه تعالى الذي لا يقبل الانتقال والبطلان ملك تكويوني بمعنى قيام وجود الأشياء به تعالى ، والعبادة التي بإزائه عبادة تكوينية وهو خصوّع ذات الأشياء له تعالى ، ولا تقبل التبديل والترك كما في قوله: وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ إِسْرَاءٌ :٤٤ .

وأما العبادة الدينية التي تقبل التبديل والترك فهي عبادة تشريعية بإزاء الملك التشريعي المعتبر له تعالى ، فأفهمه. ولو دل قوله لا تبديل لخلق الله على عدم تبديل الملك والعبادة والعبودية لدل على التكويوني منهما ، والذي يبدل القائلون بارتفاع التكليف عن الإنسان الكامل أو بعبادة الكواكب أو المسيح ، فإنما يعنون به التشريعي منهما .

تفسير الميزان: ٣١٢/٥

البيانات القرآنية تجري في بث المعارف الدينية وتعليم الناس العلم النافع هذا المجرى ، وتراعي الطرق المتقدمة التي عينتها للحصول على المعلومات ، فما كان من الجزئيات التي لها خواص تقبل الاحساس فإنها تصرّح فيها إلى

الحواس كالأيات المشتملة على قوله: ألم تر، أفل يرون ، أفرأيتم، أفل تبصرون، وغير ذلك .

وما كان من الكليات العقلية مما يتعلق بالأمور الكلية المادية ، أو التي هي وراء عالم الشهادة ، فإنها تعتبر فيها العقل اعتباراً جازماً وإن كانت غائبة عن الحس خارجة عن محيط المادة والماديات كغالب الآيات الراجعة إلى المبدأ والمعاد المشتملة على أمثال قوله: **لَقَوْمٌ يَعْقِلُونَ، لَقَوْمٌ يَهْكِرُونَ، لَقَوْمٌ يَدَّكَرُونَ، يَقْهُونَ** ، وغيرها. وما كان من القضايا العملية التي لها مساس بالخير والشر والنافع والضار في العمل والتقوى والفساد ، فإنها تستند فيها إلى الإلهام الإلهي بذكر ما بتذكره يشعر الإنسان بإلهامه الباطني كالأيات المشتملة على مثل قوله: **ذَلِكُمْ خُرُّكُمْ، فَإِنَّهُ أَثْمٌ فِيْهِ، وَالْإِثْمَ وَالْبُنْيَ بَغِيرِ الْحَقِّ، إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي، وَغَيْرَهَا، وَعَلَيْكَ بِالْتَّدْبِيرِ فِيْهَا.**

ومن هنا يظهر أولاً أن القرآن الكريم يخطئ طريق الحسين وهم المعتمدون على الحس والتجربة النافذة للأحكام العقلية الصرفية في الابحاث العلمية، وذلك أن أول ما يهتم القرآن به في بيانه هو أمر توحيد الله عز اسمه ، ثم يرجع إليه ويبني عليه جميع المعارف الحقيقة التي يبيّنها ويدعو إليها .

ومن المعلوم أن التوحيد أشد المسائل ابتعاداً من الحس وبينونه للمادة وارتباطاً بالأحكام العقلية الصرفية. والقرآن يبيّن أن هذه المعارف الحقيقة من الفطرة ، قال: **فَكَفِّرْ وَجْهَكَ لِلَّدِينِ حَيْنَفَا فَطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تُبَدِّلَ لِخَلْقِ اللَّهِ.** الروم : ٣٠ أي أن الخلقة الإنسانية نوع من الإيجاد يستتبع هذه العلوم والإدراكات ، ولا معنى لتبدل خلق إلا أن يكون نفس التبدل أيضاً من الخلق والإيجاد ، وأما تبدل الإيجاد المطلق أي إبطال حكم الواقع فلا يتصور له معنى ، فلن يستطيع الإنسان وحاشا ذلك أن يبطل علومه الفطرية ويسلك في الحياة سبيلاً آخر غير سبيلها

البنة .

وأما الانحراف المشهود عن أحكام الفطرة فليس إبطالاً لحكمها ، بل استعمالاً لها غير ما ينبغي من نحو الإستعمال ، نظير ما ربما يتافق أن الرامي لا يصيّب الهدف في رميته ، فإن آلة الرمي وسائر شرائطه موضوعه بالطبع للإصابة ، إلا أن الإستعمال يوقعها في الغلط ، والسكاكين والمناشير والمثاقب والإبر وأمثالها إذا عبّثت في الماكينات تعبئة معوجة تعمل عملها الذي فطرت عليه بعينه من قطع أو نشر أو ثقب وغير ذلك ، لكن لا على الوجه المقصود ، وأما الإنحراف عن العمل الفطري كأن يخاطب بنشر المنشار بأن يعرض المنشار فعل الإبرة من فعل نفسه فيضع الخيطة موضع النشر ، فمن المحال ذلك .

وهذا ظاهر لمن تأمل عامة ما استدل به القوم على صحة طريقهم ، كقولهم إن الأبحاث العقلية المحضة والقياسات المؤلفة من مقدمات بعيدة من الحس يكثر وقوع الخطأ فيها ، كما يدل عليه كثرة الاختلافات في المسائل العقلية المحضة ، فلا ينبغي الاعتماد عليها لعدم إطمئنان النفس إليها. وقولهم في الإستدلال على صحة طريق الحس والتجربة إن الحس آلة لنيل خواص الأشياء بالضرورة وإذا أحس بأثر في موضوع من الموضوعات على شرائط مخصوصة ثم تكرر مشاهدة الأثر معه مع حفظ تلك الشرائط بعينها من غير تخلف واختلاف ، كشف ذلك عن أن هذا الأثر خاصة الموضوع من غير اتفاق ، لأن الاتفاق (الصادفة) لا يدوم البنة .

والدلائل كما ترى سيقاً لإثبات وجوب الاعتماد على الحس والتجربة ورفض السلوك العقلي المحض ، مع كون المقدمات المأخوذة فيهما جمياً مقدمات عقلية خارجة عن الحس والتجربة ، ثم أريد بالأخذ بهذه المقدمات العقلية

إبطال الأخذ بها، وهذا هو الذي تقدم أن الفطرة لن تبطل البة ، وإنما يغلط الإنسان في كيفية استعمالها .

### قدوات البشرية في فطرتهم المستقيمة

آدم عليه السلام فطرة الله تعالى

الصحيفة السجادية: ٣٩/٢

في الصلاة على آدم عليه السلام: اللهم وآدم بديع فطرتك ، وأول معترف من الطين بربوبتك ، وبكر حجتك على عبادك وبريتك .

بحار الأنوار: ١٠١/٢٣٠

(زيارة أخرى) رواها الكفعمي في البلد الأمين عن الصادق عليه السلام قال: إذا وصلت إلى الفرات فاغتسل وألبس أنظف ثوب تقدر عليه ، ثم صر إلى القبر حافياً وعليك السكينة والوقار ، وقف بالباب وكبر أربعاً وثلاثين تكبيرة وقل: السلام عليك يا وارث آدم فطرة الله ، السلام عليك يا وارث نوح صفوة الله .

### إبراهيم عليه السلام إمام الإستقامة على الفطرة

الصحيفة السجادية: ٢٥٦/٢

... يا موضع كل شكوى ، ويَا شاهد كل نجوى ، ويَا عالم كل خفية ، ويَا دافع كل بلية ، يا كرييم العفو ، يا حسن التجاوز ، توفني على ملة إبراهيم وفطرته ، وعلى دين محمد وسنته ، وعلى خير الوفادة فتويني ، مواليًا لأوليائك ومعاديًا لأعدائك. اللهم إني أسائلك التوفيق لكل عمل أو قول أو فعل يقربني إليك زلفي، يا أرحم الراحمين .

الكافي: ٣٦٦/٨:

علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر ، عن أبان بن عثمان عن حجر ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: خالف إبراهيم عليه السلام قومه وعاب آلهتهم حتى أدخل على نمرود فخاصمه ، فقال إبراهيم عليه السلام: ربِّي الذي يحيي ويميت قال: أنا أحسي وأميّت . قال إبراهيم: إِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأَتَ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ ، فَبَهَتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ .

وقال أبو جعفر عليه السلام: عاب آلهتهم فنظر نظرة في النجوم فقال إني سقيم ، قال أبو جعفر عليه السلام: والله ما كان سقيماً وما كذب ، فلما تولوا عنه مدبرين إلى عيد لهم دخل إبراهيم عليه السلام إلى آلهتهم بقدوم فكسرها إلا كثيراً لهم ووضع القدوم في عنقه ، فرجعوا إلى آلهتهم فنظروا إلى ما صنع بها فقالوا: لا والله ما اجترأ عليها ولا كسرها إلا الفتى الذي كان يعيثها ويبرأ منها ، فلم يجدوا له قتلةً أعظم من النار ، فجمعوا له الحطب واستجادوه ، حتى إذا كان اليوم الذي يحرق فيه برز له نمرود وجنوده وقد بنى له بناء لينظر إليه كيف تأخذه النار ، ووضع إبراهيم عليه السلام في منجنيق ، وقالت الأرض: يا رب ليس على ظهري أحد يعبدك غيره يحرق بالنار؟ قال رب: إن دعاني كفيته .

فذكر أبان عن محمد بن مروان ، عن رواه عن أبي جعفر عليه السلام أن دعاء إبراهيم عليه السلام يومئذ كان ( يا أحد يا أحد ، يا صمد يا صمد ، يا من لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد . ثم قال: توكلت على الله ) فقال الرب تبارك وتعالى: كفيت ، فقال للنار: كُوْنِي بِرْدًا . قال فاضطربت أسنان إبراهيم عليه السلام من البرد حتى قال الله عز وجل: وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ . وانحنيت جبريل عليه السلام وإذا هو جالس مع إبراهيم عليه السلام

يحدثه في النار ، قال نمرود: من اتخذ إلهاً فليتخذ مثل إله إبراهيم ! قال: فقال عظيم من عظمائهم: إني عزمت على النار أن لا تحرقه ، قال فأخذ عنق من النار نحوه حتى أحرقه !

قال: فآمن له لوط ، وخرج مهاجراً إلى الشام هو وسارة ولوط .

- علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، وعدة من أصحابنا ، عن سهل بن زياد جمياً ، عن الحسن بن محبوب ، عن إبراهيم بن أبي زياد الكرخي قال: سمعت أبا عبدالله عليهما السلام يقول: إن إبراهيم عليهما السلام كان مولده بکوشي رباً ، وكان أبوه من أهلهما وكانت أم إبراهيم وأم لوط سارة ورقة وفي نسخة رقية أختين ، وهما ابنتان للاحج ، وكان لاحج نبياً منذراً ولم يكن رسولاً ، وكان إبراهيم عليهما السلام في شبيته على الفطرة التي فطر الله عز وجل الخلق عليها ، حتى هداه الله تبارك وتعالى إلى دينه واجتباه ، وإنه تزوج سارة ابنة لاحج وهي ابنة خالته ، وكانت سارة صاحبة ماشية كثيرة وأرض واسعة وحال حسنة ، وكانت قد ملكت إبراهيم عليهما السلام جميع ما كانت تملكه ، فقام فيه وأصلحه وكثرت الماشية والزرع ، حتى لم يكن بأرض كوشى رباً رجل أحسن حالاً منه .

وإن إبراهيم عليهما السلام لما كسر أصنام نمرود أمر به نمرود فأوثق ، وعمل له حيراً وجمع له فيه الحطب وألهب فيه النار ، ثم قذف إبراهيم عليهما السلام في النار لحرقه ، ثم اعتزلوها حتى خمدت النار ، ثم أشرفوا على الحير فإذا هم بإبراهيم عليهما السلام سليماً مطلقاً من وثاقه فأخبر نمرود خبره ، فأمرهم أن ينفوا إبراهيم عليهما السلام من بلاده وأن يمنعوه من الخروج بماشيته وماله ، فحاجهم إبراهيم عليهما السلام عند ذلك فقال: إن أخذتم ماشتي ومالني فإن حقي عليكم أن تردوا عليّ ما ذهب من عمري في بلادكم ، واختصموا إلى قاضي نمرود فقضى على إبراهيم عليهما السلام أن يسلم إليهم

جميع ما أصاب في بلادهم ، وقضى على أصحاب نمرود أن يردوا على إبراهيم  
 ﷺ ما ذهب من عمره في بلادهم !

فأخبر بذلك نمرود فأمرهم أن يخلوا سبيله وسبيل ماشيته وما له وأن يخرجوه ،  
 وقال: إنه إن بقي في بلادكم أفسد دينكم وأضر بالهلكم ، فأخرجوا إبراهيم  
 ولوطاً معه صلى الله عليهما من بلادهم إلى الشام ، فخرج إبراهيم ومعه لوط لا  
 يفارقه وسارة ، وقال لهم: إني ذاهب إلى ربى سيهدين ، يعني بيت المقدس .

فتحمل إبراهيم ﷺ بماشيته وماله وعمل تابوتاً وجعل فيه سارة وشد عليها  
 الأغلاق غيره منه عليها ، ومضى حتى خرج من سلطان نمرود وصار إلى سلطان  
 رجل من القبط يقال له عرار ، فمر بعاشر له فاعتراضه العاشر ليشر ما معه ، فلما  
 انتهى إلى العاشر ومعه التابوت .

قال العاشر لـ إبراهيم ﷺ: إفتح هذا التابوت حتى نشر ما فيه .

قال له إبراهيم ﷺ: قل ما شئت فيه من ذهب أو فضة حتى نعطي عشره ولا  
 نفتحه .

قال فأبى العاشر إلا فتحه ، قال وغضب إبراهيم ﷺ على فتحه ، فلما بدت له  
 سارة وكانت موصوفة بالحسن والجمال ، قال له العاشر: ما هذه المرأة منك ؟

قال إبراهيم ﷺ: هي حرمتي وابنة خالي .

قال له العاشر: فما دعاك إلى أن خبيتها في هذا التابوت ؟

قال إبراهيم ﷺ: الغيرة عليها أن يراها أحد .

قال له العاشر: لست أدعك تبرح حتى أعلم الملك حالها وحالك ، قال: بعث  
 رسولاً إلى الملك فأعلمه ببعث الملك رسولاً من قبله ليأتوه بالتابوت فأتوا  
 ليذهبوا به . فقال لهم إبراهيم ﷺ: إني لست أفارق التابوت حتى تفارق روحي

جسدي ، فأخبروا الملك بذلك فأرسل الملك أن احملوه والتابوت معه ، فحملوا إبراهيم عليهما السلام والتابوت وجميع ما كان معه حتى أدخل على الملك فقال له الملك: افتح التابوت .

فقال إبراهيم عليهما السلام: أيها الملك إن فيه حرمتني وابنة خالي وأنا مفتدى فتحه بجميع ما معني. قال: فغضب الملك وأجبر إبراهيم عليهما السلام على فتحه ، فلما رأى سارة لم يملك حلمه سفهه أن مد يده إليها فأعرض إبراهيم عليهما السلام بوجهه عنها وعنها غيره منه وقال: اللهم احبس يده عن حرمتني وابنة خالي ، فلم تصل يده إليها ولم ترجع إليه !

فقال له الملك: إن إلهك الذي فعل بي هذا ؟  
فقال له: نعم ، إن إلهي غيور يكره الحرام وهو الذي حال بينك وبين ما أردت من الحرام .

فقال له الملك: فادع إلهك يرد على يدي فإن أجابك فلم أعرض لها .  
فقال إبراهيم عليهما السلام: إلهي رد عليه يده ليكشف عن حرمتني .

قال: فرد الله عز وجل عليه يده فأقبل الملك نحوها ببصره ، ثم أعاد بيده نحوها فأعرض إبراهيم عليهما السلام عنها بوجهه غيره منه وقال: اللهم احبس يده عنها ، قال فيبست يده ولم تصل إليها !

فقال الملك لا إبراهيم عليهما السلام: إن إلهك لغiyor وإنك لغiyor فادع إلهك يرد على يدي فإنه إن فعل لم أعد .

فقال له إبراهيم عليهما السلام: أسأله ذلك على أنك إن عدت لم تسألي أن أسأله .  
فقال الملك: نعم .

فقال إبراهيم عليهما السلام: اللهم إن كان صادقاً فرد عليه يده ، فرجعت إليه يده !

فلما رأى ذلك الملك من الغيرة ما رأى الآية في يده ، عظم إبراهيم عليه السلام  
وهابه وأكرمه واتقاه ، وقال له: قد أمنت من أن أعرض لها أو لشئ مما ملك ،  
فانطلق حيث شئت ولكن لي إليك حاجة .

فقال إبراهيم عليه السلام: ما هي ؟

فقال له: أحب ان تأذن لي أن أخدمها قبطية عندي جميلة عاقلة تكون لها خادماً.

قال: فأذن له إبراهيم عليه السلام فدعا بها فوهبها لسارة وهي هاجر أم إسماعيل عليه السلام .

فسار إبراهيم عليه السلام بجميع ما معه وخرج الملك معه يمشي خلف إبراهيم عليه السلام  
إعظاماً لا إبراهيم عليه السلام وهيبة له ، فأوحى الله تبارك وتعالى إلى إبراهيم أن قف ولا  
تمش قدام الجبار المتسلط ويمشي هو خلفك ، ولكن اجعله أمامك وامش خلفه  
وعظمه و hebه ، فإنه مسلط ولا بد من إمرة في الأرض برة أو فاجرة ، فوقف  
إبراهيم عليه السلام وقال للملك: إمض فإن إلهي أوحى إليّ الساعة أن أعظمك وأهابك  
وأن أقدمك أمامي وأمشي خلفك إجلالاً لك .

فقال له الملك: أوحى إليك بهذا ؟ فقال له إبراهيم عليه السلام: نعم .

فقال له الملك: أشهد أن إلهك لرفيق حليم كريم ، وإنك ترغبني في دينك .

قال: وودعه الملك فسار إبراهيم عليه السلام حتى نزل بأعلى الشامات ، وخلف لوطاً عليه السلام  
في أدنى الشامات .

ثم إن إبراهيم عليه السلام لما أبطأ عليه الولد قال لسارة: لو شئت لبعتي هاجر لعل الله أن  
يرزقنا منها ولداً فيكون لنا خلفاً ، فابتاع إبراهيم عليه السلام هاجر من سارة فوقع عليها  
فولدت اسماعيل. انتهى. ورواه في تفسير نور الثقلين: ٤/١٦٤ ورواه المجلسي في  
بحار الأنوار: ٤٨/١٢ .

وفي هذا الحديث من الحقائق والاضواء على حياة سيدنا إبراهيم عليه السلام ما يرد

كثيراً من الشبه الواردة في الإسرائيлик ، والتهم التي اتهمه بها اليهود ، وقلدهم بعض المسلمين !!

نبينا ﷺ رائد العارفين ورائد سعادتنا

نهج البلاغة: ٤٤/٣:

... والرسول قد عرف عن الله وأخبرنا ، فهو رائد سعادتنا .

مروج الذهب للمسعودي: ٣٢/١:

فهذا ما روي عن أبي عبد الله جعفر بن محمد ، عن أبيه محمد بن علي ، عن أبيه علي بن الحسين ، عن أبيه الحسين بن علي، عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه:

إن الله حين شاء تقدير الخلقة وذرأ البرية وإبداع المبدعات ، نصب الخلق في صور كالهباء قبل دحو الأرض ورفع السماء ، وهو في انفراد ملكته وتوحد جبروته فأتاح ( فأساح ) نوراً من نوره فلمع ، و [ نزع ] قبساً من ضيائه فسطع ، ثم اجتمع النور في وسط تلك الصور الخفية فوافق ذلك صورة نبينا محمد(ص)، فقال الله عز من قائل: أنت المختار المنتخب ، وعندك مستودع نوري وكنوز هدايتي، من أجلك أسطح البطحاء ، وأمرج الماء ، وأرفع السماء ، وأجعل الثواب والعقاب والجنة والنار ، وأنصب أهل بيتك للهداية ، وأوتיהם من مكون علمي ما لا يشكل عليهم دقيق ولا يعيهم خفي ، وأجعلهم حجتي على بريتي ، والمنبهين على قدرتي ووحدانيتي ، ثم أخذ الله الشهادة عليهم بالربوبية والإخلاص بالوحدانية. وبعد أخذ ما أخذ من ذلك شاب ببصائر الخلق انتخب محمد وآلـه ( فقبل أخذ ما أخذ جل شأنه ببصائر الخلق انتخب محمد وآلـه )

وأراهم أن الهدایة معه والنور له والإمامۃ في آله ، تقدیماً لسنة العدل ، وليكون الأعذار متقدماً .

ثم أخفى الله الخلیقة فی غیبه ، وغیبها فی مکتون علمنه ، ثم نصب العوامل وبسط الزمان ، ومرج الماء ، وأثار الزید ، وأهاج الدخان ، فطفا عرشه علی الماء ، فسطح الأرض علی ظهر الماء [ وأخرج من الماء دخاناً فجعله السماء ] ثم استجلبها إلی الطاعة فأذعننا بالإستجابة .

ثم أنشأ الله الملائكة من أنوار أبدعها ، وأرواح اخترعها ، وقرن بتوحیده نبوة محمد(ص) ، فشهرت فی السماء قبل بعثته فی الأرض ، فلما خلق آدم أبان فضله للملائكة ، وأراهم ما خصه به من سابق العلم من حيث عرفه عند استنبائه إیاه أسماء الأشیاء ، فجعل الله آدم محراباً وکعبه وباباً وقبلة أسجد إلیها الأبرار والروحانیین الأنوار ، ثم نبه آدم علی مستودعه ، وكشف له [ عن ] خطر ما ائتمنه علیه ، بعد ما سماه إماماً عند الملائكة ، فكان حظ آدم من الخیر ما أراه من مستودع نورنا ، ولم يزل الله تعالى يخیئ النور تحت الزمان إلی أن فضل محمدأً (ص) فی ظاهر الفترات ، فدعا الناس ظاهراً وباطناً ، ونبهم سراً وإعلاناً ، واستدعاى الثلثة التنبیه علی العهد الذي قدمه إلی الذر قبل النسل ، فمن وافقه وقبس من مصباح النور المقدم اهتدى إلی سره ، واستبان واضح أمره ، ومن أبلسته الغفلة استحق السخط .

ثم انتقل النور إلی غرائتنا ، ولمع فی أئمتنا ، فنحن أنوار السماء وأنوار الأرض ، بنا النجاء ، ومنا مکتون العلم ، والینا مصیر الأمور ، وبمهدینا تنقطع الحجج ، خاتمة الأئمة ، ومنقذ الأمة ، وغاية النور ، ومصدر الأمور ، فحن أفضـل المخلوقـين ، وأشرف الموحدـين ، وحجـج رب العالمـين ، فـليهـنـا بالـنـعـمةـ من

تمسك بولايتنا ، وقبض على عروتنا . انتهى . وروى شبيهاً به ابن الجوزي في تذكرة

الخواص ص ١٢٨-١٣٠

- علل الشرائع: ٥/١

حدثنا الحسن بن محمد سعيد الهاشمي قال: حدثنا فرات بن إبراهيم بن فرات الكوفي قال: حدثنا محمد بن أحمد بن علي الهمданى ، قال حدثى أبوالفضل العباس بن عبد الله البخارى ، قال حدثنا محمد بن القاسم بن إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن القاسم بن محمد بن أبي بكر، قال حدثنا عبد السلام بن صالح الهروى، عن علي بن موسى الرضا ، عن أبيه موسى بن جعفر ، عن أبيه جعفر بن محمد ، عن أبيه محمد بن علي ، عن أبيه علي بن الحسين ، عن أبيه الحسين بن علي ، عن أبيه علي بن أبي طالب عليه السلام قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه: ما خلق الله خلقاً أفضلاً مني ولا أكرم عليه مني، قال علي عليه السلام فقلت يا رسول الله فأنت أفضلاً أم جبريل؟ فقال: يا علي إن الله تبارك وتعالى فضل أنبياء المرسلين على ملائكته المقربين وفضلني على جميع النبيين والمرسلين ، والفضل بعدي لك يا علي وللأئمة من بعدي ، وإن الملائكة لخدمتنا وخدام محبينا. يا علي الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون للذين آمنوا بولايتنا ، يا علي لو لا نحن ما خلق الله آدم ولا حواء ولا الجنة ولا النار ولا السماء ولا الأرض ، فكيف لا تكون أفضلاً من الملائكة ، وقد سبقناهم إلى معرفة ربنا وتسبيحه وتهليله وتقديسه ، لأن أول ما خلق الله عز وجل خلق أرواحنا فأنطقتنا بتوحيده وتحميده، ثم خلق الملائكة فلما شاهدوا أرواحنا نوراً واحداً استعظموها أمرنا ، فسبحنا لتعلم الملائكة إنا خلق مخلوقون ، وإنه منزه عن صفاتنا ، فسبحت الملائكة بتسبيحنا

ونزهته عن صفاتنا ، فلما شاهدوا عظم شأننا هلنا لتعلم الملائكة أن لا إله إلا الله وأنا عبيد ولسنا بالله ي يجب أن نعبد معه أو دونه ، فقالوا: لا إله إلا الله ، فلما شاهدوا كبر محلنا كبرنا لتعلم الملائكة أن الله أكبر من أن ينال عظم المحل إلا به ، فلما شاهدوا ما جعله الله لنا من العز والقوة قلنا لا حول ولا قوة إلا بالله لتعلم الملائكة أن لا حول لنا ولا قوة إلا بالله ، فلما شاهدوا ما أنعم الله به علينا وأوجبه لنا من فرض الطاعة قلنا الحمد لله لتعلم الملائكة ما يحق الله تعالى ذكره علينا من الحمد على نعمته ، فقالت الملائكة الحمد لله .

فبنا اهتدي إلى معرفة توحيد الله وتسويقه وتهليله وتحميده وتمجيده ، ثم أن الله تبارك وتعالى خلق آدم ، فأودعنا صلبه وأمر الملائكة بالسجود له تعظيمًا لنا وإكراماً .

علل الشرائع: ١١٧/١

- حدثنا محمد بن موسى بن الم توكل قال: حدثنا عبد الله بن جعفر الحميري عن أحمد بن محمد ، عن الحسن بن محبوب ، عن عبد الرحمن بن كثير ، عن داود الرقبي ، عن أبي عبد الله عَلَيْهِ الْكَلَمُ بَرَأَهُ قال: لما أراد الله عز وجل أن يخلق الخلق خلقهم ونشرهم بين يديه ، ثم قال لهم: من ربكم؟ فأول من نطق رسول الله عَلَيْهِ الْكَلَمُ وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ والأئمة صلوات عليهم أجمعين ، فقالوا: أنت ربنا ، فحملهم العلم والدين ، ثم قال للملائكة: هؤلاء حملة ديني وعلمي وأمنائي في خلقي وهم المسؤولون ، ثم قيل لبني آدم أقروا الله بالربوبية ولهؤلاء النفر بالطاعة والولاء ، فقالوا نعم ربنا أقررنا ، فقال الله جل جلاله للملائكة: إشهدوا ، فقالت الملائكة شهدنا . . . على أن لا يقولوا غداً إنا كنا عن هذا غافلين ، أو يقولوا إنما أشرك

آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفهلكنا بما فعل المبطلون ، يا داود الأنبياء  
مؤكدة عليهم في الميثاق .

الإعتقادات للصدق / ٦٧:

... وأن محمداً صلوات الله عليه وآله وسلامه سيدهم وأفضلهم ، وأنه جاء بالحق وصدق المرسلين ،  
وأن الذين كذبوا لذائقوا العذاب الأليم . وأن الذين آمنوا به وعزروه ونصروه  
واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون الفائزون . ويجب أن يعتقد أن  
الله عز وجل لم يخلق خلقاً أفضل من محمد صلوات الله عليه وآله وسلامه والأئمة عليهم السلام ، وأنهم أحب  
الخلق إلى الله وأكرمهم ، وأولئك إقراراً به لما أخذ الله ميثاق النبيين وأشهدهم  
على أنفسهم ألسنت بربكم قالوا بل . وأن الله بعث نبيه محمد صلوات الله عليه وآله وسلامه للأنبياء في  
الذر . وأن الله عز وجل أعطى ما أعطى كلنبي على قدر معرفته ، ومعرفة نبينا  
محمد صلوات الله عليه وآله وسلامه ، وسيقه إلى الإقرار به . ونعتقد: أن الله تبارك وتعالى خلق جميع  
الخلق له ولا هل بيته عليهم السلام ، وأنه لولاهما خلق الله سبحانه السماوات والأرض ولا  
الجنة ولا النار ولا آدم ولا حواء ولا الملائكة ، ولا شيئاً مما خلق ، صلوات الله  
عليهم أجمعين . انتهى .

وقد أوردنا في فصل الفطرة تحت عنوان: عوالم وجود الإنسان ، عدداً من  
أحاديث خلق نور النبي وآلها صلى الله عليه وعليهم قبل الخلق .

خط الفطرة لم ينقطع من ذرية إبراهيم

بحار الأنوار: ١١٧/١٥:

بيان: اتفقت الإمامية رضوان الله عليهم على أن والدي الرسول وكل أجداده إلى  
آدم صلوات الله عليه وآله وسلامه كانوا مسلمين ، بل كانوا من الصديقين: إما أنبياء مرسلين ، أو أوصياء

معصومين ، ولعل بعضهم لم يظهر الإسلام لتقية أو لمصلحة دينية . . . .  
 ورووا عن النبي ﷺ أنه قال: لم يزل ينقلني الله من أصلاب الطاهرين إلى أرحام  
 المطهرات ، حتى أخرجنني في عالمكم هذا ، لم يدنسني بدنس الجاهلية. ولو  
 كان من آبائكم كافر لم يصف جميعهم بالطهارة ، مع قوله سبحانه: إنما  
 المشركون نجس . . .

وهذا المسلك ذهبت إليه طائفة ، منهم الإمام فخر الدين الرازي ، فقال في كتابه  
 أسرار التنزيل ما نصه: قيل: إن آزر لم يكن والد إبراهيم بل كان عمه واحتجوا  
 عليه بوجوه :

منها: أن آباء الأنبياء ما كانوا كفاراً ، ويدل عليه وجوه: منها قوله تعالى: **الَّذِي يَرَكَ حِينَ تَقُومُ وَتَقْبِلُكَ فِي السَّاجِدِينَ** . . .

الثانية: أن الأحاديث والآثار دلت على أنه لم تخل الأرض من عهد نوح عليه السلام إلى  
 بعثة النبي ﷺ إلى أن تقوم الساعة من ناس على الفطرة يعبدون الله ويعبدونه  
 ويصلون له ، وبهم تحفظ الأرض ، ولو لاهم لهلكت الأرض ومن عليها . . . .  
 وأما المخالفون: فذهب أكثرهم إلى كفر والدي الرسول ﷺ وكثير من أجداده  
 كعبد المطلب وهاشم عبد مناف صلوات الله عليهم أجمعين ، وإن جماعنا  
 وأخبارنا متظافرة . . . وقال في هامشه:

وذهب بعضهم إلى إيمان والديه ﷺ وأجداده ، واستدلوا عليه بالكتاب والسنّة ،  
 منهم السيوطي ، قال في كتاب مسالك الحنفاء: المسلك الثاني أنهما أي عبد الله  
 وآمنة لم يثبت عنهما شرك ، بل كانوا على الحنيفية دين جدهما إبراهيم على نبينا  
 وعليه الصلاة والسلام . . . .

ثم قال (السيوطى): وعندى في نصرة هذا المسلك وما ذهب إليه الإمام فخر

الدين أمور: أحدها دليل استنبطه مركب من مقدمتين .

الأولى: أن الأحاديث الصحيحة دلت على أن كل أصل من أصول النبي ﷺ من آدم عليه السلام إلى أبيه عبد الله ، فهو خير أهل قرنه وأفضلهم ، ولا أحد في قرنه ذلك خير منه ولا أفضل .

الثانية: إن الأحاديث والآثار دلت على أنه لم تخل الأرض من عهد نوح عليه السلام أو آدم عليه السلام إلى بعثة النبي ﷺ إلى أن تقوم الساعة من ناس على الفطرة يعبدون الله ويؤدونه ويصلون له ، وبهم تحفظ الأرض ولو لا هم لهلكت الأرض ومن عليها ، وإذا قرنت بين هاتين المقدمتين أنتج منهما قطعاً أن آباء النبي ﷺ لم يكن فيهم مشرك ، لأنه ثبت في كل منهم أنه خير قرنه ... (ثم ذكر عن السيوطي آيات وأحاديث لإثبات ذلك منها): ما ورد في تفسير قوله تعالى: وَجَعَلَهَا كَلْمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ ، تدل على أن التوحيد كان باقياً في ذرية إبراهيم عليه السلام ولم يزل ناس من ذريته على الفطرة يعبدون الله تعالى حتى تقوم الساعة . . . .

فحصل مما أوردناه أن آباء النبي ﷺ من عهد إبراهيم إلى كعب بن لوي كانوا كلهم على دين إبراهيم عليه السلام . . . .

الدر المنشور: ٣٤١/٣:

وأخرج أبو الشيخ عن زيد بن علي (رض) قال: قالت سارة رضي الله عنها لما بشرتها الملائكة عليه السلام: يا ولتنا أللد وأنا عجوز وهذا بعلي شيئاً إن هذا لشيء عجيب ، فقالت الملائكة ترد على سارة: أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد ، قال فهو كقوله: وَجَعَلَهَا كَلْمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ ، بمحمد(ص) من عقب إبراهيم .

الدر المنشور: ٨٧/٤

وأخرج ابن المنذر عن ابن جريج (رض) في قوله: رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ، قال فلن يزال من ذرية إبراهيم عليه السلام ناس على الفطرة يعبدون الله تعالى حتى تقوم الساعة .

الدر المنشور: ١٦/٦

وأخرج ابن أبي حاتم عن عكرمة: وَجَعَلَهَا كَلْمَةً بَاقِيَّةً فِي عَقْبِهِ ، قال: في الإسلام أوصى بها ولده .

وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر عن مجاهد: وجعلها كلمة باقية في عقبه... الآية ، قال: الإخلاص والتوحيد لا يزال في ذريته من يقولها من بعده .

وأخرج عبد بن حميد عن ابن عباس: وَجَعَلَهَا كَلْمَةً بَاقِيَّةً فِي عَقْبِهِ ... الآية ، قال: لا إله إلا الله ، في عقبه: قال عقب إبراهيم ولده .

عمار علم الثابتين على الفطرة بعد النبي صلوات الله عليه وآله

بحار الأنوار: ٣٢٠/٢٢

لي: بهذا الاسناد عن إبراهيم بن الحكم ، عن عبيد الله بن موسى ، عن سعد بن أوس ، عن بلال بن يحيى العبسي قال: لما قتل عمار ( كذا وال الصحيح عثمان ) أتوا حذيفة فقالوا: يا عبد الله قتل هذا الرجل وقد اختلف الناس ، فما تقول ؟ قال إذا أتيت فأجلسوني ، قال: فأسنده إلى صدر رجل منهم فقال: سمعت رسول الله صلوات الله عليه وآله يقول: أبو اليقظان على الفطرة ثلاث مرات ، لن يدعها حتى يموت . انتهى .

ورواه في بحار الأنوار: ٩/٣٣ .

## شرح الأخبار: ٤١٢/١

أبو أحمد بإسناده عن حذيفة بن اليمان ، أنه لما احتضر قيل له أوصنا ، فقال: أما إذا قلتم ذلك فأسندوني ، فأسندوه ، فقال: سمعت رسول الله صلوات الله عليه وآله يقول: أبو اليقظان على الفطرة لا يدعها ثلاث مرات، لا يدعها حتى يموت.

روضة الوعظين للنيسابوري/٢٨٦

... وقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: أبواليقظان على الفطرة ثلاث مرات لن يدعها حتى يموت ، وقال رسول الله ﷺ: ما خير عمار بين أمرین إلا اختار أشدھما .

مستدرک الحاکم: ٣٩٣/٣

... عن عائشة أنها قالت: أنظروا عمار بن ياسر فإنه يموت على الفطرة ، إلا أن تدرکه هفوة من كبر . صحيح الإسناد .

... عن قيس بن أبي حازم قال قال عبد الله: ما أعلم أحداً خرج في الفتنة يريد به وجه الله تعالى والدار الآخرة إلا عمار بن ياسر. صحيح الإسناد .

مجمع الزوائد: ٢٩٥/٩

وعن بلال بن يحيى قال: لما قتل عثمان (رض) أتى حذيفة فقيل له يا أبا عبد الله قتل هذا الرجل ، وقد اختلف الناس ، فما تقول ؟ قال أسندوني فأسندوه إلى ظهر رجل ، فقال: سمعت رسول الله (ص) يقول: أبو اليقظان على الفطرة لا يدعها حتى يموت أو يمسه الهرم . رواه البزار والطبراني في الأوسط باختصار ، ورجالهما ثقات .

كنز العمال: ٧٢٣/١١

أبو اليقظان على الفطرة ، أبواليقظان على الفطرة ، أبو اليقظان على الفطرة ، لا يدعها حتى يموت أو يمسه الهرم. ن ، وابن سعد ، عد وضعفه ، عن حذيفة .

كنز العمال: ٥٣٢/١٣ و ٥٣٧

عن حذيفة قال: إن عماراً لا تصيبه الفتنة حتى يخرف ، سمعت رسول الله(ص) يقول: أبواليقظان على الفطرة لم يدعها حتى يموت ، أو ينسيه الهرم. كر. انتهى . ملاحظة: من واصحات تاريخنا الإسلامي أن عمار بن ياسر (رض) وقف بعد النبي ﷺ مع علي عليهما السلام في مواجهة بيعة السقيفة ، ثم في عهد أبي بكر وعمر ، وأحداث خلافة عثمان ، وكان عمار من قادة جيش علي عليهما السلام في حرب الجمل ، وله فيها موافق سجلها التاريخ ، ومنها موافق مع عائشة ، ثم ختم الله له بالشهادة تحت راية علي في صفين ، وقتلته فئة معاوية الباغية كما أخبر بذلك النبي ﷺ.. ولذلك لا يشك الإنسان بأن جعل النبي عماراً علماً على خط الفطرة من بعده ، يعني جعله علياً علماً للامة ، وتأكيده بأن خط علي من بعده هو خط الفطرة . ومن الطبيعي أن تكون موافق عمار إلى جانب علي ثقيلة على عائشة وعلى قريش ، وأن لا يرووا في حقه مثل هذه الشهادة النبوية التي تدينهم ، ولكنها كانت شهادة معروفة بين المسلمين ، ومن هنا أدخل خصوم علي عليهما السلام في روایتها غمغمة واستثناءات وشروطًا لغرض إحباط مفعولها !

ويدل على بطلان هذه الإضافات أن الشهادة النبوية وردت في حق عمار مطلقة بنصوص صحيحة عندنا وعند إخواننا وليس فيها تلك الإستثناءات. مضافاً إلى أن طبيعة مثل هذه الشهادة لا تقبل الإستثناء ، لأنها يؤدي إلى نسبة التناقض إلى النبي ﷺ حيث يشهد لشخص بأنه على الفطرة حتى يموت ، ويجعله علماً لأمته من

بعده ويأمرهم بأن يكونوا في خطه ، ثم يستثنى من ذلك ويشرط شرطاً مبهماً  
يبطل كلامه الأول ، ويوقع الأمة في الشك والريب !

وقد روى الهيثمي في مجمع الزوائد: ٢٤٣/٧ حديثاً يدل على مدى تأثير هذه الشهادة  
النبوية ومدى حسد قريش لعلي عليه السلام قال:

وعن سيار أبي الحكم قال: قالت بنو عبس لحذيفة: إن أمير المؤمنين عثمان قد  
قتل بما تأمرنا؟ قال آمركم أن تلزموا عماراً. قالوا إن عماراً لا يفارق علياً! قال  
إن الحسد هو أهلك الجسد ، وإنما ينفركم من عمار قربه من علي؟! فوالله لعلي  
أفضل من عمار أبعد ما بين التراب والسماء ، وإن عماراً لمن الأحباب. وهو  
يعلم أنهم إن لزموا عماراً كانوا مع علي. رواه الطبراني ورجاله ثقات ، إلا أنني لم  
أعرف الرجل المبهم. انتهى. ولا يبعد أن يكون إسمبني عبس وضع في هذه  
الرواية بدل قريش لأن حسنة بن هاشم الذين عنهم حذيفة والذين تحدث  
عنهم القرآن هم قبائل قريش ، وليسوا ببني عبس أو تميم .

علي عليه السلام إمام الثابتين على الفطرة

نهج البلاغة: ١٠٥/١:

ومن كلام له عليه السلام لأصحابه: أما إنه سيظهر عليكم بعدي رجل رحب البلعوم  
مندحق البطن يأكل ما يجد ويطلب ما لا يجد ، فاقتلوه ولن تقتلوه ، ألا وإنه  
سيأمركم بسبي والبراءة مني ، فأما السب فسبوني فإنه لي زكاة ولكم نجاة ، وأما  
البراءة فلا تبرؤوا مني ولدت على الفطرة وسبقت إلى الإيمان والهجرة .

شرح الأخبار: ١٥٩/١:

عن الشعبي أنه كان يقول: سمعت رشيد الهجري والحارث الأعور الهمداني وصعصعة بن صوحان العبدي وسالم بن دينار الأزدي ، كلهم يذكرون أنهم سمعوا علي بن أبي طالب عليه السلام على منبر الكوفة يقول في خطبته: يا معشر أهل الكوفة ، والله لتصبرن على قتال عدوكم أو ليسلطنه الله عليكم أقواماً أنتم أولى بالحق منهم ، فيعذبكم الله بهم ثم يعذبهم بما شاء من عنده ، أو من قتلة بالسيف تفرون إلى الموت على الفراش. فإني أشهد إني سمعت رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه يقول: إن معالجة ملك الموت لأشد من ضربة ألف سيف ، أخبرني جبرئيل يا علي إنه يصييكم بعدي أثرةً وزلزال ، فعليكم بالصبر الجميل .

وقال لي أيضاً: قضاء مقضي على لسان النبي الأمي: إنه لا يبغضك يا علي مؤمن ولا يحبك كافر ، وقد خاب من حمل ظلماً وافترى. ثم جعل يقول لنفسه: يا علي إنك ميت مقتول ، بل مقتول إن شاء الله ، فما يتضرر أشقاها أن يخضب هذه من هذا ، ثم أمرَ يده اليمنى على لحيته، ثم وضعها على رأسه ، ثم قال: أما لقد رأيت في منامي أنه يهلك في اثنان ولا ذنب لي: محب غال ، ومبغض قال. ثم قال: إلا أنكم ستعرضون على البراءة مني فلا تبرأوا مني ، فإن صاحبكم والله على فطرة الله التي فطر الناس عليها. ثم نزل عن المنبر .

شرح الأخبار: ١٦٩/١:

... ثم قال: سيظهر عليكم بعدي رجل وإنه سيعرضكم على سبي والبراءة مني ، فإن خفتموه فسبوني فإنما هي زكاة ونجاة ، وإن سألكم البراءة مني فلا تبرأوا مني فإني على الفطرة .

مناقب أمير المؤمنين: ٦٤/٢:

ثم قال: يكون بعدي أئمة يأمرنكم بسي والبراءة مني ، أما السب فسبوني ، ولا تبرئوا مني فإني ولدت على الفطرة وأموت على الفطرة إن شاء الله .

بخار الأنوار: ٣٥٠/٣٦

عن سعيد بن المسيب قال: سمعت رجلاً يسأل ابن عباس عن علي بن أبي طالب فقال له ابن عباس: إن علي بن أبي طالب صلى القبلتين وبايع البيعتين ، ولم يعبد صنماً ولا وثناً ، ولم يضرب على رأسه بزلم ولا قدح ، ولد على الفطرة ولم يشرك بالله طرفة عين. فقال الرجل: إني لم أسألك عن هذا إنما أسألك عن حمله سيفه على عاتقه يختال به حتى أتى البصرة فقتل بها أربعين ألفاً ، ثم سار إلى الشام فلقي حواجب العرب فضرب بعضهم ببعض حتى قتلهم ، ثم أتى النهروان وهم مسلمون فقتلهم عن آخرهم !

قال له ابن عباس: أعلیٌ أعلم عندك أم أنا ؟ فقال: لو كان علي أعلم عندي منك ما سألك !

قال: فغضب ابن عباس حتى اشتد غضبه ثم قال: ثكلتك أمك علي علمي ، وكان علمه من رسول الله ﷺ، ورسول الله علمه الله من فوق عرشه ، فعلم النبي من علم الله ، وعلم علي من علم النبي ، وعلمي من علم علي ، وعلم أصحاب محمد كلهم في علم علي كال قطرة الواحدة في سبعة أبخر !!

بخار الأنوار: ٣١٦/٤٣

ما: بإسناد أخي دعبل عن الرضا عن آبائه عليهما السلام عن علي بن أبي طالب عليهما السلام أنه قال: إلا أنكم ستعرضون على سبي ، فإن خفتم على أنفسكم فسبوني ، إلا وأنكم ستعرضون على البراءة مني فلا تفعلوا فإني على الفطرة ...

فإن قيل: كيف علل نهيه لهم من البراءة منه بقوله: فإني ولدت على الفطرة ، فإن هذا التعليل لا يختص به لأن كل ولد يولد على الفطرة وإنما أبواه يهودانه وينصرانه ؟

والجواب: أنه علل نهيه لهم عن البراءة منه بمجموع أمور وهو كونه ولد على الفطرة وسبق إلى الإيمان والهجرة ، ولم يعلل بأحد هذا المجموع. ومراده هنا بالولادة على الفطرة أنه لم يولد في الجاهلية لأنه ولد لثلاثين عاماً مضت من عام الفيل، والنبي أرسل لاربعين مضت من عام الفيل، وقد جاء في الأخبار الصحيحة أنه مكث قبل الرسالة سنين عشراً يسمع الصوت ويرى الضوء ولا يخاطبه أحد ، وكان ذلك إرهاصاً لرسالته فحكم تلك السنين العشر حكم أيام رسالته ﷺ، فالمولود فيها إذا كان في حجره وهو المتولى لتربيته مولود في أيام ك أيام النبوة ، وليس بمولود في جاهلية محضره ، ففارق حاله حال من يدعى له من الصحابة مماثلته في الفضل .

وقد روي أن السنة التي ولد فيها هذه السنة التي بدأ فيها رسول الله ﷺ، فأسمع الهاضف من الأحجار والأشجار وكشف عن بصره ، فشاهد أنواراً وأشخاصاً ولم يخاطب منها بشئ ، وهذه السنة هي السنة التي ابتدأ فيها بالتبلي والإنقطاع والعزلة في جبل حراء ، فلم يزل به حتى كوشف بالرسالة وأنزل عليه الوحي ، وكان رسول الله ﷺ يتيم بتلك السنة وبولادة على ﷺ فيها ، ويسمىها سنة الخير وسنة البركة ، وقال لأهله ليلة ولادته ، وفيها شاهد ما شاهد من الكرامات والقدرة الإلهية ولم يكن من قبلها شاهد من ذلك شيئاً: لقد ولد لنا مولود يفتح الله علينا به أبواباً كثيرة من النعمة والرحمة. وكان كما قال صلوات الله عليه ، فإنه كان ناصره والمحمامي عنه وكاشف الغم عن وجهه ، وبسيفه ثبت دين الإسلام ورست

دعائمه وتمهدت قواعده .

وفي المسألة تفصيل آخر ، وهو أن يعني بقوله: فإني ولدت على الفطرة التي لم تتغير ولم تحل ، وذلك أن معنى قول النبي ﷺ: كل مولود يولد على الفطرة ، أن كل مولود فإن الله تعالى قد هبأه بالعقل الذي خلقه فيه وبصحة الحواس والمشاعر لأن يتعلم التوحيد والعدل ، ولم يجعل فيه مانعاً يمنعه من ذلك ، ولكن التربية والعقيدة في الوالدين والألف لاعتقادهما وحسن الظن فيهما يصده عما فطر عليه ، وأمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ دون غيره ولد على الفطرة التي لم تحل ، ولم يصد عن مقتضاه مانع ، لا من جانب الآبوين ولا من جهة غيرهما .

وغيره ولد على الفطرة ولكنه حال عن مقتضاهها وزال عن موجبه .

ويمكن أن يفسر أنه أراد بالفطرة العصمة ، وأنه منذ ولد لم ي الواقع قبيحاً ، ولا كان كافراً طرفة عين ، ولا مخطئاً ولا غالطاً في شيء من الأشياء المتعلقة بالدين ، وهذا تفسير الإمامية . انتهى .

أقول: التفسيران الأخيران اللذان ذكرهما المجلسي رحمه الله متحдан ، لأن قصد أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ والله أعلم ، إني ولدت على فطرة الله الصافية ولم أدنسها بعبادة وثن ولا بارتكاب ذنب ، وسبقت إلى الإيمان بالنبي ﷺ والوقوف معه والهجرة معه ..

ولا شك أن فطرة الله تعالى التي خلق عليها ولية ووزير رسوله صلى الله عليهما أرقى من الفطرة العادية التي يولد عليها كل مولود ، فالنبي وآلـه خيرة الله تعالى وفطرتهم خيرة الفطر ، وقد ورد في الدعاء: يا دائم الفضل على البرية ، يا باسط اليدين بالعطية ، يا صاحب المواهب السننية ، صل على محمد وآلـه خير الورى سجية ، واغفر لنا ياذا العلى في هذه العشية .

وتوجد هنا مسألتان في هذا الحديث يناسب التعرض لهما ، وإن كان محلهما

باب الإمامة .

**المسألة الأولى:** أن الفرق بين السب والبراءة من وجهين:

أولهما، أن البعد السياسي في السب أقوى وأظهر منه في البراءة، والبعد العقائدي في البراءة أقوى وأظهر. فالخطر العقائدي على المسلمين في البراءة أكثر ، بينما سب السلطة له عليه السلام وإجبارها المسلمين على ذلك لا تصل خطورته إلى خطورة البراءة ، وإن كان فيه خطر كبير على أجيال المسلمين .

ولعل هذا هو مقصود الفقهاء الذين اعتبروا أن البراءة شهادة بالكفر بعكس السب واللعن ، قال السيد الگلپایگانی رحمه الله في الدر النضيد: ٢٥٣/٢: ولعل الفرق بين السب والبراءة حيث أمر بالأول ونهى عن الثاني ، أن السب صادر بالنسبة إلى المسلم أيضاً ، بخلاف البراءة فإنها تكون عن المشركين والكافرين ، كما قال الله تعالى: بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ. وكان من كان يأمر بالبراءة عن الإمام عليه السلام يريد أن يجعل الإمام في عداد المشركين والخارجين عن الدين ، ومن كان يتبرأ منه صلوات الله عليه يعده من الكفار ، وبهذه المناسبة علل الإمام عليه السلام نهيه عن البراءة بقوله: فإني ولدت على الفطرة وسبقت إلى الإيمان والهجرة وعلى هذا فلو أكره على السب فسب فلا شيء عليه ، بل وربما كان محموداً على فعله كما يشهد بذلك حكاية عمار ونزول الآية الكريمة: مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌ بِالْإِيمَانِ. انتهى .

والفرق الثاني ، أن الحق الشخصي في السب أقوى منه في البراءة ، فالحق العام في السب وإن كان عظيماً بسبب أنه ظلم وعدوان على وصي النبي صلوات الله عليه الذي يمثل دين الله تعالى ، ولكن فيه حقاً شخصياً أيضاً لأنه ظلم وعدوان على شخص على عليه السلام وباعتبار هذا الحق الشخصي كان له عليه السلام أن يجعل المؤمنين في حل

عند الضرورة بخلاف البراءة منه. فكأنه عليه السلام قال: بما أن السب مركب من حقين ، فأنتم في حل من حقي ، ويبقى حق الله تعالى فهو حكم شرعي بينكم وبينه ، وهو تعالى يجيزه عند الضرورة. أما البراءة فحقها الالهي غالب ، لأن البراءة مني براءة من الفطرة النقية التي أنا عليها، وبراءة من إيماني بالله ورسوله وجهادي وهجرتي فلا أستطيع أن أجعلكم في حل منها ، بل يجري عليها الحكم الشرعي .

والمسألة الثانية: أن فقهاءنا رضوان الله عليهم أفتوا بجواز البراءة عند الضرورة المهمة كالخوف من القتل ، ولم يفت أحد منهم بوجوب تحمل القتل للتخلص من البراءة ، إلا ما يظهر من المفيد كما سيأتي ، وذلك لأنه لم يثبت عندهم النص الذي تضمن النهي عن البراءة ، بل رووا تكذيب حديث علي عليه السلام، فقد روى الحميري في قرب الإسناد :

- عن مساعدة بن صدقة ، عن جعفر بن محمد ، قال قيل له: إن الناس يرون أن علياً عليه السلام قال على منبر الكوفة: أيها الناس إنكم ستدعون إلى سبي فسبوني ، ثم ستدعون إلى البراءة مني ، وإنني لعلى دين محمد. ولم يقل وتبؤوا مني ، فقال له السائل: أرأيت إن اختار القتل دون البراءة منه ؟

فقال: والله ما ذلك عليه ، وما له إلا ما مضى عليه عمار بن ياسر حيث أكرهه أهل مكة وقلبه مطمئن بالإيمان ، فأنزل الله تبارك وتعالى فيه: إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌ بِالْإِيمَانِ ، فقال له النبي صلوات الله عليه وسلم عندها: يا عمار إن عادوا فعد ، فقد أنزل الله عز وجل عذرك في الكتاب وأمرك أن تعود إن عادوا. انتهى . وقد أفتى بهذا الحديث ابن إدريس في السرائر: ٦٢٤/٣ وأكثر فقهائنا .

لكن اختلفوا في أن أيهما أرجح ، ولعل الذين ثبت عندهم النهي عن البراءة حملوه على كراهة البراءة وترجح تحمل القتل عليها ، ويشهد له ما رواه في

وسائل الشيعة: ٤٧٥/١١ عن الكشي في رجاله عن جبرئيل بن أَحْمَد ، عن محمد بن عبد الله بن مهران ، عن محمد بن علي الصيرفي ، عن علي بن محمد عن يوسف بن عمران الميسمي قال: سمعت ميسم النهرواني يقول: دعاني أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وقال: كيف أنت يا ميسم إذا دعاك دعى بنى

أميمة عبيد الله بن زياد إلى البراءة مني ؟

فقلت: يا أمير المؤمنين أنا والله لا أبراً منك ؟

قال: إِذَاً والله يقتلك ويصلبك .

قلت: أصبر فذاك في الله قليل !

فقال: يا ميسم إذا تكون معي في درجتي .. الحديث. انتهى . وقال في الوسائل: رواه الرواندي في الخرائج والجرائح عن عمران عن أبيه ميسم .

وفي المقابل توجد روايات يفهم منها ترجيح التقية والبراءة ، ففي الوسائل: ١١: ٤٧٥ . . . عن عبدالله بن عطاء قال: قلت لابي جعفر عليه السلام: رجال من أهل الكوفة أخذوا فقيل لهما إبراً من أمير المؤمنين عليه السلام فبرئ واحد منهما وأبى الآخر، فخلق سبيل الذي بريء وقتل الآخر ، فقال: أما الذي بري فرجل فقيه في دينه، وأما الذي لم يبراً فرجل تعجل إلى الجنة .

ولعل تعارض روايات الترجح جعل السيد الخوئي رحمه الله يفتني بتخيير المكلف وعدم ترجيح أي من التقية أو الشهادة ، قال في مستند العروة (التنقح) (٤/٢٦٤): وقد يقال إن ترك التقية أرجح من التقية بإظهار التبرى منه عليه السلام، وعليه فيكون المقام من موارد التقية المكرورة والمرجوة ، وإذا قلنا بعكس ذلك وإن التقية بإظهار التبرى أرجح من تركها فيكون المقام مثلاً للتقية المستحبة لا محالة. والصحيح أن الأمرين متساويان ولا دلالة لشيء من الروايات على أرجحية

أحدهما عن الآخر ، أما رواية عبدالله بن عطاء فلأنها إنما دلت على أن من ترك التقىة فقتل فقد تعجل إلى الجنة ، ولا دلالة لذلك على أن ترك التقىة باختيار القتل أرجح من فعلها ، وذلك لأن العامل بالتقىة أيضاً من أهل الجنة وإنما لم يتعجل بل تأجل ، فلا يستفاد منه إلا تساويهما. انتهى .

لكن يبدو من المفید أنه يفتی بحرمة البراءة ووجوب تحمل القتل ، فقد عبر عن حديث نهج البلاغة بأنه مستفيض ، وفيه نهي مشدد عن البراءة ، قال في الإرشاد: ٣٢٢/١:

ومن ذلك ما استفاض عنه عائشة من قوله: إنكم ستعرضون من بعدي على سبى فسبوني ، فإن عرض عليكم البراءة مني فلا تبرؤوا مني فإني ولدت على الإسلام ، فمن عرض عليه البراءة مني فليمدد عنقه ، فمن تبرأ مني فلا دنيا له ولا آخرا ، وكان الأمر ذلك كما قال عائشة . انتهى .

وقد رد الشيخ الأنصاري على القول بوجوب تحمل القتل ، فقال في المكاسب/٣٢٥: بل عن المفید في الإرشاد أنه قد استفاض عن أمير المؤمنين عائشة أنه قال: ستعرضون من بعدي على سبى فسبوني ، ومن عرض عليه البراءة فليمدد عنقه ، فإن برأ مني فلا دنيا له ولا آخرا. وظاهرها حرمة التقىة فيها كالدماء ، ويمكن حملها على أن المراد الإستمالة والترغيب إلى الرجوع حقيقة عن التشيع إلى النصب ، مضافاً إلى أن المروي في بعض الروايات أن النهي من التبرى مكذوب على أمير المؤمنين عائشة  وأنه لم ينه عنه. انتهى .

وذكر السيد الگلپایگانی: أنه قد يجب العمل بالتقىة أحياناً فلا بد من ملاحظة المصالح والمفاسد ، قال عائشة في الدر النضيد: ٤/٢٥٣

قلت: بل وربما يستفاد منه ( حديث مسعدة ) ومن غيره أن الأفضل له ذلك وإن

كان لو لم يجدهم إلى ذلك ولم يسب وقتل لذلك لم يكن آثماً ومؤاخذاً عليه ، بل هو مأجور وقد تعجل إلى جنات النعيم وإلى جوار الله رب العالمين ، على حسب ما ورد في بعض الروايات ، إلا أن التقية أفضل. ومع ذلك كله لابد من ملاحظة المصالح والمفاسد والعمل على وفقها ، فربما يتربت على ترك التقية وعلى قتله مثلاً مفاسد عظيمة ، فهنا لابد له من التقية. انتهى .

ولا يبعد أن يكون أصل الحكم في المسألة جواز الأمرين للمكلف ، وأنه قد يطرأ عنوان من المصلحة أو المفسدة الملزمة فيوجب اختيار التقية أو اختيار تحمل الشهادة. ويكون تشخيص ذلك راجعاً إلى المكلف نفسه ، أو إلى أهل الخبرة .

### ولاية على علامة على صحة الفطرة وطيب المولد

شرح الأخبار: ٤٤٩/٣:

.... عمران بن ميثم قال: دخلت على حبابة الوالبية فسمعتها تقول: والله ما أحد على الفطرة إلا نحن وشيعتنا ، والناس براء. وهذا صحيح لأن من لم يكن من شيعة محمد وآل محمد فهو من عدوهم ، وقال الله تعالى: هَذَا مِنْ شَيْعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ ، ومن كان عدواً لِمُحَمَّدٍ وآلِهِ لَمْ يَكُنْ عَلَى فَطْرَةِ الْإِسْلَامِ. انتهى .

وروى نحوه في: ٥٧٣/٣ .

وسائل الشيعة: ١٦٠/٢٠:

أقول: وفي الكشي، عن محمد بن مسعود بإسناده عن عمران بن ميثم قال: دخلت أنا وعباية الأسدية على امرأة من بنى أسد يقال لها حبابة الوالبية ، فقال لها عباية:

تدرین من هذا الشاب الذي هو معي ؟ قالت: لا ، قال: مه ابن أخيك میشم. قالت: إی والله إی والله ، ثم قالت: ألا أحدثكم بحديث سمعته من أبي عبدالله الحسین بن علي عليهما السلام ؟ قلنا بلى ، قالت: سمعت الحسین بن علي عليهما السلام يقول: نحن وشیعتنا علی الفطرة التي بعث الله علیها محمدًا صلی اللہ علیہ وسائیر الناس منها براء .

مناقب أمير المؤمنین: ٢٢٦/١

... سمعت رسول الله عليهما السلام يقول: يا علي أنت وشیعتك علی الفطرة ، وسائیر الناس منهم براء .

بحار الأنوار: ٢٣/٦٧

... يخرجنهم من النور إلى الظلمات ، قيل من نور الفطرة إلى فساد الإستعداد ، وفي الكافي عن الصادق عليهما السلام: النور آل محمد ، والظلمات عدوهم .

تهذیب الأحكام: ١٤٥/٤

... عن الحرج بن المغيرة النصري قال: دخلت على أبي جعفر عليهما السلام فجلست عنده ، فإذا نجية قد استأذن عليه فأذن له ، فدخل فجئى على ركبتيه ثم قال: جعلت فداك إني أريد أن أسألك عن مسألة والله ما أريد بها إلا فكاك رقبتي من النار ، فكأنه رق له فاستوى جالساً فقال له ... وقال: يا نجية ما على فطرة إبراهيم عليهما السلام غيرنا وغير شیعتنا. انتهى. وروى نحوه في الاختصاص / ١٠٧ عن الإمام زین العابدين عليهما السلام .

بحار الأنوار: ٢٧٦/٣

فس: الحسین بن محمد ، عن معلی بن محمد ، عن محمد بن جمهور ، عن

عَفَرُ بْنُ بَشِيرٍ ، عَنْ عَلَيِّ بْنِ أَبِي حَمْزَةَ ، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِمَا سَلَامٌ فِي قَوْلِهِ: فَأَقَمْ وَجْهَكَ لِلَّدِينِ حَنِيفًا ، قَالَ: الْوَلَايَةُ .

كَنْزٌ: مُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ الْحَسِينِ بْنِ سَعِيدٍ ، عَنْ جَعْفَرٍ بْنِ بَشِيرٍ ، عَنْ عَلَيِّ بْنِ حَمْزَةَ ، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِمَا سَلَامٌ فَيَقُولُ: سَأْلَتِهِ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: فَأَقَمْ وَجْهَكَ لِلَّدِينِ حَنِيفًا فَطَرَ اللَّهُ أَكْبَرُ فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ، قَالَ: هِيَ الْوَلَايَةُ . اَنْتَهَى . وَرَوَاهُ أَيْضًا فِي: ٣٦٥/٢٣ .

تفسير القمي: ١٥٤ و ١٥٥:

حَدَّثَنَا الْهَيْشَمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الرَّمَانِيُّ ، قَالَ حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُوسَى الرَّضَا عَلَيْهِمَا سَلَامٌ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ جَدِّهِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْحَسِينِ عَلَيْهِمَا سَلَامٌ فِي قَوْلِهِ: فَطَرَ اللَّهُ أَكْبَرُ فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ، قَالَ: هُوَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، مُحَمَّدُ رَسُولُ اللَّهِ ، عَلِيُّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَلِيُّ اللَّهِ ، إِلَى هَاهُنَا التَّوْحِيدُ .

التوحيد للصدقوق: ٣٢٨ .

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسِنِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ الْوَلِيدِ عَلَيْهِمَا سَلَامٌ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسِنِ الصَّفَارُ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ حَسَانِ الْوَاسِطِيِّ ، عَنْ الْحَسِنِ بْنِ يُونُسَ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ كَثِيرٍ مُوْلَى جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِمَا سَلَامٌ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: فَطَرَ اللَّهُ أَكْبَرُ فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ، قَالَ: التَّوْحِيدُ ، وَمُحَمَّدُ رَسُولُ اللَّهِ ، وَعَلِيُّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . اَنْتَهَى . وَرَوَاهُ فَرَاتُ الْكُوفِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ ٣٢٢ ، وَالْمَجْلِسِيُّ فِي بَحَارِ الْأَنْوَارِ ٢٧٦/٣ وَ ٢٧٧/٢٦ وَالْحَوَيْزِيُّ فِي نُورِ النَّقْلِيْنِ ١٨٢/٤ .

وَفِي بَصَائِرِ الْدَّرَجَاتِ ٧٨:

أحمد بن موسى ، عن الحسين بن موسى الخشاب ، عن علي بن حسان ، عن عبد الرحمن بن كثير ، عن أبي عبد الله عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُبَرَّكُ فِي قَوْلِهِ: فِطْرَةُ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ، قال: فقال: على التوحيد ، ومحمد رسول الله ، وعلى أمير المؤمنين .

وفي بحار الأنوار: ٢٧٦/٣

شي: عن عبد الرحمن بن كثير ، عن أبي عبد الله عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُبَرَّكُ فِي قَوْلِهِ: صِبْغَةُ اللهِ وَمَنْ أَحْسَنَ مِنَ اللهِ صِبْغَةً ، قال: الصبغة معرفة أمير المؤمنين عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُبَرَّكُ بالولاية في الميثاق .

وفي المحسن: ١٣٨/١

عن أبي عبد الله المدائني قال: قال أبو عبد الله عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُبَرَّكُ: إذا برد على قلب أحدكم حبنا فليحمد الله على أولى النعم ، قلت: على فطرة الإسلام؟ قال: لا ، ولكن على طيب المولد ، إنه لا يحبنا إلا من طابت ولادته ، ولا يبغضنا إلا الملزق الذي تأتي به أمه من رجل آخر فتلزقه زوجها ، فيطلع على عوراتهم ويرثهم أموالهم فلا يحبنا ذلك أبداً ، ولا يحبنا إلا من كان صفوته ، من أي الجبل كان. انتهى ، والجبل هي الجبالات ، جمع جبلة. انتهى. ورواه في بحار الأنوار: ١٥٢/٢٧ .

مناقب آل أبي طالب: ١١/٣

وقال آخر:

لاني ولدت على الفطرة	أحب النبي وآل النبي
فآيتها البغض للعترة	إذا شك في ولد والد

ثواب الأعمال: ١٧٤/١

أبي عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُبَرَّكُ قال حدثني سعد بن عبد الله، قال حدثني الحسن بن موسى الخشاب ، عن

عقيل بن الم توكل المكي ، يرفعه عن جعفر بن محمد ، عن أبيه عن جده عليهما السلام ،  
قال: من صاغ خاتماً عقيقاً فنقش فيه (محمد نبي الله وعليه ولي الله) وقام الله ميتة  
السوء ولم يمت إلا على الفطرة. ورواه في وسائل الشيعة: ٤٠٣/٣ .





## الفصل الخامس

وجوب المعرفة والنظر



## وجوب معرفة الله تعالى ومنظؤها

### وجوب معرفة الله تعالى وأنها أساس الدين

نهج البلاغة: ١٤/١:

أول الدين معرفته ، وكمال معرفته التصديق به ، وكمال التصديق به توحيده ، وكمال توحيده الإخلاص له ، وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه ، لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف ، وشهادة كل موصوف أنه غير الصفة ... .

الهداية للصدوق /١:

يجب أن يعتقد أن الله تعالى واحد ليس كمثله شيء لا يحد ولا يحس ولا يجس، ولا يدرك بالأوهام والأبصار ، ولا تأخذه سنة ولا نوم ، شاهد كل نجوى ، ومحيط بكل شيء ، لا يوصف بجسم ولا صورة ولا جوهر ولا عرض ولا سكون ولا حركة ولا صعود ولا هبوط ولا قيام ولا قعود ولا ثقل ولا خفة ولا جيئة ولا ذهاب ولا مكان ولا زمان ولا طول ولا عرض ولا عمق ولا فوق ولا أسفل ولا يمين ولا شمال ولا وراء ولا أمام ، وأنه لم ينزل ولا يزال سميعاً بصيراً حكيناً عليماً حياً قيوماً قدوساً عزيزاً أحداً فرداً صمدأ لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً

أحد ، وأنه شيء ليس كمثله شيء وخارج من الحدين حد الأبطال وحد التشبيه ، خالق كل شيء ، لا إله إلا هو ، لا تدركه الأ بصار وهو يدرك الأ بصار ، وهو اللطيف الخبير .

وقال عليهما السلام: من زعم أن الله تعالى من شيء أو في شيء أو على شيء فقد أشرك ، ثم قال عليهما السلام: من زعم أن الله تعالى من شيء فقد جعله محدثاً ، ومن زعم أنه في شيء فقد زعم أنه محصور ومن زعم أنه على شيء فقد جعله محمولاً .

وقال في هامشه:

قال الصدوق في رسالة الإعتقادات بعد أن ذكر نحواً مما ذكر ما نصه: من قال بالتشبيه فهو مشرك ، ومن نسب إلى الإمامية غير ما وصف في التوحيد فهو كاذب ، وكل خبر يخالف ما ذكرت في التوحيد فهو موضوع مخترع ، وكل حديث لا يوافق كتاب الله فهو باطل ، وإن وجد في كتب علمائنا فهو مدلس ، والأخبار التي يتوصّلها الجهال تشبيهاً لله تعالى بخلقه فمعانّها محمولة على ما في القرآن من نظائرها . . .

الاقتصاد للشيخ الطوسي/٤:

الذى يلزم المكلف أمران: علم ، وعمل. فالعمل تابع للعلم ومبني عليه. والذى يلزم العلم به أمران: التوحيد ، والعدل .

فالعلم بالتوحيد لا يتكامل إلا بمعرفة خمسة أشياء: أحدها معرفة ما يتوصل به إلى معرفة الله تعالى ، والثاني معرفة الله على جميع صفاتـه ، والثالث معرفة كيفية استحقاقـه لتلك الصفات ، الرابع معرفة ما يجوز عليه وما لا يجوز ، الخامس معرفـته بأنه واحد لا ثانـي له في الـقدم .

## معرفة الله تعالى وتوحيده نصف الدين

التوحيد للصدوق ٦٨/

حدثنا أبو عبد الله الحسين بن محمد الأشناني الرازي العدل ببلخ ، قال: حدثنا علي بن مهرويه القزويني ، عن داود بن سليمان الفراء عن علي بن موسى الرضا ، عن أبيه ، عن آبائه ، عن علي عليهما السلام قال: قال رسول الله عليهما السلام: التوحيد نصف الدين ، واستنزلوا الرزق بالصدقة. انتهى. ورواه في دعائم الإسلام: ١٣/١

## لا تتحقق العبادة إلا بالمعرفة

علل الشرائع: ٩/١

حدثنا أبي (رض) قال: حدثنا أحمد بن إدريس ، عن الحسين بن عبيد الله ، عن الحسن بن علي بن أبي عثمان ، عن عبد الكري姆 بن عبد الله ، عن سلمة بن عطاء ، عن أبي عبد الله عليهما السلام قال: خرج الحسين بن علي عليهما السلام على أصحابه فقال: أيها الناس إن الله جل ذكره ما خلق العباد إلا ليعرفوه فإذا عرفوه عبادوه ، فإذا عبدوه استغنا بعبادته عن عبادة من سواه . . .

علل الشرائع: ١٣/١

حدثنا محمد بن الشيباني (رض) قال: حدثنا محمد بن أبي عبد الله الكوفي قال: حدثنا موسى بن عمران النخعي ، عن عمته الحسين بن يزيد النوفلي ، عن علي بن سالم ، عن أبيه بصير قال: سألت أبا عبد الله عليهما السلام عن قول الله عز وجل: **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّاً وَالْإِنْسَانَ إِلَّا لِيَعْبُدُونَ** ، قال: خلقهم ليأمرهم بالعبادة ، قال: وسألته عن قول الله عز وجل: **وَلَا يَرَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رُبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقْتَهُمْ** ؟ قال: ليجعلوا ما يستوجبون به رحمته فيرحمهم .

## جوهر الكلام: ٣٠/٢٩

نعم ربما قيل بالتفصيل بين من كانت عبادته من الأعمال فالترزويج أفضل منها ، لإطلاق ما دل على ذلك ، وبين من كانت عبادته تحصيل العلوم الدينية فهي أفضل منه ، لأن كمال الإنسان العلم الذي هو الغرض الأصلي من خلقته ، قال الله تعالى: **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّا وَالْإِنْسَا إِلَّا لِيَعْبُدُو**ن ، والمراد بها كما في الحديث المعرفة .

## شرح الأسماء الحسني: ٢٣/٢

قوله عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُكَلَّمُ: يا من دل على ذاته بذاته .

وهو مجمع عليه للعرفاء الشامخين والعقلاة والمتكلمين ، بل جميع إرسال الرسل وإنزال الكتب وإرشاد الكاملين المكملين إنما هو للإيصال إلى هذه البغية العظمى والغبطة الكبرى ، كما قال تعالى **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّا وَالْإِنْسَا إِلَّا لِيَعْبُدُو**ن ، وفي القدسي: خلقت الخلق لكي أعرف... .

فانتظر إلى جعلهم غاية العمل هي المعرفة والشهود ، ولذا فسر المفسرون ليعبدون بقولهم ليعرفون .

## شرح الأسماء الحسني: ١٨٩/١

... ولا يجوز للمؤمن إنكار ذلك الشهود لأن إنكاره إنكار الكتب السماوية والسنن النبوية والآثار الولوية ، بل هو غاية إرسال المرسلين وإرشاد الأئمة الهادين وسير السائرين وسلوك السالكين ، ولو لا لم يكن سماء ولا أرض ولا بسيط ولا مركب ، كما قال تعالى: **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّا وَالْإِنْسَا إِلَّا لِيَعْبُدُو**ن أي

ليرفون. وفي الحديث القدسي فخلقت الخلق لأعرف... .

### الرواشح السماوية/ ٢١

... لأن المعرفة غاية وجودهم وغرض خلقهم كما في قوله تعالى: **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّا وَالْإِنْسَا إِلَّا لِيَعْبُدُونِ** ، أي ليرفون ، ومعرفتهم بالله وبال يوم الآخر لا تحصل إلا من طريق النبوة والرسالة لأن عقولهم غير كافية فيها ، سيمما ما يتعلق منها بأحوال المعاد وحشر العباد فيحتاجون إلى معلم بشري ...

### فضل معرفة الله تعالى

الكافي: ٢٤٧/٨ : (محمد بن سالم بن أبي سلمة ، عن أحمد بن الريان ، عن أبيه ، عن جميل بن دراج ، عن عبد الله عليه السلام قال: لو يعلم الناس ما في فضل معرفة الله عز وجل ما مدوا أعينهم إلى ما متع الله به الأعداء من زهرة الحياة الدنيا ونعيتها ، وكانت دنياهم أقل عندهم مما يطرونه بأرجلهم ، ولنعموا بمعرفة الله عز وجل وتلذذوا بها تلذذ من لم يزل في روضات الجنان مع أولياء الله .

إن معرفة الله عز وجل أنس من كل وحشة ، وصاحب من كل وحدة ، ونور من كل ظلمة ، وقوة من كل ضعف ، وشفاء من كل سقم .

ثم قال عليه السلام: وقد كان قبلكم قوم يقتلون ويحرقون وينشرون بالمناشير وتضيق عليهم الأرض برجها ، فما يردهم عما هم عليه شئ مما هم فيه ، من غير ترة وتروا من فعل ذلك بهم ولا أذى ، بل ما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد ، فسألوا ربكم درجاتهم واصبروا على نوائب دهركم تدركونا سعيهم .

مستدرك الوسائل: ٢٣٦/١١ (وقال عليه السلام: أكثر الناس معرفة أخوفهم لربه .

## الحث على مجالسة أهل المعرفة

مستدرك الوسائل: ٣٢٨/٨

الكشي في الرجال: روى علي بن جعفر عن أبيه ، عن جده ، عن علي بن الحسين عليه السلام أنه كان يقول لبنيه: جالسو أهل الدين والمعرفة ، فإن لم تقدروا عليهم فالوحدة آنس وأسلم ، فإن أبىتم مجالسة الناس ، فجالسو أهل المروءات ، فإنهم لا يرفتون في مجالسهم. انتهى. ورواه في مسائل علي بن جعفر/ ٣٣٨

## فضل من مات على المعرفة

نهج البلاغة: ١٣٣/٢

... ولا تستعجلوا بما لم يعجله الله لكم. فإنه من مات منكم على فراشه وهو على معرفة حق ربها وحق رسوله وأهل بيته ، مات شهيداً ووقع أجره على الله ، واستوجب ثواب ما نوى من صالح عمله. وقامت النية مقام إصلاحاته لسيفه. وإن لكل شئ مدة وأجلًا .

## نعمـة مـعـرـفـة حـمـد الله وـشـكـرـه

الصحيفة السجادية: ٢٢/١

والحمد لله الذي لو حبس عن عباده معرفة حمده على ما أبلاهم من منه المتابعة، وأسبغ عليهم من نعمه المظاهرة ، لتصرفاً في منته فلم يحمدوه ، وتوسعوا في رزقه فلم يشكروه ، ولو كانوا كذلك لخرجو من حدود الإنسانية إلى حد البهيمة ، فكانوا كما وصف في محكم كتابه: إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً . والحمد لله على ما عرَّفنا من نفسه .

الكافي: ٣٩٤/٨

علي بن محمد ، عن بعض أصحابه رفعه قال: كان علي بن الحسين عليه السلام إذا قرأ هذه الآية: **وَإِنْ تَعْلُمُ نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا** ، يقول: سبحان من لم يجعل في أحد من معرفه نعمه إلا المعرفة بالتقدير عن معرفتها ، كما لم يجعل في أحد من معرفة إدراكه أكثر من العلم أنه لا يدركه ، فشكر عز وجل معرفة العارفين بالتقدير عن معرفة شكره ، فجعل معرفتهم بالتقدير شكرًا ، كما جعل علم العالمين أنهم لا يدركونه إيماناً. علماً منه أنه قدر وسع العباد فلا يجاوزون ذلك .

نعمة معرفة كرم الله والآله

الصحيفة السجادية: ٤٠٧/٢

وإن أنامتني الغلة عن الإستعداد للقائك ، فقد نبهتني المعرفة بكرمك وآلائك ، وإن أوحش ما بيني وبينك فرط العصيان والطغيان ، فقد آنسني بشرى الغفران والرضوان .

الصحيفة السجادية: ٢٢٥/٢

فو عزتك لو انتهرتني ما بربت عن بابك ، ولا كففت عن تملقك ، لما أللهم قلبي من المعرفة بكرمك ، وسعة رحمتك ، إلى من يذهب العبد إلا إلى مولاه ، وإلى من يلتجي المخلوق إلا إلى خالقه .

معرفة الله لا تكون إلا بالله ومن الله

مصبح المتهجد: ٥٨٢/

روى أبو حمزة الشمالي قال: كان علي بن الحسين سيد العابدين صلوات الله عليهمما يصلي عامة الليل في شهر رمضان ، فإذا كان السحر دعا بهذا الدعاء: إلهي لا

تؤدبني بعقوبتك ولا تمكر بي في حيلتك ، من أين لي الخير يا رب ولا يوجد إلا من عندك ، ومن أين لي النجاة ولا تستطاع إلا بك ، لا الذي أحسن استغنى عن عونك ورحمتك ، ولا الذي أساء واجتراً عليك ولم يرضك خرج عن قدرتك ، يا رب يا رب يا رب ، بك عرفتك وأنت دللتني عليك ودعوتني إليك ، ولو لا أنت لم أدر ما أنت ... إلخ .

الكافي: ٨٥١/١

علي بن محمد ، عن ذكره ، عن أحمد بن عيسى ، عن محمد حمران ، عن الفضل بن السكن ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: إعرفوا الله بالله ، والرسول بالرسالة ، وأولي الأمر بالمعروف والعدل والاحسان .

ومعنى قوله عليه السلام: إعرفوا الله بالله ، يعني أن الله خلق الأشخاص والأنوار والجواهر والأعيان ، فالأعيان الأبدان ، والجواهر الأرواح ، وهو عز وجل لا يشبه جسماً ولا روحًا ، وليس لأحد في خلق الروح الحساس الدراك أمر ولا سبب ، هو المتفرد بخلق الأرواح والأجسام فإذا نفى عنه الشبهين: شبه الأبدان وشبه الأرواح فقد عرف الله بالله ، وإذا شبهه بالروح أو البدن أو النور ، فلم يعرف الله بالله .

لا يفوز الإنسان بالمعرفة إلا بإذن الله تعالى

أمالي المرتضى: ٣٠/١

إن قال قائل: ما تأويل قوله تعالى: ( وَمَا كَانَ لَنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ) يوتس: ١٠ .

فأما ظن السائل دخول الإرادة في محتمل اللفظ باطل ، لأن الاذن لا يتحمل

الإرادة في اللغة ، ولو احتملها أيضاً لم يجب ما توهّمه لأنه إذا قال إن الإيمان لا يقع إلا وأنا مريد له لم ينف أن يكون مريداً لما لم يقع ، وليس في صريح الكلام ولا دلالته شيء من ذلك .

وأما قوله تعالى: **وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ** ، فلم يعن بذلك الناقصي العقول ، وإنما أراد الذين لم يعقولوا ولم يعلموا ما وجب عليهم علمه من معرفة الله خالقهم ، والإعتراف بنبوة رسله والإنقياد إلى طاعتهم . ووصفهم تعالى بأنهم لا يعقلون تشبيهاً ، كما قال تعالى **صُمُّ بُكْمُ عُمْيٌ** ، وكما يصف أحدنا من لم يفطن بعض الأمور أو لم يعلم ما هو مأمور بعمله بالجحون فقد العقل .

### الهداية والإضلال من الله تعالى لكن الإضلال باستحقاق العبد

الكافي: ١٦٣/١

محمد بن يحيى وغيره ، عن أَحْمَدَ بْنَ مُحَمَّدَ بْنَ عَيْسَى ، عن مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي عَمِيرٍ ، عن مُحَمَّدَ بْنَ حَكَمٍ قال: قلت لابي عبد الله عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُرْفَعُ: المعرفة من صنع من هي ؟ قال: من صنع الله ، ليس للعباد فيها صنع .

محمد بن أبي عبد الله ، عن سهل بن زياد ، عن علي بن إسحاق ، عن الحسين بن زيد ، عن درست بن أبي منصور ، عن حدثه ، عن أبي عبد الله عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُرْفَعُ قال: ستة أشياء ليس للعباد فيها صنع: المعرفة والجهل والرضا والغضب والنوم واليقظة .

الكافي: ١٦٥/١

باب الهدایة أنها من الله عز وجل: عدّة من أصحابنا ، عن أَحْمَدَ بْنَ مُحَمَّدَ بْنَ عَيْسَى ، عن مُحَمَّدَ بْنَ إِسْمَاعِيلَ ، عن إِسْمَاعِيلَ السَّرَّاجَ ، عن ابْنِ مَسْكَانٍ ، عن ثَابِتَ بْنَ سَعِيدَ قال: قال أبو عبد الله: يا ثابت ما لكم وللناس ، كفوا عن الناس ولا تدعوا أحداً إلى أمركم ، فوالله لو أن أهل السماوات وأهل الأرضين اجتمعوا

على أن يهدوا عبداً يريد الله ضلاله ما استطاعوا أن يهدوه ، ولو أن أهل السماوات وأهل الأرضين اجتمعوا على أن يضلوا عبداً يريد الله هدايته ما استطاعوا أن يضلوا ، كفوا عن الناس ولا يقول أحد: عمي وأخي وابن عمي وجاري ، فإن الله إذا أراد بعد خيراً طيب روحه فلا يسمع معروفاً إلا عرفه ولا منكراً إلا أنكره ، ثم يقذف الله في قلبه كلمة يجمع بها أمره .

علي بن إبراهيم بن هاشم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن محمد بن حمران ، عن سليمان بن خالد ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن الله عز وجل إذا أراد بعد خيراً نكت في قلبه نكتة من نور وفتح مسامع قلبه ووكل به ملكاً يسده ، وإذا أراد بعد سوءاً نكت في قلبه نكتة سوداء وسد مسامع قلبه ووكل به شيطاناً يضلها ، ثم تلا هذه الآية: فَمَنْ يُرِدُ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيْهُ أَنْ يَهْدِيْهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدُ أَنْ يُضْلِلُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضِيقاً حَرَجًا كَانَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ .

### دعائين الإسلام: ١٣/١

ورويانا عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه أنه سئل ما الإيمان وما الإسلام؟

فقال: الإسلام الإقرار والإيمان الإقرار والمعرفة فمن عرفه الله نفسه ونبيه وإمامه ثم أقر بذلك فهو مؤمن .

قيل له: فالمعرفة من الله والإقرار من العبد؟

قال: المعرفة من الله حجة ومنه ونعمة والإقرار من يمن الله به على من يشاء ، والمعرفة صنع الله في القلب ، والإقرار فعل القلب بمن من الله وعصمه ورحمه ، فمن لم يجعله الله عارفاً فلا حجة عليه ، وعليه أن يقف ويكتف بما لا يعلم ، ولا

يُعذبه الله على جهله ويُثيّبه على عمله بالطاعة ويُعذبه على عمله بالمعصية ، ولا يكون شئ من ذلك إلا بقضاء الله وقدره وبعلمه وبكتابه بغير جبر ، لأنهم لو كانوا مجبورين لكانوا معدورين وغير ممودين ، ومن جهل فعليه أن يرد إلينا ما أشكل عليه ، قال الله عز وجل: **فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**. انتهى .

وقد عقد البخاري باباً في ١٠١ تحت عنوان ( باب قول النبي(ص)أنا أعلمكم بالله وإن المعرفة فعل القلب لقول الله تعالى ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم ) ولكنه لم يرو حديثاً على أن المعرفة فعل القلب ، ومثل هذه الظاهرة متكررة في البخاري ، حيث تجد عنواناً ولا معنون له .

### دعاة طلب المعرفة من الله تعالى

﴿ مصباح المتهجد / ٤١١ ﴾

وما روى عن أبي عمرو بن سعيد العمري (رض) قال: أخبرنا جماعة ، عن محمد هرون بن موسى التلعكري أن أبا علياً بن همام أخبره بهذا الدعاء ، وذكر أن الشيخ أبي عمرو العمري قدس الله روحه أملأه عليه وأمره أن يدعوه به ، وهو الدعاء في غيبة القائم من آل محمد عليه وعليهم السلام :

اللهم عرفني نفسك ، فإنك إن لم تعرفي نفسك لم أعرف رسولك .

اللهم عرفني رسولك ، فإنك إن لم تعرفي رسولك لم أعرف حجتك .

اللهم عرفني حجتك ، فإنك إن لم تعرفي حجتك ضللت عن ديني .

﴿ الكافي / ٣٣٧ ﴾

علي بن إبراهيم ، عن الحسن بن موسى الخشاب ، عن عبدالله بن موسى عن عبدالله بن بكير ، عن زرارة قال: سمعت أبا عبدالله عاشراً يقول: إن للغلام غيبة قبل

أن يقوم ، قال : قلت ولم ؟ قال: يخاف - وأواماً بيده إلى بطنه - ثم قال: يا زرارة وهو المنتظر ، وهو الذي يشك في ولادته ، منهم من يقول مات أبوه بلا خلف ، ومنهم من يقول حمل ، ومنهم من يقول إنه ولد قبل موت أبيه بستين ، وهو المنتظر غير أن الله عز وجل يحب أن يمتحن الشيعة ، فعند ذلك يرتاب المبطلون يا زرارة .

قال قلت: جعلت فداك إن أدركت ذلك الزمان أي شيء أعمل ؟ قال: يا زرارة إذا أدركت هذا الزمان فادع بهذا الدعاء :

اللهم عرفني نفسك ، فإنك إن لم تعرفي نفسك لم أعرف نبيك ، اللهم عرفني رسولك ، فإنك إن لم تعرفي رسولك لم أعرف حجتك ، اللهم عرفني حجتك ، فإنك إن لم تعرفي حجتك ضللت عن ديني .

ثم قال: يا زرارة لابد من قتل غلام بالمدينة ، قلت: جعلت فداك أليس يقتله جيش السفياني ؟ قال: لا ولكن يقتله جيش آلبني فلان ، يجي حتى يدخل المدينة فياخذ الغلام فيقتله ، فإذا قتله بغياً وعدواناً وظلماً لا يمهلون ، فعند ذلك توقع الفرج إن شاء الله .

## وسائل معرفة الله

### أداة معرفة الله تعالى: العقل

الكافي: ٤٨/١

عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد ، عن نوح بن شعيب النيسابوري ، عن عبيد الله بن عبد الله الدهقان ، عن درست بن أبي منصور ، عن عروة بن أخي شعيب العقرقوفي عن شعيب ، عن أبي بصير قال: سمعت أبا عبد الله عَلَيْهِ الْكَلَمُونَ يقول:

كان أمير المؤمنين عَلَيْهِ الْكَلَمُ يقول: يا طالب العلم إن العلم ذو فضائل كثيرة: فرأسه التواضع ، وعينه البراءة من الحسد ، وأذنه الفهم ، ولسانه الصدق ، وحفظه الفحص ، وقلبه حسن النية وعقله معرفة الأشياء والأمور ، ويده الرحمة ، ورجله زيارة العلماء .

الكافي: ١٣/١

أبو عبد الله الأشعري ، عن بعض أصحابنا ، رفعه عن هشام بن الحكم قال: قال لي أبو الحسن موسى بن جعفر عَلَيْهِ الْكَلَمُ : يا هشام إن الله تبارك وتعالى بشر أهل العقل والفهم في كتابه فقال: فَبَشِّرْ عِبَادَ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَبْتَغُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمُ أُولُوا الْأَبْيَابِ .

يا هشام ، إن الله تبارك وتعالى أكمل للناس الحجج بالعقول ، ونصر النبيين بالبيان ، ودلهم على ربوبيته بالأدلة فقال: « وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ . إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْخَلْفَ الْلَّيلَ وَالنَّهَارَ وَالْفُلْكَ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا يَاتِ لَقَوْمٍ يَعْقُلُونَ » .

يا هشام ، قد جعل الله ذلك دليلاً على معرفته بأن لهم مدبراً فقال: « وَسَخَّرَ لَكُمُ الْلَّيلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالْجُوُمُ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لَقَوْمٍ يَعْقُلُونَ ». وقال: « هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرْكَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طَفْلًا ثُمَّ لَتَبَغُوا أَشَدَّكُمْ ثُمَّ لَتَكُونُوا شَيْوَخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يَتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ وَلَتَبَغُوا أَجَلًا مُسَمَّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقُلُونَ ». وقال: « وَالْخَلْفَ الْلَّيلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَ

َتَصْرِيفُ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقُلُونَ ». وقال: «يُحِينِي الْأَرْضُ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ شَيَّأَ لَكُمُ الْأَيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقُلُونَ ».

وقال: «وَجَهَاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَرَزْعٌ وَتَخْلِيلٌ صَنْوَانٌ وَغَيْرُ صَنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنَفَضِّلُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقُلُونَ ».

وقال: «وَمَنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزَّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيَحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقُلُونَ ».

وقال: «قُلْ تَعَالَوْا أَتَلُّ مَا حَرَمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ لَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدِينِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِّنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَغْرِبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَاحَبُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقُلُونَ ».

وقال: «هَلْ لَكُمْ مَا مَلَكْتُ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرُكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَإِنَّمَا فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَحِيفَتُكُمْ أَنْفُسُكُمْ كَذَلِكَ نَفَصِّلُ الْأَيَاتِ لِّقَوْمٍ يَعْقُلُونَ ».

يا هشام ، ما بعث الله أنباءه ورسله إلى عباده إلا ليعلموا عن الله ، فأحسنهم استجابة أحسنهم معرفة ، وأعلمهم بأمر الله أحسنهم عقلاً ، وأكملهم عقلاً أرفعهم درجة في الدنيا والآخرة .

يا هشام ، إن الله على الناس حجتين: حجة ظاهرة وحججة باطنة ، فأما الظاهرة فالرسل والأنبياء والأنئمة عليهم السلام ، وأما الباطنة فالعقل .

يا هشام ، إن العاقل الذي لا يشغل الحال شكره ، ولا يغلب الحرام صبره .

يا هشام ، الصبر على الوحدة قوة العقل ، فمن عقل عن الله اعتزل أهل الدنيا والراغبين فيها ، ورغم فيما عند الله ، وكان الله أنسه في الوحشة ، وصاحبها في الوحدة ، وغناه في العيلة ، ومعزه من غير عشيرة .

يا هشام ، إن الله حكى عن قوم صالحين أنهم قالوا: **رَبَّنَا لَا تُنْزِعْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَذَّتِكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ** ، حين علموا أن القلوب تزيغ وتعود إلى عماها ورداها. إنه لم يخف الله من لم يعقل عن الله ، ومن لم يعقل عن الله لم يعقد قلبه على معرفة ثابتة يبصرها ويجد حققتها في قلبه ، ولا يكون أحد كذلك إلا من كان قوله لفعله مصدقاً ، وسره لعلانيته موافقاً ، لأن الله تبارك اسمه لم يدل على الباطن الخفي من العقل إلا بظاهر منه وناطق عنه .

#### رسائل الشريف المرتضى: ١٢٧/١

المسألة التاسعة قد سئل رَجُلُ اللَّهِ عن الطريق إلى معرفة الله بمجرد العقل أو من طريق السمع .

الجواب: إن الطريق إلى معرفة الله تعالى هو العقل ، ولا يجوز أن يكون السمع ، لأن السمع لا يكون دليلاً على الشيء إلا بعد معرفة الله وحكمته ، وإنه لا يفعل القبيح ولا يصدق الكذابين ، فكيف يدل السمع على المعرفة. ووجه دلالته مبني على حصول المعارف بالله حتى يصح أن يوجب عليه النظر. وردنا على من يذهب من أصحابنا إلى أن معرفة الله تستفاد من قول الإمام ، لأن معرفة كون الإمام إماماً مبنية على المعرفة بالله تعالى . . . .

وبينا أن العاقل إذا نشأ بين الناس ، وسمع اختلافهم في الديانات ، وقول كثير منهم أن للعالم صانعاً خلق العقلاه ليعرفوه ، ويستحقوا الثواب على طاعاتهم ، وأن من فرط في المعرفة استحق العقاب: لابد من كونه خائفاً من ترك النظر وإهماله ، لأن خوف الضرر وجهه على وجوب كل نظر في دين أو دنيا ، وأنه متى خاف الضرر وجب عليه النظر وقبح منه إهماله والأخلال به .

## الرسالة السعدية للعلامة الحلي ٥٤

وخامسها: أن معرفة الله تعالى واجبة ، وليس مدرك الوجوب السمع ، لأن معرفة الإيمان يتوقف على معرفة الموجب ، فيستحيل معرفة الإيجاب قبل معرفة الموجب ، فلو أُسندت معرفة الموجب به ، دار .

## نهج الحق للعلامة الحلي ٥١

الحق أن وجوب معرفة الله تعالى مستفاد من العقل وإن كان السمع قد دل عليه بقوله: فاعلم أنه لا إله إلا الله ، لأن شكر المنعم واجب بالضرورة وآثار النعمة علينا ظاهرة ، فيجب أن نشكر فاعلها ، وإنما يحصل بمعرفته ، ولأن معرفة الله تعالى واقعة للخوف الحاصل من الإختلاف ، ودفع الخوف واجب بالضرورة . وقالت الأشعرية: إن معرفة الله تعالى واجبة بالسمع لا بالعقل فلزمهم ارتكاب الدور المعلوم بالضرورة بطلاه ، لأن معرفة الإيجاب تتوقف على معرفة الموجب فإن من لا نعرفه بشيء من الإعتبارات البتة نعلم بالضرورة أنا لا نعرف أنه أوجب ، فلو استفیدت معرفة الموجب من معرفة الإيجاب لزم الدور المحال !

وأيضاً لو كانت المعرفة إنما تجب بالأمر لكان الأمر بها إما أن يتوجه إلى العارف بالله تعالى أو إلى غير العارف والقسمان باطلان ، فتعليل الإيجاب بالأمر محال ، أما بطلان الأول فلانه يلزم منه تحصيل الحاصل وهو محال ، وأما بطلان الثاني: فلان غير العارف بالله تعالى يستحيل أن يعرف أن الله قد أمره وأن امثثال أمره واجب ، وإذا استحال أن يعرف أن الله تعالى قد أمره وأن امثثال أمره واجب استحال أمره وإلا لزم تكليف ما لا يطاق . وسيأتي بطلانه إن شاء الله تعالى .

لَا يحاسِبُ اللَّهُ النَّاسُ إِلَّا عَلَى قَدْرِ مَعْرِفَتِهِمْ ، وَمَا بَيْنَ لَهُمْ ، وَمَا آتَاهُمْ

الكافِي: ١٦٣/١

عن أبي عبد الله عَلَيْهِ الْكَلَمُ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَنْعِمْ عَلَى عَبْدٍ نَعْمَةً إِلَّا وَقَدْ أَلْزَمَهُ فِيهَا الْحَجَةَ  
مِنَ اللَّهِ ، فَمَنْ مِنَ اللَّهِ عَلَيْهِ فَجَعَلَهُ قَوِيًّا فَحَجَّتْهُ عَلَيْهِ الْقِيَامُ بِمَا كَلَفَهُ ، وَاحْتَمَالُ مِنَ  
هُوَ دُونَهُ مِنْ مَنْ هُوَ أَضَعُفُ مِنْهُ ، فَمَنْ مِنَ اللَّهِ عَلَيْهِ فَجَعَلَهُ مُوسِعًا عَلَيْهِ فَحَجَّتْهُ عَلَيْهِ  
مَالَهُ ، ثُمَّ تَعَااهَدَهُ الْفَقَرَاءُ بَعْدَ بُنَوَافِلِهِ ، وَمَنْ مِنَ اللَّهِ عَلَيْهِ فَجَعَلَهُ شَرِيفًا فِي بَيْتِهِ ،  
جَمِيلًا فِي صُورَتِهِ ، فَحَجَّتْهُ عَلَيْهِ أَنْ يَحْمِدَ اللَّهَ تَعَالَى عَلَى ذَلِكَ وَأَنْ لَا يَتَطَاوِلَ  
عَلَى غَيْرِهِ ، فَيَمْنَعَ حُقُوقَ الْمُضْعِفَاءِ لِحَالِ شَرْفِهِ وَجَمَالِهِ .

عَدَةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَيْسَى ، عَنِ الْحِجَالِ ، عَنْ ثُعْلَبَةِ بْنِ  
مِيمُونَ ، عَنْ عَبْدِ الْأَعْلَى بْنِ أَعْيَنَ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ الْكَلَمُ مِنْ لَمْ يَعْرِفْ شَيْئًا هَلْ  
عَلَيْهِ شَيْئًا؟ قَالَ: لَا .

مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَيْسَى ، عَنْ أَبِي فَضَالٍ ، عَنْ دَاؤِدَ بْنِ  
فَرْقَدِ عَنْ أَبِي الْحَسْنِ زَكْرِيَا بْنِ يَحْيَى ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ الْكَلَمُ قَالَ: مَا حَجَبَ اللَّهُ عَنِ  
الْعِبَادِ فَهُوَ مُوْضِعُهُمْ .

مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى وَغَيْرُهُ ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَيْسَى ، عَنِ الْحَسِينِ بْنِ سَعِيدِ  
عَنْ أَبِي عَمِيرٍ ، عَنْ جَمِيلِ بْنِ دَرَاجٍ ، عَنْ أَبِي الطِيَارِ ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ الْكَلَمُ  
قَالَ: إِنَّ اللَّهَ احْتَجَ عَلَى النَّاسِ بِمَا آتَاهُمْ وَعَرَفُوهُمْ .

وَبِهَذَا الإِسْنَادُ ، عَنْ يُونُسَ ، عَنْ حَمَادَ ، عَنْ عَبْدِ الْأَعْلَى قَالَ: قَلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ  
عَلَيْهِ الْكَلَمُ: أَصْلَحَكَ اللَّهُ هَلْ جَعَلَ فِي النَّاسِ أَدَاءً يَنْالُونَ بِهَا الْمَعْرِفَةَ؟ قَالَ: لَا ، فَقَالَ: لَا ،  
قَلْتُ: فَهَلْ كَلَفُوا الْمَعْرِفَةَ؟ قَالَ: لَا ، عَلَى اللَّهِ الْبَيَانُ: لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ، لَا  
يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا ، قَالَ: وَسَأَلْتُهُ عَنْ قَوْلِهِ: وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ

حَتَّى يَسِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ ، قال: حتى يعرفهم ما يرضيه وما يسخطه .

عده من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد بن خالد ، عن ابن فضال ، عن ثعلبة بن ميمون ، عن حمزة بن محمد الطيار ، عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ في قول الله عز وجل: « وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يَسِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ ». قال: « حتى يعرفهم ما يرضيه وما يسخطه ». وقال: « فَاللَّهُمَّ هَا فُجُورُهَا وَقُوَّاهَا » ، قال: بين لها ما تأتي وما تترك ، وقال: « إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كُفُورًا » ، قال: عرفناه ، إما آخذ وإما تارك. وعن قوله: وَأَمَّا ثُمُودٌ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحْبُوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى ، قال: عرفناهم فاستحبوا العمى على الهدى وهم يعرفون ؟ وفي رواية: بينما لهم .

عده من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد بن خالد ، عن علي بن الحكم ، عن أبيان الأحمر عن حمزة بن الطيار ، عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: أكتب فأملي على: إن من قولنا أن الله يتحجج على العباد بما آتاهم وعرفهم ، ثم أرسل إليهم رسولاً وأنزل عليهم الكتاب فأمر فيه ونهى ، أمر فيه بالصلاحة والصيام فنام رسول الله عَلَيْهِ السَّلَامُ عن الصلاة فقال: أنا أنيمك وأنا أوقظك فإذا قمت فصل ليعلموا إذا أصحابهم ذلك كيف يصنعون ، ليس كما يقولون إذا نام عنها هلك ، وكذلك الصيام أنا أمرضك وأنا أصحك ، فإذا شفيتك فأقضه .

ثم قال أبو عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ: وكذلك إذا نظرت في جميع الأشياء لم تجد أحداً في ضيق ، ولم تجد أحداً إلا والله عليه الحجة والله فيه المشيئة ، ولا أقول: إنهم ما شاؤوا صنعوا ، ثم قال: إن الله يهدي ويضل ، وقال: وما أمروا إلا بدون سعتهم ، وكل شيء أمر الناس به فهم يسعون له ، وكل شيء لا يسعون له فهو موضوع عنهم ، ولكن الناس لا خير فيهم ، ثم تلا عَلَيْهِ السَّلَامُ: « لَيْسَ عَلَى الْفُسُقَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُتَقْبَلُونَ حَرَجٌ » - فوضع عنهم - ما على المحسنين من سبيل

والله غفور رحيم. ولا على الدين إذا ما أتوك لتحملهم - قال: فوضع عنهم لأنهم لا يجدون .

الإعتقادات للصدوق ١٦٨/

قال الشيخ أبو جعفر رض: إعتقدنا في ذلك أن الله تعالى فطر جميع الخلق على التوحيد وذلك قوله عز وجل: **فَطْرَةُ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا** . وقال الصادق عليه السلام في قوله تعالى: **وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّمُّنُونَ** . وقال عليه السلام: حتى يعرفهم ما يرضيه وما يسخطه .

وقال في قوله تعالى: **فَأَلَّهُمَّهَا فُجُورَهَا وَنَقْوَاهَا** ، قال: بين لها ما تأتي وما ترك من المعاصي .

وقال في قوله تعالى: **إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا** ، قال: عرفناه إما آخذاً وإما تاركاً .

وفي قوله تعالى: **وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحْجُبُوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى** ، قال: وهم يعرفون .

وسئل عن قول الله عز وجل: **وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ** ، قال: نجد الخير ونجد الشر .

وقال عليه السلام: ما حجب الله علمه عن العباد فهو موضوع عنهم .

وقال عليه السلام: إن الله تعالى احتج على الناس بما أتاهم وعرفهم .

## من أسباب المعرفة وأثارها

### ما يورث المعرفة

مستدرك الوسائل: ٥٠٠/٧

الحسن بن أبي الحسن الديلمي في إرشاد القلوب: عن أمير المؤمنين عليه السلام عن النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه أنه قال في ليلة المراج: يا رب ما أول العبادة؟ قال: أول العبادة الصمت والصوم ، قال: يا رب وما ميراث الصوم؟ قال: يورث الحكمة ، والحكمة تورث المعرفة ، والمعرفة تورث اليقين، فإذا استيقن العبد لا يبالي كيف أصبح بعسر أم بيسر.

### ما تورثه المعرفة

مستدرك الوسائل: ١٨٥/١١

... قال رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه: فكر ساعة خير من عبادة سنة ، ولا ينال منزلة التفكير إلا من خصه الله بنور المعرفة والتوحيد .

### ما يفسد المعرفة ويطفي نورها

مستدرك الوسائل: ٢١٨/١٦

الحسن بن فضل الطبرسي في مكارم الاخلاق: عن رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه أنه قال: لا تشبعوا فيطفأ نور المعرفة من قلوبكم .

مستدرك الوسائل: ٢١٣/١٦

القطب الرواندي في لب الباب: عن جعفر بن محمد (عليهما السلام) أنه قال:

فساد الجسد في كثرة الطعام ، وفساد الزرع في كسب الأئم ، وفساد المعرفة في ترك الصلاة على خير الأنام .

\* \*



## الفصل السادس

### خطر ضلال الأمم بعد المعرفة



### كان نبينا يخاف على أمته الضلال بعد المعرفة

الكافي: ٧٩/٢

قال رسول الله ﷺ: ثلات أخافهن على أمتي من بعدي: الضلال بعد المعرفة ، ومضلالات الفتنة ، وشهوة البطن والفرج. انتهى. ورواه في وسائل الشيعة: ١٩٨/١١ وفي مستدرك الوسائل: ٢٧٦/١١ وفي مسنده الإمام زيد: ٤٩٤

### أمالي المفيد/ ١١١

قال: أخبرني أبو حفص عمر بن محمد الصيرفي قال: حدثنا علي بن مهرويه القزويني قال: حدثنا داود بن سليمان الغاري قال: حدثنا الرضا علي بن موسى قال: حدثني موسى بن جعفر قال: حدثني أبي جعفر بن محمد قال: حدثني أبي محمد بن علي قال: حدثني علي بن الحسين قال: حدثني أبي الحسين بن علي قال: حدثني أبي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهما السلام قال: قال رسول الله ﷺ: ثلاثة أخافهن على أمتي: الضلال بعد المعرفة ، ومضلالات الفتنة ، وشهوة الفرج والبطن .

وقد روت هذا المعنى مصادر إخواننا السنة ، ففي مسنده أحمده: ٤٢٠/٤ عن أبي بربعة الأسلمي ، قال أبو الأشهب لا أعلم إلا عن النبي (ص) قال: «إن مما

أخشى عليكم شهوات الغي في بطونكم وفروجكم ومضلات الفتنة». وفي رواية ومضلات الهوى. انتهى. ورواه في مجمع الزوائد: ٣٠٥/٧ وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح. ورواه في كنز العمال: ٤٥/١٦.

### وضع المعرفة في بني إسرائيل بعد موسى

العهد القديم: ٢٨٢/٢

الإصحاح الرابع ١ إسمعوا قول الرب يا بني إسرائيل. إن للرب محاكمة مع سكان الأرض لأنّه لا أمانة ولا إحسان ولا معرفة الله في الأرض. ٢ لعنٌ وكذبٌ وقتل وسرقة وفسق. يعتنفون ودماء تلحق دماء . . . .

قد هلك شعبي من عدم المعرفة. لأنك أنت رفضت المعرفة أرفضك أنا حتى لا تكهن لي . ولأنك نسيت شريعة إلهك أنسى أنا أيضاً بنيك .

العهد القديم ٢٥٤

الإصحاح الخامس والعشرون ١ وأقام إسرائيل في شطيم وابتدا الشعب يزنون مع بنات موآب. ٢ فدعون الشعب إلى ذبائح آلهتهم فأكل الشعب وسجدوا لآلهتهم. ٣ وتعلق إسرائيل ببعض غفور. فحمي غضب الرب على إسرائيل .

العهد القديم ٢٩٦

الإصحاح الحادي عشر ١ فأحبب الرب إلهك واحفظ حقوقه وفرائضه وأحكامه ووصاياته كل الأيام. ٢ واعلموا اليوم أنّي لست أريد بنيكم الذين لم يعرفوا ولا رأوا تأديب الرب إلهكم عظمته ويده الشديدة وذراعه الرفيعة. ٣ وآياته وصنائعه التي عملها في مصر بفرعون ملك مصر وبكل أرضه. ٤ والتي عملها بجيش مصر

بخيلهم ومراكبهم حيث أطاف مياه بحر سوف على وجوههم حين سعوا وراءكم فأبادهم الرب إلى هذا اليوم. ٥ والتي عملها لكم في البرية حتى جثتم إلى هذا المكان. ٦ والتي عملها بداعيات وأبيرايم ابني الياب ابن راوين اللذين فتحت الأرض فاها وابتلعتهما مع بيوتهما وخيامهما وكل الموجودات التابعة لهما في وسط كل إسرائيل.... ٢٧ البركة إذا سمعتم لوصايا الرب إلهكم التي أنا أوصيكم بها اليوم. ٢٨ واللعنة إذا لم تسمعوا لوصايا الرب إلهكم وزغتم عن الطريق التي أنا أوصيكم بها اليوم ، لتهذبوا وراء آلهة أخرى لم تعرفوها .

العهد القديم ٣٠٠

الإصحاح الثالث عشر ١ إذا قام في وسطكنبي أو حالم حلماً وأعطاك آية أو أujeوبة ٢ ولو حدثت الآية أو الأujeوبة التي كلملك عنها قائلاً لذهب وراء آلهة أخرى لم نعرفها ونبعدها ٣ فلا تسمع لكلام ذلك النبي أو الحالم ذلك الحلم ، لأن الرب إلهكم يمتحنكم لكي يعلم هل تحبون الرب إلهكم من كل قلوبكم ومن كل أنفسكم . . . .

وإذا أغواك سراً أخوك ابن أملك أو ابنك أو ابنتك أو امرأة حضنك أو صاحبك الذي مثل نفسك قائلاً: نذهب ونعبد آلهة أخرى لم تعرفها أنت ولا آباؤك ٧ من آلهة الشعوب الذين حولك القرىين منك أو البعيدين عنك من أقصاء الأرض إلى أقصائهما ٨ فلا ترض منه ولا تسمع لا ولا تشفع عينك عليه ولا ترق له ولا تستره . . . .

قد خرج أناس بنو لئيم من وسطك وطهروا سكان مدینتهم قائلين: نذهب ونعبد آلهة أخرى لم تعرفوها .

العهد القديم ١٩٦

وقال رب من أجل أن بنات صهيون يت shamخن وي mismatchin ممدودات الأعنق وغامزات بعيونهن و خاطرات في مشيهن وي خشخشن بأرجلهن. ١٧ يصلع السيد هامة بنات صهيون ويعرى الرب عورتهن. ١٨ ينزع السيد في ذلك اليوم زينة الخاليل والضفائر والاهلة. ١٩ والحلق والاساور والبراقع. ٢٠ والعصائب والسلالس والمناطق و حناجر الشمامات والاحراز. ٢١ والخواتم و خزائم الأنف. ٢٢ والثياب المزخرفة والاعطف والأردية والأكياس. ٢٣ والمرائي والقمصان والعمائم والازر. ٢٤ فيكون عوض الطيب عفونة ، وعوض المنطقة حبل ، وعوض الجداول قرعة ، وعوض الديباج زنار مسح ، وعوض الجمال كي .

إتهامهم نبيهم موسى بأنه لم يعرف الله تعالى

العهد القديم ١٤٢

وقال موسى للرب أنظر ، أنت قائل لي أصعد هذا الشعب ، وأنت لم تعرفي من ترسل معي ، وأنت قد قلت عرفتك باسمك ، وووجدت أيضاً نعمة في عيني ، ١٣ فالآن إن كنت قد وجدت نعمة في عينيك فعلمني طريقك حتى أعرفك لكي أجد نعمة في عينيك .

بولس يصف فساد الناس في عصره وبعدهم عن المعرفة

العهد الجديد ٢٤٦/

الإصلاح الأول ٢١ لأنهم لما عرفوا الله لم يمجدوه أو يشکروه كإله بل حمقوها في أفكارهم وأظلم قلبهم الغبي. ٢٢ وبينما هم يزعمون أنهم حكماء صاروا جهلاً. ٢٣ وأبدلوا مجد الله الذي لا يفني بشبه صورة الإنسان الذي يفني والطيور والدواب والزحافات... .

وكذلك الذكور أيضاً تاركين استعمال الأنثى الطبيعي اشتعلوا بشهوتهم بعضهم بعض فاعلين الفحشاء ذكوراً بذكور ونائلين في أنفسهم جزاء ضلالهم المحقق. ٢٨ وكما لم يستحسنوا أن يبقو الله في معرفتهم أسلّمهم الله إلى ذهن مرفوض ليفعلوا ما لا يليق. ٢٩ مملوئين من كل إثم وزناً وشر وطعم وخبث ، مشحونين حسداً وقتلاً وخصاماً ومكرأً وسوءاً. ٣٠ نمامين مفترين مبغضين لله ، ثالثين متعظمين مدعين مبتدعين شروراً ، غير طائعين للوالدين. ٣١ بلا فهم ولا عهد ولا حنون ولا رضى ولا رحمة. ٣٢ الذين إذ عرّفوا حكم الله أن الذين يعملون مثل هذه يستوجبون الموت لا يفعلونها فقط ، بل أيضاً يسرّون بالذين يعملون .

### المعرفة التي دعا إليها بولس الذي نَصَرَ النَّصَارَى

العهد الجديد/ ٣٨١

رسالة بطرس الرسول الثانية الإصلاح الأول. ١ سمعان بطرس عبد يسوع المسيح ورسوله إلى الذين نالوا معنا إيماناً ثميناً مساواً لنا ببر إلهنا والمخلص يسوع المسيح. ٢ لتكثر لكم النعمة والسلام بمعرفة الله ويسوع ربنا. ٣ كما أن قدرته الإلهية قد وهبت لنا كل ما هو للحياة والتقوى بمعرفة الذي دعانا بالمجد والفضيلة. ٤ اللذين بهما قد وهب لنا الموعيد العظمى والثمينة ، لكي تصيروا بها شركاء الطبيعة الإلهية هاربين من الفساد الذي في العالم بالشهوة . . . لأن هذه إذا كانت فيكم وكثرت تصيركم لا متکاسبين ولا غير مثمرین لمعرفة ربنا يسوع

المسيح . . .

العهد الجديد/ ٣٨٩

الاصلاح الرابع ١ أيها الأحياء لا تصدقوا كل روح بل امتحنوا الأرواح هل هي

من الله لأن أنبياء كذبة كثرين قد خرجوا إلى العالم. ٢ بهذا تعرفون روح الله. كل روح يعترف بيسوع المسيح أنه قد جاء في الجسد فهو من الله. ٣ وكل روح لا يعترف بيسوع المسيح أنه قد جاء في الجسد فليس من الله . . . نحن من الله فمن يعرف الله يسمع لنا ومن ليس من الله لا يسمع لنا. من هذا نعرف روح الحق وروح الضلال .

ونحن قد عرفنا وصدقنا المحبة التي لله فينا. الله محبة ومن يثبت في المحبة يثبت في الله والله فيه .

### العهد الجديد/ ٣٩٠

الإصحاح الخامس ١ كل من يؤمن أن يسوع هو المسيح فقد ولد من الله ، وكل من يحب الوالد يحب المولود منه أيضاً. ٢ بهذا نعرف إننا نحب أولاد الله إذا أحبينا الله وحفظنا وصاياه . . . ونعلم أن ابن الله قد جاء وأعطانا بصيرة لنعرف الحق ، ونحن في الحق في ابنه يسوع المسيح ، هذا هو الإله الحق والحياة الأبدية. ٢١ أيها الأولاد إحفظوا أنفسكم من الأصنام .

### متى اخترع المسيحيون التثليث بعد التوحيد

#### قاموس الكتاب المقدس/ ٢٣٢

الثالثون الأقدس ( تثليث ) عرف قانون الإيمان هذه العقيدة بالقول ( نؤمن بإله واحد الأب والابن والروح القدس إله واحد جوهر واحد متساوين في القدرة والمجد ). في طبيعة هذا الإله الواحد تظهر ثلاثة خواص أزلية ، يعلنها الكتاب في صورة شخصيات ( أقانيم ) متساوية. ونعرفنا بهذه الشخصية المثلثة الأقانيم ليست إلا حقاً سماوياً أعلنه لنا الكتاب في العهد القديم بصورة غير واضحة

المعالم ، لكنه قدمه في العهد الجديد واضحًا ، ويمكن أن نلخص العقيدة في هذه النقاط الست التالية:

- ١- الكتاب المقدس يقدم لنا ثلات شخصيات يعتبرهم شخص الله .
- ٢- هؤلاء الثلاثة يصفهم الكتاب بطريقة تجعلهم شخصيات متميزة الواحدة عن الأخرى .
- ٣- هذا التثلث في طبيعة الله ليس موقتاً أو ظاهرياً بل أبدي و حقيقي .
- ٤- هذا التثلث لا يعني ثلاثة آلهة بل إن هذه الشخصيات الثلاث جوهر واحد .
- ٥- الشخصيات الثلاث الأب والابن والروح القدس متساون .
- ٦- ولا يوجد تناقض في هذه العقيدة ، بل بالاحرى أنها تقدم لنا المفتاح لفهم باقي العقائد المسيحية. ولقد كانت هذه الحقيقة متضمنة في تعليم المسيح ( يو: ٩:١٤ و يو: ١٥ و يو: ٢٦ و يو: ١٤ و يو: ٢٦ ) .

وقد تمسكت الكنيسة بما جاء واضحًا في مت ٢٨:١٩ ، وتحدث الرسل مقدمين هذه الحقيقة في ٢ كو ١٣:١٤ و ١ بط ١:٢ و ١ يو ٥:٧ .

ولا نستطيع أن نغفل منظر معمودية المسيح وفيه يسمع صوت الأب واضحًا موجهاً إلى المسيح ، ويستقر الروح القدس على رأس المسيح الابن في شكل حمام ( مت ٣:١٦ و مر ١:١٧ و لو ١١ و ٢١ و ٢٢ و يو ١:٣٣ و ٣٢ ) .

ولقد كان يقين الكنيسة وإيمانها بلاهوت المسيح هو الدافع الحتمي لها لتصوغ حقيقة التثلث في قالب يجعلها المحور الذي تدور حوله كل معرفة المسيحيين بالله في تلك البيئة اليهودية أو الوثنية و تقوم عليه .

والكلمة نفسها ( التثلث أو الثالوث ) لم ترد في الكتاب المقدس ، ويفطن أن أول من صاغها و اخترعها واستعملها هو ترتيليان في القرن الثاني للميلاد. ثم ظهر

سبيليوس ببدعته في منتصف القرن الثالث وحاول أن يفسر العقيدة بالقول: إن التثليث ليس أمراً حقيقةً لله لكنه مجرد إعلان خارجي ، فهو حادث موقت وليس أبداً. ثم ظهرت بدعة إريوس الذي نادى بأن الآب وحده هو الأزلية بينما الآب والروح القدس مخلوقان متميزان عن سائر الخليقة . وأخيراً ظهر إثناسيوس داحضاً هذه النظريات وواضعاً أساس العقيدة السليمة التي قبلها واعتمدها مجمع نيقية في عام ٣٢٥ ميلادية . ولقد تبلور قانون الإيمان الإثناسيوسي على يد اغسططينوس في القرن الخامس ، وصار القانون عقيدة الكنيسة الفعلية من ذلك التاريخ إلى يومنا هذا .

## الفصل السابع

متى تجب المعرفة على الإنسان



## في أي سن يجب التفكير والمعرفة

رسائل الشهيد الثاني: ١٣٥/٢

إعلم أن المتكلمين حددوا وقت التكليف بالمعرفة بالتمكن من العلم بالمسائل الأصولية ، حيث قالوا في باب التكليف أن المكلف يشترط كونه قادراً على ما كلف به مميزاً بينه وبين غيره مما لم يكلف به متمكناً من العلم بما كلف به ، إذ التكليف بدون ذلك محال. وظاهر أن هذا لا يتوقف على تحقق البلوغ الشرعي بإحدى العلامات المذكورة في كتب الفروع ، بل قد يكون قبل ذلك بستين أو بعده كذلك ، بحسب مراتب الإدراك قوة وضعفاً. وذكر بعض فقهائنا أن وقت التكليف بالمعارف الإلهية هو وقت التكليف بالأعمال الشرعية ، إلا أنه يجب أولاً بعد تحقق البلوغ والعقل المسارعة إلى تحصيل المعرفة قبل الإتيان بالأعمال .

أقول: هذا غير جيد ، لأنه يلزم منه أن يكون الإناث أكمل من الذكور ، لأن الأنثى تخاطب بالعبادات عند كمال التسع إذا كانت عاقلة ، فتخاطب بالمعرفة أيضاً عند ذلك، والصبي لا يبلغ عند كمال التسع بالإحتلام ولا بالانبات على ما جرت به العادة، فلا يخاطب بالمعرفة وإن كان مميزاً عاقلاً لعدم خطابه بالعبادات ، فتكون أكمل منه استعداداً للمعارف ، وهو بعيد عن مدارك العقل والنقل. ومن

ثم ذهب بعض العلماء إلى وجوب المعرفة على من بلغ عشرًا عاقلاً، ونسب ذلك إلى الشيخ أبي جعفر الطوسي عليه السلام وأيضاً هذا لا يوافق ما هو الحق من أن معرفة الله تعالى واجبة عقلاً لا سمعاً، لأننا لو قلنا إن المعرفة لا تجب إلا بعد تحقق البلوغ الشرعي الذي هو مناط وجوب العبادات الشرعية، لكننا قد أوجبنا المعرفة بالشرع لا بالعقل، لأن البلوغ المذكور إنما علم من الشرع، وليس في العقل ما يدل على أن وجوب المعرفة إنما يكون عند البلوغ المذكور، فلو وجبت عنده لكان الوجوب معلوماً من الشرع، لا من العقل.

لا يقال: العقل إنما دل على وجوب المعرفة في الجملة دون تحديد وقته، والشرع إنما دل على تحديد وقت الوجوب وهو غير الوجوب، فلا يلزم كون الوجوب شرعاً.

لأننا نقول: لا نسلم أن في الشرع ما يدل على تحديد وقت وجوب المعرفة أيضاً، بل إنما دل على تحديد وقت العبادات فقط، نعم دل الشرع على تقدم المعرفة على العبادات في الجملة، وهو أعم من تعين وقت التقدم، فلا يدل عليه. وأيضاً لا يعني لكون العقل يدل على وجوب المعرفة في الجملة من دون اطلاعه على وقت الوجوب، إذ لا ريب أنه يلزم من الحكم بوجوبها كونها واجبة في وقت الحكم.

والحاصل: أنه لا يمكن العلم بوجوبها إلا بعد العلم بوقت وجوبها، فالوقت كما أنه ظرف لها فهو ظرف للوجوب أيضاً.

وتوسيحه: أن العبد متى لاحظ هذه النعم عليه وعلم أن هناك منعماً أنعم بها عليه، أوجب على نفسه شكره عليها في ذلك الوقت، خوفاً من أن يسلبه إياها لو لم يشكره، وحيث أنه لم يعرفه بعد يوجب على نفسه النظر في معرفته في ذلك

الوقت ليتمكنه شكره ، فقد علم أنه يلزم من وجوب المعرفة بالعقل معرفة وقتها أيضاً.

نعم ما ذكروه إنما يتم على مذهب الأشاعرة ، حيث أن وجوب المعرفة عندهم سمعي .

فإن قلت: قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: رفع القلم عن الصبي حتى يبلغ ، فيه دلالة على تحديد وقت وجوب المعرفة بالبلوغ الشرعي ، لأن رفع القلم كناية عن رفع التكليف وعدم جريانه عليه إلى الغاية المذكورة ، فقبلها لا يكون مكلفاً بشيء ، سواء كان قد عقل أم لا .

قلت: لا نسلم دلالته على ذلك ، بل إن دل فإنما يدل على أن البلوغ الشرعي غاية لرفع التكليف مطلقاً. وإن كان عقلياً ، فيبقى الدليل الدال على كون التكليف بالمعرفة عقلياً سالماً عن المعارض ، فإنه يستلزم تحديد وقت وجوب المعرفة بكمال العقل ، كما تقدمت الإشارة إليه .

والحاصل: أن عموم رفع القلم مخصوص بالدليل العقلي ، وقد عرف العقل الذي هو مناط التكاليف الشرعية بأنه قوة للنفس بها تستعد للعلوم والإدراكات ، وهو المعنى بقولهم غريزة يتبعها العلم بالضروريات عند سلامنة الآلات ، وهذا التفسير اختاره المحقق الطوسي رَحْمَةُ اللَّهِ وَجْهُهُ وجماعة .

مجمع الفائدة والبرهان: ٤٠٩

المرافق إذا أسلم حكم بإسلامه ، فإن ارتد بعد ذلك يحكم بارتداده وإن لم يتبع قتل . . .

وقال أبو حنيفة: يصح إسلامه وهو مكلف بالإسلام ، وإليه ذهب بعض أصحابنا ،

لأنه يمكنه معرفة التوحيد بالنظر والإستدلال ، فصح منه كالبالغ ، ونقل الشيخ عن أصحابه أنهم حكموا بإسلام علي عليهما السلام وهو غير بالغ وحكم بإسلامه بالإجماع. والإستدلال بالرواية مشكل ، لعدم ظهور الصحة والدلالة على هذا المطلب ، وما نقل عن أمير المؤمنين عليهما السلام مما لا يقاس عليه غيره ، فإن النبي عليهما السلام ليسوا من قبيل سائر الناس ، ولهذا حكموا بكون الحجة صلوات الله وسلامه عليه إماماً مع كونه ابن خمس سنين .

نعم الحكم بإسلام المراهق غير بعيد لعموم من قال: لا إله إلا الله محمد رسول الله عليهما السلام فهو مسلم ، وقاتلواهم حتى يقولوا لا إله إلا الله ، وأمثاله كثيرة. ولأنهم إذا قدروا على الإستدلال وفهموا أدلة وجود الواجب والتوحيد وما يتوقف عليه، ووجوب المعرفة والنظر في المعرفة ، يمكن أن يجب عليهم ذلك ، لأن دليل وجوب المعرفة عقلي ، فكل من يعرف ذلك يدخل تحته ، ولا خصوصية له بالبالغ ، ولا استثناء في الأدلة العقلية ، فلا يبعد تكليفهم ، بل يمكن أن يجب ذلك ، فإذا أوجب عليهم يجب أن يصح منهم ، بل يلزم من الحكم بالصحة وجوبه أيضاً ، ويتتب عليه الأحكام . . . وقد أجمعوا على عدم وجوب الفروع عليهم وعدم تكليفهم بها ، ولهذا صر بعض العلماء بأن الواجبات الأصولية العقلية تجب على الصغير قبل بلوغه دون الفرعية. والظاهر أن ضابطة القدرة على الفهم والأخذ والإستدلال على وجه مقنع ، ففي كل من وجب فيه ذلك يصح ويمكن أن يجب عليه ذلك المقدار ، ومن لم يوجد فيه ذلك لم يجب. وقال في الدروس ، وهو لما قاله الشيخ قريب ولا شك أنه أحوط ، وما استدل به الشيخ مؤيد قوله قريب .

قال في التذكرة: غير المميز والمجنون لا يصح إسلامهما مباشرة إجماعاً ولا

يحكم بإسلامهما إلا بالتبعية لغيره. فيريد بهما من لا قدرة له على الإستدلال ، ولا يفهم وجوب المعرفة ونحوه ، وجنون المجنون أخرجه عن الفهم والقدرة على الإستفهام والإستدلال مثل غير المميز ، وأما إذا كان لهم فهم مستقل لا يبعد اعتباره حينئذ وإجراء الأحكام في حقه عليه ، فتأمل .

### حكم الإنسان في مرحلة التفكير والبحث

رسائل الشهيد الثاني: ١٣٣/٢

المبحث الثالث في أن الإنسان في زمان مهلة النظر ... هل هو كافر أو مؤمن ؟ جزم السيد الشريف المرتضى (رض) بکفره ، واستشكل بعضهم. والظاهر أن محل النزاع في من لم يسبق منه اعتقاد ما يوجب الكفر ، فإنه في زمان طلب الحق بالنظر فيه مع بقاء ذلك الإعتقاد لا ريب في كفره. بل النزاع في من هو في أول مراتب التكليف إذا وجه نفسه للنظر في تحقيق الحق ليعتقده ولم يكن معتقداً لما يوجب الكفر بل هو متعدد حتى يرجح عنده شئ فيعتقده. وكذا من سبق له اعتقاد ما يوجب الكفر رجع عنه إلى الشك بسبب نظره في تحقيق الحق ولما يترجح عنده الحق ، فهذا هل هما كافران في مدة النظر أم لا ؟

أقول: ما تقدم من تعريف الكفر بأنه عدم الإيمان مما من شأنه أن يكون مؤمناً يقتضي الحكم بکفرهما حالة النظر ، لصدق عدم الإيمان عليهما في تلك الحالة، وهذا مشكل جداً ، لأنه يقتضي الحكم بکفر كل أحد أول كمال عقله الذي هو أول وقت التكليف بالمعرفة ، لأنه أول وقت إمكان النظر ، إذ النظر قبله لا عبرة به ، ويقتضي أن يكون من أدركه الموت في تلك الحالة مخلداً في جهنم. ولا يخفى بعد ذلك عن حكمة الله تعالى وعدله ، ولزوم: إما تكليف ما لا يطاق إن

عذبه على ترك الإيمان ، حيث لم يمض له وقت يمكن تحصيله فيه قبل الموت كما هو المفروض ، أو الظلم الصرف إن لم يقدر على ذلك ، تعالى الله عن ذلك ، إذ لم يسبق له إعتقداد ما يوجب الكفر كما هو المفروض أيضاً ، ليكون التعذيب عليه .

ويلزم من ذلك القدر في صحة تعريف الكفر بذلك. اللهم إلا أن يقال: إن مثل هذا النوع من الكفر لا يعذب صاحبه ، لكن لا يلزم منه القدر في الإجماع على أن كل كافر مخلد في النار ، وليس بعيداً التزام ذلك ، وأن يكون المراد من الكافر المخلد من كان كفراه عن اعتقاد ، فيكون الإجماع مخصوصاً بمن عدا الأول .

إن قلت: إن لم يكن هذا الشخص من أهل النار ، يلزم أن يكون من أهل الجنة ، إذ لا واسطة بينهما في الآخرة على المذهب الحق ، فيلزم أن يخلد في الجنة من لا إيمان له أصلاً كما هو المفروض ، وهو مخالف لما انعقد عليه الإجماع من أن غير المؤمن لا يدخل الجنة .

قلت: يجوز أن يكون إدخاله الجنة تفضلاً من الله تعالى كالأطفال ، ويكون الإجماع مخصوصاً بمن كلف الإيمان ومضت عليه مدة كان يمكنه تحصيله فيها فقصر .

وأقول أيضاً: الذي يقتضيه النظر إن هذا الشخص لا يحكم عليه بـكفر ولا بإيمان في زمان النظر حقيقة بل تبعاً كالأطفال ، فإنه لم يتحقق له التكليف التام ليخرج عن حكم الأطفال ، فهو باق على ذلك إلى أن يمضي عليه زمان يمكن فيه النظر الموصل إلى الإيمان ، لكن هذا لا يتم في من لم يسبق له كفر ، كمن هو في أول بلوغه. أما من سبق له اعتقاد الكفر ثم رجع عنه إلى الشك ، فيتم فيه .

## تجب المعرفة بالتفكير ولا يصح فيها التقليد

الاقتصاد للشيخ الطوسي/ ٩

الطريق إلى معرفة الأشياء أربعة لا خامس لها:

أولها ، أن يعلم الشئ ضرورة لكونه مركوزاً في العقول ، كالعلم بأن الإثنين أكثر من واحد ، وأن الجسم الواحد لا يكون في مكаниن في حالة واحدة ، وأن الجسمين لا يكونان مكان واحد في حالة واحدة ، والشئ لا يخلو من أن يكون ثابتاً أو منفياً ، وغير ذلك مما هو مركوز في العقول .

والثاني ، أن يعلم من جهة الإدراك إذا أدرك وارتفع اللبس ، كالعلم بالمشاهدات والمدركات بسائر الحواس .

والثالث ، أن يعلم بالأخبار كالعلم بالبلدان والواقع وأخبار الملوك وغير ذلك .  
والرابع ، أن يعلم بالنظر والإستدلال .

والعلم بالله تعالى ليس بحاصل من الوجه الأول ، لأن ما يعلم ضرورة لا يختلف العقلاء فيه بل يتافقون عليه ، ولذلك لا يختلفون في أن الواحد لا يكون أكثر من اثنين ، وأن الشبر لا يطابق الذراع . والعلم بالله فيه خلاف بين العقلاء فكيف يجوز أن يكون ضرورياً .

وليس الإدراك أيضاً طريق العلم بمعرفة الله تعالى ، لأنه تعالى ليس بمدرك بشئ من الحواس على ما سنبينه فيما بعد ، ولو كان مدركاً محسوساً لأدركناه مع صحة حواسنا وارتفاع المowanع المعقولة .

والخبر أيضاً لا يمكن أن يكون طريراً إلى معرفته ، لأن الخبر الذي يوجب العلم هو ما كان مستندأ إلى مشاهدة وإدراك ، كالبلدان والواقع وغير ذلك ، وقد بينا أنه ليس بمدرك ، والخبر الذي لا يستند إلى الإدراك لا يوجب العلم. ألا ترى

أن جميع المسلمين يخبرون من خالفهم بصدق محمد ﷺ فلا يحصل لمخالفتهم العلم به لأن ذلك طريقه الدليل ، وكذلك جميع الموحدين يخبرون الملحدة بحدوث العالم فلا يحصل لهم العلم به لأن ذلك طريقه الدليل . فإذا بطل أن يكون طريق معرفته الضرورة أو المشاهدة أو الخبر ، لم يبق إلا أن يكون طريقة النظر .

فإن قيل: أين أنتم عن تقليد المقدمين ؟

قلنا: التقليد إن أريد به قبول الغير من غير حجة وهو حقيقة التقليد فذلك قبيح في العقول ، لأن فيه إقداماً على ما لا يؤمن كون ما يعتقده عند التقليد جهلاً لتعريه من الدليل ، والأدلة على ذلك قبيح في العقول ، ولأنه ليس في العقول أن تقليد الموحد أولى من تقليد الملحد إذا رفينا النظر والبحث عن أوهامنا ولا يجوز أن يتساوى الحق والباطل .

فإن قيل: نقلد المحق دون المبطل .

قلنا: العلم بكونه محقاً لا يمكن حصوله إلا بالنظر ، لأن إن علمناه بتقليد آخر أدى إلى التسلسل ، وإن علمناه بدليل فالدليل الدال على وجوب القبول منه يخرجه عن باب التقليد ، ولذلك لم يكن أحدنا مقلداً للنبي أو المعصوم فيما نقبله منه لقيام الدليل على صحة ما يقوله .

وليس يمكن أن يقال: نقلد الأكثر ونرجع إليهم ، وذلك لأن الأكثر قد يكونون على ضلال بل ذلك هو المعتاد المعروف ، ألا ترى أن الفرق المبطلة بالإضافة إلى الفرق المحققة جزء من كل وقليل من كثير .

ولا يمكن أن يعتبر أيضاً بالزهد والورع ، لأن مثل ذلك يتفق في المبطلين ، فلذلك ترى رهبان النصارى على غاية العبادة ورفض الدنيا مع أنهم على باطل

فعلم بذلك أجمع فساد التقليد .

فإن قيل: هذا القول يؤدي إلى تضليل أكثر الخلق وتکفيرهم ، لأن أكثر من تعنون من العقلاء لا يعرفون ما يقولونه ، من الفقهاء والأدباء والرؤساء والتجار وجمهور العوام ، ولا يهتدون إلى ما يقولونه ، وإنما يختص بذلك طائفة يسيرة من المتكلمين ، وجميع من خالفهم يبدعهم في ذلك ، ويؤدي إلى تکفير الصحابة والتابعين وأهل الأمصار ، لأنه معلوم أن أحداً من الصحابة والتابعين لم يتكلم فيما تكلم فيه المتكلمون ولا سمع منه حرف واحد ولا نقل عنهم شيء منه ، فكيف يقال بمذهب يؤدي إلى تکفير أكثر الأمة وتضليلها ، وهذا باب ينبغي أن يزهد فيه ويرغب عنه .

قيل: هذا غلط فاحش وظن بعيد ، وسوء ظن بمن أوجب النظر المؤدي إلى معرفة الله ، ولسنا نريد بالنظر المناظرة والمحااجة والمخاومة والمحاورة التي يتداولها المتكلمون ويجرى بينهم ، فإن جميع ذلك صناعة فيها فضيلة وإن لم تكن واجبة ، وإنما أوجبنا النظر الذي هو الفكر في الأدلة الموصولة إلى توحيد الله تعالى وعده ومعرفته نبيه وصحة ما جاء به ، وكيف يكون ذلك منهياً عنه أو غير واجب والنبي عليه السلام يوجب القبول منه على أحد إلا بعد إظهار الإعلام والمعجزة من القرآن وغيره ، ولم يقل لأحد إنه يجب عليك القبول من غير آية ولا دلالة. وكذلك تضمن القرآن من أ قوله إلى آخره التنبية على الأدلة ووجوب النظر ، قال الله تعالى: أَوَ لَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوت السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَقَالَ: أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الْجَبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ وَقَالَ: وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ وَقَالَ: قَتْلُ الْإِنْسَانِ مَا أَكْفَرَهُ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ مِنْ نَطْفَةٍ خَلَقَهُ .

الآية. وقال: إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَا يَاتِي لِأُولَى الْأَلْبَابِ إِلَى قَوْلِهِ: إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ. وقال: فَلَيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ أَنَّا صَبَبَنَا الْمَاءَ صَبَّاً، ثُمَّ شَقَقَنَا الْأَرْضَ شَقَّاً، إِلَى قَوْلِهِ: مَتَاعًا لَكُمْ وَلَا نَعَامُكُمْ. وقال: وَلَقَدْ خَلَقْنَا إِنْسَانًا مِنْ سُلَالَةِ مِنْ طِينٍ. ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارِ مَكَينٍ. إِلَى قَوْلِهِ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ. وقال: إِنَّ فِي ذَلِكَ لَا يَاتِي لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ، لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ، وَلِأُولَى الْأَلْبَابِ، وَلِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ، يَعْنِي عَقْلٌ. وغير ذلك من الآيات التي تعدادها يطول.

وكيف يحث تعالى على النظر وينبه على الأدلة وينصبها ويدعو إلى النظر فيها ، ومع ذلك يحرمها. إن هذا لا يتصوره إلا غبيٌ جاهل. فأما من أومي إليه من الصحابة والتابعين وأهل الأعصار من الفقهاء والفضلاء والتجار والعوام ، فأول ما فيه أنه غير مسلم ، بل كلام الصحابة والتابعين مملؤ من ذلك .

... وروي عن النبي ﷺ أنه قال: أَعْرِفُكُمْ بِنَفْسِهِ أَعْرِفُكُمْ بِرَبِّهِ. وقال أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ في خطبته المعروفة: أول عبادة الله معرفته ، وأصل معرفته توحيده ، ونظام توحيده نفي الصفات عنه ، لشهادة العقول إن من حلته الصفات فهو مخلوق ، وشهادتها أنه خالق ليس بمخلوق ثم قال: بصنع الله يستدل عليه ، وبالعقل يعتقد معرفته ، وبالنظر يثبت حجته ، معلوم بالدلائل ، مشهور بالبينات ، إلى آخر الخطبة. وخطبه في هذا المعنى أكثر من أن تحصى .

وقال الحسن عَلَيْهِ السَّلَامُ: وَاللَّهُ مَا يَعْبُدُ إِلَّا مَنْ عَرَفَهُ ، فَأَمَّا مَنْ لَمْ يَعْرِفْهُ فَإِنَّمَا يَعْبُدُهُ هَكُذا ضَلَالًا ، وَأَشَارَ بِيَدِهِ .

وقال الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: وَجَدْتُ عِلْمَ النَّاسِ فِي أَرْبَعَ أَوْلَاهَا أَنْ تَعْرِفَ رَبَّكَ ، وَالثَّانِي أَنْ تَعْرِفَ مَا صَنَعَ بِكَ ، وَالثَّالِثُ أَنْ تَعْرِفَ مَا أَرَادَ مِنْكَ ، وَالرَّابِعُ أَنْ تَعْرِفَ مَا

يخرجك من دينك....

فإن قالوا: أكثر من أو مأتم إلهي إذا سأله عن ذلك لا يحسن الجواب عنه .  
قلنا: وذلك أيضاً لا يلزم ، لأنه لا يمتنع أن يكون عارفاً على الجملة وإن تعذر  
عليه العبارة بما يعتقد ، فتعذر العبارة بما في النفس لا يدل على بطلان ذلك  
ولا ارتفاعه .

#### الرسالة السعدية للعلامة الحلي ٩-٣

وقد حرم الله تعالى على جميع العبيد سلوك طريق التقليد ، بل أوجب البحث في  
أصول العقائد اليقينية وتحصيلها باستعمال البراهين القطعية . . . المقدمة الثانية في  
تحريم التقليد. طلب الله تعالى من المكلف اعتقاداً جازماً يقيناً مأخوذاً من  
الحجج والأدلة ، وذلك في المسائل الأصولية ، واعتقاداً مستفاداً إما من الحجة ،  
أو من التقليد في المسائل الفروعية .

#### رسائل المحقق الكركي: ٥٩/١

يجب على كل مكلف حرّ وعبد ذكر وأنشى أن يعرف الأصول الخمسة التي هي  
أركان الإيمان ، وهي: التوحيد ، والعدل ، والنبوة ، والإمامية ، والمعاد ، بالدليل لا  
بالتقليد. ومن جهل شيئاً من ذلك لم ينتظم في سلك المؤمنين ، واستحق العقاب  
الدائم مع الكافرين .

#### رسائل المحقق الكركي: ٨٠/١ وج ١٧٣/٣

ويجب أمام فعلها معرفة الله تعالى ، وصفاته الشبوتية والسلبية ، وعدله وحكمته ،  
ونبوة نبينا محمد صلوات الله عليه وآله ، وإمامية الإمام علي عليه السلام والإقرار بكل ما جاء

به النبي صلوات الله عليه وآلـه من أحـوالـالمعـادـ ، بالـدـلـيلـ لاـ بالـتـقـليـدـ .  
 قوله: بالـدـلـيلـ لاـ بالـتـقـليـدـ ، الدـلـيلـ هوـ ماـ يـلـزـمـ منـ الـعـلـمـ بـشـئـ آخـرـ إـثـبـاتـاـًـ أوـ نـفـيـاـًـ . والـتـقـليـدـ هوـ الـأـخـذـ بـقـوـلـ الغـيـرـ مـلـزـمـةـ ، مـأـخـوذـ مـنـ تـقـليـدـهـ  
 بالـقـلـادـةـ وـجـعـلـهـ عـنـقـهـ كـأـنـ الـمـقـلـدـ يـجـعـلـ مـاـ يـعـقـدـهـ مـنـ قـوـلـ الغـيـرـ مـنـ حـقـ أوـ باـطـلـ  
 قـلـادـةـ فـيـ عـنـقـ مـنـ قـلـدـهـ .

### رسائل الشهيد الثاني: ٥٦/٢

إـلـمـ أـنـ الـعـلـمـاءـ أـطـبـقـواـ عـلـىـ وـجـوبـ مـعـرـفـةـ اللـهـ تـعـالـىـ بـالـنـظـرـ وـأـنـهـ لـاـ تـحـصـلـ  
 بـالـتـقـليـدـ ، إـلـاـ مـنـ شـذـ مـنـهـ كـعـبـدـ اللـهـ بـنـ الـحـسـنـ الـعـنـبـرـيـ وـالـحـشـوـيـةـ وـالـتـعـلـيمـيـةـ ،  
 حـيـثـ ذـهـبـواـ إـلـىـ جـوـازـ التـقـليـدـ فـيـ الـعـقـائـدـ الـأـصـوـلـيـةـ ، كـوـجـودـ الـصـانـعـ وـمـاـ يـجـبـ لـهـ  
 وـيـمـتـنـعـ ، وـالـنـبـوـةـ ، وـالـعـدـلـ وـغـيـرـهـ ، بـلـ ذـهـبـ إـلـىـ وـجـوبـهـ .  
 لـكـنـ اـخـتـلـفـ الـقـائـلـوـنـ بـوـجـوبـ الـمـعـرـفـةـ فـيـ أـنـهـ عـقـليـ أـوـ سـمـعـيـ ، فـالـإـمـامـيـةـ  
 وـالـمـعـتـزـلـةـ عـلـىـ الـأـوـلـ وـالـأـشـعـرـيـةـ عـلـىـ الـثـانـيـ ، وـلـاـ غـرـضـ لـنـاـ بـيـانـ ذـلـكـ ، بـلـ  
 بـيـانـ أـصـلـ الـوـجـوبـ الـمـتـفـقـ عـلـيـهـ .

مـنـ ذـلـكـ: أـنـ اللـهـ تـعـالـىـ عـلـىـ عـبـدـهـ نـعـمـاـ ظـاهـرـةـ وـبـاطـنـةـ لـاـ تـحـصـىـ ، يـعـلـمـ ذـلـكـ كـلـ  
 عـاقـلـ ، وـيـعـلـمـ أـنـهـ لـيـسـ مـنـهـ وـلـاـ مـنـ مـخـلـوقـ مـثـلـهـ . وـيـعـلـمـ أـيـضـاـ أـنـهـ إـذـ لـمـ يـعـرـفـ  
 بـإـنـعـامـ ذـلـكـ الـمـنـعـ وـلـمـ يـذـعـنـ بـكـوـنـهـ هوـ الـمـنـعـ لـاـ غـيـرـهـ وـلـمـ يـسـعـ فـيـ تـحـصـيلـ  
 مـرـضـاتـهـ ، ذـمـهـ الـعـقـلـاءـ ، وـرـأـواـ سـلـبـ تـلـكـ النـعـمـ عـنـهـ حـسـنـاـ ، وـحـيـثـنـدـ فـتـحـكـمـ ضـرـورـةـ  
 الـعـقـلـ بـوـجـوبـ شـكـرـ ذـلـكـ الـمـنـعـ . وـمـنـ الـمـعـلـومـ أـنـ شـكـرـهـ عـلـىـ وـجـهـ يـلـيقـ بـكـمـالـ  
 ذـاتـهـ يـتـوـقـفـ عـلـىـ مـعـرـفـتـهـ ، وـهـيـ لـاـ تـحـصـلـ بـالـظـنـيـاتـ كـالـتـقـليـدـ وـغـيـرـهـ ، لـاـ حـتـمـاـلـ  
 كـذـبـ الـمـخـبـرـ وـخـطـأـ الـإـمـارـةـ ، فـلـابـدـ مـنـ النـظـرـ المـفـيدـ لـلـعـلـمـ .

وـهـذـاـ الـدـلـيلـ إـنـمـاـ يـسـتـقـيمـ عـلـىـ قـاـعـدـةـ الـحـسـنـ وـالـقـبـحـ ، وـالـأـشـاعـرـةـ يـنـكـرـوـنـ ذـلـكـ ،

لكنه كما يدل على وجوب المعرفة بالدليل، يدل أيضاً على كون الوجوب عقلياً. واعتراض أيضاً بأنه مبني على وجوب ما لا يتم الواجب المطلق الابه ، وفيه أيضاً منع للأشاعرة. ومن ذلك أن الأمة اجتمعت على وجوب المعرفة، والتقليد وما في حكمه لا يوجب العلم ، إذ لو أوجبه لزم اجتماع الصدرين في مثل تقليد من يعتقد حدوث العالم ويعتقد قدمه .

وقد اعترض على هذا بمنع الإجماع ، كيف والمخالف معروف ، بل عورض بوقوع الإجماع على خلافه ، وذلك لتقرير النبي ﷺ وأصحابه العوام على إيمانهم وهم الأكثرون في كل عصر ، مع عدم الإستفسار عن الدلائل الدالة على الصانع وصفاته ، مع أنهم كانوا لا يعلمونها ، وإنما كانوا مقررين باللسان ومقلين في المعرف ، ولو كانت المعرفة واجبة لما جاز تقريرهم على ذلك مع الحكم بإيمانهم .

وأجيب عن هذا: بأنهم كانوا يعلمون الأدلة إجمالاً، كدليل الاعرابي حيث قال: البعثة تدل على البعير ، وأثر الاقدام على المسير ، أفسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج لا تدلان على اللطيف الخبير ؟! فلذا أقرروا ولم يسألوا عن اعتقاداتهم، أو أنهم كان يقبل منهم ذلك للتمرير ، ثم يبين لهم ما يجب عليهم من المعرف بعد حين .

ومن ذلك: الإجماع أنه لا يجوز تقليد غير المحق ، وإنما يعلم المحق من غيره بالنظر في أن ما يقوله حق أم لا ، وحينئذ فلا يجوز له التقليد إلا بعد النظر والإستدلال ، وإذا صار مستدلاً امتنع كونه مقلداً ، فامتنع التقليد في المعرف الإلهية .

ونقض ذلك بلزوم مثله في الشرعيات ، فإنه لا يجوز تقليد المفتى إلا إذا كانت

فتياه عن دليل شرعي ، فإن أكثري في الإطلاع على ذلك بالظن وإن كان مخطئاً في نفس الأمر لحط ذلك عنه ، فليجز مثله في مسائل الأصول .  
وأجيب بالفرق بأن الخطأ في مسائل الأصول يقتضي الكفر بخلافه في الفروع ،  
فساغ في الثانية مالم يسخ في الأولى .

إحتاج من أوجب التقليد في مسائل الأصول بأن العلم بأمر الله غير ممكן ، لأن المكلف به إن لم يكن عالماً به تعالى إمتنع أن يكون عالماً بأمره ، وحال امتناع كونه عالماً بأمره يمتنع كونه مأموراً من قبله ، وإلا لزم تكليف ما لا يطاق ، وإن كان عالماً به استحال أيضاً أمره بالعلم به لاستحاله تحصيل الحاصل .

والجواب عن ذلك على قواعد الإمامية والمعتزلة ظاهر ، فإن وجوب النظر والمعرفة عندهم عقلي لا سمعي . نعم يلزم ذلك على قواعد الأشاعرة ، إذ الوجوب عندهم سمعي .

أقول: ويجاب أيضاً معارضةً ، بأن هذا الدليل كما يدل على امتناع العلم بالمعارف الأصولية ، يدل على امتناع التقليد فيها أيضاً ، فينسد باب المعرفة بالله تعالى ، وكل من يرجع إليه في التقليد لابد وأن يكون عالماً بالمسائل الأصولية ليصح تقليده ، ثم يجرى الدليل فيه فيقال: علم هذا الشخص بالله تعالى غير ممكן ، لأنه حين كلف به إن لم يكن عالماً به تعالى استحال أن يكون عالماً بأمره بالمقدمات ، وكل ما أجابوا به فهو جوابنا ، ولا مخلص لهم إلا أن يعترفوا بأن وجوب المعرفة عقلي ، فيبطل ما ادعوه من أن العلم بالله تعالى غير ممكן ، أو سمعي فكذلك .

فإن قيل: ربما حصل العلم لبعض الناس بتصفية النفس أو إلهام إلى غير ذلك فيقلده الباقيون .

قلنا: هذا أيضاً يبطل قولكم أن العلم بالله تعالى غير ممكناً ، نعم ما ذكروه يصلح أن يكون دليلاً على امتناع المعرفة بالسمع ، فيكون حجة على الأشاعرة ، لا دليلاً على وجوب التقليد .

واحتجوا أيضاً بأن النهي عن النظر قد ورد في قوله تعالى: **مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا** . والنظر يفتح باب الجدال فيحرم. ولأنه يُحَذِّرُهُمْ رأى الصحابة يتكلمون في مسألة القدر ، فنهى عن الكلام فيها وقال: إنما هلك من كان قبلكم بخوضهم هذا ، ولقوله عَلَيْكُمْ بِدِينِ الْعِجَاجِنَ: عليكم بدين العجائز ، والمراد ترك النظر ، فلو كان واجباً لم يكن منهاً عنه .

وأجيب عن الأول: إن المراد الجدال بالباطل ، كما في قوله تعالى: **وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ** ، لا الجدال بالحق لقوله تعالى: **وَجَادَلُهُمْ بِالْتِى هِيَ أَحْسَنُ** ، والأمر بذلك يدل على أن الجدال مطلقاً ليس منهاً عنه .

وعن الثاني: بأن نهيهم عن الكلام في مسألة القدر على تقدير تسليمه لا يدل على النهي عن مطلق النظر ، بل عنه في مسألة القدر ، كيف وقد ورد الإنكار على تارك النظر في قوله تعالى: **أَوْ لَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ** ، وقد أثني على فاعله في قوله تعالى: **وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ** .

على أن نهيهم عن الخوض في القدر لعله لكونه أمراً غبياً وبحراً عميقاً ، كما أشار إليه عليه عَلَيْكُمْ بِدِينِ الْعِجَاجِنَ بقوله: بحر عميق فلا تلجه . بل كان مراد النبي تفويض مثل ذلك إلى الله تعالى ، لأن ذلك ليس من الأصول التي يجب اعتقادها ، والبحث عنها مفصلة .

وهاهنا جواب آخر عنهما معاً ، وهو أن النهي في الآية والحديث مع قطع النظر عمما ذكرناه إنما يدل على النهي عن الجدال الذي لا يكون إلا عن متعدد ،

بخلاف النظر فإنه يكون من واحد ، فهو نصب الدليل على غير المدعى .

وعن الثالث: بالمنع من صحة نسبته إلى النبي ﷺ فإن بعضهم ذكر أنه من مصنوعات سفيان الثوري ، فإنه روى أن عمر بن عبد الله المعتزلي قال: إن بين الكفر والإيمان منزلة بين منزلتين ، فقالت عجوز ، قال الله تعالى: هُوَ الَّذِي خَلَقْتُمْ فَمَنْكُمْ كَافِرٌ وَمَنْكُمْ مُؤْمِنٌ ، فلم يجعل من عباده إلا الكافر والمؤمن ، فسمع سفيان كلامها ، فقال: عليكم بدين العجائز .

على أنه لو سلم فالمراد به التفويض إلى الله تعالى في قضائه وحكمه والإنياب له في أمره ونهيه .

واحتاج من جوز التقليد : بأنه لو وجب النظر في المعرفات الإلهية لوجد من الصحابة ، إذ هم أولى به من غيرهم ، ولم يوجد ، وإلا لنقل كما نقل عنهم النظر والمناظرة في المسائل الفقهية ، فحيث لم ينقل لم يقع ، فلم يجب .

وأجيب: بالتزام كونهم أولى به لكنهم نظروا ، وإلا لزم نسبتهم إلى الجهل بمعرفة الله تعالى ، وكون الواحد منا أفضل منهم ، وهو باطل إجماعاً ، وإذا كانوا عالمين وليس بالضرورة فهو بالنظر والإستدلال . وأما إنه لم ينقل النظر والمناظرة فلاتتفاهم على العقائد الحقة، لوضوح الأمر عندهم، حيث كانوا ينقلون عقائدهم عن لا ينطق عن الهوى ، فلم يحتاجوا إلى كثرة البحث والنظر ، بخلاف الأخلاق بعدهم فإنهم لما كثرت شبه الضالين ، واحتللت أنظار طالبي اليقين لتفاوت أذهانهم في إصابة الحق ، احتاجوا إلى النظر والمناظرة ، ليدفعوا بذلك شبه المضللين ويقفوا على اليقين .

أما المسائل الفروع ، فإنها لما كانت أموراً ظنية اجتهادية خفية ، لكثرة تعارض الإمارات فيها ، وقع بينهم الخلاف فيها والمناظرة والتخطئة لبعضهم من بعض ،

فلذا نقل .

واحتجوا أيضاً: بأن النظر مظنة الواقع في الشبهات والتورط في الصالات بخلاف التقليد فإنه أبعد عن ذلك وأقرب إلى السلامة فيكون أولى، ولأن الأصول أعمض أدلة من الفروع وأخفى ، فإذا جاز التقليد في الأسهل جاز في الأصعب بطريق أولى، ولأنهما سواء في التكليف بهما، فإذا جاز في الفروع فليجز في الأصول .

وأجيب عن الأول: بأن اعتقاد المعتمد إن كان عن تقليد ، لزم إما التسلسل ، أو الإنتهاء إلى من يعتقد عن نظر لانتفاء الضرورة ، فيلزم ما ذكرتم من المحذور مع زيادة وهي احتمال كذب المخبر ، بخلاف الناظر مع نفسه ، فإنه لا يكابر نفسه فيما أدى إليه نظره .

على أنه لو اتفق الإنتهاء إلى من اتفق له العلم بغير النظر كتصفية الباطن كما ذهب إليه بعضهم ، أو بالإلهام ، أو بخلق العلم فيه ضرورة ، فهو إنما يكون لأفراد نادرة ، لانه على خلاف العادة ، فلا يتيسر لكل أحد الوصول إليه مشافهة بل بالوسائل ، فيكثر احتمال الكذب ، بخلاف الناظر فإنه لا يكابر نفسه، ولأنه أقرب إلى الواقع في الصواب .

إن قلت: ما ذكرت من الجواب إنما يدل على كون النظر أولى من التقليد ، ولا يدل على عدم جوازه ، فجواز التقليد باق لم يندفع ، على أن ما ذكرته من احتمال الكذب جار في الفروع ، فلو منع من التقليد فيها لمنع في الأصول .

قلت: متى سلمت الأولوية وجب العمل بها ، وإلا لزم العمل بالمرجوح مع تيسير العمل بالراجح ، وهو باطل بالإجماع ، لا سيما في الإعتقاديات .

وأما الجواب عن العلاوة ، فلانه لما كان الطريق إلى العمل بالفروع إنما هو

النقل ساغ لنا التقليد فيها ، ولم يقدح احتمال كذب المخبر ، وإلا لانسد باب العمل فيها ، بخلاف الإعتقادات فإن الطريق إليها بالنظر ميسر ، فاعتبر قدح الإحتمال في التقليد فيها .

وأما احتمال الخطأ في النظر ، فإنه وإن أمكن إلا أنه نادر جداً بالقياس إلى الخطأ في النقل ، فكان النظر أرجح ، وقد بينا أن العمل بالأرجح واجب .

وأجيب عن الثاني: أولاًً بالمنع من كونها أغمض أدلة ، بل الأمر بالعكس لتوقف الشرعيات على العقليات عملاً وعلمًا .

وثانياً بالمنع من الملازمة ، فإن كونها أغمض أدلة لا يستلزم جواز التقليد فيها فضلاً عن كونه أولى ، لأن المطلوب فيها اليقين ، بخلاف الشرعيات فإن المطلوب فيها الظن اتفاقاً . ومن هذا ظهر الجواب عن الثالث .

واحتجوا أيضاً: بأن هذه العلوم إنما تحصل بعد الممارسة الكثيرة والبحث الطويل ، وأكثر الصحابة لم يمارسوا شيئاً منها ، فكان اعتقادهم عن تقليد .

وأجيب: بأنهم لمشاهدتهم المعجزات وقوه معارفهم بكثرة البيانات من صاحب الوحي عليه السلام لم يحتاجوا في تيقن تلك المعرف إلى بحث كثير في طلب الأدلة عليها .

أقول: وما يبطل به مذهب القائلين بالتقليد أنه إما أن يفيد العلم أولاً ، فإن أفاده لزم اجتماع الضدين فيما لو قلد واحداً في قدم العالم وآخر في حدوثه ، وهو ظاهر. وإن لم يفده وجب ترجيح النظر عليه ، إذ من المعلوم ضرورة أن النظر الصحيح يفيد العلم ، فإذا ترجح النظر عليه وجب اعتباره وترك المرجوح أجمعياً .

وأقول: مما يدل على اعتبار اليقين في الإيمان أن الأمة فيه على قولين: قول

باعتبار اليقين فيما يتحقق به الإيمان. وقول بالإكتفاء بالتقليد أو ما في حكمه فإذا انتفى الثاني بما ذكرناه من الأدلة ثبت الأول .

وأقول أيضاً مما يصلح شاهداً على ذلك قوله تعالى: **قَالَتِ الْأَعْرَابُ أَمَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ، فَنَفِي مَا زَعْمَوْهُ إِيمَانًا ،** وهو التصديق القولي ، بل ماسوى التصديق الجازم ، حيث لم يثبت لهم من الإيمان إلا ما دخل القلب. ولا ريب أن ما دخل القلب يحصل به الإطمئنان ، ولا إطمئنان في الظن وشبهه لتجويز النقيض معه ، فيكون الثبات والجزم معتبراً في الإيمان .

فإن قلت: قوله تعالى حكاية عن إبراهيم: **أَوَ لَمْ تُؤْمِنْ ؟ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَ قَلْبِي ،** يدل على أن الجزم والثبات غير معتبر في الإيمان ، وإلا لما أخبر عَنْ نفسه بالإيمان ، بقوله بلى مع أن قوله **( وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَ قَلْبِي )** يدل على أنه لم يكن مطمئناً فلم يكن جازماً .

قلت: يمكن الجواب بأنه عَنْ طلب العلم بطريق المشاهدة ، ليكون العلم بإحياء الموتى حاصلاً له من طريق الأ بصار والمشاهدة ، ويكون المراد من اطمئنان قلبه عَنْ استقراره وعدم طلبه لشيء آخر بعد المشاهدة ، مع كونه موقناً بإحياء الموتى قبل المشاهدة. أيضاً وليس المراد أنه لم يكن متيناً قبل الارائة ، فلم يكن مطمئناً ليلزم تحقق الإيمان مع الظن فقط .

وأيضاً إنما طلب عَنْ كيفية الأحياء ، فخوطب بالإستفهام التقريري على الإيمان بالكيف الذي هو نفس الاحياء ، لأن التصديق به مقدم على التصديق بالكيفية فأجاب بلى آمنت بقدرة الله تعالى على الأحياء ، لكنني أريد الإطلاع على كيفية الأحياء ، ليطمئن قلبي بمعرفة تلك الكيفية الغريبة ، البدعة ، ولا ريب أن

الجهل بمعرفة تلك الكيفية لا يضر بالإيمان ، ولا يتوقف على معرفتها . وأما سؤال الله سبحانه عن ذلك مع كونه عالماً بالسرائر ، فهو من قبيل خطاب المحب لحبيبه .

إن قلت: فما الجواب أيضاً عن قوله تعالى: **وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ** ، فإنه يفهم من الآية الكريمة وصف الكافر المشرك بالإيمان حال شركه ، إذ الجملة الإسمية حالية ، فضلاً عن الإكتفاء بالظن وما في حكمه في الإيمان ، وهو ينافي اعتبار اليقين .

قلت: لا ، فإن الآية الكريمة إنما دلت على إخباره تعالى عنهم بالإيمان بالصانع والتصديق بوجوده ، لكنهم لم يوحدوه في حالة تصديقهم به ، بل اعتقدوا له شريكاً تعالى الله عما يشركون . وحيثئذ فيجوز كونهم جازمين بوجود الصانع تعالى مع كونهم غير موحدين ، فإن التوحيد مطلب آخر ، فكفرهم كان كذلك، فلم يتحقق لهم الإيمان الشرعي بل الإيمان جزء منه ، وهو غير كاف .

على أنه يجوز أن يكون المراد من الإيمان المنسوب إليهم في الآية الكريمة التصديق اللغوي ، وقد بينما سابقاً أنه أعم من الشرعي ، وليس التزاع فيه بل في الشرعي . ويكون المعنى والله أعلم: وما يؤمن أكثرهم بلسانه إلا وهو مشرك بقلبه، أي حال إشراكه بقلبه ، نعوذ بالله من الضلاله . ونسأل الله حسن الهدایة . هذا ما تيسر لنا من المقال في هذا المقام .

شرح المقاصد للفتوازاني: ٢٦٦/١

... الثالث: أنا لا نسلم أن المعرفة الكاملة لا تحصل إلا بالنظر ، بل قد تحصل بالتعليم على ما يراه الملاحظة . أو بقول المعصوم على ما يراه الشيعة . . .

## الفصل الثامن

المعرفة والعمل



### اشترط كل من المعرفة والعمل بالآخر

نهج البلاغة: ٥٠/٤

وسائل عَلَيْهِ عَنِ الإِيمَانِ فَقَالَ: الإِيمَانُ مَعْرِفَةٌ بِالْقَلْبِ وَإِقْرَارٌ بِاللِّسَانِ وَعَمَلٌ بِالْأَرْكَانِ .

نهج البلاغة: ٣٢/٢

... وَأَنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِمَنْ عَرَفَ عَظَمَةَ اللَّهِ أَنْ يَتَعَظَّمُ ، فَإِنْ رَفْعَةُ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ مَا عَظَمَتْهُ أَنْ يَتَوَاضَعُوا لَهُ ، وَسَلَامَةُ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ مَا قَدِرَتْهُ أَنْ يَسْتَسْلِمُوا لَهُ .

الكافي: ٤٤/١

مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَيْسَى ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَنَانٍ ، عَنْ أَبِي مَسْكَانٍ ، عَنْ حَسَنِ الصِّيقِيلِ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ الْكَلَمُ يَقُولُ: لَا يَقْبِلُ اللَّهُ عَمَلاً إِلَّا بِمَعْرِفَةٍ إِلَّا بِعَمَلٍ ، فَمَنْ عَرَفَ دُلْتَهُ الْمَعْرِفَةُ عَلَى الْعَمَلِ ، وَمَنْ لَمْ يَعْمَلْ فَلَا مَعْرِفَةُ لَهُ . أَلَا إِنَّ الإِيمَانَ بَعْضُهُ مِنْ بَعْضٍ .

الكافي: ٣٣-٣٧/٢

عَلَيِّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ بَكْرِ بْنِ صَالِحٍ ، عَنْ الْقَاسِمِ بْنِ بَرِيدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عُمَرٍو الزَّبِيرِيُّ ، عَنْ أَبِيهِ عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ الْكَلَمُ قَالَ: قَلْتُ لَهُ: أَيُّهَا الْعَالَمُ أَخْبَرْنِي أَيِّ

الأعمال أفضل عند الله ؟ قال: ما لا يقبل الله شيئاً إلا به ، قلت: وما هو ؟ قال: الإيمان بالله الذي لا إلا هو ، أعلى الأعمال درجة وأشرفها منزلة وأسنها حظاً ، قال: قلت ألا تخبرني عن الإيمان أقولُ هو وعمل أم قول بلا عمل ؟ فقال: الإيمان عمل كله والقول بعض ذلك العمل ، بفرض من الله ، بين في كتابه ، واضح نوره ثابتة حجته ، يشهد له به الكتاب ويدعوه إليه .

قال: قلت: صفة لي جعلت فداك حتى أفهمه .

قال: الإيمان حالات ودرجات وطبقات ومنازل ، فمنه النام الممتهن تمامه ومنه الناكس البين نقصانه ومنه الراوح الزائد رجحانه .

قلت: إن الإيمان لي تم وينقص ويزيد ؟

قال: نعم .

قلت: كيف ذلك ؟

قال: لأن الله تبارك وتعالى فرض الإيمان على جوارح ابن آدم وقسمه عليها وفرقه فيها ، فليس من جوارحه جارحة إلا وقد وكلت من الإيمان بغير ما وكلت به أختها ، فمنها قبله الذي به يعقل ويفقه ويفهم وهو أمير بدنه الذي لا تردد الجوارح ولا تصدر إلا عن رأيه وأمره ، ومنها عيناه اللتان يبصر بهما ، وأذناه اللتان يسمع بهما ، ويداه اللتان يبطش بهما ، ورجلاه اللتان يمشي بهما ، وفرجه الذي الباه من قبله ، ولسانه الذي ينطق به ، ورأسه الذي فيه وجهه. فليس من هذه جارحة إلا وقد وكلت من الإيمان بغير ما وكلت به أختها بفرض من الله تبارك اسمه ، ينطق به الكتاب لها ويشهد به عليها .

فرض على القلب غير ما فرض على السمع ، وفرض على السمع وغير ما فرض على العينين ، وفرض على العينين غير ما فرض على اللسان ، وفرض على اللسان

غير ما فرض على اليدين ، وفرض على اليدين غير ما فرض على الرجلين ، وفرض على الرجلين غير ما فرض على الفرج ، وفرض على الفرج غير ما فرض على الوجه .

فَإِنَّمَا فَرِضَ عَلَى الْقُلُوبِ مِنَ الْإِيمَانِ فَالْإِقْرَارُ وَالْمُعْرِفَةُ وَالْعَدُوُّ وَالرَّضَا وَالْتَّسْلِيمُ  
بِأَنَّ لِلَّهِ إِلَّا هُوَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، إِلَهًا وَاحِدًا، لَمْ يَتَّخِذْ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا،  
وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَامٍ، وَالْإِقْرَارُ بِمَا جَاءَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ  
مِنْ نَبِيٍّ أَوْ كِتَابٍ، فَذَلِكَ مَا فَرِضَ اللَّهُ عَلَى الْقُلُوبِ مِنَ الْإِقْرَارِ وَالْمُعْرِفَةِ وَهُوَ عَمَلُهُ،  
وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: «إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفَّارِ صَدَرًا».  
وَقَالَ: «أَلَا بَذِكْرُ اللَّهِ تَطْمَئِنُ الْقُلُوبُ».

وقال: «الذين آمنوا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ». . . . .  
وقال: «وَكَيْنُوْلَمْ بِمَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تَخْوُفُهُ يُحَاسِبُكُمْ بِهِ اللَّهُ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَعْذِبُ مَنْ يَشَاءُ . . . . . فَذَلِكَ مَا فَرَضَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى الْقَلْبِ مِنِ الْإِقْرَارِ وَالْمَعْرِفَةِ وَهُوَ عَمَلُهُ وَهُوَ رَأْسُ الْإِيمَانِ . . . . .

فرض الله على اللسان القول التعبير عن القلب بما عقد عليه وأقر به ، قال الله تبارك وتعالى: وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ، وقال: قُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمْ وَلِهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَبَعْنَاهُ مُسْلِمُونَ. فهذا ما فرض الله على اللسان ، وهو عمله .

وفرض على السمع أن يتزه عن الاستماع إلى ما حرم الله وأن يعرض عما لا يحل له مما نهى الله عز وجل عنه والأصياء إلى ما أسيخط الله عز وجل ، فقال في ذلك: «وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنِّإِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفِرُ بِهَا وَيُسْتَهْزِئُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثِ غَيْرِهِ» ، ثم استثنى الله عز وجل موضع النسيان فقال:

« إِمَّا يُنِسِّيَكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَعْمَدْ بَعْدَ الذِّكْرِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ . وَقَالَ: فَبَشِّرْ عِبَادَ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ الْتَّوْلِ فَيَتَبَعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمُ أُولُوا الْأَلْبَابِ ». .

وَقَالَ عَزَّ وَجَلَ: « قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ، الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاسِعُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ الْغَوِّ مُعْرِضُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوَةِ فَاعْلَمُونَ ». .

وَقَالَ: « وَإِذَا سَمِعُوا الْلَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ ». .

وَقَالَ: « وَإِذَا مَرُوا بِاللَّغْوِ مَرُوا كَرَامًا ». فَهَذَا مَا فَرَضَ اللَّهُ عَلَى السَّمْعِ مِنَ الْإِيمَانِ أَنْ لَا يَصْغِي إِلَى مَا لَا يَحْلُ لَهُ ، وَهُوَ عَمَلُهُ وَهُوَ مِنَ الْإِيمَانِ .

وَفَرَضَ عَلَى الْبَصَرِ أَنْ لَا يَنْظُرَ إِلَى مَا حَرَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ ، وَأَنْ يَعْرِضَ عَمَّا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ مَا لَا يَحْلُ لَهُ ، وَهُوَ عَمَلُهُ وَهُوَ مِنَ الْإِيمَانِ ، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُضُو مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ، فَنَهَا هُمْ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى عُورَاتِهِمْ وَأَنْ يَنْظُرُوا إِلَى فَرْجِ أَخِيهِ وَيَحْفَظُ فَرْجَهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهِ . وَقَالَ: وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضُنَّ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْنَظِنَّ فُرُوجَهُنَّ ، مِنْ أَنْ تَنْظُرَ إِحْدَاهُنَّ إِلَى فَرْجِ أَخْتَهَا وَتَحْفَظُ فَرْجَهَا مِنْ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهَا .

وَقَالَ: كُلُّ شَيْءٍ فِي الْقُرْآنِ مِنْ حَفْظِ الْفَرْجِ فَهُوَ مِنَ الزَّنَاءِ، إِلَّا هَذِهِ الْآيَةُ إِنَّهَا مِنَ النَّظَرِ . ثُمَّ نَظَمَ مَا فَرَضَ عَلَى الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ وَالسَّمْعِ وَالْبَصَرِ فِي آيَةٍ أُخْرَى فَقَالَ: « وَمَا كُتُّمْ تَسْتَرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ » ، يَعْنِي بِالْجُلُودِ: الْفَرْجُ وَالْأَفْخَادُ .

وَقَالَ: « وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْتُوْلًا ». .

فَهَذَا مَا فَرَضَ اللَّهُ عَلَى الْعَيْنَيْنِ مِنْ غَضْبِ الْبَصَرِ عَمَّا حَرَمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ، وَهُوَ عَمَلُهُمَا وَهُوَ مِنَ الْإِيمَانِ .

وفرض الله على اليدين أن لا يبطش بهما إلى ما حرم الله ، وأن يبطش بهما إلى ما أمر الله عز وجل ، وفرض عليهما من الصدقة وصلة الرحم والجهاد في سبيل الله والظهور للصلوة ، فقال: « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَكَمْسَحُوا بِرُوُسَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْنِينَ ». وقال: « فَإِذَا لَقِيْتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضْرِبُ الرَّقَابَ حَتَّىٰ إِذَا اتَّخَسُوهُمْ فَشَدُّوا الْوَتَاقَ فَإِمَّا مَنَّا بَعْدُ وَإِمَّا فَدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْ زَارَهَا ». فهذا ما فرض الله على اليدين لأن الضرب من علاجهما.

وفرض على الرجلين أن لا يمشي بهما إلى شيء من معاصي الله ، وفرض عليهما المشي إلى ما يرضي الله عز وجل فقال: « وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكُمْ تَرْخُقُ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغُ الْجَبَلَ طُولاً » ، وقال: « وَأَفْصِدُ فِي مَشِيكَ وَأَغْضُضُ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّكُمْ أَنْكَرْتُمُ الْأَصْوَاتَ لَصَوْتِ الْحَمِيرِ » ، وقال فيما شهدت الأيدي والأرجل على أنفسهما وعلى أربابهما من تضييعهما لما أمر الله عز وجل به وفرضه عليهما: « الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشَهَّدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ » .

فهذا أيضاً مما فرض الله على اليدين وعلى الرجلين وهو عملهما وهو من الإيمان. وفرض على الوجه السجود له بالليل والنهار في مواعيit الصلاة فقال: « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكُعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبِّكُمْ وَافْعُلُوا الْحَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ». فهذه فريضة جامعه على الوجه واليدين والرجلين ، وقال في موضع آخر: « وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا » .

وقال فيما فرض على الجوارح من الظهور والصلوة بها وذلك أن الله عز وجل لما صرف نبيه ﷺ إلى الكعبة عن البيت المقدس فأنزل الله عز وجل: « وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيِّعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَوِيفٌ رَّحِيمٌ ». ، فسمى الصلاة إيماناً فمن لقي الله عز

وَجَلْ حَافِظاً لِجَوَارِحِهِ مَوْفِياً كُلَّ جَارِحةٍ مِنْ جَوَارِحِهِ مَا فَرَضَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهَا لَقِيَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مُسْتَكْمِلاً لِإِيمَانِهِ ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ. وَمِنْ خَانَ فِي شَيْءٍ مِنْهَا أَوْ تَعْدَى مَا أَمْرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهَا لَقِيَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ نَاقِصَ الْإِيمَانِ .

قَلْتُ: قَدْ فَهَمْتَ نَقْصَانَ الْإِيمَانِ وَتَمَامَهُ ، فَمَنْ أَيْنَ جَاءَتْ زِيَادَتِهِ .

فَقَالَ: قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: « وَإِذَا مَا أَنْزَلْتُ سُورَةً فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذَهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْبِّهُرُونَ . وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَرَأَيْتُهُمْ رَجُسًا إِلَى رِجْسِهِمْ » . وَقَالَ: « نَحْنُ نَقْصُ عَلَيْكَ بَنَاهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِيهِ آمَنُوا بِرِبِّهِمْ وَزَدَنَاهُمْ هُدًى » ، وَلَوْ كَانَ كُلُّهُ وَاحِدًا لَا زِيَادَةَ فِيهِ وَلَا نَقْصَانَ لَمْ يَكُنْ لَاحِدٌ مِنْهُمْ فَضْلًا عَلَى الْآخَرِ ، وَلَا سَوَّتَ النَّعْمَ فِيهِ وَلَا سَوَّى النَّاسَ وَبَطَلَ التَّفَضِيلُ . وَلَكِنْ بِتَمَامِ الْإِيمَانِ دَخَلَ الْمُؤْمِنُونَ الْجَنَّةَ وَبِالْزِيَادَةِ فِي الْإِيمَانِ تَفَاضَلَ الْمُؤْمِنُونَ بِالدَّرَجَاتِ عِنْدَ اللَّهِ ، وَبِالنَّقْصَانِ دَخَلَ الْمُفْرَطُونَ النَّارَ .

الكافي: ٥٥٣/٢

عنه ، عن أبي إبراهيم عليه السلام دعاء في الرزق: يا الله يا الله يا الله ، أَسْأَلُك بِحَقِّ مِنْ حَقِّهِ عَلَيْكَ عَظِيمٌ أَنْ تَصْلِي عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ ، وَأَنْ تَرْزُقَنِي الْعَمَلُ بِمَا عَلِمْتَنِي مِنْ مَعْرِفَةِ حَقِّكَ ، وَأَنْ تَبْسُطَ عَلَى مَا حَظِيْتُ مِنْ رِزْقٍ .

دعائيم الإسلام: ٥٢/١

... ثُمَّ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ ... وَإِنَّمَا يَقْبِلُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْعَمَلَ مِنَ الْعَبَادِ بِالْفَرَائِضِ الَّتِي افْتَرَضَهَا عَلَيْهِمْ بَعْدَ مَعْرِفَةِ مِنْ جَاءَ بِهَا مِنْ عَنْدِهِ وَدُعَاهُمْ إِلَيْهِ ، فَأَوْلَى ذَلِكَ مَعْرِفَةٌ مِنْ دُعَاءِ إِلَيْهِ ، وَهُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَحْدَهُ ، وَالْإِقْرَارُ بِرَبِّيْتِهِ ، وَمَعْرِفَةُ الرَّسُولِ الَّذِي بَلَغَ عَنْهُ ، وَقَبْوُلُ مَا جَاءَ بِهِ ، ثُمَّ مَعْرِفَةُ

الوصي ثم معرفة الأئمة بعد الرسل الذين افترض الله طاعتهم في كل عصر وزمان على أهله ، والإيمان والتصديق بأول الرسل والأئمة وآخراهم. ثم العمل بما افترض الله عز وجل على العباد من الطاعات ظاهراً وباطناً ، واجتناب ما حرم الله عز وجل عليهم ظاهره وباطنه ، وإنما حرم الظاهر بالباطن ، والباطن بالظاهر معاً جميماً ، والأصل والفرع ، فباطن الحرام حرام كظاهره ، ولا يسع تحليل أحدهما ، ولا يجوز ولا يحل إباحة شيء منه ، وكذلك الطاعات مفروض على العباد إقامتها ، ظاهرها وباطتها ، لا يجزي إقامة ظاهر منها دون باطن ولا باطن دون ظاهر ، ولا تجوز صلاة الظاهر مع ترك صلاة الباطن ، ولا صلاة الباطن مع ترك صلاة الظاهر. وكذلك الزكاة ، والصوم والحج والعمرة ، وجميع فرائض الله افترضها على عباده ، وحرماته وشعائره.

## وسائل الشيعة: ٢٦٠/١١

وفي عيون الأخبار بأسانيده عن الفضل بن شاذان ، عن الرضا عليه السلام في كتابه إلى المؤمن قال: الإيمان هو أداء الأمانة ، واجتناب جميع الكبائر ، وهو معرفة بالقلب ، وإقرار باللسان ، وعمل بالأركان. إلى أن قال: واجتناب الكبائر وهي: قتل النفس التي حرم الله تعالى ، والزنا ، والسرقة ، وشرب الخمر ، وعقوق الوالدين ، والفرار من الزحف ، وأكل مال اليتيم ظلماً ، وأكل الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به من غير ضرورة ، وأكل الربا بعد البينة ، والسحت ، والميسر وهو القمار، والبخس في المكيال والميزان ، وقدف المحسنات ، والزنا، واللواط ، واليأس من روح الله ، والأمن من مكر الله ، والقنوط من رحمة الله ، ومعونة الظالمين ، والركون إليهم ، واليدين الغموض ، وحبس الحقوق من غير عسر ، والكذب والكبير ، والاسراف والتبذير ، والخيانة ، والإستخفاف بالحج ،

والمحاربة لأولياء الله ، والإشتغال بالملاهي ، والإصرار على الذنوب. ورواه ابن شعبة في (تحف العقول) مرسلاً نحوه .

ورoot مصادر إخواننا السنة اقتران المعرفة والعمل عن علي عليه السلام، ففي كنز العمال: ٢٧٣/١ ، عن علي قال: سألت النبي صلوات الله عليه عن الإيمان ما هو ؟ قال: معرفة بالقلب ، وإقرار باللسان ، وعمل بالأركان - أبو عمرو بن حمدان في فوائده .

وفي سنن ابن ماجة: ٢٥/١

حدثنا سهل بن أبي سهل و محمد بن إسماعيل قالا ثنا عبد السلام بن صالح أبو الصلت الهروي ، ثنا علي بن موسى الرضا ، عن أبيه ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن علي بن الحسين ، عن أبيه ، عن علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله (ص): الإيمان معرفة بالقلب ، وقول باللسان ، وعمل بالأركان. قال أبو الصلت: لو قری هذا الإسناد على مجنون لبرأ. انتهى ورواه البيهقي في شعب الإيمان: ٤٧/١ ورواه في كنز العمال: ٢٧٣/١ ، بعدة روايات عن علي عليه السلام. ونحوه الجزري في أنسى المطالب: ١٢٥/١ .

وفي مروج الذهب للمسعودي: ١٧١/٤

قال علي بن محمد بن علي بن موسى عن أبيه عن أجداده عن علي (رض) قال: قال رسول الله (ص): أكتب يا علي ، قلت وما أكتب ؟

قال لي: أكتب: بسم الله الرحمن الرحيم. الإيمان ما وقرته القلوب ، وصدقه الأفعال ، والإسلام ما جرى به اللسان ، به المناكحة .

وفي إرشاد الساري: ٨٦-٨٧

الإيمان قول و فعل .. وهو موافق لقول السلف ، اعتقاد بالقلب ونطق اللسان. وقال

المتأخرون منهم الأشعرية ، ووافقهم ابن الراوندي من المعتزلة: هو تصديق الرسول (ص) بما علم مجيهه به... .

إذا تقرر هذا فاعلم أن الإيمان (يزيد) بالطاعة (وينقص) بالمعصيه كما عند المؤلف وغيره وأخرجه أبو نعيم . . . بل قال به من الصحابة عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب . . . ومن التابعين كعب الأحبار . . . وعمر بن عبد العزيز . . . أما توقف مالك رحمه الله عن القول بنقصانه فخشية أن يتأنى عليه موافقة الخوارج .

### أفضل الأعمال بعد معرفة العقائد

الكافي: ١٣٠/٢ و ٣١٧: محمد بن مسلم بن عبيد الله قال سئل علي بن الحسين (عليه السلام) أي الأعمال أفضل عند الله ؟ قال: ما من عمل بعد معرفة الله عز وجل ومعرفة رسوله صلوات الله عليه وآله وسلامه أفضل من بغض الدنيا فإن لذلك لشعباً كثيرة ، وللمعاصي شعب فأول ما عصي الله به الكبر ، معصية إبليس حين أبى واستكبر وكان من الكافرين ، ثم الحرص وهي معصية آدم وحواء (عليه السلام) حين قال الله عز وجل لهم: فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمْ وَلَا تَرْبِيَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونُوا مِنَ الظَّالِمِينَ . فأخذوا ما لا حاجة بهما إليه ، فدخل ذلك على ذريتهما إلى يوم القيمة ، وذلك أن أكثر ما يطلب ابن آدم ما لا حاجة به إليه ، ثم الحسد وهي معصية ابن آدم حيث حسد أخيه فقتله ، فتشعب من ذلك حب النساء وحب الدنيا وحب الرئاسة وحب الراحة وحب الكلام وحب العلو والثروة ، فصرن سبع خصال فاجتمعن كلهن في حب الدنيا ، فقال الأنبياء والعلماء بعد معرفة ذلك: حب الدنيا رأس كل خطيئة ، والدنيا آن: دنيا بلاغ ، ودنيا ملعونة. انتهى. ورواه في وسائل الشيعة: ٣٠٨/١١ .

الكافي: ٢٦٤/٣

- حدثني محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن الحسن بن محبوب ، عن معاوية بن وهب قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن أفضل ما يتقرب به العباد إلى ربهم وأحب ذلك إلى الله عز وجل ما هو ؟ فقال: ما أعلم شيئاً بعد المعرفة أفضل من هذه الصلاة ، ألا ترى أن العبد الصالح عيسى ابن مريم عليه السلام قال: « وأوصاني بالصلاحة والزكوة ما دمت حياً ». انتهى. ورواه في وسائل الشيعة: ١٧/١ وج ٣٠٨/١١ .

**أقل ما يجب ، وأقصى ما يمكن ، من المعرفة**

الكافي: ٩١/١

محمد بن أبي عبدالله رفعه ، عن عبدالعزيز بن المهتمي قال: سألت الرضا عليه السلام عن التوحيد ، فقال: كل من قرأ قل هو الله أحد وآمن بها فقد عرف التوحيد ، قلت: كيف يقرؤها ؟ قال: كما يقرؤها الناس وزاد فيه كذلك الله ربى ، كذلك الله ربى .

الكافي: ٩١/١

أحمد بن ادريس ، عن محمد بن عبدالجبار ، عن صفوان بن يحيى ، عن أبي أيوب ، عن محمد بن مسلم ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إن اليهود سألوا رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه فقالوا: أنسب لنا ربك ، فلبت ثلثاً لا يجيئهم ثم نزل: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ، إلى آخرها .

محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، ومحمد بن الحسين ، عن ابن محبوب ، عن حماد بن عمرو النصيبي ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سألت أبا عبدالله عن قل هو الله أحد ، فقال: نسبة الله إلى خلقه أحداً صمداً أزلياً صمدياً لا

ظل له يمسكه وهو يمسك الأشياء بأظلتها ، عارف بالمحظوظ ، معروف عند كل جاهل ، فرداً ، لا خلقه فيه ولا هو خلقه ، غير محسوس ولا محسوس ، لا تدركه الأ بصار ، علا فقرب ودنا بعد ، وعصي فغفر وأطاع فشكراً ، لا تحويه أرضه ولا تقله سماواته ، حامل الأشياء بقدرته ، ديمومي أزلي ، لا ينسى ولا يلهم ولا يغلط ولا يلعب ، ولا لإرادته فصل وفصله جزاء وأمره واقع ، لم يلد فيورث ولم يولد فيشارك ، ولم يكن له كفواً أحد .

## دعائم الإسلام: ١٣/١

وعنه صلوات الله عليه أنه قيل له: يا أمير المؤمنين ما أدنى ما يكون به العبد مؤمناً، وما أدنى ما يكون به كافراً، وما أدنى ما يكون به ضالاً؟  
قال: أدنى ما يكون به مؤمناً أن يعرفه الله نفسه فيقر له بالطاعة ، وأن يعرفه الله نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيقر له بالطاعة ، وأن يعرفه الله حجته في أرضه وشاهده على خلقه فيعتقد إمامته فيقر له بالطاعة .

قيل: وإن جهل غير ذلك؟ قال: نعم ولكن إذا أمر أطاع وإذا نهى انتهى .  
وأدنى ما يصير به مشركاً أن يتدين بشئ مما نهى الله عنه فيزعم أن الله أمر به ، ثم ينصبه ديناً ويزعم أنه يعبد الذي أمر به وهو غير الله عز وجل. وأدنى ما يكون به ضالاً أن لا يعرف حجة الله في أرضه وشاهده على خلقه فيأتم به .

## الرسائل للشيخ الأنصاري: ٢٧٥/١

وقد ذكر العلامة في الباب الحادي عشر فيما يجب معرفته على كل مكلف ، من تفاصيل التوحيد والنبوة والإمامية والمعاد ، أموراً لا دليل على وجوبها كذلك ، مدعياً أن الجاهل بها عن نظر وإستدلال خارج عن ربوة الإيمان مستحق للعقاب

الدائم. وهو في غاية الإشكال .

نعم يمكن أن يقال: إن مقتضى عموم وجوب المعرفة ، مثل قوله تعالى: وما خلقتُ الْجِنَّةِ وَالْإِنْسَانَ إِلَّا يَعْبُدُونِ ، أي ليعرفون. قوله (عَزَّوَجَلَّ): وما أعلم بعد المعرفة أفضل من هذه الصلوات الخمس ، بناء على أن الأفضلية من الواجب ، خصوصاً مثل الصلاة ، تستلزم الوجوب .

وكذا عمومات وجوب التفقه في الدين الشامل للمعارف بقرينة استشهاد الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ بها ، لوجوب النفر لمعرفة الإمام بعد موت الإمام السابق عَلَيْهِ السَّلَامُ وعمومات طلب العلم هو وجوب معرفة الله جل ذكره ومعرفة النبي عَلَيْهِ السَّلَامُ والإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ ومعرفة ما جاء به النبي عَلَيْهِ السَّلَامُ على كل قادر يتمكن من تحصيل العلم ، فيجب الفحص حتى يحصل اليأس ، فإن حصل العلم بشئ من هذه التفاصيل إعتقد وتدين به ، وإلا توقف ولم يتدين بالظن لو حصل له .

ومن هنا قد يقال: إن الإشتغال بالعلم المتকفل لمعرفة الله ومعرفة أوليائه صلوات الله عليهم أهم من الإشتغال بعلم المسائل العلمية بل هو المتعين ، لأن العمل يصح عن تقليد ، فلا يكون الإشتغال بعلمه إلا كفائياً بخلاف المعرفة .

هذا ، ولكن الإنصاف ممن جانب الإعتساف يقتضي الإذعان بعدم التمكن من ذلك إلا للأوحادي من الناس ، لأن المعرفة المذكورة لا تحصل إلا بعد تحصيل قوة استنباط المطالب من الأخبار وقوة نظرية أخرى لثلا يأخذ بالأخبار المخالفة للبراهين العقلية ، ومثل هذا الشخص مجتهد في الفروع قطعاً، فيحرم عليه التقليد. ودعوى جوازه له للضرورة ليس بأولى من دعوى جواز ترك الإشتغال بالمعرفة التي لا تحصل غالباً بالأعمال المبنية على التقليد .

هذا إذا لم يتعين عليه الإفتاء والمرافعة لأجل قلة المجتهدين. وأما في مثل زماننا

فالأمر واضح .

فلا تغتر حينئذ بمن قصر استعداده أو همته عن تحصيل مقدمات استنباط المطالب الإعتقادية الأصولية والعلمية عن الأدلة العقلية والنقلية ، فيتركتها مبغضًا لها لأن الناس أعداء ما جهلوه ، ويشتغل بمعرفة صفات الرب جل ذكره وأوصاف حججه صلوات الله عليهم بنظر في الأخبار لا يعرف به من ألفاظها الفاعل من المفعول ، فضلاً عن معرفة الخاص من العام . وبنظر في المطالب العقلية لا يعرف به البدويات منها ، ويشتغل في خلال ذلك بالتشنيع على حملة الشريعة العملية واستهزيائهم بقصور الفهم وسوء النية ، فيسأطتهم أنباء ما كانوا به يستهزئون . هذا كله حال وجوب المعرفة مستقلًا .

وأما اعتبار ذلك في الإسلام أو الإيمان فلا دليل عليه ، بل يدل على خلافه الأخبار الكثيرة المفسرة لمعنى الإسلام والإيمان .

ففي رواية محمد بن سالم عن أبي جعفر ع عليهما السلام المروية في الكافي: إن الله عز وجل بعث محمداً ص عليهما السلام وهو بمكة عشر سنين ، ولم يمت بمكة في تلك العشر سنين أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، إلا أدخله الله الجنة بإقراره وهو إيمان التصديق .

فإن الظاهر أن حقيقة الإيمان التي يخرج الإنسان بها عن حد الكفر الموجب للخلود في النار لم تتغير بعد انتشار الشريعة . نعم ظهر في الشريعة أمور صارت ضرورية الثبوت من النبي ص ، فيعتبر في الإسلام عدم إنكارها .

لكن هذا لا يوجب التغيير ، فإن المقصود أنه لم يعتبر في الإيمان أزيد من التوحيد والتصديق بالنبي ص عليهما السلام وبكونه رسولاً صادقاً فيما يبلغ . وليس المراد معرفة تفاصيل ذلك ، وإلا لم يكن من آمن بمكة من أهل الجنة أو كان حقيقة

الإيمان بعد انتشار الشريعة غيرها في صدر الإسلام .

وفي رواية سليم بن قيس عن أمير المؤمنين عليه السلام: إن أدنى ما يكون به العبد مؤمناً أن يعرفه الله تبارك وتعالى إياه فيقر له بالطاعة، ويعرفه نبيه فيقر له بالطاعة ، ويعرفه إمامه وحجته في أرضه وشاهده على خلقه فيقر له بالطاعة .

فقلت له: يا أمير المؤمنين ! وإن جهل جميع الأشياء إلا ما وصفت قال: نعم. وهي صريحة في المدعى .

وفي رواية أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: جعلت فداك ، أخبرني عن الدين الذي افترضه الله تعالى على العباد ما لا يسعهم جهله ولا يقبل منهم غيره، ما هو ؟ فقال: أعدده على ، فأعاد عليه ، فقال: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكوة ، وحج البيت من استطاع إليه سبيلاً ، وصوم شهر رمضان ، ثم سكت قليلاً ، ثم قال: والولاية والولاية ، مرتين ثم قال: هذا الذي فرض الله عز وجل على العباد ، لا يسأل رب العباد يوم القيمة ، فيقول: ألا زدتني على ما افترضت عليك ، ولكن من زاد زاده الله. إن رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُنَّة حسنة ينبغي للناس الأخذ بها .

ونحوها رواية عيسى بن السري ، قلت لابي عبد الله عليه السلام: حدثني عما بنيت عليه دعائم الإسلام التي إذا أخذت بها زكي عملي . . . .

وفي رواية أبي اليسع قال: قلت لابي عبد الله عليه السلام: أخبرني عن دعائم الإسلام التي لا يسع أحداً التقصير عن معرفة شئ منها . . . ( وقد أوردنا الروايتين في بحث معرفة الإمام )

وفي رواية إسماعيل: قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن الدين الذي لا يسع العباد جهله فقال: الدين واسع ، وإن الخوارج ضيقوا على أنفسهم بجهلهم .

فقلت: جعلت فداك أما أحدهنك بديني الذي أنا عليه. فقال: بلى. قلت: أشهد أن  
لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، والاقرار بما جاء به من عند الله ،  
وأتو لاكم وأبراً من عدوكم ومن ركب رقابكم وتأمر عليكم وظلمكم حكمكم .  
فقال: ما جهلت شيئاً. فقال: هو والله الذي نحن عليه. قلت: فهل يسلم أحد لا  
يعرف هذا الأمر. قال: لا إلا المستضعفين. قلت: من هم قال: نساوكم وأولادكم .  
قال: أرأيت أم أيمن! فإني أشهد أنها من أهل الجنة ، وما كانت تعرف ما أنت  
عليه .

فإن في قوله (ما جهلت شيئاً) دلالة واضحة على عدم اعتبار الزائد في أصل الدين. والمستفاد من الأخبار المصرحة بعدم اعتبار معرفة أزيد مما ذكر فيها في الدين ، وهو الظاهر أيضاً من جماعة من علمائنا الأخيار كالشهيدين في الألفية وشرحها ، والمحقق الثاني في الجعفرية ، وشارحها وغيرهم ، وهو أنه يكفي في معرفة الرب التصديق بكونه موجوداً وواجب الوجود لذاته والتصديق بصفاته الشبوانية الراجعة إلى صفتني العلم والقدرة ونفي الصفات الراجعة إلى الحاجة والحدوث ، وأنه لا يصدر منه القبيح فعلاً أو تركاً .

والمراد بمعنی هذه الأمور رکوزها في اعتقاد المكلف ، بحيث إذا سأله عن شيء مما ذكر أجاب بما هو الحق فيه ، وإن لم يعرف التعبير عنه بالعبارات المتعارفة على ألسنة الخواص .

ويكفي في معرفة النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) معرفة شخصه بالنسبة المعروفة المختص به ، والتصديق بنبوته وصدقه ، فلا يعتبر في ذلك الإعتقاد بعصمته ، أعني كونه معصوماً بالملائكة من أول عمر إلى آخره. قال في المقاصد العلية: ويمكن اعتبار ذلك ، لأن الغرض المقصود من الرسالة لا يتم إلا به ، فيستفي بالفائدة التي

باعتبارها وجوب إرسال الرسل. وهو ظاهر بعض كتب العقائد المقدمة بأن من جهل ما ذكره فيها فليس مؤمناً مع ذكرهم ذلك ، والأول غير بعيد عن الصواب . انتهى .

أقول: والظاهر أن مراده بعض كتب العقائد هو الباب الحادي عشر للعلامة قدربيث حيث ذكر تلك العبارة ، بل ظاهره دعوى إجماع العلماء عليه .

نعم يمكن أن يقال: إن معرفة ما عدا النبوة واجبة بالإستقلال على من هو متمكن منه بحسب الإستعداد وعدم الموانع ، لما ذكرنا من عمومات وجوب التفقه وكون المعرفة أفضل من الصلوات الواجبة ، وأن الجهل بمراتب سفراء الله جل ذكره مع تيسير العلم بها تقصير في حقهم وتفريط في حبهم ونقص يجب بحكم العقل رفعه ، بل من أعظم النقائص .

وقد أومأ النبي ﷺ إلى ذلك حيث قال مثيراً إلى بعض العلوم الخارجة من العلوم الشرعية: إن ذلك علم لا يضر جهله. ثم قال: إنما العلوم ثلاثة ، آية محكمة وفريضة عادلة وسنة قائمة ، وما سواهن فهو فضل .

وقد أشار إلى ذلك رئيس المحدثين في ديباجة الكافي ، حيث قسم الناس إلى أهل الصحة والسلامة وأهل المرض والزمانة ، وذكر وضع التكليف عن الفرقـة الأخيرة .

ويكفي في معرفة الأئمة صلوات الله عليهم ، معرفتهم بنسبهم المعروف والتصديق بأنهم أئمة يهدون بالحق ويجب الانقياد إليهم والأخذ منهم . وفي وجوب الزائد على ما ذكر من عصمتهم الوجهان. وقد ورد في بعض الأخبار تفسير معرفة حق الإمام بمعرفة كونه إماماً مفترض الطاعة .

ويكفي في التصديق بما جاء به النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) التصديق بما علم مجئه به متواتراً

من أحوال المبدأ والمعاد، كالتكليف بالعبادات والسؤال في القبر وعذابه والمعاد الجسماني والحساب والصراط والميزان والجنة والنار إجمالاً، مع تأمل في اعتبار معرفة ما عدا المعاد الجسماني من تلك الأمور في الإيمان المقابل للكفر الموجب للخلود في النار ، للأخبار المتقدمة المستفيضة والسيرة المستمرة ، فإننا نعلم بالوجدان جهل كثير من الناس بها من أول البعثة إلى يومنا هذا. ويمكن أن يقال: إن المعتبر هو عدم إنكار هذه الأمور وغيرها من الضروريات ، لا وجوب الإعتقداد بها ، على ما يظهر من بعض الأخبار ، من أن الشاك إذا لم يكن جاداً فليس بكافر. ففي رواية زرارة عن أبي عبدالله عليه السلام: لو أن العباد إذا جهلوها وقفوا ولم يجحدوا لم يكفروا. ونحوها غيرها. ويفيدها ما عن كتاب الغيبة للشيخ قدس سره بإسناده عن الصادق عليه السلام: إن جماعة يقال لهم الحقيقة ، وهم الذين يقسمون بحق علي ولا يعرفون حقه وفضله ، وهم يدخلون الجنة .

وبالجملة ، فالقول بأنه يكفي في الإيمان الإعتقداد بوجود الواجب الجامع للكلمات المنزه عن النقائص وبنبوة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبإماممة الأئمة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ والبراءة من أعدائهم ، والإعتقداد بالمعاد الجسماني الذي لا ينفك غالباً عن الإعتقدادات السابقة غير بعيد ، بالنظر إلى الأخبار والسيرة المستمرة .

وأما التدين بسائر الضروريات ففي اشتراطه ، أو كفاية عدم إنكارها ، أو عدم اشتراطه أيضاً ، فلا يضر إنكارها إلا مع العلم بكونها من الدين وجوه ، أقواءها الأخير ثم الأوسط. وما استقرينا في ما يعتبر في الإيمان وجدته بعد ذلك في كلام محكي عن المحقق الورع الأردبيلي في شرح الإرشاد .

نعم يجب تحصيل العلم في بعض الإعتقادات لو أمكن ، من باب وجوب المعرفة لنفسها كمعرفة الواجب تعالى وصفاته ، أداء لشکر بعض نعمائه ، ومعرفة أنبيائه فإنهم وسائل نعمه وآلاته ، بل وكذا معرفة الإمام عليه السلام على وجه صحيح ، فالعقل يستقل بوجوب معرفة النبي ووصيه لذلك ، والإحتمال للضرر في تركه . ولا يجب عقلاً معرفة غير ما ذكر ، إلا ما وجب شرعاً معرفته كمعرفة الإمام عليه السلام على وجه آخر غير صحيح ، أو أمر آخر مما دل الشرع على وجوب معرفته ، وما لا دلالة على وجوب معرفته بالخصوص ، لا من العقل ولا من النقل ، كان أصلالة البراءة من وجوب معرفته محكمة . ولا دلالة لمثل قوله تعالى: وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّا وَالْإِنْسَا . الآية ، ولا لقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: وما أعلم شيئاً بعد المعرفة أفضل من هذه الصلوات الخمس . ولا لما دل على وجوب التفقه وطلب العلم من الآيات والروايات على وجوب معرفته بالعموم ، ضرورة أن المراد من ( ليعبدون ) هو خصوص عبادة الله ومعرفته ، والنبوى إنما هو بقصد بيان فضيلة الصلوات لا بيان حكم المعرفة ، فلا إطلاق فيه أصلاً . ومثل آية النفر ، إنما هو بقصد بيان الطريق المتosل به إلى التفقه الواجب ، لا بيان ما يجب فقهه ومعرفته ، كما لا يخفى . وكذا ما دل على وجوب طلب العلم إنما هو بقصد الحث على طلبه لا بقصد بيان ما يجب العلم به .

ثم إنه لا يجوز الإكتفاء بالظن فيما يجب معرفته عقلاً أو شرعاً حيث أنه ليس بمعرفة قطعاً، فلا بد من تحصيل العلم لو أمكن ، ومع العجز عنه كان معدوراً إن كان عن قصور لغفلة أو لغموضة المطلب مع قلة الإستعداد ، كما هو المشاهد في كثير من النساء بل الرجال ، بخلاف ما إذا كان عن تقدير في الإجتهاد ، ولو لأجل حب طريقة الآباء والأجداد واتباع سيرة السلف ، فإنه كالجبلى للخلف ،

وكلما عنه تخلف. ولا يصحى إلى ما ربما قيل: بعدم وجود القاصر فيها ، لكنه إنما يكون معدوراً غير معاقب على عدم معرفة الحق ، إذا لم يكن يعانده بل كان ينقاد له على إجماله لو احتمله .

### حاشية السيد البروجردي على كفاية الأصول: ١٩٣/٢

فصل. إنما الثابت بمقدمات دليل الإنسداد في الأحكام هو حجية الظن فيها ، لا حجيتها في تطبيق المأتبى به في الخارج معها ، فيتبع مثلاً في وجوب صلاة الجمعة يومها ، لا في إتيانها ، بل لا بد من علم أو علمي بإتيانها ، كما لا يخفى. نعم ربما يجري نظير مقدمة الإنسداد في الأحكام في بعض الموضوعات الخارجية ، من إنسداد باب العلم به غالباً ، وإهتمام الشارع به بحيث علم بعدم الرضا بمخالفة الواقع بإجراء الأصول فيه مهما أمكن ، وعدم وجوب الاحتياط شرعاً أو عدم إمكانه عقلاً ، كما في موارد الضرر المردود أمره بين الوجوب والحرمة مثلاً ، فلا محيص عن اتباع الظن حيث إن أيضاً ، فافهم .

خاتمة: يذكر فيها أمران استطراداً:

الأول: هل الظن كما يتبع عند الإنسداد عقلاً في الفروع العملية ، المطلوب فيها أولاً العمل بالجوارح ، يتبع في الأصول الإعتقادية المطلوب فيها عمل الجوانح من الإعتقاد به وعقد القلب عليه وتحمله والإنقياد له ، أو لا. الظاهر لا ، فإن الأمر الإعتقادى وإن أنسد باب القطع به ، إلا أن باب الإعتقاد إجمالاً - بما هو واقعه والإنقياد له وتحمله - غير منسد ، بخلاف العمل بالجوارح فإنه لا يكاد يعلم مطابقته مع ما هو واقعه إلا بالإحتياط ، والمفروض عدم وجوبه شرعاً ، أو عدم جوازه عقلاً ، ولا أقرب من العمل على وفق الظن. وبالجملة: لا موجب مع

إنسداد باب العلم في الإعتقاديات لترتيب الأعمال الجوانحية على الظن فيها ، مع إمكان ترتيبها على ما هو الواقع فيها ، فلا يتحمل إلا لما هو الواقع ، ولا ينقاد إلا له ، لا لما هو مظنونه ، وهذا بخلاف العلوميات ، فإنه لا محيس عن العمل بالظن فيها مع مقدمات الإنسداد .

نعم يجب تحصيل العلم في بعض الإعتقادات لو أمكن ، من باب وجوب المعرفة لنفسها ، كمعرفة الواجب تعالى وصفاته أداء لشکر بعض نعمائه ، ومعرفة أنبيائه ، فإنهم وسائل نعمه وآلاته ، بل وكذا معرفة الإمام عليه السلام على وجه صحيح ، فالعقل يستقل بوجوب معرفة النبي ووصيه لذلك ، ولاحتمال الضرر في تركه ، ولا يجب عقلاً معرفة غير ما ذكر ، إلا ما وجب شرعاً معرفته ، كمعرفة الإمام عليه السلام على وجه آخر غير صحيح ، أو أمر آخر مما دل الشع على وجوب معرفته ، وما لا دلالة على وجوب معرفته بالخصوص ، لا من العقل ولا من النقل ، كان أصلة البراءة من وجوب معرفته محكمة .

ولا دلالة لمثل قوله تعالى: **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّا وَالْإِنْسَا** . الآية ، ولا لقوله **عَلَيْكُمْ الْأَدَبُ** : وما أعلم شيئاً بعد المعرفة أفضل من هذه الصلوات الخمس ، ولا لما دل على وجوب التفقه وطلب العلم من الآيات والروايات على وجوب معرفته بالعموم ، ضرورة أن المراد من ( ليعبدون ) هو خصوص عبادة الله ومعرفته ، والنبيي إنما هو بقصد بيان فضيلة الصلوات لا بيان حكم المعرفة ، فلا إطلاق فيه أصلاً ، ومثل آية النفر إنما هو بقصد بيان الطريق المتسل بـه إلى التفقه الواجب ، لا بيان ما يجب فقهه ومعرفته كما لا يخفى ، وكذا ما دل على وجوب طلب العلم إنما هو

ثم انه لا يجوز الاكتفاء بالظن فيما يح مع فته عقلاً أو شرعاً، حيث أنه لبس

بمعرفة قطعاً ، فلا بد من تحصيل العلم لو أمكن ، ومع العجز عنه كان معدوراً إن كان عن قصور لغفلة أو لغموض المطلب مع قلة الإستعداد ، كما هو المشاهد في كثير من النساء بل الرجال ، بخلاف ما إذا كان عن تقصير في الإجتهاد ، ولو لاجل حب طريقة الآباء والأجداد واتباع سيرة السلف ، فإنه كالجلي ، وقلما عنه تخلف .

والمراد من المجاهدة في قوله تعالى: **وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِي نَهْدِيْهِمْ سُبْلَنَا** ، بتخليتها عن الرذائل وتحليتها بالفضائل ، وهي التي كانت أكبر من الجهاد ، لا النظر والإجتهاد ، وإلا لأدى إلى الهدایة ، مع أنه يؤدي إلى الجهالة والضلال ، إلا إذا كانت هناك منه تعالى عنایة ، فإنه غالباً بقصد إثبات أن ما وجد آباءه عليه هو الحق ، لا بقصد الحق ، فيكون مقصراً مع اجتهاده ومؤاخذ إذا أخطأ على قطعه واعتقاده .

ثم لا إستقلال للعقل بوجوب تحصيل الظن مع اليأس عن تحصيل العلم ، فيما يجب تحصيله عقلاً لو أمكن ، لو لم نقل باستقلاله بعدم وجوبه بل بعدم جوازه ، لما أشرنا إليه من أن الأمور الإعتقادية مع عدم القطع بها أمكن الإعتقاد بما هو واقعها والإنتقاد لها ، فلا إل婕اء فيها أصلًا إلى التنزل إلى الظن فيما انسد فيه باب العلم ، بخلاف الفروع العملية كما لا يخفى .

وكذلك لا دلالة من النقل على وجوبه فيما يجب معرفته مع الامكان شرعاً ، بل الأدلة الدالة على النهي عن اتباع الظن ، دليل على عدم جوازه أيضاً . وقد انقدح من مطاوي ما ذكرنا أن القاصر يكون في الإعتقاديات لغفلة ، أو عدم الإستعداد للإجتهاد فيها ، لعدم وضوح الأمر فيها بمثابة لا يكون الجهل بها إلا عن نقص كما لا يخفى ، فيكون معدوراً عقلاً .

ولا يصحى إلى ما ربما قيل بعدم وجود القاصر فيها ، لكنه إنما يكون معدوراً غير معاقب على عدم معرفة الحق ، إذا لم يكن يعانده ، بل كان ينقاد له على إجماله لو احتمله .

#### حقائق الأصول: ٢١١/٢

قوله: **فإن الأمر الإعتقادى** ، يعني أن العمل على الظن في الأصول الإعتقادية يتوقف على تسميم مقدمات الإنسداد فيها وهو غير ممكّن إذ منها عدم إمكان الإحتياط الموجب للدوران بين الأخذ بالطرف المظنون والموهوم ، وبقاعدة قبح ترجيح المرجوح يتعين الأول ، وفي المقام لا مجال للدوران المذكور لإمكان الإعتقاد بها إجمالاً على ما هي عليه واقعاً ، إلا أن يدعى وجوب الإعتقاد بها تفصيلاً حتى في حال الجهل ، فإنه حيث لا يمكن العلم بها لابد من سلوك الظن لأنه أقرب إلى الواقع ، لكن لابد من الإلتزام بالكشف إذ لو لم تكشف المقدمات عن كون الظن حجة شرعاً كان الإعتقاد المطابق له تشريعاً محظياً عقلاً ، فتأمل جيداً .

إلا أن دعوى وجوب الإعتقاد تفصيلاً مطلقاً لا دليل عليها من عقل أو شرع فلا حظ .

قوله: **كمعرفة الواجب تعالى ، لا ريب ظاهراً في وجوب هذه المعرفة وإنما الخلاف في وجوبها عقلاً أو شرعاً ، فالمحكى عن العدلية الأول ، وعن الأشاعرة الثاني ، والخلاف في ذلك منهم مبني على الخلاف في ثبوت قاعدة التحسين والتقييح العقليين ، فعلى القول بها - كما هو مذهب الأولين - تكون واجبة عقلاً لأن شكر المنع ودفع الخوف عن النفس واجبان وهمما يتوقفان على المعرفة وما يتوقف على الواجب واجب ، وظاهر تقرير هذا الدليل كون وجوب المعرفة**

غيري ، والمصنف رحمه الله جعل وجوبها نفسياً بناء منه على كون المعرفة بنفسها شكرأً ، فإذا كان الشكر واجباً عقلاً لكونه حسناً بنفسه كانت المعرفة بنفسها واجبة لا أنها مقدمة لواجب ، ولذا قال في تعليل وجوبها: أداء لشكر بعض ... الخ .

نعم لو كان الشكر واجباً من باب وجوب دفع الضرر كان وجوبه غيرياً فيكون وجوب المعرفة حينئذ غيرياً ، بل لو قلنا حينئذ بأن وجوب دفع الضرر ليس عقلياً بل فطرياً كان وجوبها فطرياً غيرياً لا عقلياً لا نفسياً ولا غيرياً .

والإنصاف يقتضي التأمل في وجوب الشكر لنفسه وإن كان حسناً لأن حسنه لا يلازم وجوبه ، نعم هو واجب من باب وجوب دفع الضرر المحمول ، فيكون وجوب المعرفة غيرياً لا نفسياً . وأما كونه عقلياً أو فطرياً فقد عرفت فيما سبق تحقيقه . فلاحظ .

ثم إنه قد يتوهם كون وجوب المعرفة غيرياً من جهة توقف الإعتقاد عليها ، لكنه إنما يتم لو كان الإعتقاد واجباً تفصيلاً مطلقاً غير مشروط بالمعرفة مع توقفه على المعرفة ، وقد عرفت الإشكال في الأول ، كما يمكن منع الثاني لإمكان تحقق الإعتقاد بلا معرفة غاية الأمر أنه تشريع محرم عقلاً لكن تحريمك كذلك لا يقتضي وجوب المعرفة . نعم لو كان الواجب عقلاً هو الإعتقاد عن معرفة كانت واجبة لغيرها لكنه أول الكلام .

قوله: فإنهم وسائل ، يعني فتكون معرفتهم أداء للشكر الواجب ، وكذا معرفة الإمام عليه السلام على وجه صحيح ( هامش: وهو كون الإمامة كالنبوة منصباً إلهياً يحتاج إلى تعيينه تعالى ونصبه لا أنها من الفروع المتعلقة بأفعال المكلفين وهو الوجه الآخر منه ( قلبي ) ) ، فالعقل يستقل بوجوب معرفة النبي ووصيه لذلك

ولاحتمال الضرر في تركه، ولا يجب عقلاً معرفة غير ما ذكر إلا ما وجب شرعاً معرفته - كمعرفة الإمام عليه السلام - على وجه آخر غير صحيح أو أمر آخر مما دل الشرع على وجوب معرفته ، وما لا دلالة على وجوب معرفته بالخصوص لا من العقل ولا من النقل كان أصلة البراءة من وجوب معرفته محكمة ، ولا دلالة لمثل قوله تعالى: **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّةِ وَالْإِنْسَانَ** ، الآية ولا لقوله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): وما أعلم شيئاً بعد المعرفة أفضل من هذه الصلوات الخمس ، ولا لما دل على وجوب التفقه وطلب العلم من الآيات والروايات على وجوب معرفته بالعموم أن المراد من: **لِيَعْبُدُونَ** ، هو خصوص عبادة الله ومعرفته والنبوى إنما هو بقصد بيان فضيلة الصلوات لا بيان حكم المعرفة فتتجب .

قوله: وكذا معرفة الإمام عليه السلام، يعني واجبة لنفسها لأن الإمامة كالنبوة من المناصب الإلهية فيكون الإمام عليه السلام من وسائل النعم فتتجب معرفته كمعرفة النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وهذا هو الوجه الصحيح ... .

## نهاية الافكار: ١٨٨/٢

أما المقام الأول ، فلا ينبغي الإشكال في وجوب تحصيل معرفة الواجب تعالى ومعرفة ما يرجع إليه من صفات الجمال والجلال ، ككونه واحداً قادراً عالماً مريداً حياً غنياً لم يكن له نظير ولا شبيه ، ولم يكن بجسم ولا مرئي ولا له حيز ونحو ذلك .. كما لا إشكال أيضاً في كون الوجوب المزبور نفسياً ، لأن المعرفة بالمبدأ سبحانه هي الغاية القصوى والغرض الأصلي من خلق العباد وبعث الرسل كما ينبي عنه قوله سبحانه: **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّةِ وَالْإِنْسَانَ إِلَّا لِيَعْبُدُونَ** ، حيث أن حقيقة العبودية هي المعرفة ولا ينافي ذلك مقدمتها لواجب آخر عقلي أو شرعي

كالتدين والإنقياد ونحوه. ثم إن عدمة الدليل على وجوب المعرفة إنما هو حكم العقل الفطري واستقلاله بوجوب تحصيل المعرفة بالمبدأ تعالى على كل مكلف بمناط شكر المنعم باعتبار كونها من مراتب أداء شكره فيجب بحكم العقل تحصيل المعرفة به سبحانه ، وبما يرجع إليه من صفات الجمال والجلال ، بل ويجب أيضاً معرفة أنبيائه ورسله وحججه الذين هم وسائط نعمه وفيضه .

وإلا فمع الأغراض عن هذا الحكم العقلي الفطري لا تجدي الأدلة السمعية كتاباً وسنة من نحو قوله سبحانه: **وَمَا حَكَفَتُ الْجِنَّةُ وَالْإِنْسَانُ إِلَّا يَعْبُدُونَ** ، لعدم تمامية مثل هذه الإستدلالات للجاهل بهما لا إزاماً ولا إقناعاً ، لأن دليليهما فرع الإعتقاد بهما وبكلامهما ، وحيثئذ فالعدمة في الدليل على الوجوب هو حكم العقل الفطري .

نعم بعد تحصيل المعرفة بالمبدأ ووسائل نعمه بحكم العقل ، لا بأس بالإستدلال بالكتاب والسنة لإثبات وجوب المعرفة لما عداهما في فرض فرض تمامية إطلاق تلك الأدلة من حيث متعلق المعرفة ، وإلا فبناء على عدم إطلاقها من هذه الجهة فلا مجال للتمسك بها أيضاً .

ثم إنه مما ذكرنا ظهر الحال في المقام الثاني ، حيث أنه بعد ما وجب تحصيل المعرفة بالواجب تعالى وبوسائل نعمه يجب بحكم العقل الإعتقاد وعقد القلب والإنقياد له سبحانه ، لكون مثله أيضاً من مراتب أداء شكره الواجب عليه. بل الظاهر أن وجوب ذلك أيضاً كوجوب أصل المعرفة مطلق غير مشروط بحصول العلم من الخارج ، فيجب عليه حيئذ تحصيل العلم مقدمة للإنقياد الواجب . هذا كله بالنسبة إلى أصل وجوب المعرفة ، وأما المقدار الواجب منها فإنما هو المعرفة بالمبدأ جل شأنه وبوحدانيته وبما يرجع إليه من صفات الجمال والجلال

، وكذا معرفة أنبيائه ورسله وحججه الذين هم وسائط نعمه وفيضه ، وكذلك الحشر والنشر ولو بنحو الأجمال .

وأما ما عدا ذلك كتفاصيل التوحيد وكيفية علمه وإرادته سبحانه ، وتفاصيل المحسن وخصوصياته ، وأن الميزان والصراط بأي كيفية ، ونحو ذلك فلا يجب تحصيل العلم ولا الإعتقاد بها بتلك الخصوصيات .

نعم في فرض حصول العلم بها من الخارج يجب الإعتقاد وعقد القلب بها. فوجوب الإعتقاد بخصوصيات الأمور المزبورة إنما كان مشروطاً بحصول العلم بها من باب الإتفاق ، لأن وجوبها مطلق حتى يجب تحصيل العلم بها من باب المقدمة. نعم الواجب على المكلف هو الإعتقاد الإجمالي بما هو الواقع ونفس الأمر فيعتقد وينقاد بتلك الأمور على ما هي عليها في الواقع ونفس الأمر .

ومن هذا البيان ظهر الحال في المقام الثالث أيضاً ، فإن مقتضى الأصل فيما عدا المقدار المزبور هو عدم وجوب تحصيل المعرفة زائداً على المقدار الذي يستقل العقل بوجوب تحصيله ، إلا ما ثبت من الخارج وجوب الإعتقاد به من ضرورة ونحوه كالمعاد الجسماني .

وأما الإستدلال على وجوب المعرفة بتفاصيل الأمور المزبورة بما ورد من الأدلة النقلية كتاباً وسنة كقوله سبحانه: **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّا وَالْإِنْسَا إِلَّا لِيَعْبُدُونَ** ، وعموم آية النفر ، وقوله عليه السلام: لا أعلم شيئاً بعد المعرفة أفضل من الصلوات الخمس ، وقوله: طلب العلم فريضة على كل مسلم وMuslimة ، فيدفعه مضافاً إلى قضاء العادة بامتناع حصول المعرفة بما ذكر إلا للأوحدي من الناس ، أنه لا إطلاق لها من حيث متعلق المعرفة لأنها بين ما كان في مقام بيان فضيلة الصلاة والتحث والترغيب إليها لا في مقام بيان حكم المعرفة ، وبين ما كان بقصد إثبات أصل

وجوب المعرفة بالمبأ ورسله وحججه لا في مقام وجوبها على الإطلاق ، حتى بالنسبة إلى التفاصيل المزبورة. وعليه فعند الشك لابد من الرجوع إلى الأصل المقتضى لعدم وجوبها .

نعم حيث قلنا بعدم وجوب تحصيل المعرفة في الزائد عن المقدار المعلوم فليس له إنكاره والحدج به ، إذ لا يستلزم عدم وجوب المعرفة بشئ جواز إنكاره ، بل ربما يكون إنكاره حراماً عليه ، بل موجباً لکفره إذا كان من الضروريات ، لما يظهر منهم من التسالم على كفر منكر ضروري الدين كالمعراج والمعاد الجسماني ونحوهما . فلا بد لمثل هذا الشخص حينئذ من الإعتقداد إجمالاً بما هو الواقع .

#### شرح المواقف للجر جاني: ١٠٥/٨:

... والجواب منع التكليف بكمال معرفته إذ هو أي التكليف بقدر وسعنا فنحن مكلفون بأن نعرف من صفاته ما يتوقف تصديق النبي ﷺ على العلم به لا بمعرفة صفات أخرى. أو بأن نقول سلمنا تكليفنا بكمال معرفته لكن لا يلزم من التكليف به حصوله من جميع المكلفين بل ربما يعرفه معرفة كاملة بعض منهم كالأنباء والكمالين من أتباعهم ... .

فإن قلت: مرادهم أنا مكلفون بكمال معرفة ممكنة ، وقد لا يسلمون كون معرفته تعالى بالكته ممكنة .

قلت: لو سلم فلعل له تعالى صفة لا يمكن لنا معرفتها أيضاً فلا يتوجه لهم بما ذكروه نفي صفة غير السمع بالكلية ، فتأمل .

قوله: فنحن مكلفون إلى آخره.. هذا مترب على منة التكليف بكمال المعرفة،

ثم الترتب باعتبار الأخبار نظيره الفاء في قوله تعالى: **وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فِمَنِ اللَّهُ ، أَيِّ** إذا كان التكليف بكمال المعرفة ممنوعاً **فَأَخْبِرْ كُمْ أَنَا مَكْلُوفُونَ بِكُنَا لَا بِكُنَا ،** وحينئذ لا يرد أن مثل السمع والبصر والكلام داخل تحت الوسع ، فيقتضي قوله **إِذْ هُوَ بِقَدْرِ وَسْعِنَا أَنْ نَكُونَ مَكْلُوفِينَ بِمَعْرِفَتِهِ أَيْضًا** مع أن التفريع يقتضي عدم التكليف بها ، **إِذْ لَا يَتَوَقَّفُ تَصْدِيقُ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى شَيْءٍ مِنْهَا ،** فتتذرع .

### المعرفة لا تتوقف على علم الكلام

مستدرك الوسائل: ١٦١/١

فقه الرضا عليه السلام: إياك والخصومة فإنها تورث الشك وتحبط العمل ، وتردي أصحابها ، وعسى أن يتكلم بشيء لا يغفر له .

ونروي: إنه كان فيما مضى قوم انتهى بهم الكلام إلى الله عز وجل فتحيروا ، فإن كان الرجل ليدعى من بين يديه فيجيب من خلفه .

وأروي: تكلموا فيما دون العرش ، فإن قوماً تكلموا في الله عز وجل فتاهوا .

وأروي عن العالم: وسألته عن شيء من الصفات فقال: لا تتجاوز ما في القرآن .

وأروي: إنه قرر بين يدي العالم عليه السلام قوله: **لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ،** فقال: إنما عنى أبصار القلوب وهي الأوهام ، فقال: لا تدرك الأوهام كيفيته ، وهو يدرك كل وهم ، وأما عيون البشر فلا تلتحقه ، لأنه لا يحل فلا يوصف. هذا ما نحن عليه كلنا .

رسائل الشهيد الثاني: ١٧٤/٢

التوحيد على ثلاثة أقسام:

**الأول: توحيد الذات ونفي الشريك في واجب الوجود .**

الثاني: بحسب الصفات هو نفي الصفة الموجودة القائمة بذاته تعالى .

الثالث: توحيده تعالى بحسب العبودية وتخصيص العبادة له جل جلاله .

والعمدة في الإستدلال على الأول قوله تعالى: لَوْ كَانَ فِيهِمَا إِلَهٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا.

والدليل على الثاني والثالث قوله تعالى: وَلَا يُشْرِكُ بِعِبَادَةَ رَبِّهِ أَحَدًا ، وقول مولانا أمير

المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَام: إن أول الدين معرفته ، وكمال معرفته التصديق به ، وكمال

التصديق به توحيده ، وكمال توحيده الإخلاص له ، وكمال الإخلاص له نفي

الصفات عنه ، بشهادة كل صفة أنها غير الموصوف وشهادة كل موصوف أنه

غير الصفة ، فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه ، ومن قرنه فقد ثناه ومن ثناه فقد

جزأه ، ومن جزأه فقد جهله. صدق ولی الله عَلَيْهِ السَّلَام. وروى محمد بن أبي عمیر عن

الكافر عَلَيْهِ السَّلَام حين سأله عن التوحيد ؟ فقال: يا أبا أحمد لا تجاوز في التوحيد عما

ذكره الله تعالى في كتابه فتهمل .

وسائل صفاته الثبوتية مذكورة في القرآن ، مصريحة بواجب الوجود ، وهو دليل

على نفي الصفات السلبية ، لإستلزمها الامكان المضاد للوجود. وباقى الأصول

من النبوة والإمامية والمعاد الجسماني مستفاد من الكتاب العزيز والسنّة النبوية

والإمامية ، بحيث لا مزيد عليها .

فظهر أن تحصيل الإيمان لا يتوقف على تعلم علم الكلام ولا المنطق، ولا

غيرها من العلوم المدونة، بل يكفي مجرد الفطرة الإنسانية على اختلاف مراتتها،

والتنبيهات الشرعية من الكتاب والسنّة المتواترة أو الشائعة المشهورة ، بحيث

يحصل من العلم بها العلم بالمسائل المذكورة. وكل ممکن برهان ، وكل آية

حجّة ، وكل حديث دليل ، وفهم المقصود استدلال ، وكل عاقل مستدل ، وإن

لم يعلم الصغرى ولا الكبرى ولا التالي ولا المقدم ، بهذه العبارات والقانونات

والإصطلاحات .

### رسائل الشهيد الثاني: ١٧٦/٢

الباب السادس ، في الكلام على تعلم علم الكلام ، واعلم أنه علم إسلامي وضعه المتكلمون لمعرفة الصانع وصفاته العليا ، وزعموا أن الطريق منحصر فيه وهو أقرب الطرق. والحق أنه أبعدها وأصعبها وأكثرها خوفاً وخطراً ، ولذلك نهى النبي ﷺ عن الغور فيه ، حيث روي أنه مر على شخصين مباحثين على مسألة ، كالقضاء والقدر ، فغضب عليهما حتى احمرت وجنتاه .

وروى هارون بن موسى التلعكبي أستاد شيخنا المفید قدس سرهما ، عن عبدالله ابن سنان قال: أردت الدخول على أبي عبدالله ع ، فقال لي مؤمن الطاق ، استأذن لي على أبي عبدالله ع ، فقلت: نعم ، فدخلت عليه فاعلمته مكانه ، فقال ع: يابن سنان لا تأذن له على ، فإن الكلام والخصومات يفسدان النية وتحقق الدين .

وعن عاصم بن حميد الحناط عن أبي عبيدة الحذاء قال: قال لي أبو جعفر ع  
وأنا عنده: إياك وأصحاب الكلام والخصومات ومجالستهم ، فإنهم تركوا ما أمروا بعلمه وتكلفوا ما لم يؤمروا بعلمه حين تكلفوا أهل أبناء السماء. يا أبا عبيدة خالط الناس بأخلاقهم وزائلهم في أعمالهم ، يا أبا عبيدة إنا لا نعد الرجل فقيهاً عالماً حتى يعرف لحن القول ، وهو قوله تعالى: **وَلَعْنَفُهُمْ فِي لَهْنِ الْقَوْلِ** .

وعن جميل بن دراج قال: سمعت أبا عبدالله ع يقول: متكلموا هذه الأمة من شرار أمتي ومن هم منهم .  
وعنه ع: يهلك أهل الكلام وينجو المسلمين .

وورد في موضع آخر: إن شر هذه الأمة المتكلمون .

وروي أن يونس قال للصادق عليه السلام: جعلت فداك إني سمعت أنك تنهى عن الكلام تقول: ويل لاصحاب الكلام. فقال عليه السلام: إنما قلت ويل لهم إن تركوا ما أقول وذهبوا إلى ما يقولون .

أقول: يمكن أن يكون هذا إشارة إلى أنهم تركوا التشبيهات كما عرفت الواردة في القرآن والآثار النبوية والإمامية صلوات الله عليهم، وعدلوا عنها إلى خيالاتهم الفاسدة وحكاياتهم الباردة ، المذكورة في الكتب الكلامية .

قال سيد المحققين رضي الدين علي بن طاووس قتيله: مثل مشائخ المعتزلة في تعليمهم معرفة الصانع ، كمثل شخص أراد أن يعرف غيره النار ، فقال: يا هذا معرفتها تحتاج إلى أسباب: أحدها الحجر ولا يوجد إلا طريق مكة. والثاني الحديد وصفته كذا وكذا. والثالث حراق على هذه الصفة. والرابع مكان حال عن شدة الهواء ، فأخذ المسكين في تحصيل هذه الأسباب .

ولو قال له في أول الحال: إن هذه الجسم المضي الذي تشاهده هو النار التي تطلبها لأراح واستراح .

فمثل هذا العالم حقيق أن يقال إنه قد أضل ، ولا يقال إنه قد هدى ، أو عدل بالخلاف ( في معرفة الخالق ) إلى تلك الطرائق الضيقة البعيدة ، وضيق عليهم سبيل الحقيقة ، كما عدل من أراد تعريف النار المعلومة بالإضطرار إلى استخراجها من الأخبار .

أقول: هذا حال الكلام الذي كان في أول الإسلام ، ولا شك أنه ما كان بهذه المثابة من البحث والخصوصة ، فما ظنك بهذه المباحثات والخصوصيات الشائعة في زماننا. وليت شعري أن هؤلاء الجماعة هل لهم دليل عقلي ونقلني على وجوبه

واستحبابه ؟ أو مجرد تقليد آبائهم وأسلافهم ، وأنهم على آثارهم لمقتدون. وأنهم هل يقررون بإيمان السابقين أو ينكرونه ؟ وهل يعترفون بإيمان العوام الغافلين عنه أو لا يعترفون ؟ فإن أقرروا واعترفوا بما فائدته ؟ وإلا فكيف يعاشرونه بالرطوبات ؟ مع اعتقادهم بأن عدم المعرفة بالأصول كفر والكافر نجس. وكيف يجوز الإشتغال بالواجب مع استلزماته ترك ما هو أوجب ؟ فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي كانوا يوعدون .

### ويكفي الدليل الاجمالي في المعرفة

الاقتصاد للشيخ الطوسي ١٥/

فإن قيل: قد ذكرتم أنه يخرج الإنسان عن حد التقليد بعلم الجملة ، ما حد ذلك  
يبينه لنقف عليه ؟

قلنا: أحوال الناس تختلف في ذلك: فمنهم من يكفيه الشئ اليسير ، ومنهم من يحتاج إلى أكثر منه بحسب ذكائه وفطنته وخاطره ، حتى يزيد بعضهم على بعض إلى أن يبلغ إلى حد لا يجوز له الإقتصار على علم الجملة بل يلزمه على التفصيل لكتلة خواطره وتواتر شبهاته. وليس يمكن حصر ذلك لشيء لا يمكن  
الزيادة عليه ولا النقصان عنه .

فإن قيل: فعلى كل حال يبینوا لذلك مثلاً على وجه التقرير .

قلنا: أما على وجه التقرير فإننا نقول: من فكر في نفسه فعلم أنه لم يكن موجوداً ثم وجد نطفة ثم صار علقة ثم مضعة ثم عظماً ثم جيناً في بطن أمه ميتاً ثم صار حياً فبقي مدة ثم ولد صغيراً ، فتتقلب به الأحوال من صغر إلى كبر ومن طفولة إلى رجلة ومن عدم عقل إلى عقل كامل ثم إلى الشيخوخة وإلى الهرم ثم

الموت ، وغير ذلك من أحواله ، علِمَ أن هنا من يصرفه هذا التصريف ويفعل به هذا الفعل ، لأنَّه يعجز عن فعل ذلك بنفسه ، وحال غيره من أمثاله حاله من العجز عن مثل ذلك. فعلم بذلك أنه لابد من أن يكون هناك من هو قادر على ذلك مخالف له ، لأنَّه لو كان مثله لكان حكمه حكمه. ويعلم أنه لا بد أن يكون عالماً من حيث أن ذلك في غاية الحكمة والإتساق ، مع علمه الحاصل بأنَّ بعض ذلك لا يصدر من ليس بعالم ، وبهذا القدر يكون عالماً بالله تعالى على الجملة .

وهكذا إذا نظر في بذر يبذُر فينبت منه أنواع الزرع والغرس ويصعد إلى منتهاه ، فمنه ما يصير شجراً عظيماً يخرج منه أنواع الفواكه والملاذ ، ومنه ما يصير زرعاً يخرج منه أنواع الأقواف ، ومنه ما يخرج منه أنواع المسمومات الطيبة الروائح ، ومنه ما يكون خسيه في غاية الطيب كالعود الرطب وغير ذلك ، وكالمسلك الذي يخرج من بعض الطباء والعنبر الذي يخرج من البحر ، فيعلم بذلك أن مصرف ذلك وصانعه قادر عالم لتأتي ذلك وإتساقه ، ولعجزه وعجز أمثاله عن ذلك ، فيعلم بذلك أنه مخالف لجميع أمثاله ، فيكون عارفاً بالله على الجملة .

وكذلك إذا نظر إلى السماء صافية فتهب الرياح وينشأ السحاب ويصعد ولا يزال يتکاثف ويظهر فيه الرعد والبرق والصواعق ، ثم ينزل منه من المياه والبحار العظيمة التي تجري منها الأنهار العظيمة والأودية الواسعة ، وربما كان فيه من البرد مثل الجبال ، كل ذلك في ساعة واحدة ثم تنقشع السماء وتبدو الكواكب وتطلع الشمس أو القمر كأن ما كان لم يكن من غير تراخ ولا زمان بعيد ، فيعلم بديهية أنه لابد أن يكون من صح ذلك منه قادراً عليه ممكناً منه ، وأنَّه مخالف له ولأمثاله ، فيكون عند ذلك عارفاً بالله. وأمثال ذلك كثيرة لا نطول بذكره .

فمما عرف الإنسان هذه الجملة وفكَر فيها هذا الفكر واعتقد هذا الإعتقاد ، فإنَّ

مضى على ذلك ولم يشعه خاطر ولا طرقه شبهة فهو ناج متخلص . وأكثر من أشرتم إليه يجوز أن يكون هذه صفتة ، وإن بحث عن ذلك وعن علل ذلك فطرقته شبهات وخطرت له خطرات وأدخل عليه قوم ملحدون ما حيره وببله فحينئذ يلزمـه التفتيش ولا تكفيـه هذه الجملة ، ويـجب عليه أن يتـكـلـفـ البحث والـنـظـرـ على ما سـبـبـيـنـهـ ليـسـلـمـ منـ ذـلـكـ وـيـحـصـلـ لـهـ الـعـلـمـ عـلـىـ التـفـصـيلـ . وـنـحـنـ نـبـيـنـ ذـلـكـ فـيـ الـفـصـلـ الـذـيـ يـلـيـ هـذـاـ الـفـصـلـ عـلـىـ ماـ وـعـدـنـاـ بـهـ إـنـشـاءـ اللهـ .

فـإـنـ قـيـلـ: أـصـحـابـ الـجـمـلـ (ـبـضـمـ الـجـيـمـ أـيـ أـصـحـابـ الـمـعـرـفـةـ الـإـجـمـالـيـةـ)ـ عـلـىـ ماـ ذـكـرـتـمـ لـاـ يـمـكـنـهـ أـنـ يـعـرـفـواـ صـفـاتـ اللهـ تـعـالـىـ وـمـاـ يـجـوزـ عـلـيـهـ وـمـاـ لـاـ يـجـوزـ عـلـيـهـ مـنـهـ عـلـىـ طـرـيـقـ الـجـمـلـةـ ،ـ وـإـذـاـ لـمـ يـمـكـنـهـ ذـلـكـ لـمـ يـمـكـنـهـ أـنـ يـعـلـمـواـ أـنـ أـفـعـالـ كـلـهـ حـكـمـةـ وـلـاـ حـسـنـ التـكـلـيفـ وـلـاـ النـبـوـاتـ وـلـاـ الـشـرـعـيـاتـ ،ـ لـأـنـ مـعـرـفـةـ هـذـهـ الـأـشـيـاءـ لـاـ يـمـكـنـ إـلـاـ بـعـدـ مـعـرـفـةـ اللهـ تـعـالـىـ عـلـىـ طـرـيـقـ التـفـصـيلـ .

قـلـنـاـ: يـمـكـنـ مـعـرـفـةـ جـمـيـعـ ذـلـكـ عـلـىـ وـجـهـ الـجـمـلـةـ ،ـ لـأـنـ إـذـاـ عـلـمـ بـمـاـ قـدـمـنـاـهـ مـنـ الـأـفـعـالـ وـوـجـوـبـ كـوـنـهـ قـادـرـاـ عـالـمـاـ ،ـ وـعـلـمـ أـنـهـ لـاـ يـجـوزـ أـنـ يـكـونـ قـادـرـاـ بـقـدـرـةـ مـحـدـثـةـ لـأـنـهـ كـانـتـ تـجـبـ أـنـ تـكـوـنـ مـنـ فـعـلـهـ ،ـ وـقـدـ تـقـرـرـ أـنـ الـمـحـدـثـ لـاـ بـدـ لـهـ مـنـ مـحـدـثـ ،ـ وـفـاعـلـهـ يـجـبـ أـنـ يـكـونـ قـادـرـاـ أـوـلـاـ ،ـ فـلـوـلـاـ تـقـدـمـ كـوـنـهـ قـادـرـاـ قـبـلـ ذـلـكـ لـمـ صـحـ مـنـهـ تـعـالـىـ فـعـلـ الـقـدـرـةـ ،ـ فـيـعـلـمـ أـنـهـ لـمـ يـكـنـ قـادـرـاـ بـقـدـرـةـ مـحـدـثـةـ ،ـ وـلـأـجـلـهـ عـلـمـ أـنـهـ كـذـلـكـ لـاـمـرـ لـاـ خـتـصـاصـ لـهـ بـمـقـدـورـ دـوـنـ مـقـدـورـ ،ـ فـيـعـلـمـ أـنـهـ يـجـبـ أـنـ يـكـونـ قـادـرـاـ عـلـىـ جـمـيـعـ الـأـجـنـاسـ وـمـنـ كـلـ جـنـسـ عـلـىـ مـاـ لـاـ يـتـنـاهـيـ لـفـقـدـ التـخـصـيـصـ .

وـكـذـلـكـ إـذـاـ عـلـمـ بـالـمـحـكـمـ مـنـ أـفـعـالـهـ كـوـنـهـ عـالـمـاـ عـلـمـ أـنـ مـاـ لـاـجـلـهـ عـلـمـ مـاـ عـلـمـهـ لـاـ خـتـصـاصـ لـهـ بـمـعـلـومـ دـوـنـ مـعـلـومـ ،ـ إـذـ المـخـصـصـ هـوـ الـعـلـمـ الـمـحـدـثـ وـالـعـلـمـ لـاـ يـقـعـ

إلا من عالم ، فلابد أن يتقدم كونه عالمًا لا بعلم محدث ، وما لأجله علم لا اختصاص له بمعلوم دون معلوم ، فيعلم أنه عالم بما لا يتناوله وبكل ما يصح أن يكون معلوماً لفقد الاختصاص. فيعلم أنه لا يشبه الأشياء ، لأنه لو أشبهها لكان مثلها في كونها محدثة ، لأن المثيلين لا يكون أحدهما قديماً والآخر محدثاً. ويعلم أنه غير محتاج ، لأن الحاجة من صفات الأجسام ، لأنها تكون إلى جلب المنافع ودفع المضار وهما من صفات الأجسام ، فيعلم عند ذلك أنه غني. ويعلم أنه لا تجوز عليه الرؤية والإدراكات ، لأنه لا يصح أن يدرك إلا ما يكون هو أو محله في جهة ، وذلك يقتضي كونه جسماً أو حالاً في جسم ، وهكذا يقتضي حدوثه وقد علم أنه قديم. وإذا علم أنه عالم بجميع المعلومات ، وعلم كونه غنياً ، علم أن جميع أفعاله حكمة وصواب ولها وجه حسن وأن لم يعلمه مفصلاً ، لأن القبيح لا يفعله إلا من هو جاهم بقبحه أو محتاج إليه وكلاهما متنفيان عنه ، فيقطع عند ذلك على حسن جميع أفعاله من خلق الخلق والتکلیف و فعل الآلام وخلق المؤذيات من الهوام والسباع وغير ذلك .

ويعلم أيضاً عند ذلك صحة النبوات ، لأن النبي إذا ادعى النبوة وظهر على يده علم معجز يعجز عن فعله جميع المحدثين علم أنه من فعل الله ، ولو لا صدقه لما فعله ، لأن تصديق الكذاب لا يحسن ، وقد أمن ذلك بكونه عالمًا غنياً. فإذا علم صدق الأنبياء بذلك علم صحة ما أتوا به من الشرعيات والعبادات ، لكونهم صادقين على الله ، وأنه لا يتبع الخلق إلا بما فيه مصلحتهم .

وإذا ثبت له هذه العلوم فتشاغل بالعبادة أو بالمعيشة ولم تخطر له شبهة ولا أورد عليه ما يقدح فيما علمه ، ولا فكر هو في فروع ذلك ، لم يلزمـه أكثر من ذلك. ومتى أورد عليه شبهة فإن تصوّرها قادحة فيما علمـه يلزمـه حينئذ النظر فيها حتى

يحلها ليس لم ما علمه ، وإن لم يتصورها قادحة ولا اعتقاد أنها تؤثر فيما علمه لم يلزمها النظر فيها ولا التشاغل بها .

وهذه أحوال أكثر العوام وأصحاب المعاش والمترفين ، فإنهم ليس يكادون يتلتفتون إلى شبهة تورد عليهم ولا يقبلونها ولا يتصورونها قادحة فيما اعتقادوه ، بل ربما أعرضوا عنها واستغنووا عن سماعها وإيرادها وقالوا: لا تفسدوا علينا ما علمناه . وقد شاهدت جماعة هذه صورتهم . فبان بهذه الجملة ما أشرنا إليه من أحوال أصحاب الجُمل .

#### رسائل الشهيد الثاني: ١٤٢/٢

الثاني في بيان معنى الدليل الذي يكفي في حصول المعرفة المحققة للايمان عند من لا يكفي بالتقليد في المعرفة .

إعلم أن الدليل بمعنى الدال ، وهو لغة المرشد ، وهو الناصب للدليل كالصانع ، فإنه نصب العالم دليلاً عليه ، والذاكر له كالعالم ، فإنه دال بمعنى أنه يذكرون العالم دليلاً على الصانع ، ويقال لما به الإرشاد كالعالم ، لأنه بالنظر فيه يحصل الإرشاد ، أي الإطلاع على الصانع تعالى .

واصطلاحاً: هو ما يمكن التوصل بتصحح النظر فيه إلى مطلوب خبري ، وهذا يشمل الإمارة ، لأنها توصل بالنظر فيها إلى الظن بمطلوب خبري ، كالنظر إلى الغيم الربط في فصل الشتاء ، فإن التأمل فيه يوجب الظن بنزل المطر فيه . وقيل: إنه ما يمكن التوصل به إلى العلم بمطلوب خبري ، فلا يشمل الإمارة . وهذا التعريفان للأصوليين . وقوله: ما يمكن ، يشمل ما نظر فيه بالفعل وأوجب المطلوب وما لم ينظر فيه بعد ، فالعالم قبل النظر فيه دليل على وجود الصانع عند

الأصوليين دون المنطقين حيث عرفوه بأنه قولان فصاعداً يكون عندهما قول آخر ، وهذا يشمل الإمارة ، وقيل: قولان فصاعداً يلزم عنه لذاته قول آخر ، وهذا لا يشمل الإمارة. فالدليل عندهم إنما يصدق على القضايا المصدق بها حالة النظر فيها أي ترتيبها ، لأنها الحالة التي تكون فيه أو يلزم منها قول آخر .

ويمكن أن يقال: على اعتبار اللزوم لا يصدق الدليل على المقدمات حال ترتيبها ، لأن اللزوم لا يحصل عنده بل بعده. اللهم إلا أن يراد باللزوم اللغوى ، أي الإستبعان .

ثم إن الذي يكفي اعتباره في تحقق الإيمان من هذه التعريف هو التعريف الثاني للأصوليين لكن بعد النظر فيما يمكن التوصل به ، لا الأول ، لأن ما يفيد الظن بالمعارف الأصولية غير كاف في تتحقق الإيمان على المذهب الحق .

ولا يعتبر في تتحققه شئ من تعريف المنطقين ، لأن العلم بترتيب المقدمات وتفصيلها على الوجه المعتبر عندهم غير لازم في حصول الإيمان ، بل اللازم من الدليل فيه ما تطمئن به النفس بحسب استعدادها ويسكن إليه القلب ، بحيث يكون ذلك ثابتاً مانعاً من تطرق الشك والشبهة إلى عقيدة المكلف ، وهذا يتفق كثيراً بمحاجة الدليل إجمالاً ، كما هو الواقع لأكثر الناس .

أقول: يمكن أن يقال أن حصول العلم عن الدليل لا يكون إلا بعد ترتيب المقدمات على الوجه التفصيلي المعتبر في شرائط الإستدلال ، وحصوله في النفس وإن لم يحصل الشعور بذلك الترتيب ، إذ ليس كل ما اتصفت به النفس تشعر به ، إذ العلم بالعلم غير لازم .

والحاصل أن الترتيب المذكور طبيعي لكل نفس ناطقة مرکوز فيها. وهذا معنى ما قالوه من أن الشكل الأول بدائي الإنتاج لقربه من الطبع ، فدل على أن في

الطبيعة ترتيباً مطبوعاً متى أشرفت عليه النفس حصل به العلم ، وحينئذ فالمعتبر في حصول العلم بالدليل ليس إلا ما ذكره المنطقيون. والخلاف بينهم وبين الأصوليين ليس إلا في التسمية ، لأنهم يطلقون الدليل على نفس المحسوس كالعالم ، وأهل المعمول لا يطلقونه إلا على نفس المعمول كالقضايا المرتبة ، مع أن حصول العلم بالفعل على الإصطلاحين يتوقف على ترتيب القضايا المعقولة ، وما نحن فيه من هذا القبيل ، فإن حصول الإيمان بالفعل أعني التصديق بالمعارف الإلهية إنما يكون بعد الترتيب المذكور .

قولهم إن الدليل الإجمالي كاف في الإيمان لا يخلو عن مسامحة ، لما بينا من أن الترتيب لابد منه في النظريات ، وكأنهم أرادوا بالإجمال عدم الشعور بذلك الترتيب وعدم العلم بشرائط الإستدلال ، لا عدم حصول ذلك في النفس ، والثاني هو المعتبر في حصول العلم دون الأول. نعم الأول إنما يعتبر في المناظرات ودفع المغالطات ورد الشبهة وإلزام الخصوم .

ويؤيد ما ذكرناه أنك لا تجد في مباحث الدليل وتعريفه إشارة إلى أنه قد يكون تفصيلياً وقد يكون إجمالياً ، وما يوجد في مباحث الإيمان من أنه يكفي فيه الدليل الجملي ، فقد بينا المراد منه .

## العجز عن معرفة ذات الله تعالى

الكافي: ٩٢/١

باب النهي عن الكلام في الكيفية:

محمد بن الحسن ، عن سهل بن زياد ، عن الحسن بن محبوب ، عن علي بن رئاب ، عن أبي بصير قال: قال أبو جعفر عَلَيْهِ الْكَلَمُ: تكلموا في خلق الله ولا تتكلموا في

الله فإن الكلام في الله لا يزداد صاحبه إلا تحيراً. وفي رواية أخرى عن حriz: تكلموا في كل شيء ولا تتكلموا في ذات الله .

محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن ابن أبي عمير ، عن عبد الرحمن بن الحجاج ، عن سليمان بن خالد قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: إن الله عز وجل يقول: **وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُتَّهَى** ، فإذا انتهى الكلام إلى الله فأمسكوا .

علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير عن أبي أويوب ، عن محمد بن مسلم قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: يا محمد إن الناس لا يزال بهم المنطق حتى يتكلموا في الله ، فإذا سمعتم ذلك فقولوا: لا إله إلا الله الواحد الذي ليس كمثله شيء .

عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد بن خالد ، عن بعض أصحابه ، عن الحسين بن المياح ، عن أبيه قال سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: من نظر في الله كيف هو ؟ هلك .

عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد بن خالد ، عن محمد بن عبد الحميد ، عن العلاء بن رزين ، عن محمد بن مسلم ، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إياكم والتفكير في الله ، ولكن إذا أردتم أن تنظروا إلى عظمته فانظروا إلى عظيم خلقه . محمد بن أبي عبدالله رفعه قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: يا ابن آدم لو أكل قلبك طائر لم يشبعه ، وبصرك لو وضع عليه خرق إبرة لغطاه ، تريد أن تعرف بهما ملوكوت السماوات والأرض ، إن كنت صادقاً فهذه الشمس خلق من خلق الله ، فإن قدرت تملأ عينيك منها فهو كما تقول .

نهج البلاغة: ٦٧/٢

... فمن هداك لاجترار الغذاء من ثدي أمك ، وعرفك عند الحاجة مواضع طلبك

وإرادتك. هيئات ، إن من يعجز عن صفات ذي الهيئة والأدوات فهو عن صفات خالقه أعجز. ومن تناوله بحدود المخلوقين أبعد .

### نهج البلاغة: ١١٩/٢

ومن خطبة له عليه السلام في التوحيد وتجمع هذه الخطبة من أصول العلم ما لا تجمعه خطبة:

ما وحده من كifice ، ولا حقيقته أصاب من مَثَلَه ، ولا إيه عني من شَبَهَه ، ولا صمده من أشار إليه وتوهمه .

كل معروف بنفسه مصنوع ، وكل قائم في سواه معلول .  
فاعُلُّ لا باضطراب آلة ، مقدر لا بجول فكرة ، غني لا باستفادة ، لا تصحبه الأوقات ، ولا ترفره الأدوات ، سبق الأوقات كونه ، والعدم وجوده ، والإبتداء أزله .

بتشعيره المشاعر عُرِفَ أن لا مُشْعَرَ له ، وبمضادته بين الأمور عرف أن لا ضد له ، وبمقارنته بين الأشياء عُرِفَ أن لا قرين له ، ضد النور بالظلمة ، والوضوح بالبهمة والجمود بالبلل ... .

### نهج البلاغة: ١٥٨/١

ومن خطبة له عليه السلام: الحمد لله المعروف من غير رؤية ، والخالق من غير رؤية ، الذي لم يزل قائماً دائمًا إذ لا سماء ذات أبراج ، ولا حجب ذات أرتاج ، ولا ليل داج ، ولا بحر ساج ، ولا جبل ذو فجاج ... .

### نهج البلاغة: ١٦٤/١

... وأشهد أن من شبهك بتباين أعضاء خلقك، وتلامح حفاق مفاصلهم المحتجبة لتدبر حكمتك ، لم يعقد غيب ضميره على معرفتك ، ولم يباشر قلبه اليقين بأنه لا ند لك وكأنه لم يسمع تبراً التابعين من المتبوعين ، إذ يقولون: **تَالَّهُ إِنْ كَانَ لَنِي ضَلَالٌ مُّبِينٌ إِذْ نُسَوِّيْكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ**. كذب العادلون بك ، إذ شبهوك بأصنامهم، ونحلوك حلية المخلوقين بأوهامهم ، وجزءوك تجزئة المجسمات بخواطرك ، وقدرتك على الخلقة المختلفة القوى بقراءح عقولهم ... .

الكافي: ١٣٧/١

علي بن محمد ، عن صالح بن أبي حماد ، عن الحسين بن يزيد ، عن الحسن بن علي ابن أبي حمزة ، عن إبراهيم عن أبي عبدالله عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: إن الله تبارك اسمه ، وتعالى ذكره ، وجل ثناؤه ، سبحانه وتقديس ، ونفرد وتوحد ، ولم ينزل ولا يزال ، وهو الأول والآخر والظاهر والباطن فلا أول لأوليته، رفيع في أعلى علوه ، شامخ الأركان ، رفيع البيان عظيم السلطان ، منيف الآلاء ، سني العلياء ، الذي عجزوا الصافون عن كنه صفتة ، ولا يطيقون حمل معرفة إلهيته ، ولا يحدون حدوده ، لأنه بالكيفية لا ينادي إليه .

علي بن إبراهيم ، عن المختار بن محمد بن المختار ومحمد بن الحسن ، عن عبدالله بن الحسن العلوى جمِيعاً ، عن الفتح بن يزيد الجرجاني قال: ضمني وأبا الحسن عَلَيْهِ السَّلَامُ الطريق في منصرفي من مكة إلى خراسان وهو سائر إلى العراق ، فسمعته يقول: من اتقى الله يتقوى ، ومن أطاع الله يطاع ، فلطفت الوصول إليه ، فوصلت فسلمت عليه ، فرد علي السلام ثم قال: يا فتح من أرضي الخالق لم يبال بسخط المخلوق ، ومن أسخط الخالق فقمن أن يسلط الله عليه سخط المخلوق ،

وإن الخالق لا يوصف إلا بما وصف به نفسه ، وأنى يوصف الذي تعجز الحواس أن تدركه ، والأوهام أن تناهه ، والخطرات أن تحده ، والأبصار عن الإحاطة به ، جل عما وصفه الواصفون ، وتعالى عما ينعته الناعتون ، نأى في قربه ، وقرب في نأيه ، فهو في نأيه قريب ، وفي قربه بعيد ، **كيف الكيف فلا يقال: كيف؟ وأين الain فلا يقال: أين؟ إذ هو منقطع الكيفوفية والainونية.**

### النهي عن الفضولية في معرفة الله تعالى

مستدرك الوسائل: ٤٧/١٢

محمد بن مسعود العيashi في تفسيره: عن مساعدة بن صدقة ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه (عليهما السلام): إن رجلاً قال لامير المؤمنين (عليه السلام): هل تصف ربنا نزداد له حباً وبه معرفة؟ فغضب وخطب الناس ، فقال فيما قال: عليك يا عبد الله بما دلك عليه القرآن من صفتة ، وتقديرك فيه الرسول من معرفته، فائتم به ، واستضي بنور هدايته ، فإنما هي نعمة وحكمة أوتتها ، فخذ ما أوتيت وكن من الشاكرين ، وما كلفك الشيطان علمه مما ليس عليك في الكتاب فرضه ، ولا في سنة الرسول وأئمة الهدى أثره ، فكل علمه إلى الله ، ولا تقدر عظمة الله عليه قدر عقلك ، فتكون من الهاكلين ، وأعلم يا عبد الله أن الراسخين في العلم ، هم الذين أغناهم الله عن الاقتحام على السدد المضروبة دون الغيوب ، إقراراً بجهل ما جهلوه تفسيره من الغيب المحجوب ، فقالوا: آمنا به كل من عند ربنا ، وقد مدح الله اعترافهم بالعجز عن تناول ما لم يحيطوا به علماً ، وسمى ترکهم التعمق فيما لم يكلفهم البحث عن كنهه رسوحاً .

## الفصل التاسع

أنواع من المعرفة والعارفين



### المعرفة الحقيقة والمعرفة الشكلية

الصحيفة السجادية: ١٠٨/٢

... عن ثابت البناي قال: كنت حاجاً وجماعة عباد البصرة مثل أيوب السجستاني، صالح المري ، وعتبة الغلام ، وحبيب الفارسي ، ومالك بن دينار ، فلما أَن دخلنا مكة رأينا الماء ضيقاً ، وقد اشتد بالناس العطش لقلة الغيث ، ففزع إلينا أهل مكة والحجاج يسألوننا أن نستسقي لهم ، فأتينا الكعبة وطفنا بها، ثم سألنا الله خاصعين متضرعين بها ، فمنعنا الإجابة. فيبينما نحن كذلك إذا نحن بفتى قد أقبل وقد أكربته أحزانه وأقلقته أشجانه ، فطاف بالكعبة أشواطاً ، ثم أقبل علينا ، فقال: يا مالك بن دينار يا ثابت البناي يا صالح المري يا عتبة الغلام يا حبيب الفارسي يا سعد يا عمر يا صالح الأعمى يا رابعة يا سعدانة يا جعفر بن سليمان ، فقلنا: ليك وسعديك يا فتى. فقال: أما فيكم أحد يحبه الرحمن؟ فقلنا: يا فتى علينا الدعاء وعليه الإجابة ، فقال: أبعدوا عن الكعبة فلو كان فيكم أحد يحبه الرحمن لأجابه !

ثم أتى الكعبة فخر ساجداً ، فسمعته يقول في سجوده: سيدي يحبك لي إلا سقيتهم الغيث. قال: فما استتم الكلام حتى أتاهم الغيث كأفواه القرب. فقلت: يا فتى من أين علمت أنه يحبك؟ قال: لو لم يحبني لم يستزرني ، فلما استزارني

علمت أنه يحبني ، فسألته بحبه لي فأجابني. ثم ولـى عـنا وأـنـشـأـ يـقـولـ :

من عـرـفـ الـرـبـ فـلـمـ تـعـنـهـ  
عـرـفـةـ الـرـبـ فـذـاكـ الشـقـيـ  
ما ضـرـ ذـوـ الطـاعـةـ ماـ نـالـهـ  
في طـاعـةـ اللهـ وـمـاـ لـقـيـ  
ما يـصـنـعـ العـبـدـ بـغـيرـ التـقـيـ  
وـالـعـزـ كـلـ العـزـ لـمـتـقـيـ

فقلت يا أهل مكة من هذا الفتى ؟ قالوا: علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب.

ورواه في مستدرك الوسائل: ٢٠٩/٦

### تحير المتصوفة في دور العقل في المعرفة

التعرف لمذهب أهل التصوف للكلاباذى ٦٣-٦٧ (تحقيق د. عبد الحليم محمود طبع

عيسى العلبي مصر ١٩٦٠ )

قولهم في معرفة الله تعالى:

أجمعوا على أن الدليل على الله هو الله وحده ، وسبيل العقل عندهم سبيل العاقل في حاجته إلى الدليل لأنـهـ مـحـدـثـ ،ـ وـالـمـحـدـثـ لـاـ يـدـلـ إـلـاـ عـلـىـ مـثـلـهـ.ـ وـقـالـ رـجـلـ  
لـلنـوـرـيـ:ـ مـاـ الدـلـيـلـ عـلـىـ اللهـ ؟ـ قـالـ اللهـ.ـ قـالـ فـمـاـ العـقـلـ ؟ـ قـالـ العـقـلـ عـاجـزـ ،ـ وـالـعـاجـزـ  
لـاـ يـدـلـ إـلـاـ عـلـىـ عـاجـزـ مـثـلـهـ !

وقال ابن عطاء: العقل آلة للعبودية لا للأشراف على الربوبية. وقال غيره: العقل يجول حول الكون ، فإذا نظر إلى المكون ذاب. وقال أبوبكر القحطبي: من لحقته العقول فهو مقهور إلا من جهة الإثبات ، ولو لا أنه تعرف إليها بالألفاظ لما أدركه من جهة الإثبات . وأنشدونا بعض الكبار:

من رـامـهـ بـالـعـقـلـ مـسـتـرـشـدـاـ

سـرـحـهـ فـيـ حـيـرـةـ يـلـهـوـ

يـقـولـ مـنـ حـيـرـتـهـ هـلـ هـوـ

وـشـابـ بـالـتـلـبـيـسـ أـسـرـارـهـ

وقال بعض الكبار من المشايخ: الباقي من المكونات معروفة بنفسه لهجوم العقل عليه ، والحق أعز من أن تهجم العقول عليه وإنه عرفا نفسيه أنه ربنا فقال: **اللَّسْتُ بِرَبِّكُمْ** ؟ ولم يقل: من أنا ؟ فتهجم العقول عليه حين بدأ معرفاً ، فلذلك انفرد عن العقول ، وتنزه عن التحصل غير الإثبات .

وأجمعوا أنه لا يعرفه إلا ذو عقل ، لأن العقل آلة للعبد يعرف به ما عرف ، وهو بنفسه لا يعرف الله تعالى .

وقال أبو بكر السباك: لما خلق الله العقل قال له: من أنا ؟ فسكت فكحله بنور الوحدانية ففتح عينيه فقال: أنت الله لا إله إلا أنت. فلم يكن للعقل أن يعرف الله إلا الله .

### تحيرهم في الفرق بين العلم والمعرفة

ثم اختلفوا في المعرفة نفسها: ما هي ؟ والفرق بينها وبين العلم .

فقال الجنيد: المعرفة وجود جهله عند قيام علمه. قيل له زدنا ، قال: هو العارف وهو المعروف. معناه: إنك جاهم به من حيث أنت ، وإنما عرفته من حيث هو ، وهو كما قال سهل: المعرفة هي المعرفة بالجهل .

وقال سهل: العلم يثبت بالمعرفة ، والعقل يثبت بالعلم ، وأما المعرفة فإنها تثبت بذاتها. معناه: إن الله إذا عرف عبداً نفسه فعرف الله تعالى بتعرفه إليه ، أحدث له بعد ذلك علماً ، فأدرك العلم بالمعرفة وقام العقل فيه بالعلم الذي أحدثه فيه .

وقال غيره: تبين الأشياء على الظاهر علم ، وتبينها على استكشاف بواطنها معرفة.

وقال غيره: أباح العلم للعامة وخص أولياءه بالمعرفة .

وقال أبو بكر الوراق: المعرفة معرفة الأشياء بصورها وسماتها ، والعلم علم الأشياء

حقائقها .

وقال أبو سعيد الخراز: المعرفة بالله هي علم الطلب لله من قبل الوجود له ، والعلم

بالله هو بعد الوجود ، فالعلم بالله أخفى وأدق من المعرفة بالله .

وقال فارس: المعرفة هي المستوفية في كنه المعروف .

وقال غيره: المعرفة هي حقر الأقدار إلا قدر الله ، وأن لا يشهد مع قدر الله قدرأً .

وقيل لذوي النون: بم عرفت ربك ؟ قال: ما هممت بمعصية فذكرت جلال الله إلا استحييت منه. جعل معرفته بقرب الله منه دلالة المعرفة له .

وقيل لعليان: كيف حالك مع المولى ؟ قال: ما جفوته منذ عرفته. قيل له: متى عرفته ؟ قال: منذ سموني مجنوناً. جعل دلالة معرفة له تعظيم قدره عنده .

قال سهل: سبحان من لم يدرك العباد من معرفته إلا عجزاً عن معرفته .

### تصوراتهم عن العارف بالله تعالى

التعرف لمذهب أهل التصوف للكلاباذي ١٣٦-١٣٨

سئل الحسن بن علي بن يزدانيار: متى يكون العارف بمشهد الحق ؟ قال: إذا بدا الشاهد ، وفي الشواهد ، وذهب الحواس ، واصمحل الإخلاص .

معنى بدا الشاهد: يعني شاهد الحق ، وهو أفعاله بك مما سبق منه إليك من بره لك ، وإكرامه إياك بمعرفته ، وتوحيده ، والإيمان به ، تفني رؤية ذلك منك رؤية أفعالك وبرك وطاعتك ، فترى كثير ما منك مستغرقاً في قليل ما منه ، وإن كان ما منه ليس بقليل ، وما منك ليس بكثير .

وفناء الشواهد: بسقوط رؤية الخلق عنك ، بمعنى الضر والنفع والذم والمدح .

وذهاب الحواس هو معنى قوله: في ينطق وبه يبصر ، الحديث .

ومعنى اضمحل الإخلاص: أن لا يراك مخلصاً ، وما خلص من أفعالك خلص ، ولن يخلص أبداً إذا رأيت صفتك ، فإن أوصافك معلولة مثلك .

سئل ذو النون ، عن نهاية العارف ، فقال: إذا كان كما كان حيث كان قبل أن يكون ، معناه: أن يشاهد الله وأفعاله دون شاهدته وأفعاله .

قال بعضهم: أعرف الخلق بالله أشد هم تحيراً فيه .

قيل لذى النون: ما أول درجة يرقاها العارف؟

قال: التحير ، ثم الافتقار ، ثم الإتصال ، ثم التحير .

الحيرة الأولى في أفعاله به ونعمه عنده ، فلا يرى شكره يوازي نعمه ، وهو يعلم أنه مطالب بشكرها ، وإن شكر كان شكره نعمة يجب عليه شكرها ، ولا يرى أفعاله أهلاً أن يقابلها استحقاراً لها ، ويراهما واجبة عليه ، لا يجوز له التخلف عنها .

وقيل قام الشبلي يوماً يصلي فبقى طويلاً ثم صلى ، فلما انفتل عن صلاته قال: يا ويلاه إن صليت جحدت ، وإن لم أصل كفرت .

أي جحدت عظم النعمة وكمال الفضل حيث قابلت ذلك بفعلي شكرأ له مع حقارته . ثم أنسد:

الحمد لله على أنتي كضفدع يسكن في اليم

إن هي فاهت ملات فمها أو سكتت ماتت من الغم

والحيرة الأخيرة: أن يتحير في متأهات التوحيد ، فيفضل فهمه ويختلس عقله في عظم قدرة الله تعالى وهيبته وجلاله . وقد قيل: دون التوحيد متأهات تضل فيها الأفكار .

سأل أبو السوداء بعض الكبار فقال: هل للعارف وقت؟ قال: لا . فقال: لم؟ قال:

لأن الوقت فرجة تنفس عن الكربة ، والمعرفة أمواج تغط ، وترفع وتحط ، فالعارف وقته أسود مظلم. ثم قال:

شرط المعارف محو الكل منك إذا بدا المريد بلحظة غير مطلع

قال فارس العارف: من كان علمه حالة ، وكانت حركاته غلبة عليه .

سئل الجنيد عن العارف فقال: لون الماء لون الإناء. يعني أنه يكون في كل حال بما هو أولى فتحتختلف أحواله ، ولذلك قيل: هو ابن وقته .

سئل ذو النون عن العارف ، فقال: كان هاهنا فذهب. يعني أنه لا تراه في وقتين بحالة واحدة ، لأن مصرفه غيره. وأنشدونا لابن عطاء:

ولو نطقت في السن الدهر خبرت بأنني في ثوب الصباية أرفل

وما أَن لها علم بقدري وموضعني

وقال سهل بن عبد الله: أول مقام في المعرفة أن يعطي العبد يقيناً في سره تسكن به جوارحه، وتوكلًّا في جوارحه يسلم به في دنياه، وحياة في قلبه يفوز بها في عقباه .

قلنا: العارف هو الذي بذل مجده فيما لله ، وتحقق معرفته بما من الله ، وصح رجوعه من الأشياء إلى الله. قال الله تعالى: ترى أعينهم تفيسد من الدمع مما عرفوا من الحق .

### المؤلفة قلوبهم بالمال لكي يعرفوا

اجتهد الخليفة عمر بن الخطاب في آية المؤلفة قلوبهم فأسقط سهمهم رغم نص الآية عليه ، وقد خالفه في ذلك علي والأئمة من أهل البيت عليهم السلام وعدد من الصحابة لأن الآية نصت على ذلك ولا يجوز نسخها بالإجتهاد !

الكافي: ٤١٢/٢

عدة من أصحابنا، عن سهل بن زياد ، عن علي بن حسان، عن موسى بن بكر، عن رجل قال: قال أبو جعفر ع عليه السلام: ما كانت المؤلفة قلوبهم قط أكثر منهم اليوم ، وهم قوم وحدوا الله وخرجوا من الشرك ولم تدخل معرفة محمد رسول الله صلوات الله عليه وآله وسالم قلوبهم وما جاء به ، فتألفهم رسول الله صلوات الله عليه وآله وسالم وتألفهم المؤمنون بعد رسول الله صلوات الله عليه وآله وسالم لكي ما يعرفوا .

مجمع الفائدة والبرهان: ١٥٨/٤

الرابع: المؤلفة قلوبهم ، قال المصنف في المتنى: أجمع علمائنا على أن من المشركين قوم مؤلفة يستماليون بالزكاة لمعاونة المسلمين ، ونقل في التهذيب من تفسير علي بن إبراهيم ، عن العالم ع عليه السلام أنه قال: والمؤلفة قلوبهم قال: هم قوم وحدوا الله وخلعوا عبادة من دون الله ولم تدخل المعرفة قلوبهم أن محمداً رسول الله صلوات الله عليه وآله وسالم ، فكان رسول الله صلوات الله عليه وآله وسالم يتألفهم يعلمهم ويعرفهم كيما يعرفوا ، فجعل لهم نصيباً في الصدقات لكي يعرفوا ويرغبوا .

راجع أيضاً: الحدائق الناضرة: ١٧٥/١٢ ، وذخيرة المعاد/ ٤٥٤ ، ومستند الشيعة: ٤٦/٢ ، وجوهر الكلام: ٣٣٩/١٥ ، وفقه السيد الخوئي: ٢٤٧/٢٣ ، ومصباح الفقية: ٩٥/٣ ، وغيرها من مصادر الحديث والفقه والتفسير .

دعوة العدو في الجهاد إلى معرفة الله تعالى

الكافي: ٣٦/٥

علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن القاسم بن محمد ، عن المنقري ، عن سفيان بن عيينة ، عن الزهري قال: دخل رجال من قريش على علي بن الحسين صلوات الله

عليهم ، فسألوه كيف الدعوة إلى الدين ؟ قال: تقول: بسم الله الرحمن الرحيم أدعوكم إلى الله عز وجل وإلى دينه ، وجماعه أمران: أحدهما معرفة الله عز وجل ، والآخر العمل برضوانه ، وأن معرفة الله عز وجل أن يعرف بالوحدانية والرأفة والرحمة والعزة والعلم والقدرة والعلو على كل شيء وأنه النافع الضار ، القاهر لكل شيء، الذي لا تدركه الأ بصار وهو يدرك الأ بصار وهو الطيف الخبير وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن ما جاء به هو الحق من عند الله عز وجل ، وما سواه هو الباطل ، فإذا أجابوا ذلك فلهم ما لل المسلمين وعليهم ما على المسلمين .

عدة من أصحابنا ، عن سهل بن زياد ، عن محمد بن الحسن بن شمون ، عن عبد الله بن عبد الرحمن ، عن مسمع بن عبد الملك ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: لما وجهني رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه إلى اليمن قال: يا علي لا تقاتل أحداً حتى تدعوه إلى الإسلام ، وأيم الله لأن يهدي الله عز وجل على يديك رجلاً خيراً لك مما طلعت عليه الشمس وغرت ، ولك ولاؤه. انتهى. وروى نحو الحديث الأول في تهذيب الأحكام: ١٤١/٦

### معرفة أهل الآخرة بدليهية لا كسبية

رسائل الشرييف المرتضى: ١٣٣/٢

قال المرتضى (رض): سألت بيان أحكام أهل الآخرة في معارفهم وأحوالهم ، وأنا ذاكر من ذلك جملة وجيبة: إعلم أن لأهل الآخرة ثلاث أحوال: حال ثواب ، وحال عقاب ، وحال أخرى للمحاسبة. ويعملهم في هذه الأحوال الثلاث سقوط التكليف عنهم ، وأن معارفهم ضرورية ، وأنهم ملحوظون إلى الامتناع من القبيح وإن كانوا مختارين لأفعالهم مؤثرين لها، وهذا هو الصحيح دون ما ذهب إليه من خالف هذه الجملة.... .

وأما الذي يدل على أن أهل الآخرة لابد أن يكونوا عارفين بالله تعالى وأحواله ، فهو أن المثاب متى لم يعرفه تعالى ، لم يصح منه معرفة كون الثواب ثواباً ووacialاً إليه على الوجه الذي يستحقه ، وأنه دائم غير منقطع ، وإذا كانت هذه المعرفة واجبة فما لا يتم هذه المعرفة إلا به - من معرفة الله تعالى وإكمال العقل وغيرهما - لابد من حصوله .

### بحث للشيخ الطوسي في تعريف الإيمان والكفر

الاقتصاد/١٤٠

الإيمان هو التصديق بالقلب ، ولا اعتبار بما يجري على اللسان ، وكل من كان عارفاً بالله وبنبيه وبكل ما أوجب الله عليه معرفته مقرأً بذلك مصدقاً به فهو مؤمن . والكفر نقيض ذلك ، وهو الجحود بالقلب دون اللسان مما أوجب الله تعالى عليه المعرفة به ، ويعلم بدليل شرعي أنه يستحق العقاب الدائم الكثير .

وفي المرجئة من قال: الإيمان هو التصديق باللسان خاصة وكذلك الكفر هو الجحود باللسان ، والفسق هو كل ما خرج به عن طاعة الله تعالى إلى معصيته ، سواء كان صغيراً أو كبيراً . وفيهم من ذهب إلى أن الإيمان هو التصديق بالقلب واللسان معاً ، والكفر هو الجحود بهما .

وفي أصحابنا من قال: الإيمان هو التصديق بالقلب واللسان والعمل بالجوارح ، وعليه دلت كثير من الأخبار المروية عن الأئمة عليهم السلام .

وقالت المعتزلة: الإيمان إسم للطاعات ، ومنهم من جعل النوافل والفرائض من الإيمان ، ومنهم من قال النوافل خارجة عن الإيمان . والإسلام والدين عندهم شيء واحد ، والفسق عندهم عبارة عن كل معصية يستحق بها العقاب ، والصغار

التي تقع عندهم مكفرة لا تسمى فسقاً. والكفر عندهم هو ما يستحق به عقاب عظيم ، وأجريت على فاعله أحكام مخصوصة ، فمرتكب الكبيرة عندهم ليس بمؤمن ولا كافر بل هو فاسق .

وقالت **الخوارج** قريباً من قول المعتزلة إلا أنهم لا يسمون الكبائر كلها كفراً، وفيهم من يسميها شر كاً .

والفضيلية منهم تسمى كل معصية كفراً صغيرة كانت أو كبيرة . والزيدية من كان منهم على مذهب الناصر يسمون الكبائر كفر نعمة ، والباقيون يذهبون مذهب المعتزلة .

والذى يدل على ما قلناه: أولاً ، هو أن الإيمان في اللغة هو التصديق ، ولا يسمون أفعال الجوارح إيماناً ، ولا خلاف بينهم فيه .

ويدل عليه أيضاً قولهم: فلان يؤمن بكتنا وكذا وفلان لا يؤمن بكتنا. وقال تعالى: **يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالْطَّاغُوتِ**. وقال: وما أنت بمؤمن لنا ، أى بمصدق ، وإذا كان فائدة هذه اللفظة في اللغة ما قلناه وجب إطلاق ذلك عليها إلا أن يمنع مانع ، ومن ادعى الانتقال فعليه الدلالة ، وقد قال الله تعالى: **بِلْسَانَ عَرَبِيًّا مُّمِينٍ**. وقال: **وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلْسَانَ قَوْمِهِ**. وقال: **إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا**. وكل ذلك يقتضي حمل هذه اللفظة على مقتضى اللغة. وليس إذا كان ها هنا الألفاظ منتقلة وجب أن يحكم في جميع الألفاظ بذلك ، وإنما ينتقل عما ينتقل بدليل يوجب ذلك. وإن كان في المرجئة من قال ليس ها هنا لفظ منتقل ولا يحتاج إلى ذلك .

ولا يلزمنا أن نسمي كل مصدق مؤمنا لأنما نطلق ذلك على من صدق بجميع ما أوجبه الله عليه. والإجماع مانع من تسمية من صدق بالجبن والطاغوت مؤمناً، فمنعنا ذلك بدليل وخصوصنا موجب اللغة ، وجرى ذلك مجرى تخصيص العرف

لفظ الدابة ببهيمة مخصوصة ، وإن كان موجب اللغة يقتضي تسمية كل ما دب دابة ، ويكون ذلك تخصيصاً لا نقاً. فعلى موجب هذا ، يلزم من ادعى انتقال هذه اللفظة إلى أفعال الجوارح أن يدل عليه .

وليس لأحد أن يقول: إن العرف لا يعرف التصديق فيه إلا بالقول ، فكيف حملتموه على ما يختص القلب ؟

قلنا: العرف يعرف بالتصديق باللسان والقلب ، لأنهم يصفون الآخرين بأنه مؤمن وكذلك الساكت ، ويقولون: فلان يصدق بكلنا وكذا وفلان لا يصدق ، ويريدون ما يرجع إلى القلب ، فلم يخرج بما قلناه عن موجب اللغة .

وإنما منعنا إطلاقه في المصدق باللسان لأنه لو جاز ذلك لوجب تسميته بالإيمان وإن علم جحوده بالقلب ، والإجماع مانع من ذلك .

... وأما الكفر فقد قلنا إنه عند المرجنة من أفعال القلوب ، وهو جحد ما أوجب الله تعالى معرفته مما عليه دليل قاطع كالتوحيد والعدل والنبوة وغير ذلك ، وأما في اللغة فهو الستر والجحود ، وفي الشرع عبارة عما يستحق به العقاب الدائم الكثير ، ويلحق بفاعله أحكام شرعية كمنع التوارث والتناكح .

والعلم بكون المعصية كفراً طريقة السمع لا مجال للعقل فيه ، لأن مقادير العقاب لا تعلم عقلاً ، وقد أجمعت الأمة على أن الإخلال بمعرفة الله تعالى و توحيده وعدله وجحد نبوة رسle كفر ، لا يخالف فيه إلا أصحاب المعرف الذين بینا فساد قولهم .

ولا فرق بين أن يكون شاكاً في هذه الأشياء أو يكون معتقداً لما يقدح في حصولها ، لأن الإخلال بالواجب يعم الكل .

فعلى هذا ، المجبرة والمشبهة كفار ، وكذلك من قال بالصفات القديمة لأن

اعتقادهم الفاسد في هذه الأشياء ينافي الإعتقاد الصحيح من المعرفة بالله تعالى وعلمه وحكمته .

## بحث للشهيد الثاني في تعريف الإيمان والكفر

رسائل الشهيد الثاني: ٢/٥٠

في تعريف الإيمان لغة وشرعًا ، فاعلم أن الإيمان لغةً: التصديق ، كما نص عليه أهلها ، وهو إفعال من الأمان ، بمعنى سكون النفس واطمئنانها لعدم ما يوجب الخوف لها ، وحينئذ فكان حقيقة آمن به سكنت نفسه واطمأنت بسبب قبول قوله وامتثال أمره ، فتكون الباء للسببية. ويحتمل أن يكون بمعنى آمنه التكذيب والمخالفة ، كما ذكره بعضهم فتكون الباء فيه زائدة ، والأول أولى كما لا يخفى وأوفق لمعنى التصديق ، وهو يتعدى باللام كقوله تعالى: **وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّا، فَأَمَنَ لَهُ لُوطٌ** . وبالباء كقوله تعالى: **أَمَنَّا بِمَا أَنْزَلْنَا** .

وأما التصديق: فقد قيل أنه القبول والإذعان بالقلب ، كما ذكره أهل الميزان . ويمكن أن يقال: معناه قبول الخبر أعم من أن يكون بالجناح أو باللسان ، ويدل عليه قوله تعالى: **قَالَتِ الْأَعْرَابُ أَمَنَّا** . فأخبروا عن أنفسهم بالإيمان وهم من أهل اللسان ، مع أن الواقع منهم هو الإعتراف باللسان دون الجنان ، لنفيه عنهم بقوله تعالى: **قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا** . وإثبات الإعتراف بقوله تعالى: **وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا** ، الدال على كونه إقراراً بالشهادتين ، وقد سموه إيماناً بحسب عرفهم ، والذي نفاه الله عنهم إنما هو الإيمان في عرف الشرع .

إن قلت: يحتمل أن يكون ما ادعوه من الإيمان هو الشرعي ، حيث سمعوا الشارع كلفهم بالإيمان ، فيكون المنفي عنهم هو ما ادعوا ثبوته لهم ، فلم يبق في الآية دلالة على أنهم أرادوا اللغوي .

قلت: الظاهر أنه في ذلك الوقت لم تكن الحقائق الشرعية مترورة عندهم ، بعدهم عن مدارك الشرعيات ، فلا يكون المخبر عنه إلا ما يسمونه إيماناً عندهم. قوله تعالى: **آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ** ، قوله تعالى: **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُؤْلِمُ أَمَانَةَ اللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ**.

وجه الدلالة في هذه الآيات أن الإيمان في اللغة التصديق ، وقد وقع في الأخبار عنهم أنهم آمنوا بآلسنتهم دون قلوبهم ، فيلزم صحة إطلاق التصديق على الإقرار باللسان وإن لم يوافقه الجنان. وعلى هذا فيكون المنفي هو الإيمان الشرعي أعني القلبي ، جمعاً بين صحة النفي والإثبات في هذه الآيات .

لا يقال: هذا الإطلاق مجاز ، وإلا لزم الإشتراك ، والمجاز خير منه .

لانا نقول: هو من قبيل المشترك المعنوي لا اللفظي ، ومعناه قبول الخبر أعم من أن يكون باللسان أو بالجنان ، واستعمال اللفظ الكلي في أحد أفراد معناه باعتبار تحقق الكلي في ضمنه حقيقة لا مجازاً ، كما هو المقرر في بحث الالفاظ .

فإن قلت: إن المبادر من معنى الإيمان هو التصديق القلبي عند الإطلاق ، وأيضاً يصح سلب الإيمان عنمن أنكر بقلبه وإن أقر بلسانه ، والأول عالمة الحقيقة والثاني عالمة المجاز .

قلت: الجواب عن الأول أن التبادر لا يدل على أكثر من كون المبادر هو الحقيقى لا المجازى ، لكن لا يدل على كون الحقيقة لغوية أو عرفية ، وحيثئذ فلا يتعين أن اللغوى هو التصديق القلبي ، فعلمه العرفى الشرعى .

إن قلت: الأصل عدم النقل ، فيتعين اللغوي .

قلت: لا ريب أن المعنى اللغوي الذي هو مطلق التصديق لم يبق على إطلاقه بل أخرج عنه إما بالشخصيّص عند بعض أو النقل عند آخرين. وما يدل على ذلك أن الإيمان الشرعي هو التصديق بالله وحده وصفاته وعدله ، وبنبوة نبينا محمد ﷺ وبما علم بالضرورة مجيهه به لا ما وقع فيه الخلاف وعلى هذا أكثر المسلمين. وزاد الإمامية التصديق بإمامية إمام الزمان ، لأنّه من ضروريات مذهبهم أيضاً أنه مما جاء به النبي ﷺ وقد عرفت أن الإيمان في اللغة التصديق مطلقاً ، وهذا أخص منه .

ويؤيد ذلك قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمُنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ . أخبر عنهم تعالى بالإيمان ، ثم أمرهم بإنشائه فلابد أن يكون الثاني غير الأول ، وإلا لكان أمراً بتحصيل الحاصل. وإذا حصلت المغایرة كان الثاني المأمور به هو الشرعي ، حيث لم يكن حاصلاً لهم ، إذ لا محتمل غيره إلا التأكيد ، والتأسيس خير منه. وعن الثاني بالمنع من كون ما صح سلبه هو الإيمان اللغوي بل الشرعي ، وليس النزاع فيه .

إن قلت: ما ذكرته معارض بما ذكره أهل الميزان في تقسيم العلم إلى التصور والتصديق ، من أن المراد بالتصديق الإذعان القلبي ، فيكون في اللغة كذلك لأن الأصل عدم النقل .

قلت: قد بينا سابقاً أن الخروج عن هذا الأصل ولو سلم فلا دلالة في ذلك على حصر معنى التصديق مطلقاً في الإذعان القلبي ، بل التصديق الذي هو قسم من العلم وليس محل النزاع .

على أنا نقول: لو سلمنا صحة الإطلاق مجازاً ثبت مطلوبنا أيضاً ، لأنّا لم ندع إلا

أن معناه قبول الخبر مطلقاً ، ولا ريب أن الألفاظ المستعملة لغة في معنى من المعاني حقيقة أو مجازاً تعد من اللغة ، وهذا ظاهر .

واما الإيمان الشرعي: فقد اختلفت في بيان حقيقته العبارات بحسب اختلاف الإعتبارات. وبيان ذلك: إن الإيمان شرعاً: إما أن يكون من أفعال القلوب فقط ، أو من أفعال الجوارح فقط ، أو منهما معاً. فإن كان الأول فهو التصديق بالقلب فقط ، وهو مذهب الأشاعرة وجمع من متقدمي الإمامية ومتاخر لهم ، ومنهم المحقق الطوسي رحمه الله في فصوله ، لكن اختلفوا في معنى التصديق فقال أصحابنا: هو العلم. وقال الأشعرية: هو التصديق النفسي ، وعنوا به أنه عبارة عن ربط القلب على ما علم من أخبار المخبر ، فهو أمر كسيبي يثبت باختيار المصدق ، ولذا يثاب عليه بخلاف العلم والمعرفة ، فإنها ربما تحصل بلا كسب ، كما في الصرويات .

وقد ذكر حاصل ذلك بعض المحققين ، فقال: التصديق هو أن تنسب باختيارك الصدق للمخبر حتى لو وقع ذلك في القلب من غير اختيار لم يكن تصديقاً وإن كان معرفة ، وسندين إن شاء الله تعالى [صور] ذلك .

وإن كان الثاني ، فاما أن يكون عبارة عن التلفظ بالشهادتين فقط ، وهو مذهب الكرامية. أو عن جميع أفعال الجوارح من الطاعات بأسرها فرضاً ونفلاً ، وهو مذهب الخوارج وقدماء المعتزلة والغلاة والقاضي عبدالجبار. أو عن جميعها من الواجبات وترك المحظورات دون التوافل ، وهو مذهب أبي على الجبائي وابنه هاشم وأكثر معتزلة البصرة .

وإن كان الثالث ، فهو إما أن يكون عبارة عن أفعال القلوب مع جميع أفعال الجوارح من الطاعات ، وهو قول المحدثين وجمع من السلف كابن مجاهد

وغيره ، فإنهم قالوا: إن الإيمان تصديق بالجنان وإقرار باللسان وعمل بالأركان . وإنما أن يكون عبارة عن التصديق مع كلمتي الشهادة ، ونسب إلى طائفة ، منهم أبوحنيفة .

أو يكون عبارة عن التصديق بالقلب مع الإقرار باللسان ، وهو مذهب المحقق نصير الدين الطوسي رحمه الله في تجريده ، فهذه سبعة مذاهب ذكرت في الشرح الجديد للتجريد وغيره .

واعلم أن مفهوم الإيمان على المذهب الأول يكون تخصيصاً للمعنى اللغوي ، وأما على المذاهب الباقي فهو منقول ، والتخصيص خير من النقل .

وهنا بحث وهو أن القائلين بأن الإيمان عبارة عن فعل الطاعات ، كقدماء المعتزلة والعلاف والخوارج ، لا ريب أنهم يوجبون اعتقاد مسائل الأصول ، وحينئذ فما الفرق بينهم وبين القائلين بأنه عبارة عن أفعال القلوب والجوارح ؟ ويمكن الجواب ، بأن اعتقاد المعارف شرط عند الأولين وشطر عند الآخرين ... إعلم أن المحقق الطوسي رحمه الله ذكر في قواعد العقائد أن أصول الإيمان عند الشيعة ثلاثة: التصديق بوحدانية الله تعالى في ذاته تعالى ، والعدل في أفعاله ، والتصديق بنبوة الأنبياء عليهم السلام والتصديق بإمامامة الأئمة المعصومين من بعد الأنبياء

عليهم السلام

وقال أهل السنة: إن الإيمان هو التصديق بالله تعالى ، وبكون النبي صلوات الله عليه وآله صادقاً ، والتصديق بالأحكام التي يعلم يقيناً أنه صلوات الله عليه حكم بها دون ما فيه اختلاف واشتباه .

والكفر يقابل الإيمان ، والذنب يقابل العمل الصالح ، وينقسم إلى كبائر وصغرائر . ويستحق المؤمن بالإجماع الخلود في الجنة ، ويستحق الكافر الخلود في العقاب .

انتهى .

وذكر في الشرح الجديد للتجريد أن الإيمان في الشرع عند الأشاعرة هو التصديق للرسول فيما علم مجيه به ضرورة ، فتفصيلاً فيما علم تفصيلاً ، وإجمالاً فيما علم إجمالاً ، فهو في الشرع تصديق خاص. انتهى .

فهؤلاء اتفقوا على أن حقيقة الإيمان هي التصديق فقط ، وإن اختلفوا في المقدار المصدق به. والكلام هاهنا في مقامين:

الأول: في أن التصديق الذي هو الإيمان المراد به اليقين الجازم الثابت ، كما يظهر من كلام من حكينا عنه .

الثاني: في أن الأفعال ليست جزء من حقيقة الإيمان الحقيقي ، بل هي جزء من الإيمان الكمالـي. أما الدليل على الأول فآيات بينات:

منها قوله تعالى: إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً. والإيمان حق للنص والإجماع ، فلا يكفي في حصوله وتحقيقه الظن .

ومنها: إن يتبعون إلا الظن ، إن هم إلا يظنون ، إن بعض الظن إثم. فهذه قد اشتركت في التوبيخ على اتباع الظن ، والإيمان لا يوبخ من حصل له بالإجماع ، فلا يكون ظناً .

ومنها قوله: إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا. فنفي عنهم الريب ، فيكون الثابت هو اليقين .

إن قلت: هذه الآية الكريمة لا تدل على المدعى بل على خلافه ، وهو عدم اعتبار اليقين في الإيمان ، وذلك أنها إنما دلت على حصر الإيمان فيما عدا الشك ، فيصدق الإيمان على الظن .

قلت: الظن في معرض الريب ، لأن النقيض مجوز فيه ويقوى بأدنى تشكيك ،

فصاحبها لا يخلو من ريب حيث أنه دائمًا يجوز النقيض ، على أن الريب قد يطلق على ما هو أعم من الشك ، يقال: لا أرتاب في كذا. ويريد أنه منه على يقين ، وهذا شائع دائمًا .

ومن السنة المطهرة قوله ﷺ: يا مقلب القلوب والابصار ثبت قلبي على دينك، فلو لم يكن ثبات القلب شرطًا في الإيمان لما طلبه ﷺ، والثبات هو الجزم والمطابقة ، والظن لإثبات فيه ، إذ يجوز ارتفاعه .

وفيه ، منع كون الثبات شرطًا في تحقيق الإيمان ، ويجوز أن يكون ﷺ طلبه لكونه الفرد الأكمل ، وهو لا نزاع فيه .

ومن جملة الدلائل على ذلك أيضًا الإجماع ، حيث ادعى بعضهم أنه يجب معرفة الله تعالى التي لا يتحقق الإيمان بها إلا بالدليل إجماعًا من العلماء كافة ، والدليل ما أفاد العلم ، والظن لا يفيده .

وفي صحة دعوى الإجماع بحث ، لوقوع الخلاف في جواز التقليد في المعرفة الأصولية ، كما سذكره إن شاء الله تعالى .

واعلم أن جميع ما ذكرناه من الأدلة لا يفيد شيء منه العلم بأن الجزم والثبات معتبر في التصديق الذي هو الإيمان إنما يفيد الظن باعتبارهما ، لأن الآيات قابلة للتأويل وغيرها كذلك ، مع كونها من الأحاديث .

ومن الآيات أيضًا قوله تعالى: فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ . واعتراض على هذا الدليل بأنه أخص من المدعى ، فإنه إنما يدل على اعتبار اليقين في بعض المعرفة ، وهو التوحيد دون غيره ، والمدعى اعتبار اليقين في كل ما التصديق به شرط في تحقق الإيمان ، كالعدل والنبوة والمعاد وغيرها .

وأجيب بأنه لا قائل بالفرق ، فإن كل من اعتبر اليقين اعتبره في الجميع ، ومن لم

يعتبره لم يعتبره في شيء منها. واعلم أن ما ذكرناه على ما تقدم وارد هاهنا أيضاً . واعتراض أيضاً بأن الآية الكريمة خطاب للرسول ﷺ ، ف فهي إنما تدل على وجوب العلم عليه وحده دون غيره .

وأجيب بأن ذلك ليس من خصوصياته ﷺ بالإجماع ، وقد دل دليل وجوب التأسي به على وجوب اتباعه ، فيجب على باقي المكلفين تحصيل العلم بالعقائد الأصولية .

وأيضاً أورد أنه إنما يفيد الوجوب لو ثبت أن الأمر للوجوب ، وفيه منع لاحتماله غيره ، وكذا يتوقف على كون المراد من العلم هاهنا القطعي ، وهو غير معلوم ، إذ يحتمل أن يراد به الظن الغالب ، وهو يحصل بالتقليد. وبالجملة فهو دليل ظني. وأما المقالة الثانية وهو أن الأعمال ليست جزء من الإيمان ولا نفسه فالدليل عليه من الكتاب العزيز ، والسنة المطهرة ، والإجماع .

أما الكتاب ، فمنه قوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ، فإن العطف يقتضي المغایرة ، وعدم دخول المعطوف في المعطوف عليه ، فلو كان عمل الصالحات جزء من الإيمان أو نفسه لزم خلو العطف عن الفائدة لكونه تكراراً .

وأردد ذلك بأن الصالحات جمع معرف يشمل الفرض والنفل ، والقائل بكون الطاعات جزء من الإيمان يريد بها فعل الواجبات واجتناب المحرمات ، وحيثئذ يصبح العطف لحصول المغایرة المفيدة لعموم المعطوف ، فلم يدخل كله في المعطوف عليه، نعم ذلك يصلح دليلاً على إبطال مذهب القائلين بكون المندوب داخلاً في حقيقة الإيمان كالخوارج .

ومنه قوله تعالى: وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ، أي حالة إيمانه ، فإن عمل الصالحات في حالة الإيمان يقتضي المغایرة لما أضيف إلى تلك الحالة وقارنه

فيها ، وإلا لصار المعنى: ومن يعمل بعض الإيمان حال حصول ذلك البعض ، أو ومن يعمل من الإيمان حال حصوله ، وحينئذ فيلزم تقدم الشيء على نفسه وتحصيل الحاصل .

إن قلت: الآية الكريمة إنما تدل على المغایرة في الجملة ، لكن لا يلزم من ذلك أن لا تكون الأعمال جزءاً ، فإن المعنى والله أعلم: ومن يعمل من الصالحات حال إيمانه ، أي تصديقه بالمعارف الإلهية ، وحينئذ فيجوز أن يكون الإيمان الشرعي بمجموع الجزئين ، أي عمل الصالحات والتصديق المذكور ، فالمغایرة إنما هي بين جزئي الإيمان ولا محذور فيه ، بل لابد منه وإلا لما تحقق الكل ، بل لابد لنفي ذلك من دليل .

قلت: من المعلوم أن الإيمان قد غير عن معناه لغة ، فأما التصديق بالمعارف فقط فيكون تخصيصاً ، أو مع الأعمال فيكون نقاً ، لكن الأول أولى ، لأن التخصيص خير من النقل .

ووجه الإستدلال بالآية أيضاً بأن ظاهرها كون الإيمان الشرعي شرطاً لصحة الأعمال ، حيث جعل سعيه مقبولاً إذا وقع حال الإيمان ، فلابد أن يكون الإيمان غير الأعمال ، وإلا لزم إشتراط الشيء بنفسه .

ويرد على هذا ما ورد على الأول بعينه ، نعم اللازم هنا أن يكون أحد جزئي المركب شرطاً لصحة الآخر ولا محذور فيه . والجواب عن هذا هو الجواب عن ذلك فتأمل .

ومنه قوله تعالى: **وَإِنْ طَافُتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَقْتُلُوْا...** فإنه أثبت الإيمان لمن ارتكب بعض المعاصي ، فلو كان ترك المنهيات جزء من الإيمان لزم تحقق الإيمان وعدم تتحققه في موضع واحد في حالة واحدة وهو محال .

ولهم أن يجيروا عن ذلك بمنع تحقق الإيمان حالة ارتكاب المنهي ، وكون تسميتهم بالمؤمنين باعتبار ما كانوا عليه وخصوصاً على مذهب المعتلة ، فإنهم لا يشترطون في صدق المستقى على حقيقة بقاء المعنى المشتق منه .

ويمكن دفعه بأن الشارع قد منع من جواز إطلاق المؤمن على من تحقق كفره وعكسه ، والكلام في خطاب الشارع ، فلا نسلم لهم الجواب .

ومنه قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَتَقُولُوا إِنَّمَا الْإِيمَانُ كُوْنُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ، فإن أمرهم بالتقى التي لا تحصل إلا بفعل الطاعات والإنذار عن المنهيّات مع وصفهم بالإيمان ، يدل على عدم حصول التقوى لهم ، وإنما أمروا بها مع حصول الإيمان لو صفهم به ، فلا تكون الأعمال نفس الإيمان ولا جزء منه ، وإنما لكان أمراً بتحصيل الحاصل .

ويرد عليه ، جواز أن يراد من الإيمان الذي وصفوا به اللغوي ، ويكون المأمور به هو الشرعي وهو الطاعات ، أو جزءه عند من يقول بالجزئية . ويحاجب عنه بنحو ما أجبت عمما أورد على الدليل الثاني ، فليتأمل .

ومنه أيضاً الآيات الدالة على كون القلب محلّاً للإيمان من دون ضميمة شئّاخر ، كقوله تعالى: أُولَئِكَ كَبَّ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانُ . أي جمعه وأثبته فيها والله أعلم .

ولو كان الإقرار غيره من الأعمال نفس الإيمان أو جزءه ، لما كان القلب محل جمعه ، بل هو مع اللسان وحده ، أو مع بقية الجوارح على اختلاف الآراء .

وقوله تعالى: وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ . ولو كان غير القلب من أعمال الجوارح نفس الإيمان أو جزءه ، لما جعل كله محل القلب ، كما هو ظاهر الآية الكريمة .

وقوله تعالى: **وَقَبَّهُ مُطْمَئِنٌ بِالْإِيمَانِ**. فإن إطمئنانه بالإيمان يقتضي تعلقه كله به ، وإنما لكان مطمئناً ببعضه لا كله .

أقول: يرد على الأخير أنه لا يلزم من اطمئنانه بالإيمان كونه محلاً له ، إذ من الجائز كونه عبارة عن الطاعات وحدها ، أو مع شيء آخر واطمئنان القلب لإطلاعه على حصول ذلك ، فإن القلب يطلع على الأعمال .

ويرد على الأولين أن الإيمان المكتوب والداخل في القلب إنما هو العقائد الأصولية ، ولا يدل على حصر الإيمان في ذلك ، ونحن لا نمنع ذلك بل نقول بإعتبار ذلك في الإيمان إما على طريق الشرطية لصحته ، أو الجزئية له ، إذ من يزعم أنه الطاعات فقط لابد من حصول ذلك التصديق عنده أيضاً لتصح تلك الأعمال ، غاية الأمر أنه شرط للإيمان أو جزءه لا نفسه ، كما تقدمت الاشارة إليه .

نعم هما يدلان على بطلان مذهب الكرامية ، حيث يكتفون في تتحققه بلفظ الشهادتين من غير شيء آخر أصلاً لا شرطاً ولا جزءاً .

قيل: وكذا آيات الطبع والختم تشعر بأن محل الإيمان القلب ، كقوله تعالى: **أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ ... فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ... وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَبَّهُ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غَشَّاً وَهَذِهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ .** وفيه ما تقدم .

وأما السنة المطهرة ، فكقوله عليه السلام: يا مقلب القلوب والأبصار ثبت قلبي على دينك ، وجه الدلالة فيه أن المراد من الدين هنا الإيمان ، لأن طلب تثبيت القلب عليه يدل على أنه متعلق بالإعتقاد ، وليس هناك شيء آخر غير الإيمان من الإعتقاد يصلح لثبات القلب عليه بحيث يسمى ديناً ، فتعين أن يكون هو الإيمان ، وحيث لم يطلب غيره في حصول الإيمان علم أن الإيمان يتعلق بالقلب لا بغيره .

وكذا ما روي أن جبرئيل عليه أتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله عن الإيمان؟ فقال: أن تؤمن بالله ورسوله واليوم الآخر. ومعنى ذلك: أن تصدق بالله ورسله واليوم الآخر ، فلو كان فعل الجوارح أو غيره من الإيمان لذكره له ، حيث سأله الرسول صلى الله عليه وسلم عما هو الإيمان المطلوب للشارع .

وإن قيل: ظاهر الحديث فيه مناقشة ، وذلك أن الرسول عليه سأله عن حقيقة الإيمان ، فكان من حق الجواب في شرح معناه أن يقال: أن تصدق بالله لا أن تؤمن ، لأن أن مع الفعل في تأويل المصدر ، فيصير حاصله الإيمان هو الإيمان بالله ، فيلزم منه تعريف الشيء بنفسه في الجملة ، وذلك لا يليق بنفس الأمر .

والجواب أن المراد من قوله: أن تؤمن بالله ، أن تصدق ، وقد كان التصديق معلوماً له عليه لغة ، فلم يكن تعريف الشيء بنفسه ، فهذا إنما يكون بالقياس إلى غيرهما (عليهما)، وإلا فالسائل والمسؤول غنيان عن معرفة المعاني من الألفاظ . وأما الإجماع ، فهو أن الأمة أجمعوا على أن الإيمان شرط لسائر العبادات ، والشيء لا يكون شرطاً لنفسه ، فلا يكون الإيمان هو العبادات .

أقول: على تقدير تسليم دعوى الإجماع ، فللخصوم أن يقولوا: نحن نقول بكون التصديق بمسائل الأصول شرطاً لصحة العبادات التي هي الإيمان ، ولا يلزم منا بذلك أن يكون تلك المسائل هي الإيمان ، فإن سميت بها إيماناً بالمعنى اللغوي فلا مشاحة في ذلك ، وإن قلتم بل هي الإيمان الشرعي ، فهو محل النزاع ودليلكم لا يدل عليه .

وأجمعوا أيضاً على أن فساد العبادات لا يوجب فساد الإيمان ، وذلك يقتضي كون الإيمان غير أعمال الجوارح .

أقول: إن صح نقل الإجماع ، فلا ريب في دلالته على المدعى ، وسلامته عن

المطاعن المتقدمة .

### هل يمكن أن يصير المؤمن كافراً

... المؤمن هل يجوز أن يكفر بعد إيمانه أم لا ؟ ذهب إلى الأول جماعة من العلماء ، وظاهر القرآن العزيز يدل عليه في آيات كثيرة ، كقوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ... إلى غير ذلك من الآيات ، ولو كان التصديق بالمعارف الأصولية يعتبر فيه الجزم والثبات لما صح ذلك ، إذ اليقين لا يزول بالأضعف ، ولا ريب أن موجب الكفر أضعف مما يوجب الإيمان .

قلت: لا ريب أن الإيمان من الكيفيات النفسانية ، إذ هو نوع من العلم على ما هو الحق ، فهو عرض ، وقبوله للزوال بعرضه أو مثله ، عند من يقول الأعراض لا تبقى زمانين كالأشاعرة ظاهر. وكذا على القول بأن الباقي محتاج إلى المؤثر في بقائه أو غير محتاج مع قطع النظر عن بقاء الأعراض زمانين ، لأن الفاعل مختار ، فيصح منه الإيجاد والإعدام في كل وقت. غاية الأمر أن تبديل الإيمان بالكفر لا يجوز أن يكون من فعل الله تعالى على ما تقتضيه قواعد العدالة ، من أن العبد له فعل ، وأن اللطف واجب على الله تعالى ، ولو كان التبديل منه تعالى لنافي اللطف . على أنا نقول : قد يستند الكفر إلى الفعل دون الإعتقداد ، فيجماع الجزم اليقين في المعرف الأصولية ، كما في السجود للصنم وإلقاء المصاحف في القاذورات مع كونه مصدقاً بالمعارف .

إن قلت: فعلى هذا يلزم جواز اجتماع الإيمان والكفر في محل واحد وزمان واحد ، وهو محال ، لأن الكفر عدم الإيمان عما من شأنه أن يكون مؤمناً .

قلت: الإيمان هو التصديق بالأصول المذكورة بشرط عدم السجود وغيره مما

يوجب فعله الكفر بدلالة الشارع عليه ، وانتفاء الشرط يستلزم انتفاء المشروع .  
ثانيها يلزم أن يكون الظان ولو في أحد من الأصول الخمسة كافراً وإن كان  
عالماً بالباقي ، لأن الظن من أضداد اليقين فلا يجامعه. فيلزم ( القول ) بـكفر  
مستضعف المسلمين بل كثير من عوامهم ، لعدم التصديق في الأول والثبات في  
الثاني ، كما نشاهد من تشككهم عند التشكيك ، مع أن الشارع حكم بإسلامهم  
وأجرى عليهم أحكامه. ومن هاهنا اكتفى بعض العلماء في الإيمان بالتقليد ، كما  
تقدمت الاشارة إليه .

ويمكن الجواب عن ذلك: بأن من يشترط اليقين يلتزم الحكم بكفرهم لو علم  
كون اعتقادهم بالمعارف عن ظن ، لكن هذا الإلتزام في المستضعف في غاية  
البعد والضعف. وأما إجراء الأحكام الشرعية فإنما هو للاكتفاء بالظاهر إذ هو  
المدار في إجراء الأحكام الشرعية فهو لا ينافي كون المجرى عليه كذلك كافراً  
في نفس الأمر. وبالجملة ، فالكلام إنما هو في بيان ما يتحقق به كون المكلف  
مؤمناً عند الله سبحانه ، وأما عندنا فيكتفي ما يفيد الظن حصول ذلك له ، كإقراره  
بالمعارف الأصولية مختاراً غير مستهزي ، لتعذر العلم علينا غالباً بحصول ذلك له.  
ثالثها: أنه إذا كان الإيمان هو التصديق الجازم الثابت ، فلا يمكن الحكم بإيمان  
أحد حتى نعلم يقيناً أن تصديقه بما ذكر يقيني ، وأنى لنا بذلك ، ولا يطلع على  
الضمائر إلا خالق السرائر .

والجواب عن هذا هو الجواب عن الثاني .

رابعها: انقضاض حد الإيمان والكفر جمعاً ومنعاً بحالة النوم والغفلة وكذا بالصبي لأنه إن كان مصدقاً فهو مؤمن وإلا فكافر ، لعدم الواسطة ، مع أن الشارع لم يحكم عليه بشئ منهما حقيقة بل تبعاً .

وأجيب عن الأولين بأن التصديق باق لم يزل ، والذهول والغفلة إنما هو عن حصوله واتصاف النفس به ، إذ العلم بالعلم وبصفات النفس غير لازم ، ولا عدمه ينافي حصولهما .

على أن الشارع جعل الأمر المحقق الذي لم يطأ عليه ما يضاده ويزيله في حكم الباقى ، فسمى من اتصف بالإيمان مؤمناً ، سواء كان مستشعرًا بإيمان نفسه ، أو غافلاً عن ذلك مع اتصف نفسه به .

وعن الثالث بأن الكلام في الإيمان الشرعي فهو من أفراد التكليف ، فلا يوصف الصبي بشئ منها حقيقة ، لعدم دخوله في المكلف ، نعم يوصف تبعاً .

### هل تزول المعرفة والإيمان بإنكار الضروري ؟

نهاية الأفكار: ١٩٠/٢

وحيث انجر الكلام إلى هنا ينبغي عطف الكلام إلى بيان أن كفر منكر الضروري هل هو لمحض إنكاره أو أنه من جهة استتباعه لتكذيب النبي ﷺ ، وظهور الشمرة فيما لو كان منشأ الإنكار الإعتقداد بعدم صدور ما أنكره عن النبي ﷺ ، أو اشتباه الأمر عليه ، فإنه على الأول

يحكم عليه بالكفر ويرتب عليه آثاره بمحض إنكاره ، بخلاف الثاني حيث لا يحكم عليه بالكفر في الفرض المزبور .

فنقول: إن ظاهر إطلاق كلماتهم في كفر منكر الضروري وإن كان يقتضي الوجه الأول ، ولكن النظر الدقيق فيها يقتضي خلافه ، وذلك لما هو المعلوم من انصراف إطلاق كلماتهم إلى المنكر المتحل للاسلام المعاشر للمسلمين. ومن الواضح ظهور إنكار مثل هذا الشخص في تكذيبه للنبي ﷺ ومع هذا الانصراف

لا مجال للأخذ بإطلاق كلامهم في الحكم بکفر منکر الضروري حتى مع العلم بعدم رجوع إنکاره إلى تکذیب النبي ﷺ، وبعد عدم دليل في البین على ثبوت الكفر بمحض الإنکار أمكن الإلتزام بعدم الكفر فيما يحتمل في حقه الشبهة وخفاء الأمر عليه بحسب ظهور حاله كما فيما هو قريب عهد بالإسلام عاش في البوادي ولم يختلط بالمسلمين ، حيث أن إنکار مثله لا يكون له ظهور في تکذیب النبي ﷺ، وبذلك يندفع ما قد يتوجه من اقتضاء البيان المزبور عدم الحكم بالکفر حتى في من نشأ في الإسلام وعاشر المسلمين مع احتمال الشبهة في حقه خصوصاً مع دعواه عدم اعتقاده بصدور ما أنکره عن النبي ﷺ وأنه من الموضوعات. إذ نقول إنه كذلك لو لا ظهور حال مثله في تکذیب النبي ﷺ وعدم خفاء شيء عليه من أساس الدين وضرورياته ، حيث أن العادة قاضية بأن من عاشر المسلمين مدة مدیدة من عمره لا يخفى عليه شيء من أساس الدين وضرورياته فضلاً عن كونه مسلماً و كان نشوؤه من صغره بين المسلمين ، فإنکار مثل هذا الشخص يكشف لا محالة بمقتضى ظهور حاله عن تکذیب النبي بحيث لو ادعى جهله بذلك أو اعتقاده بعدم صدور ما أنکره عن النبي لا يسمع منه بل يحکم بکفره .

وهذا بخلاف غيره من کان نشوء في البوادي أو البلاد التي لا يوجد فيها المسلم فإن ظهور حاله ربما يكون على العکس ، ومن ذلك لا تحکم بکفره بمجرد إنکاره لشيء من ضروريات الدين خصوصاً مع دعواه عدم علمه بکون ما أنکره صادراً عن النبي ﷺ .

بل ولعل في جعل مدار الكفر على إنکار الضروري دلالة على ما ذكرنا من طریقیة الإنکار للتکذیب بلحاظ بعده خفاء ما هو أساس الدين وضرورياته على

المنتحل للإسلام المعاشر مع المسلمين ، بخلاف غير الضروري حيث لا يُبعد في خفائه ، وإلا فما فرق في استلزم الإنكار للتكييف بين الضروري وغيره ، وحيث أنه يمكن الجمع بين إطلاق كلامهم في كفر منكر الضروري وبين ما هو الظاهر من طريقة الإنكار للتكييف بحمل الإطلاقات على المنكر المنتهل للإسلام المعاشر مع المسلمين برهة من عمره .

وقد يستدل على استبعاد مجرد الإنكار للكفر بما رواه زرارة عن أبي عبدالله عليه السلام من قوله: لو أن العباد إذا جهلو وقفوا ولم يجحدوا لم يكفروا ، ولكن يدفعه ظهور الرواية في الإنكار الناشئ عن العناد إذ الجهد ليس إلا عبارة عن ذلك ومن المعلوم عدم صلاحية مثله للدلالة على ثبوت الكفر بمحض الإنكار ، ومجرد كون الإنكار العنادي موجباً للكفر لا يقتضي تسريحة الحكم إلى مطلق الإنكار ، ومن ذلك نقول أن الإنكار العنادي موجب للكفر مطلقاً ولو في غير الضروري .

هذا كله في صورة التمكّن من تحصيل العلم والإعتقاد الجزمي ، ولقد عرفت وجوبه عليه فيما يرجع إلى الله جل شأنه وما يرجع إلى أنبيائه ورسله وحججه وأنه مع الإخلال به يكون معاقباً لا محالة .

نعم يبقى الكلام حينئذ في كفره وترتيب آثاره عليه من النجاسة وغيرها مع الإخلال بتحصيل المعرفة ، فنقول:

أما مع عدم إظهاره للشهادتين فلا إشكال في كفره وترتيب آثاره عليه من النجاسة وعدم الارث والمناكحة . وأما مع إظهار الشهادتين فيه إشكال ينشأ من كفاية مجرد إظهار الشهادتين مع عدم الإنكار في الحكم بالإسلام ، ومن عدم كفيته ولزوم الإعتقاد في الباطن أيضاً .

ولكنه لا ينبغي التأمل في عدم كفايته ، فإن حقيقة الإسلام عبارة عن الإعتقد بالواجب تعالى والتصديق بالنبي ﷺ بكونه رسولاً من عند الله سبحانه ، وأن الإكتفاء بإظهار الشهادتين من جهة كونه أمارة على الإعتقد في الباطن كما يظهر ذلك أيضاً من النصوص الكثيرة .

ولا ينافي ذلك ما يتراءى في صدر الإسلام من معاملة النبي ﷺ مع المنافقين معاملة الإسلام بمجرد إظهارهم الشهادتين مع علمه ﷺ بعدم كونهم مؤمنين بالله ولا مصدقين برسوله واقعاً ، وأن إظهارهم الشهادتين كان لمحض الصورة ، إما لاجل خوفهم من القتل ، وإما لبعض المصالح المنظورة لهم كالوصول إلى مقام الرئاسة والمال الدنيوية لما سمعوا وعلموا من الكهنة بارتقاء الإسلام وتفوقه على سائر المذاهب والأديان ، مع أنهم لم يؤمنوا بالله طرفة عين كما نطقت به الأخبار والآثار المرورية عن الأئمة الأطهار .

إذ نقول إن في معاملة النبي ﷺ والوصي مع هؤلاء المنافقين في الصدر الأول معاملة الإسلام بمحض إظهارهم الشهادتين وجوها ومصالح شتى: منها: تكثير جمعية المسلمين وازيدادهم في قبال الكفار وعبدة الأواثن الموجب لازدياد صولة المسلمين في أنظار المشركين .

ومنها: حفظ من في أصلابهم من المؤمنين الذين يوجدون بعد ذلك .  
ومنها: تعليم الأمة في الأخذ بما يقتضيه ظاهر القول بالشهادتين في الكشف عن الإعتقد في الباطن ، فإنه لو فتح مثل هذا الباب في الصدر الأول لقتل كل أحد صاحبه لاجل ما كان بينهم من العداوة في الجاهلية بدعوى أن اعتقاده على خلاف ما يظهره باللسان وأن إظهار الشهادتين كان لأجل الخوف من القتل أو الطمع في الشركة في أخذ الغنيمة ، ومثله لا يزيد المسلمين وشوكتهم إلا ضعفاً

كما يشهد لذلك الآية الشريفة: **وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَنْتُمْ أَلَّا إِلَيْكُمُ السَّلَامُ لَسْتُ مُؤْمِنًا** ، وقضية **أَسَامِيَّةُ بْنُ زَيْدٍ** في ذلك معروفة .

ومنها: غير ذلك من المصالح التي لاحظها النبي ﷺ مع علمه بكونهم حقيقة غير مؤمنين على ما نطق به الكتاب المبين في مواضع عديدة في قوله سبحانه: **يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ** ، قوله: **وَإِذَا مَا أَنْزَلْتُ سُورَةً نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ** ... الخ .  
وغير ذلك من الآيات الكثيرة .

وأين ذلك وزماننا هذا الذي قد كثُر في المسلمين كثرة عظيمة ، وحينئذ فلا يمكن الإلتزام بترتيب آثار الإسلام على مجرد إظهار الشهادتين مع العلم بعدم كون إظهارها إلا صورياً محضاً خصوصاً مع ظهور اعتبار القول في كونه لأجل الحكاية والطريقة عن الإعتقداد في الباطن ، بل لابد من ترتيب آثار الكفر عليه في الفرض المزبور .

### هل أن الكافر يعرف الله تعالى ؟

مسالك الأفهام: ٧٥/٢

النية معتبرة في الكفار لأنها عبادة تقع على وجوه مختلفة فلا يتميز المقصود منها بالنسبة لقوله ﷺ: إنما الأعمال بالنيات ويعتبر فيها نية القرابة لقوله تعالى: **وَمَا أُمْرُوا**  
**إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخَلِّصِينَ لِهِ الدِّينَ**. وهذا هو القدر المتفق عليه منها ... .

إذا تقرر ذلك فقد فرع المصنف على اعتبار نية القرابة به أنه لا يصح من الكافر كتابياً كان أم غيره ، متحججاً بتعذر نية القرابة في حقه ، وفيه نظر ، لأنه إن أراد نية القرابة المتعذر منه نية إيقاع الفعل طلباً للتقارب إلى الله بواسطه نيل الشواب أو ما جرى مجرى ذلك سواء حصل له ما نواه أم لا ، منعنا من تعذر نية القرابة من مطلق

الكافر ، لأن من اعترف منهم بالله تعالى وكان كفره بجحد نبوة النبي ﷺ أو غيره من الأنبياء أو بعض شرائع الإسلام يمكن منه هذا النوع من التقرب ، وإنما يمتنع من الكافر المعطل الذي لا يعترف بوجود الله تعالى كالداهري وبعض عبادة الأصنام ، وإن أراد بها إيقاعه على وجه التقرب إلى الله تعالى بحيث يستحق بها الثواب طالبناه بدليل على اشتراط مثل ذلك وعارضناه بعبارة المخالف من المسلمين وعتقه فإنه لا يستتبع الثواب عنده مع صحة عتقه ، وفي صحة عبادات غيره بحثٌ فُردٌ في محله .

وبالجملة فكلامهم في هذا الباب مختلف غير منقح ، لأنهم تارة يحكمون ببطلان عبادة الكافر مطلقاً استناداً إلى تعذر نية القرابة منه ، ومقتضى ذلك إرادة المعنى الثاني لأن ذلك هو المتعذر منه لا الأول ، وتارة يجوزون منه بعض العبادات كالعتق وسيأتي تجويز جماعة من الأصحاب له منه ، مع اشتراط القرابة فيه نظراً إلى ما ذكرناه من الوجه في الأول .

وقد وقع الخلاف بينهم في وقفه وصدقته وعتقه المتبرع به ونحو ذلك من التصرفات المالية المعتبر فيها القرابة ، واتفقوا على عدم صحة العبادات البدنية منه نظراً إلى أن المال يراعي فيه جانب المدفوع إليه ولو بفك الرقبة من الرق فيرجح فيه جانب القربات بخلاف العبادات البدنية ، ومن ثم ذهب بعض العامة إلى عدم اشتراط النية في العتق والإطعام واعتبرها في الصيام ، إلا أن هذا الإعتبار غير منضبط عند الأصحاب كما أشرنا إليه ، وسيأتي له في العتق زيادة بحث .

ثم عد إلى العبارة واعلم أن قوله ذمياً كان الكافر أو حربياً أو مرتدًا لا يظهر للتسوية بين هذه الفرق مزية ، لأن الكافر المقر بالله تعالى لا يفرق فيه بين الذمي والحربي ، وإن افترقا في الإقرار بالجزية فإن ذلك أمر خارج عن هذا المطلق ،

وإنما حق التسوية بين أصناف الكفار أن يقول سواء كان مقرأً بالله كالكتابي أم جاحداً له كالوثني ، لأن ذلك هو موضع الإشكال وم محل الخلاف .

وأما ما قاله بعضهم من أن الكافر مطلقاً لا يعرف الله تعالى على الوجه المعتبر ولو عرفه لأقر بجميع رسالته ودين الإسلام فهو كلام بعيد عن التحقيق جداً ، ولا ملازمة بين الأمرين كما لا ملازمة بين معرفة المسلم لله تعالى ومعرفة دين الحق من فرق الإسلام ، وكل حزب بما لديهم فرHon .

### مسالك الأفهام: ١٥٣/٢

قوله: ويصح اليمين من الكافر .. إلخ. إذا حلف الكافر بالله تعالى على شيء سواء كان مقرأً بالله كاليهودي والنصراني ، أو من كفر بجحد فريضة من المسلمين ، أو غير مقر به كالوثني ، ففي انعقاد يمينه أقوال أشهرها الأول ، وهو الذي اختاره المصنف والشيخ في المبسوط وأتباعه وأكثر المتأخرین لوجود المقتضي وهو حلفه بالله تعالى مع باقي الشرایط وانتفاء المانع ، إذ ليس هناك إلا كفره وهو غير مانع لتناول الأدلة الدالة على انعقاد اليمين له من الآيات والأخبار، ولأن الكفار مخاطبون بفروع الشرایع فيدخلون تحت عموم قوله تعالى: ولكنْ **يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَدَّتُمُ الْأَيْمَانَ** ، وغيره .

وقال الشيخ في الخلاف وابن إدريس: لا ينعقد مطلقاً لأن شرط صحتها الحلف بالله والكافر لا يعرف الله ، وفي إطلاق القولين معاً منع ظاهر .

وفصل العلامة جيداً في المختلف فقال: إن كان كفره باعتبار جهله بالله وعدم علمه به لم ينعقد يمينه لأنه يحلف بغير الله ، ولو عبر به فعبارته لغو لعدم اعتقاده ما يقتضي تعظيمه بالحلف به ، وإن كان جحده باعتبار جحد نبوة أو فريضة

انعقدت يمينه ، لوجود المقتضي وهو الحلف بالله تعالى من عارف به إلى آخر ما اعتبر. وتوقف فعل المخلوف عليه لو كان طاعة ، والتکفیر على تقدیر الحث على الإسلام لا يمنع أصل الإنعقاد ، لأنه مشروط بشرط زايد على أصل اليمين فلا ملازمة بينهما .

وفائدة الصحة تظهر في بقاء اليمين لو أسلم في المطلقة أو قبل خروج وقت الموقنة ، وفي العقاب على متعلقها لو مات على كفره ولما يفعله لا في تدارك الكفارة ولو سبق الحث الإسلام ، لأنها تسقط به عنه.

قوله: وفي صحة التکفیر .. إلخ. إذا قلنا بصحة يمين الكافر على بعض الوجوه وحث في يمينه وجبت عليه الكفارة مطلقاً ، ومذهب الأصحاب عدم صحتها منه حال الكفر لأنها من العبادات المشروطة بنية القرابة ، وهي متعدرة في حقة سواء عرف الله أم لا ، لأن المراد من القرابة ما يترب عليه الثواب وهو منتف في حقه .

والمصنف رحمه الله تردد في ذلك ، ووجه التردد ما ذكر ومن احتمال أن يراد بالقرابةقصد التقرب إلى الله تعالى سواء حصل له القرب والثواب أم لا كما سبق تحقيقه في عتق الكافر ، ومن حيث أن بعض خصال الكفارة قد يشك في اعتبار نية القرابة فيها كالإطعام والكسوة كما يقوله العامة فإنهم لا يعتبرون النية إلا في الصوم من خصالها ويجوزون الإطعام ونحوه بدونها ، ولكن مذهب الأصحاب اعتبار نية القرابة في جميع خصالها ، وظاهرهم اختيار المعنى الأول من معاني القرابة ، ومن ثم أبطلوا عبادات الكافر ، ومن اختار منهم صحة يمينه منع من صحة التکفیر منه مادام على كفره ، فما تردد المصنف رحمه الله فيه لا يظهر فيه خلاف معتمد به .

## بحث في معرفة الله تعالى عن طريق معرفة النفس

تفسير الميزان للطاباطبائي: ١٦٩/٦ وما بعدها

في الغرر والدرر للآمدي عن علي عليه السلام قال: من عرف نفسه عرف ربه .

أقول ورواه الفريقان عن النبي أيضاً وهو حديث مشهور ، وقد ذكر بعض العلماء أنه من تعليق المحال ، ومفاده استحالة معرفة النفس لاستحالة الاحاطة العلمية بالله سبحانه. ورد أولاً ، بقوله عليه السلام في رواية أخرى: أعرفكم بنفسه أعرفكم بربه. وثانياً ، بأن الحديث في معنى عكس النقيض ، لقوله تعالى: **وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا** **اللَّهَ فَانْسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ** .

وفيه عنه عليه السلام: قال الكيس من عرف نفسه وأخلص أعماله .

أقول: تقدم في البيان السابق معنى ارتباط الإخلاص وتفرعه على الإشغال بمعرفة النفس .

وفيه عنه عليه السلام: قال المعرفة بالنفس أفعى المعرفتين .

أقول: الظاهر أن المراد بالمعرفتين المعرفة بالآيات الأنفسية والمعرفة بالآيات الآفافية ، قال تعالى: **سُرْبِهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَيَّمَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوْ لَمْ يَكُفِ بِرِبِّكَ أَنْهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ** . حم السجدة : ٥٣ ، وقال تعالى: **وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبَصِّرُونَ** . الذاريات : ٢١ .

وكون السير الأنفسي أفعى من السير الآفافي لعله لكون المعرفة النفسانية لا تتفكر عادةً من إصلاح أو صافتها وأعمالها بخلاف المعرفة الآفافية ، وذلك أن كون معرفة الآيات نافعة إنما هو لأن معرفة الآيات بما هي آيات موصولة إلى معرفة الله

سبحانه وأسمائه وصفاته وأفعاله ، ككونه تعالى حياً لا يعرضه موت ، وقدراً لا يشوبه ، عجز وعالماً لا يخالطه جهل ، وأنه تعالى هو الخالق لكل شيء ، والمالك لكل شيء ، والرب القائم على كل نفس بما كسبت ، خلق الخلق لا لحاجة منه إليهم بل لينعم عليهم بما استحقوه ، ثم يجمعهم ليوم الجمع لا ريب فيه ، ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين احسنوا بالحسنى .

وهذه وأمثالها معارف حقة ، إذا تناولها الإنسان وأتقنها مثلت له حقيقه حياته وأنها حياة مؤبدة ذات سعادة دائمة أو شفقة لازمة ، وليس بتلك المتهوسة

المنقطعة الالهية اللاغية .

وهذا موقف علمي يهدي الإنسان إلى تكاليف ووظائف بالنسبة إلى ربه وبالنسبة إلى أبناء نوعه في الحياة الدنيا والحياة الآخرة ، وهي التي نسميها بالدين ، فإن السنة التي يلتزمها الإنسان في حياته ولا يخلو عنها حتى البدوي والهمجي ، إنما يضعها ويلتزمها أو يأخذها ويلتزمها لنفسه من حيث أنه يقدر لنفسه نوعاً من الحياة أي نوع كان ، ثم يعمل بما استحسن من السنة لاسعاد تلك الحياة ، وهذا من الوضوح بمكان .

فالحياة التي يقدرها الإنسان لنفسه تمثل له الحوائج المناسبة لها فيهتدى بها إلى الأعمال التي تضمن عادة رفع تلك الحوائج فيطبق الإنسان عمله عليها ، وهو السنة أو الدين .

فتلخص مما ذكرنا أن النظر في الآيات الأنفسية والآفاقية ومعرفة الله سبحانه بها يهتدي الإنسان إلى التمسك بالدين الحق والشريعة الإلهية ، من جهه تمثل المعرفة المذكورة الحياة الإنسانية المؤبدة له عند ذلك ، وتعلقها بالتوحيد والمعاد والنبوة .

وهذه الهدایة إلى الإيمان والتقوی يشترک فيها الطریقان معاً ، أعني طریقی النظر إلى الأفق والأنفس ، فهما نافعان جمیعاً ، غير أن النظر إلى آیات النفس أفع ، فإنه لا يخلو من العثور على ذات النفس وقوها وأدواتها الروحیة والبدنیة وما يعرضها من الإعتدال في أمرها أو طغیانها أو خمودها ، والملکات الفاضلة أو الرذیلة والأحوال الحسنة أو السيئة التي تقارنها .

واشتغال الإنسان بمعرفة هذه الأمور والإذعان بما يلزمها من أمن أو خطر وسعادة أو شقاوة لا ينفك من أن يعرفه الداء والدواء من موقف قريب ، فيشتغل بإصلاح الفاسد منها والإلتزام بتصحیحها ، بخلاف النظر في الآیات الأفاقیة ، فإنه إن دعا إلى إصلاح النفس وتطهیرها من سفاسف الأخلاق ورذائلها وتحلیتها بالفضائل الروحیة ، لكنه ينادي لذلك من مكان بعيد ، وهو ظاهر .

وللرواية معنی آخر أدق مستخرج من نتائج الأبحاث الحقيقة في علم النفس ، وهو أن النظر في الآیات الأفاقیة والمعرفة الحاصلة من ذلك نظر فكري وعلم حصولی ، بخلاف النظر في النفس وقوها وأطوار وجودها والمعرفة المتجلیة منها ، فإنه نظر شهودي وعلم حضوری ، والتصدیق الفكري يحتاج في تتحققه إلى نظم الأقیسه واستعمال البرهان وهو باق ما دام الإنسان متوجهاً إلى مقدماته غير ذاہل عنها ولا مشتغل بغيرها ، ولذلك يزول العلم بزوال الأشراف على دلیله وتكثّر فيه الشبهات ویثور فيه الإختلاف .

وهذا بخلاف العلم النفسي بالنفس وقوها وأطوار وجودها فإنه من العیان ، فإذا اشتغل الإنسان بالنظر إلى آیات نفسه وشاهد فقرها إلى ربها وحاجتها في جميع أطوار وجودها وجد أمراً عجیباً ، وجد نفسه متعلقة بالعظمة والکبریاء متصلة في وجودها وحياتها وعلمها وقدرتها وسمعها وبصرها وإرادتها وحبها وسائر صفاتها

وأفعالها ، بما لا ينهاى بهاً وسناءً وجمالاً وجلاً وكماً من الوجود والحياة والعلم والقدرة وغيرها من كل كمال .

وشاهد ما تقدم بيانه أن النفس الإنسانية لا شأن لها إلا في نفسها ، ولا مخرج لها من نفسها ، ولا شغل لها إلا السير الإضطراري في مسير نفسها ، وإنها منقطعة عن كل شئ كانت تظن أنها مجتمعه معه مختلطه به إلا ربها ، المحيط بياطها وظاهرها وكل شئ دونها ، فوجدت أنها دائمًا في خلا مع ربها وإن كانت في ملا من الناس .

وعند ذلك تصرف عن كل شئ وتتوجه إلى ربها وتنسى كل شئ ، وتذكر ربها فلا يحجبه عنها حجاب ، ولا تستتر عنه بستر ، وهو حق المعرفة الذي قدر للإنسان .

وهذه المعرفة الأخرى بها أن تسمى بمعرفة الله بالله ... .

وأما المعرفة الفكرية التي يفيدها النظر في الآيات الآفافية سواء حصلت من قياس أو حدس أو غير ذلك ، فإنما هي معرفة بصورة ذهنية عن صورة ذهنية ، وجل الإله أن يحيط به ذهن أو تساوي ذاته صورة مختلفة اختلقها خلق من خلقه ، ولا يحيطون به علما .

وقد روي في الإرشاد والاحتجاج على ما في البحار ، عن الشعبي ، عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ في كلام له: إن الله أجل من أن يحتجب عن شئ أو يحتجب عنه شئ .

وفي التوحيد، عن موسى بن جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ في كلام له: ليس بينه وبين خلقه حجاب غير خلقه ، احتجب بغير حجاب محجوب ، واستتر بغير ستر مستور ، لا إله إلا هو الكبير المتعال .

وفي التوحيد مسندًا عن عبد الأعلى، عن الصادق عَلَيْهِ الْكَلَمُ فِي حديث: ومن زعم أنه يعرف الله بحجاب أو بصورة أو بمثال ، فهو مشرك ، لأن الحجاب والصورة والمثال غيره ، وإنما هو واحد موحد ، فكيف يوحد من زعم أنه يوحده بغيره ! إنما عرف الله من عرفة بالله ، فمن لم يعرفه به فليس يعرفه ، إنما يعرف غيره.. الحديث .

والأخبار المأثورة عن أئمة أهل البيت عَلَيْهِ الْكَلَمُ في معنى ما قدمناه كثيرة جداً لعل الله يوفقنا لايقادها وشرحها في مasisأيتي إن شاء الله العزيز من تفسير سورة الاعراف. فقد تحصل أن النظر في آيات الانفس أنفس وأغلى قيمةً ، وأنه هو المنتج لحقيقة المعرفة فحسب ، وعلى هذا فعده عَلَيْهِ الْكَلَمُ إياها أفعى المعرفتين لا معرفة متعينة إنما هو لأن العامة من الناس قاصرون عن نيلها ، وقد أطبق الكتاب والسنة وجرت السيرة الطاهرة النبوية وسيرة أهل بيته الطاهرين على قبول من آمن بالله عن نظر آفافي وهو النظر الشائع بين المؤمنين. فالطريقان نافعان جمِيعاً ، لكن النفع في طريق النفس أتم وأغزر .

وفي الدرر والغرر عن علي عَلَيْهِ الْكَلَمُ قال: العارف من عرف نفسه فاعتقها ونزعها عن كل ما يبعدها. أقول: أي اعتقدها عن إسارة الهوى ورقة الشهوات .

وفيه ، عنه عَلَيْهِ الْكَلَمُ قال: أعظم الجهل جهل الإنسان أمر نفسه .

وفيه ، عنه عَلَيْهِ الْكَلَمُ قال: أعظم الحكمه معرفة الإنسان نفسه .

وفيه ، عنه عَلَيْهِ الْكَلَمُ قال: أكثر الناس معرفة لنفسه أخوفهم لربه. أقول: وذلك لكونه أعلمهم بربه وأعترفهم به ، وقد قال الله سبحانه: إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِ الْعُلَمَاءِ .

وفيه ، عنه عَلَيْهِ الْكَلَمُ قال: أفضل العقل معرفة المرء بنفسه ، فمن عرف نفسه عقل ، ومن جهلها ضل .

وفيه ، عنه ﷺ قال: عجبت لمن ينشد ضالته وقد أضل نفسه فلا يطلبها .

وفيه ، عنه ﷺ قال: عجبت لمن يجهل نفسه كيف يعرف ربه .

وفيه ، عنه ﷺ قال: غاية المعرفة أن يعرف المرء نفسه . أقول: وقد تقدم وجه كونها غاية المعرفة فإنها المعرفة حقيقة .

وفيه ، عنه ﷺ قال: كيف يعرف غيره من يجهل نفسه .

وفيه ، عنه ﷺ قال: كفى بالمرء معرفةً أن يعرف نفسه ، وكفى بالمرء جهلاً أن يجهل نفسه .

وفيه ، عنه ﷺ قال: من عرف نفسه تجرد . أقول: أي تجرد عن علاقه الدنيا ، أو تجرد عن الناس بالإعتزال عنهم ، أو تجرد عن كل شيء بالإخلاص لله .

وفيه ، عنه ﷺ قال: من عرف نفسه جاهدها ، ومن جهل نفسه أهملها .

وفيه ، عنه ﷺ قال: من عرف نفسه جل أمره .

وفيه ، عنه ﷺ قال: من عرف نفسه كان لغيره أعرف ، ومن جهل نفسه كان بغيره أجهل .

وفيه ، عنه ﷺ قال: من عرف نفسه فقد انتهى إلى غاية كل معرفة وعلم .

وفيه ، عنه ﷺ قال: من لم يعرف نفسه بعد عن سبيل النجاة ، وخطب في الصلال والجهالات .

وفيه ، عنه ﷺ قال: معرفة النفس أنسع المعارف .

وفيه ، عنه ﷺ قال: نال الفوز الأكبر من ظفر بمعرفة النفس .

وفيه ، عنه ﷺ قال: لا تجهل نفسك فإن الجاهل معرفة نفسه جاهل بكل شيء .

وفي تحف العقول ، عن الصادق عليه السلام في حديث: من زعم أنه يعرف الله بتوهם القلوب فهو مشرك ، ومن زعم أنه يعرف الله بالإسم دون المعنى فقد أقر بالطعن

لأن الإسم محدث ، ومن زعم أنه يعبد الإسم والمعنى فقد جعل مع الله شريكًا ، ومن زعم أنه يعبد بالصفة لا بالإدراك فقد أحال على غائب ، ومن زعم أنه يضيف الموصوف إلى الصفة فقد صغر بالكبير ، وما قدروا الله حق قدره .

قيل له: فكيف سبيل التوحيد؟ قال: باب البحث ممکن وطلب المخرج موجود ، إن معرفة عين الشاهد قبل صفتة ، ومعرفة صفة الغائب قبل عينه. قيل وكيف يعرف عين الشاهد قبل صفتة؟ قال: تعرفه وتعلم علمه ، وتعرف نفسك به ولا تعرف نفسك من نفسك ، وتعلم أن ما فيه له وبه ، كما قالوا ليوسف إنك لانت يوسف ، قال أنا يوسف وهذا أخي ، فعرفوه به ولم يعرفوه بغيره ولا أثبتوه من أنفسهم بتوهם القلوب . . . الحديث .

أقول: قد أوضحنا في ذيل قوله عَلَيْهِ الْكَلَمَاتُ المعرفة بالنفس أنسع المعرفتين ، الرواية الثانية من الباب أن الإنسان إذا استغل آية نفسه وخلا بها عن غيرها انقطع إلى ربه من كل شيء ، وعقب ذلك معرفة ربه معرفة بلا ت وسيط وسط وعلمًا بلا تسبيب سبب ، إذ الإنقطاع يرفع كل حجاب مضرورب، وعند ذلك يذهل الإنسان بمشاهدة ساحة العظمة والكبريات عن نفسه. وأحرى بهذه المعرفة أن تسمى معرفة الله بالله . . . وانكشف له عند ذلك من حقيقه نفسه أنها الفقيرة إلى الله سبحانه الم المملوكة له ملکاً لا تستقل بشئ دونه، وهذا هو المراد بقوله عَلَيْهِ الْكَلَمَاتُ: تعرف نفسك به ، ولا تعرف نفسك بنفسك ، وتعلم أن ما فيه له وبه .

وفي هذا المعنى ما رواه المسعودي في إثبات الوصية عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ الْكَلَمَاتُ قال في خطبة له: فسبحانك ملات كل شيء وباينت كل شيء ، فأنت لا يفقدمك شيء وأنت الفعال لما تشاء . . . إلى أن قال: سبحانك أي عين تقوم نصب بها نورك وترقى إلى نور ضياء قدرتك ، وأي فهم يفهم ما دون ذلك إلا أبصار كشفت

عنها الأغطية وهتك عنها الحجب العميم فرقت أرواحها على أطراف أجنحة الأرواح ، فناجوك في أركانك وولجوا بين أنوار بهائك ، ونظروا من مرتفقى التربة إلى مستوى كبرياتك ، فسماهم أهل الملکوت زواراً ، ودعاهم أهل الجبروت عماراً .

وفي البحار عن إرشاد الديلمي وذكر بعد ذلك سندين لهذا الحديث وفيه: فمن عمل برضائي ألمزه ثلاث خصال: أعرفه شكرأ لا يخالطه الجهل ، وذكرأ لا يخالطه النسيان ، ومحبة لا يؤثر على محبتي محبة المخلوقين. فإذا أحبني أحبته وأفتح عين قلبه إلى جلالي ولا أخفى عليه خاصة خلقي وأناجيه في ظلم الليل ونور النهار ، حتى ينقطع حديثه مع المخلوقين ومجالسته معهم ، واسمعه كلامي وكلام ملائكتي وأعرفه السر الذي سترته عن خلقي، وألبسه الحياة حتى يستحبني منه الخلق كلهم ، ويمشى على الأرض مغفوراً له ، واجعل قلبه واعياً وبصيراً ، ولا أخفى عليه شيئاً من جنة ولا نار ، وأعرفه ما يمر على الناس في القيامة من الدهول والشدة ، وما أحاسب به الأغنياء والفقراء والجهال والعلماء ، وأنومه في قبره وأنزل عليه منكراً ونكيراً حتى يسألاه ، ولا يرى غم الموت وظلمة القبر واللحد وهو المطلع ، ثم أنصب له ميزانه وأنشر ديوانه ، ثم أضع كتابه في يمينه فيقرؤه منشوراً ، ثم لا أجعل بيني وبينه ترجماناً. فهذه صفات المحبين. يا أحمد إجعل همك هماً واحداً ، واجعل لسانك لساناً واحداً ، واجعل بدنك حياً لا يغفل أبداً ، من يغفل عنك لا أبالي بأي واد هلك .

والروايات الثلاثة الأخيرة وإن لم تكن من أخبار هذا البحث المعقود على الإستقامة ، إلا أنها إنما أوردناها ليقضي الناقد البصير بما قدمناه من أن المعرفة الحقيقية لا تستوفي بالعلم الفكري حق استيفائها ، فإن الروايات تذكر أموراً من

المواهب الإلهية المخصوقة بأوليائه لا يتجها السير الفكري البتة. وهي أخبار مستقيمة صحيحة يشهد على صحتها الكتاب الإلهي على ما سنبين ذلك فيما سيوافقك من تفسير سوره الأعراف إن شاء الله العزيز... .

وأما سائر الفرق المذهبية من الهندو ، كالجو كية أصحاب الأنفاس والأوهام ، وك أصحاب الروحانيات ، وأصحاب الحكمة ، وغيرهم ، فلكل طائفة منهم رياضات شاقة عملية لا تخلو عن العزلة وتحريم اللذائذ الشهوانية على النفس . وأما البوذية فبناء مذهبهم على تهذيب النفس ومخالفة هواها وتحريم لذائذها عليها للحصول على حقيقة المعرفة ، وقد كان هذا هو الطريقة التي سلكها بودا نفسه في حياته فالمنقول أنه كان من أبناء الملوك أو الرؤساء فرفض زخارف الحياة وهجر أريكة العرش إلى غابة موحشة لزمها في ريعان شبابه واعتزل الناس وترك التمتع بمزايا الحياة وأقبل على رياضة نفسه والتفكير في أسرار الخلقة ، حتى قذفت المعرفة في قلبه وسنه إذ ذاك ستة وثلاثون ، وعند ذاك خرج إلى الناس فدعاهم إلى ترويض النفس وتحصيل المعرفة ، ولم يزل على ذلك قريباً من أربع وأربعين سنة على ما في التواريخ .

وأما الصابئون ، ونعني بهم أصحاب الروحانيات فهم وإن أنكروا أمر النبوة غير أن لهم في طريق الوصول إلى كمال المعرفة النفسانية طرقاً لا تختلف كثيراً عن طرق البراهمة والبوذيين ، قالوا على ما في الملل والنحل: أن الواجب علينا أن نظهر نفوسنا عن دنس الشهوات الطبيعية ، ونهذب أخلاقنا عن علائق القوى الشهوانية والغبية ، حتى يحصل مناسبة ما بيننا وبين الروحانيات ، فنسأل حاجاتنا منهم ونعرض أحوالنا عليهم ونصبوا في جميع أمورنا إليهم ، فيشفعون لنا إلى خالقنا وخلقهم ورازقنا ورازقهم .

وهذا التطهير ليس يحصل إلا باكتسابنا ورياضتنا ، وفطامنا أنفسنا عن دنيات الشهوات ، استمداداً من جهة الروحانيات ، والإستمداد هو التضرع والإبهال بالدعوات وإقامة الصلوات ، وبذل الزكوات ، والصيام عن المطعومات والمشروبات ، وتقريب القرابين والذبائح ، وتبخير البخورات وتعزييم العزائم ، فيحصل لنفسنا استعداد واستمداد من غير واسطة. انتهى .

وهولاء وإن اختلفوا فيما بين أنفسهم بعض الإختلاف في العقائد العامة الراجعة إلى الخلق والإيجاد لكنهم متفقون الرأي في وجوب ترويض النفس للحصول على كمال المعرفة وسعادة النشأة .

وأما المانوية من الثنوية ، فاستقرار مذهبهم على كون النفس من عالم النور العلوي وھبوطها إلى هذه الشبكات المادية المظلمة المسممة بالأبدان ، وأن سعادتها وكمالها التخلص من دار الظلمة إلى ساحة النور ، إما اختياراً بالترويض النفسي ، وإما اضطراراً بالموت الطبيعي المعروف .

وأما أهل الكتاب ونعني بهم اليهود والنصارى والمجوس ، فكتبهم المقدسة وهي العهد العتيق والعهد الجديد وأوستا ، مشحونة بالدعوة إلى إصلاح النفس وتهذيبها ومخالفة هواها. ولا تزال كتب العهددين تذكر الزهد في الدنيا والإشتغال بتطهير السر ، ولا يزال يتربي بينهم جم غفير من الزهاد وتاركى الدنيا ، جيلاً بعد جيل وخاصة النصارى فإن من سنتهم المتبعة الرهبانية. وقد ذكر أمر رهبانيتهم في القرآن الشريف قال تعالى: **ذَلِكَ بَأْنَانْ مِنْهُمْ قَسِيِّينَ وَرَهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ**. المائدہ ٨٢ ، وقال تعالى: **وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتَغَاءَ رَضْوَانَ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رَعَايَتِهَا** ، الحديد : ٢٧ . كما ذكر المتعبدون من اليهود في قوله: **لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتَلَوُنَ آيَاتِ اللَّهِ أَنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُلُونَ، يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ**

بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَلَوْلَكَ مِنَ الصَّالِحِينَ. آل عمران : ١١٤ .

وأما الفرق المختلفة من أصحاب الإرتياضات والأعمال النفسية ك أصحاب السحر والسميماء ، وأصحاب الطلسمات وتسخير الأرواح والجن وروحانيات الحروف والكواكب وغيرها ، وأصحاب الإحضار وتسخير النفوس ، فلكل منهم ارتياضات نفسية خاصة تنتج نوعاً من السلطة على أمر النفس .

وجملة الأمر على ما يتحصل من جميع ما مر: أن الوجهة الأخيرة لجميع أرباب الأديان والمذاهب والأعمال هو تهذيب النفس بترك هواها والإشتغال بتطهيرها من شوب الأخلاق والأحوال غير المناسبة للمطلوب .

لعلك ترجع وتقول إن الذي ثبت من سنن أرباب المذاهب والطرق وسيرهم هو الزهد في الدنيا وهو غير مسألة معرفة النفس أو الإشتغال بأمر النفس بالمعنى الذي تقدم البحث عنه. وبلفظ أوضح: الذي يندب إليه الأديان والمذاهب التي تدعوا إلى العبودية بنحو أن يترهد الإنسان نوع تزهد في الدنيا بإتيان الأعمال الصالحة وترك الهوى والاثام ورذائل الأخلاق ليتهيأ بذلك لأحسن الجزاء ، إما في الآخرة كما تصرح به الأديان النبوية كاليهودية والنصرانية والإسلام ، أو في الدنيا كما استقر عليه دين الوثنية ومذهب التناصح وغيرهما ، فالمتبعد على حسب الدستور الديني يأتي بما ندب إليه من نوع التزهد من غير أن يخطر بباله أن هناك نفساً مجردة وأن لها نوعاً من المعرفة فيه سعادتها وكمال وجودها .

وكذلك الواحد من أصحاب الرياضيات على اختلاف طرقها وسنتها إنما يرتاب بما يرتاب من مشاق الأعمال ولا هم له في ذلك إلا حيازه المقام الموعود فيها والسلط على نتيجة العمل كنفوذ الإرادة مثلاً ، وهو في غفلة من أمر النفس المذكور من حين يأخذ في عمله إلى حين يختمه. على أن في هؤلاء من لا يرى

في النفس إلا أنها أمر مادي طبيعي كالدم أو الروح البخار أو الأجزاء الأصلية ، ومن يرى أن النفس جسم لطيف مشاكل للبدن العنصري حال فيه وهو الحامل للحياة ، فكيف يسوغ القول بكون الجميع يرثون بذلك أمر معرفة النفس . لكنه ينبغي لك أن تتذكر ما تقدم ذكره أن الإنسان في جميع هذه المواقف التي يأتي فيها بأعمال تصرف النفس عن الإشتغال بالأمور الخارجية والتمتعات المتفننة المادية إلى نفسها ، للحصول على خواص وآثار لا توصل إليها الأسباب المادية والعوامل الطبيعية العادية ، لا يريد إلا الإنفصال عن العلل والأسباب الخارجية والإستقلال بنفسه للحصول على نتائج خاصة لا سبيل للعوامل المادية العادية إليها .

فالمتدين المتزهد في دينه يرى أن من الواجب الإنساني أن يختار لنفسه سعادته الحقيقة ، وهي الحياة الطيبة الأخروية عند المتأملين بالمعاد ، والحياة السعيدة الدنيوية التي تجمع له الخير وتدفع عنه الشر عند المنكرين له كالوثنية وأصحاب التناصح ، ثم يرى أن الإسترسلام في التمتعات الحيوانية لا تحوز له سعادته ولا تسلك به إلى غرضه ، فلا محيس له عن رفض الهوى وترك الإنطلاق إلى كل ما تهوسه نفسه بأسبابها العادية في الجملة ، والإنجذاب إلى سبب أو أسباب فوق الأسباب المادية العادية بالاقرب إليه والإتصال به ، وأن هذا التقرب والإتصال إنما يأتي بالخضوع له والتسليم لامرها ، وذلك أمر روحي نفسي لا ينحفظ إلا بأعمال وتروك بدنية ، وهذه هي العبادة الدينية من صلاة ونسك أو ما يرجع إلى ذلك .

فالأعمال والمجاهدات والإرتياضات الدينية ترجع جمياً إلى نوع من الإشتغال بأمر النفس ، والإنسان يرى بالفطرة أنه لا يأخذ شيئاً ولا يترك شيئاً إلا لتفع نفسه ،

وقد تقدم أن الإنسان لا يخلو ولا لحظة من لحظات وجوده من مشاهدة نفسه وحضور ذاته ، وأنه لا يخطي في شعوره هذا البتة ، وإن أخطأ فإنما يخطي في تفسيره بحسب الرأي النظري والبحث الفكري .

فظهر بهذا البيان أن الأديان والمذاهب على اختلاف سنتها وطرقها تروم الإشتغال بأمر النفس في الجملة ، سواء علم بذلك المنتحرون بها أم لم يعلموا . وكذلك الواحد من أصحاب الرياضيات والمجاهدات وإن لم يكن منتحلاً بديلاً ولا مؤمناً بأمر حقيقة النفس ، لا يقصد بنوع رياضته التي يرتاض بها إلا الحصول على نتيجتها الموعودة له ، وليست النتيجة الموعودة مرتبطة بالأعمال والتروك التي يأتي بها ارتباطاً طبيعياً نظير الإرتباط الواقع بين الأسباب الطبيعية ومسبياتها ، بل هو ارتباط إرادي غير مادي متعلق بشعور المرتاض وإرادته المحفوظين بنوع العمل الذي يأتي به ، دائرة بين نفس المرتاض وبين النتيجة الموعودة .

فحقيقة الرياضة المذكورة هي تأييد النفس وتمكيلها في شعورها وإرادتها للنتيجة المطلوبة . وإن شئت قلت: أثر الرياضة أن تحصل للنفس حالة العلم بأن المطلوب مقدور لها ، فإذا صحت الرياضة وتمت صارت بحيث لو أرادت المطلوب مطلقاً أو أرادته على شرائط خاصة ، كإحضار الروح للصبي غير المراهق في المرأة ، حصل المطلوب .

وإلى هذا الباب يرجع معنى ما روي: أنه ذكر عند النبي ﷺ أن بعض أصحاب عيسى عليه السلام كان يمشي على الماء فقال ﷺ: لو كان يقينه أشد من ذلك لمشى على الهواء ، فالحديث كما ترى يومئ إلى أن الأمر يدور مدار اليقين بالله سبحانه وإمحاء الأسباب الكونية عن الإستقلال في التأثير .

فإلى أي مبلغ بلغ ركون الإنسان إلى القدرة المطلقة الإلهية انقادت له الأشياء

على قدره ، فافهم ذلك .

ومن أجمع القول في هذا الشأن قول الصادق عليه السلام: ما ضعف بدن عما قويت عليه  
النية. وقال عليه السلام في الحديث المتواتر: إنما الأعمال بالنيات .

فقد تبين أن الآثار الدينية للأعمال والعبادات وكذلك آثار الرياضيات  
والمجاهدات إنما تستقر الرابطة بينها وبين النفس الإنسانية بشؤونها الباطنية ،  
فالإشتغال بشيء منها اشتغال بأمر النفس... .

إياك أن يشتبه عليك الأمر فتستنتج من الأبحاث السابقة أن الدين هو العرفان  
والتصوف ، أعني معرفة النفس كما توهّمه بعض الباحثين من الماديين ، فقسم  
المسلك الحيوى الدائر بين الناس إلى قسمين المادية والعرفان وهو الدين. وذلك  
أن الذي يعتقد عليه الدين أن للإنسان سعادة حقيقية ليس ينالها إلا بالخصوص لـما  
فوق الطبيعة ، ورفض الإقصار على التمتعات المادية .

وقد أنتجت الابحاث السابقة أن الأديان أياً ما كانت من حق أو باطل تستعمل  
تربيّة الناس وسوقهم إلى السعادة التي تعدّهم إياها ، وتدعوهم إليها إصلاح  
لنفس وتهذيبها إصلاحاً وتهذيباً يناسب المطلوب. وأين هذا من كون عرفان  
النفس هو الدين .

فالدين يدعو إلى عبادة الله سبحانه من غير واسطة ، أو بواسطة الشفاعة  
والشركاء ، لأن فيها السعادة الإنسانية والحياة الطيبة التي لا بغية للإنسان دونها ،  
ولا ينالها الإنسان ولن ينالها إلا بنفس طاهرة مطهرة من ألواث التعلق بالماديات  
والتمتعات المرسلة الحيوانية ، فمما تحدّث الحاجة إلى أن يدرج في أجزاء دعوته  
إصلاح النفس وتطهيرها ليستعد المتّهّل به المتربي في حجره للتّلبّس بالخير  
والسعادة ولا يكون كمن يتناول الشيء بإحدى يديه ويدفعه بالأخرى .

فالدين أمر وعرفان النفس أمر آخر وراءه وإن استلزم الدين العرفان نوعاً من الإستلزم .

وبنظير البيان يتبيّن أن طرق الرياضة والمجاهدة المسلوكة لمقاصد متنوعة غريبة عن العادة أيضاً غير عرفان النفس وإن ارتبط البعض بالبعض نحواً من الإرتباط .  
نعم لنا أن نقضي بأمر وهو: إن عرفان النفس بأي طريق من الطرق فرض السلوك إليه إنما هو أمر مأخوذ من الدين ، كما أن البحث البالغ الحر يعطي أن الأديان على اختلافها وتشتتها إنما انشعبت هذه الانشعابات من دين واحد عريق تدعوه إلى الفطرة الإنسانية وهو دين التوحيد .

إنما إذا راجعنا فطرتنا الساذجة بالأغماس عن التعصبات الطارئة علينا بالوراثة من أسلافنا أو بالسراية من أمثالنا لم نرتب في أن العالم على وحدته في كثرته وارتباط أجزائه في عين تشتها ، ينتهي إلى سبب واحد فوق الأسباب وهو الحق الذي يجب الخصوص لجاته ، وترتيب السلوك الحيوي على حسب تدبيره وتربيته ، وهو الدين المبني على التوحيد .

والتأمل العميق في جميع الأديان والنحل يعطي أنها مشتملة نوع اشتتمال على هذا الروح الحي حتى الوثنية والشتوية ، وإنما وقع الإختلاف في تطبيق السنة الدينية على هذا الأصل والإصابة والخطأ فيه ، فمن قائل مثلاً أنه أقرب إلينا من حبل الوريد وهو معنا أينما كنا ليس لنا من دونه من ولد ولا شفيع ، فمن الواجب عبادته وحده من غير إشراك ، ومن قائل أن تسلف الإنسان الأرضي وخمسة جوهره لا يدع له مخلصاً إلى الاتصال بذلك الجناب ، وأين التراب ورب الأرباب فمن الواجب أن نتقرّب إلى بعض عباده المكرّمين المتجرّدين عن جلباب المادة ، الطاهرين المطهّرين من ألواث الطبيعة ، وهم روحانيات الكواكب ، أو أرباب

الأنواع ، أو المقربون من الإنسان ، وما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفي. وإذا كانوا غائبين عن حواسنا متعالين عن جهاتنا كان من الواجب أن نجسدهم بالأنصاب والأصنام حتى يتم بذلك أمر التقرب العبادي . وعلى هذا القياس في سائر الأديان والمملل ، فلا نجد في متونها إلا ما هو بحسب الحقيقة نحو توجيه لتوحيد الله عز اسمه .

ومن المعلوم أن السنن الدائرة بين الناس وإن انشعبت أي انشعاب واختلفت أي اختلاف شديد ، فإنها تميل إلى التوحد إذا رجعنا إلى سابق عهودها القهقرى ، وتنتهي بالآخرة إلى دين الفطرة الساذجة الإنسانية وهو التوحيد .  
فدين التوحيد أبو الأديان وهي أبناء له صالحة أو طالحة .

ثم إن الدين الفطري إنما يعتبر أمر عرفان النفس ليتوصل به إلى السعادة الإنسانية التي يدعو إليها ، وهي معرفة الإله التي هي المطلوب الأخير عنده . وبعبارة أخرى: الدين إنما يدعو إلى عرفان النفس دعوة طريقية لا غائية ، فإن الذوق الديني لا يرتضي الإشتغال بأمر إلا في سبيل العبودية ، وإن الدين عند الله الإسلام ولا يرضى لعباده الكفر ، فكيف يرضى بعرفان النفس إذا استقل بالمطلوبية .

ومن هنا يظهر أن العرفان ينتهي إلى أصل الدين الفطري إذ ليس هو بنفسه أمراً مستقلاً تدعو إليه الفطرة الإنسانية ، حتى تنتهي فروعه وأغصانه إلى أصل واحد هو العرفان الفطري .

ويمكن أن يستأنس في ذلك بأمر آخر وهو: أن الإنسانية وإن اندفعت بالفطرة إلى الإجتماع والمدنية لسعادة الحياة ، وأثبتت النقل والبحث أن رجالاً أو أقواماً اجتماعيين دعوا إلى طرائق قومية أو وضعوا سنتاً اجتماعية وأجروها بين أممهم ،

كسن القبائل ، والسن الملوكيه ، والديمقراطية ، ونحوها ، ولم يثبت بنقل أو بحث أن يدعوا إلى عرفان النفس وتهذيب أخلاقها أحد من غير أهل الدين في طول التاريخ البشري .

نعم من الممكن أن يكون بعض أصحاب هذه الطرق غير الدينية ، ك أصحاب السحر والأرواح ونحوهما إنما تنبه إلى هذا النوع من عرفان النفس من غير طريق الدين ، لكن لا من جهة الفطرة ، إذ الفطرة لا حكم لها في ذلك كما عرفت ، بل من جهة مشاهدة بعض الآثار النفسانية الغريبة على سبيل الإتفاق ، فتتوق نفسه إلى الظفر بمنزلة نفسانية يملك بها أعمالاً عجيبة وتصرفات في الكون نادرة تستغربها النفوس ، فيدفعه هذا التوقع إلى البحث عنه والسلوك إليه ، ثم السلوك بعد السلوك يمهد السبيل إلى المطلوب ويسهل الوعر منه .

يحكى عن كثير من صلحائنا من أهل الدين أنهم نالوا في خلال مجاهداتهم الدينية كرامات خارقة للعادة ، وحوادث غريبة اختصوا بها من بين أمثالهم كتمثل أمور لأبصارهم غائبة عن أبصار غيرهم ، ومشاهدة أشخاص أو وقائع لا يشاهدها حواس من دونهم من الناس ، واستجابة للدعوة وشفاء المريض الذي لا مطعم لنجاح المداواة فيه ، والنجاة من المخاطر والمهالك من غير طريق العادة . وقد يتافق نظائر ذلك لغير أهل الصلاح إذا كان ذا نية صادقة ونفس منقطعة ، فهو لاء يرون ما يرون وهم على غفلة من سببه القريب ، وإنما يسندون ذلك إلى الله سبحانه من غير تسوية وسط .

وإسناد الأمور إليه تعالى وإن كان حقاً لا محض عن الإعتراف به ، لكن نفي الأسباب المتوسطة مما لا مطعم فيه .

وربما أحضر الروحي روح أحد من الناس في مرآة أو ماء ونحوه بالتصريف في

نفس صبي على ما هو المتعارف ، وهو كغيره يرى أن الصبي إنما يبصره بالبصر الحسي ، وأن بين أبصار سائر الناظرين وبين الروح المحضر حجاباً ماضروراً ، لو كشف عنه لكانوا مثل الصبي في الظفر بمشاهدته .

وربما وجدوا الأرواح المحضرة أنها تكذب في أخبارها فيكون عجباً لأن عالم الأرواح عالم الطهارة والصفاء لا سبيل للكذب والفرية والزور إليه .

وربما أحضروا روح إنسان حي فيستنطقونه بأسراه وضمائره وصاحب الروح في حالة اليقظة مشغول بأشغاله وحوائجه اليومية لا خير عنده من أن روحه محضر مستنبط يبىث من القول ما لا يرضى هو بيته .

وربما نوم الإنسان تنوياً مغناطيسياً ، ثم لقن بعمل حتى ينعم بقبوله ، فإذا أوقفت ومضى لشأنه أتى بالعمل الذي لقنه على الشريطة التي أريد بها وهو غافل عما لقنه ، وعن إنعامه بقبوله .

وبعض الروحين لما شاهدوا صوراً روحية تماثل الصور الإنسانية أو صور بعض الحيوان ظنوا أن هذه الصور في عالم المادة وظرف الطبيعة المتغيرة ، وخاصة بعض من لا يرى لغير الأمر المادي وجوداً ، حتى حاول بعض هؤلاء أن يخترع أدوات صناعية يصطاد بها الأرواح ! كل ذلك استناداً منهم إلى فرضية افترضوها في النفس أنها مبدأ مادي أو خاصة لمبدأ مادي ، يفعل بالشعور والإرادة ، مع أنهم لم يحلوا مشكلة الحياة والشعور حتى اليوم .

ونظير هذه الفرضية فرضية من يرى أن الروح جسم لطيف مشاكل للبدن العنصري في هيئاته وأشكاله ، لما وجدوا أن الإنسان يرى نفسه في المنام وهو على هيئته في اليقظة ، وربما يمثل لأرباب المجاهدات صور أنفسهم قبلاً خارج أبدانهم وهي مشكلة للصورة البدنية مشكلة تامة ، فحكموا أن الروح جسم

لطيف حال البدن العنصري مadam الإنسان حيًّا فإذا فارق البدن كان هو الموت . وقد فاتهم أن هذه صورة إدراكية قائمة بشعور الإنسان نظيره صورته التي يدركها من بدنه ، ونظيره صور سائر الأشياء الخارجة المنفصلة عن بدنه ، وربما تظهر هذه الصورة المنفصلة لبعض أرباب المجاهدة أكثر من واحدة ، أو في هيئة غير هيئة نفسه ، وربما يرى نفسه عين نفس غيره من أفراد الناس ، فإذا لم يحكموا في هذه الصور المذكور أنها هي صورة الروح ، فجدير بهم أن لا يحكموا في الصورة الواحدة المشاكلة التي تتراءى لرباب المجاهدات أنها صورة الروح .

وحقيقة الأمر أن هؤلاء نالوا شيئاً من معارف النفس وفاتها معرفة حقيقتها ، فأخذوا في تفسير ما نالوه ، وضلوا في توجيه أمره . والحق الذي يهدي إليه البرهان والتجربة أن حقيقة النفس التي هي هذا الشعور المتعلق المحكى عنه بقولنا ( أنا ) أمر مغاير في جوهره لهذه الأمور المادية كما تقدم ، وأن أقسام شعوره وأنواع إدراكاته من حس أو خيال أو تعقل من جهة كونها مدركات إنما هي مترورة في عالمه وظرفه غير الخواص الطبيعية الحاصلة في أعضاء الحس والإدراك من البدن ، فإنها أفعال وانفعالات مادية فاقدة في نفسها للحياة والشعور ، فهذه الأمور المشهودة الخاصة بالصلحاء وأرباب المجاهدات والرياضات غير خارجة عن حيطة نفوسهم ، وإنما الشأن في أن هذه المعلومات والمعارف كيف استقرت في النفس وأين محلها منها ، وأن للنفس سمة علية لجميع الحوادث والأمور المرتبطة بها ارتباطاً ما . فجميع هذه الأمور الغريبة المطابعة لأهل الرياضة والمجاهدة ، إنما ترتفع من إرادتهم ومشيئتهم ، والإرادة ناشئة من الشعور، فللسنور الإنساني دخل في جميع الحوادث المرتبطة به والأمور المماسة

له .

فمن الحري أن نقسم المستغلين بعرفان النفس في الجملة إلى طائفتين ، إحداهما: المستغلون بالإشتغال بإحراز شيء من آثار النفس الغريبة الخارجة عن حومة المتعارف من الأسباب والمسبيات المادية كأصحاب السحر والطلسمات وأصحاب تسخير روحانيات الكواكب والموكلين على الأمور والجن وأرواح الأدميين وأصحاب الدعوات والعزائم ونحو ذلك .

والثانية: المستغلون بمعرفة النفس بالانصراف عن الأمور الخارجة عنها والانجداب نحوها ، للغور فيها ومشاهدة جوهرها وشؤونها كالمتصوفة على اختلاف طبقاتهم ومسالكهم .

وليس التصوف مما أبدعه المسلمون من عند أنفسهم لما ( ثبت ) أنه يوجد بين الأمم التي تتقدهم في النشوء كالنصارى وغيرهم ، حتى الوثنية من البرهمانية والبودية ، ففيهم من يسلك الطريقة حتى اليوم ، بل هي طريقة موروثة ورثوها من أسلافهم. لكن لا بمعنى الأخذ والتقليد العادي كوراثة الناس ألوان المدنية بعضهم من بعض ، وأمة منهم متأخرة من أمة منهم متقدمة ، كما جرى على ذلك عده من الباحثين الأديان والمذاهب وذلك لما عرفت في الفصول السابقة من أن دين الفطرة يهدي إلى الزهد ، والزهد يرشد إلى عرفان النفس .

فاستقرار الدين بين أمة وتمكنه من قلوبهم يعدهم ويهبئهم لأن تنشأ بينهم طريقة عرفان النفس لا محالة ، ويأخذ بها بعض من تمت في حقه العوامل المقتضية لذلك. فمكث الحياة الدينية في أمة من الأمم برهه معتدلاً بها ينشئ بينهم هذه الطريقة لا محالة صحيحة أو فاسدة ، وإن انقطعوا عن غيرهم من الأمم الدينية كل الإنقطاع. وما هذا شأنه لا ينبغي أن يعد من السنن الموروثة

التي يأخذها جيل عن جيل .

ثم ينبغي أن نقسم أصحاب القسم الثاني من القسمين المتقدمين وهم أهل العرفان حقيقة إلى طائفتين: فطائفة ، منهم يسلكون الطريقة لنفسها فيرذون شيئاً من معارفها من غير أن يتم لهم تمام المعرفة لها ، لأنهم لما كانوا لا يريدون غير النفس فهم في غفلة عن أمر صانعها وهو الله عز اسمه الذي هو السبب الحق الأخذ بناصية النفس في وجودها وآثار وجودها. وكيف يسع الإنسان تمام معرفة شيء مع الذهول عن معرفة أسباب وجوده وخاصة السبب الذي هو سبب كل سبب ، وهل هو إلا كمن يدعى معرفة السرير على جهل منه بالنجار وقدومه ومنشاره ، وغرضه في صنعه ، إلى غير ذلك من علل وجود السرير .

ومن الحري بهذا النوع من معرفة النفس أن يسمى كهانة بما في ذيله من الحصول على شيء من علوم النفس وآثارها .

وطائفة منهم يقصدون طريقة معرفة النفس لتكون ذريعة لهم إلى معرفة الرب تعالى ، وطريقتهم هذه هي التي يرتضيها الدين في الجملة وهي أن يشتعل الإنسان بمعرفة نفسه بما أنها آية من آيات ربه وأقرب آية ، وتكون النفس طریقاً مسلوکاً والله سبحانه هو الغاية التي يسلك إليها ، وأن إلى ربك المتهى .

وهو لاء طوائف مختلفة ذروا مذاهب متشتتة في الأمم والنحل ، وليس لنا كثير خبرة بمذاهب غير المسلمين منهم وطريقتهم التي يسلكونها. وأما المسلمين فطريقهم فيها كثيرة ربما انتهت بحسب الأصول إلى خمس وعشرين سلسلة ، تتشعب من كل سلسلة منها سلاسل جزئية أخرى ، وقد استندوا فيها إلا واحدة ، إلى علي عليه أفضل السلام .

وهناك رجال منهم لا ينتمون إلى واحدة من هذه السلاسل ويسمون الأويسيية

نسبة إلى أويس القرني ، وهناك آخرون منهم لا يتسمون بإسم ولا يتظاهرون بشعار .

ولهم كتب ورسائل مسفلة ترجموا فيها عن سلاسلهم وطرقهم والتواتيس والآداب التي لهم عن رجالهم ، وضبطوا فيها المنقول من مكاففاتهم ، وأعربوا فيها عن حججهم ومقاصدهم التي بنوها عليها ، من أراد الوقوف عليها فليراجعها. وأما البحث عن تفصيل الطرق والمسالك وتصحيح الصحيح ونقد الفاسد ، فله مقام آخر ، وقد تقدم في الجزء الخامس من هذا الكتاب بحث لا يخلو عن نفع في هذا الباب ، فهذه خلاصه ما أردنا إيراده من البحث المتعلق بمعنى معرفة النفس .

واعلم أن عرفة النفس بغية عملية لا يحصل تمام المعرفة بها إلا من طريق السلوك العملي دون النظري .

وأما علم النفس الذي دوّنه أرباب النظر من القدماء فليس يعني من ذلك شيئاً ، وكذلك فن النفس العملي الذي دونه المتأخرن حديثاً ، فإنما هو شعبة من فن الأخلاق على ما دونه القدماء ، والله الهادي. انتهى .

الموقف الفقهي من الدعوة إلى معرفة الله تعالى عن طريق معرفة النفس ما ذكره صاحب الميزان رحمه الله من الطريقين لمعرفة الله تعالى: طريق النظر في الآفاق وطريق النظر في الأنفس ، مطلب شائع بين العرفانيين والمتصوفة ، والظاهر أنهم أخذوه من قوله تعالى (سُرُّهُمْ آيَاتٌ فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَفْسَهِمْ حَتَّىٰ يَسِّئُ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ) ولابد هنا من تسجيل الملاحظات التالية:

أولاً: وردت أحاديث شريفة في تفسير الآية المذكورة بأنها من علامات ظهور

الإمام المهدى عليه السلام أو من الأحداث التي تظهر على يده ، وأن المقصود بالأفاق آفاق الأرض حيث ( تنتقض الأطراف عليهم ) أي على الجبارين قرب ظهوره عليه السلام . ويفيد ذلك سين الإستقبال في الآية ، التي تخبر عن حدث في المستقبل ، وإلا لقال ( ولقد أربناهم آياتنا في الأفاق وفي أنفسهم ) مثلاً . أو قال ( أو لم ينظروا في الأفاق ) كما قال تعالى ( أَوْلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ) .

ثانياً: لا شك أن النظر في ملوك السماوات والأرض ، أي فيما يمكن للإنسان معرفته وفهمه وأخذ العبرة منه ، أمر محبوب شرعاً وموصل إلى معرفة الله تعالى وزيادة الإيمان به . قال تعالى: أَوْلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدْ أَقْرَبَ أَجْلَهُمْ فَبَأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ الاعراف : ١٨٥ ، ولكن نفس الإنسان جزء من هذا الملوك وواحدة من هذه الأفاق ، وليس طريقاً في مقابل بقية الأفاق .

ثالثاً: لم أجد سندأ للحديث الذي ذكره ( المعرفة بالنفس أنسع المعرفتين ) ومن البعيد أن يكون حديثاً شريفاً ، وعلى فرض صحته لا يصح تفسيره بما ذكره رحمه الله فإن المقابل لمعرفة الله بالنفس معرفة الله بالله تعالى ، أو معرفة الله بآنياته وأوليائه ، أو معرفة الله بآياته غير النفس .. فمن أين جعل رحمه الله المعرفة التي تقابل معرفة النفس ، معرفة الأفاق وحصره المقابلة بها . ثم إذا كانت المعرفة بالسير الآفقي تشمل معرفة الله بالله تعالى وبأوليائه صلوات الله عليهم ، فكيف يصح تفضيل معرفته عن طريق النفس على هذه المعرفة ؟ !

رابعاً: تقدم بحث الحد الأدنى الواجب من معرفة الله تعالى ، ولم يتعرض الفقهاء والمتكلمون إلى طرقه ، ولم يفضلوا بعضها على بعض . كما تقدم أن معرفة الله هي من صنعه تعالى في نفس الإنسان وألطافه به ، ولا صنع للإنسان فيها .

خامساً: لا شك في صحة ما ذكره رحمه الله من أن تزكية النفس وتهذيبها من الرذائل والشهوات والتعلق بحطام الدنيا ومتاعها ، مقدمة لازمة لتحقيق هدف الدين الذي هو عبادة الله تعالى. قال تعالى (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّا وَالْإِنْسَا إِلَّا يَعْبُدُونَ) وقال تعالى (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأَمْمَيْنَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتَلَوُ عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُرِكِّبُهُمْ) ولكن الوارد في القرآن الكريم والأحاديث الشريفة هو تزكية النفس وجهاد النفس ومخالفة النفس ، وهي أمور عملية غير ما يطرحه المتصوفة والعرفاء من معرفة النفس ، وإن كانت تزكية النفس تتوقف على قدر من معرفتها .

سادساً: لو سلمنا أن تزكية النفس ومخالفتها وجهادها هي نفس معرفة النفس التي طرحتها المتصوفة والعرفاء ، ولكن الدعوة إلى معرفة الله تعالى وطاعته عن طريق معرفة النفس على إجمالها وإهمالها تتضمن مخاطر عديدة لا يمكن قبولها ، لأنها تتسع للضد والنقيض في الأساليب والأهداف والقدوات .. جميعاً .

بعض الدعوات إلى معرفة الله تعالى عن طريق معرفة النفس تبني العزلة والرهبانية ، وبعضها يتبنى إصلاح النفس والمجتمع والحكم. وبعضها يدعو إلى التقيد بأحكام الشريعة المقررة في هذا المذهب أو ذاك .. وبعضها يدعو إلى تقليد الأستاذ شيخ الطريقة أو أستاذ الأخلاق وما شابه، دون الحاجة إلى أخذ أي مفهوم أو حكم شرعي من غيره !

وبعضها يدعي أنه يتصل بالله تعالى عن طريق المعرفة فيلهم العقائد والأحكام الشرعية ، ولا يحتاج عند ذلك إلى شريعة ! بل ولا إلى نبوة !!

وبعض الدعوات تجعل قدوتها في المعرفة بعض الصحابة أو الأولياء الذين لم يجعلهم الله تعالى ولا رسوله قدوة. بل قد يتخذ بعضهم قدوة من العرفاء والمتصوفة غير المسلمين .. إلى آخر ما هنالك من تعدد الأساليب والأهداف

والقدوات .

ولهذا ، فإن من المشكّل جداً أن ندعو الناس إلى معرفة الله تعالى عن طريق معرفة النفس ، ونقول لهم اقتدوا بأستاذكم حتى يصل أحدكم إلى الله تعالى فيصير أستاداً مجتهداً ! فما أيسر أن يجلس الشيطان في هذا الطريق وينحرف بالإنسان !

سابعاً: بما أن حب الذات أقوى غرائز الإنسان على الإطلاق ، فإن دعوة العوام بل وأكثر المتعلمين إلى سلوك طريق العرفان والتصوف بدون تحديد الوسائل والأهداف والقدوة ، يجعلهم في معرض الوقع في عبادة الذات وتعظيمها ، فيتخيل أحدهم أنه وصل إلى الله تعالى ، وحصل على ارتباط به ، وصار صاحب أسرار إلهية ، ويزين له الشيطان العيش في عالم من نسيج الخيال وحب الذات ، وقد تظهر منه ادعاءات باطلة واتجاهات منحرفة ، أعادنا الله وجميع المؤمنين .

لذلك فإن الإهتمام في المعرفة وتعيين وسائلها وهدفها من أول ضرورياتها ، فالواجب التركيز على القدوة في معرفة النفس والسلوك ، قبل الدعوة إلى سلوك طريق لا إمام له .

ثامناً: ما دامت معرفة النفس عند المتصوفة طريقاً إلى معرفة الله تعالى ، ومعرفة الله تعالى طريقاً إلى عبادته ، فالهدف المتفق عليه عند الجميع هو عبادة الله سبحانه . وهذه العبادة التي هي غاية الخلق وطريق التكامل الإنساني الوحد ، إنما تحصل بإطاعته سبحانه ، وإطاعة رسوله ﷺ وإطاعة أهل بيته عليهما السلام أولي الأمر الذين أمرنا الله ورسوله بإطاعتهم والاقتداء بهم .

ولذلك فلابد في الدعوة إلى المعرفة والعرفان وتزكية النفس وتطهيرها وجهادها وغرس الفضائل فيها .. أن تتقيد بإطاعة الأحكام الشرعية كاملة ، وتنخذ من

النبي وآلـه صلـى الله عـلـيه وعلـيهـم قـدوـة وآئـمـة فـي المـسـلـك وـالـسـلـوك .. حتـى تكون طـرـيقـاً صـحـيـحاً فـي الـحـيـاة ، موـصـلـة إـلـى رـضـوـان الله تعـالـى. ولـذـلـك أـجـاب أـحـدـ الفـقـهـاءـ شـخـصـاً سـأـلـهـ ماـ هـوـ الـعـرـفـانـ ، وـكـيـفـ يـكـونـ إـلـيـنـسـانـ عـارـفـاًـ ، فـقـالـ لـهـ: هـذـهـ الأـحـكـامـ الشـرـعـيـةـ الـتـيـ تـطـبـقـهـاـ يـوـمـيـاـ فـتـصـلـيـ وـتـقـوـمـ بـالـلـوـاجـبـاتـ وـتـرـكـ الـمـحـرـمـاتـ هـيـ الـعـرـفـانـ ، وـأـنـتـ بـسـلـوكـكـ هـذـاـ تـمـارـسـ الـمـعـرـفـةـ .

وـمـنـ الطـبـيـعـيـ أـنـ يـكـونـ ذـلـكـ السـلـوكـ عـلـى درـجـاتـ وـمـرـاتـبـ وـمـقـامـاتـ ، وـلـكـنـهاـ تـتـحـقـ مـنـ هـذـاـ الطـرـيقـ الـذـيـ سـلـكـهـ النـبـيـ وـآلـهـ وـتـلـامـذـتـهـمـ ، لـاـ مـنـ غـيرـهـ .

\* \* \*



## الفصل العاشر

معرفة النبي والأئمة صلوات الله عليهم



يجب على كل الناس معرفة النبي ﷺ

الكافي: ١٦٨/١

علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن العباس بن عمر الفقيمي ، عن هشام بن الحكم ، عن أبي عبد الله عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُبَرَّكُ أَنَّهُ قَالَ لِلْزَنْدِيقَ الَّذِي سَأَلَهُ مِنْ أَيْنَ أَثْبَتَ الْأَنْبِيَاءَ وَالرَّسُلَ؟ قَالَ: أَنَّهُ لَمَّا أَثْبَتَنَا أَنَّ لَنَا خَالقًا صَانِعًا مَتَعَالِيًّا عَنَا وَعَنِ الْجَمِيعِ مَا خَلَقَ ، وَكَانَ ذَلِكَ الصَّانِعُ حَكِيمًا مَتَعَالِيًّا لَمْ يَجُزْ أَنْ يَشَاهِدَهُ خَلْقُهُ وَلَا يَلَمِسُهُ ، فَيَبَاشِرُهُمْ وَيَبَاشِرُوهُ وَيَحَاجِجُهُمْ وَيَحَاجِجُوهُ ، ثَبَّتَ أَنَّ لَهُ سُفَرَاءَ فِي خَلْقِهِ ، يَعْبُرُونَ عَنْهُ إِلَى خَلْقِهِ وَعِبَادِهِ ، وَيَدْلُوْنَهُمْ عَلَى مَصَالِحِهِمْ وَمَنَافِعِهِمْ وَمَا بِهِ بَقَاءُهُمْ وَفِي تَرْكِهِ فَنَوَّهُمْ ، فَثَبَّتَ الْأَمْرُونَ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْحَكِيمِ الْعَلِيمِ فِي خَلْقِهِ وَالْمُعْبَرُونَ عَنْهُ عَزَّ وَجَلَّ ، وَهُمُ الْأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِمُ الْكَلَمُ الْمُبَرَّكُ وَصَفْوَتُهُ مِنْ خَلْقِهِ ، حَكَمَاءُ مُؤَدِّبِينَ بِالْحُكْمَةِ ، مَبْعُوثُينَ بِهَا ، غَيْرُ مُشَارِكِينَ لِلنَّاسِ - عَلَى مُشَارِكَتِهِمْ لَهُمْ فِي الْخُلُقِ وَالْتَّرْكِيبِ - فِي شَيْءٍ مِنْ أَحْوَالِهِمْ ، مُؤَيِّدِينَ مِنْ عِنْدِ الْحَكِيمِ الْعَلِيمِ بِالْحُكْمَةِ ، ثُمَّ ثَبَّتَ ذَلِكَ فِي كُلِّ دَهْرٍ وَزَمَانٍ مِمَّا أَتَتْ بِهِ الرَّسُلُ وَالْأَنْبِيَاءُ مِنَ الدَّلَائِلِ وَالْبَرَاهِينِ ، لَكِيلًا تَخْلُو أَرْضُ اللَّهِ مِنْ حَجَةٍ ، يَكُونُ مَعَهُ عِلْمٌ يَدْلِلُ عَلَى صَدْقَ مَقَالَتِهِ وَجُوازِ عَدَالَتِهِ .

دعائم الإسلام: ٥/١

فَأَمَّا مَا فَرَضَ عَلَى الْقَلْبِ مِنَ الْإِيمَانِ فَالْإِقْرَارُ وَالْمَعْرِفَةُ وَالْعَقْدُ وَالرَّضَا وَالتَّسْلِيمُ

بأن الله تبارك وتعالى هو الواحد ، لا إله إلا هو وحده لا شريك له إلهاً واحداً أحداً صمداً لم يتخذ صاحبة ولا ولداً ، وأن محمداً عبده ورسوله ﷺ والإقرار بما كان من عند الله مننبي أو كتاب ، وذلك ما فرض على القلب من الإقرار والمعرفة .

#### الهداية للصدق ٥

يجب أن يعتقد أن النبوة حق كما اعتقدنا أن التوحيد حق ، والأنبياء الذين بعثهم الله مئة ألفنبي وأربعة وعشرون ألفنبي ، جاؤوا بالحق من عند الحق وأن قولهم قول الله وأمرهم أمر الله وطاعتهم طاعة الله ومعصيتهم معصية الله ، فإنهم لم ينطقوا إلا عن الله تبارك وتعالى وعن وحيه . وأن سادة الأنبياء خمسة الذين عليهم دارت الرحى ، وهم أصحاب الشرائع وهم أولوا العزم: نوح ، وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى ، ومحمد صلوات الله عليهم ، وأن محمداً ﷺ سيدهم وأفضلهم ، وأنه جاء بالحق وصدق المرسلين ، وأن الذين كذبوا لذائقوا العذاب الأليم ، وأن الذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون .

ويجب أن يعتقد أن الله تعالى لم يخلق خلقاً أفضل من محمد ﷺ ومن بعده الأئمة صلوات الله عليهم ، وأنهم أحب الخلق إلى الله عز وجل وأكرمهم عليه ، وأولئم إقراراً به لما أخذ الله ميثاق النبيين من الذر ، وأشهدهم على أنفسهم ألسنت بربكم قالوا بلى ، وأن الله بعث نبيه ﷺ في الذر ، وأن الله أعطى ما أعطى كلنبي على قدر معرفته ، ونبينا ﷺ سبقهم إلى الإقرار به .

ويعتقد أن الله تبارك وتعالى خلق جميع ما خلق له ولأهل بيته ﷺ وأنه لولاهم ما خلق السماء والأرض ، ولا الجنة والنار ، ولا آدم ولا حواء ولا الملائكة ، ولا

شيئاً مما خلق ، صلوات الله عليهم أجمعين... .

رسائل الشهيد الثاني: ١٤٤/٢

الثالث ، في بيان المعارف التي يحصل بها الإيمان ، وهي خمسة أصول: الأصل الأول ، معرفة الله تعالى وتقديس. المراد بها التصديق العاجز ثابت بأنه تعالى موجود أزلاً وأبداً ، واجب الوجود لذاته... .

الأصل الثاني ، التصديق بعدله ، أي بأنه عادل. والتصديق بحكمته... .

الأصل الثالث ، التصديق بنبوة محمد ﷺ وبجميع ما جاء به ، تفصيلاً فيما علم تفصيلاً ، وإجمالاً فيما علم إجمالاً. وليس بعيداً أن يكون التصديق الإجمالي بجميع ما جاء به ﷺ كافياً في تحقق الإيمان ، وإن كان المكلف قادرًا على العلم بذلك تفصيلاً يجب العلم بتفاصيل ما جاء به من الشرائع للعمل به .

وأما تفصيل ما أخبر به من أحوال المبدأ والمعاد ، كالتكليف بالعبادات ، والسؤال في القبر وعذابه ، والمعاد الجسماني ، والحساب والصراط ، والجنة ، والنار ، والميزان ، وتطاير الكتب ، مما ثبت مجيوه به تواتراً ، فهل التصديق بتفاصيله معتبرة في تتحقق الإيمان؟ صرخ باعتباره جمع من العلماء. والظاهر أن التصديق به إجمالاً كاف، بمعنى أن المكلف لو اعتقد حقيقة كل ما أخبر به ﷺ بحيث كلما ثبت عنده جزئي منها صدق به تفصيلاً كان مؤمناً وإن لم يطلع على تفاصيل تلك الجزئيات بعد ، ويفيد ذلك أن أكثر الناس في الصدر الأول لم يكونوا عالمين بهذه التفاصيل في الأول ، بل كانوا يطلعون عليها وقتاً فوقتاً ، مع الحكم بإيمانهم في كل وقت من حين التصديق بالوحدانية والرسالة ، بل هذا حال أكثر الناس في جميع الاعصار كما هو المشاهد ، فلو اعتبرناه لزم خروج

أكثر أهل الإيمان عنه ، وهو بعيد عن حكمة العزيز الحكيم. نعم العلم بذلك لا ريب أنه من مكملات الإيمان . . . .

#### كشف الغطاء/٤

... ثم لا تجب على الأمم اللاحقة معرفة الأنبياء السابقين ، نعم ربما وجب معرفة أن الله أنبياء قد سبقت دعوتهم وانقرضت ملتهم على الاجمال. ويجب معرفة عصمتهم بالدليل ، ويكتفي فيه أنه لو جاز عليه الخطأ والخطيئة لم يبق وثيق بإخباره ولا إعتماد على وعده ووعيده ، فتنتهي فائدةبعثة .

#### يعرف النبي بالمعجزة والإمام بالنص والمعجزة

رسائل الشريف المرتضى: ١٨/٣

باب ما يجب اعتقاده في النبوة. متى علم الله سبحانه أن لنا في بعض الأفعال مصالح وألطافاً ، أو فيها ما هو مفسدة في الدين ، والعقل لا يدل عليها ، وجب بعثة الرسول لتعريفه ، ولا سبيل إلى تصديقه إلا بالمعجز. وصفة المعجز أن يكون خارقاً للعادة ، ومطابقاً لدعوى الرسول ومتعلقاً بها ، وأن يكون متعدراً في جنسه أو صفتة المخصوصة على الخلق ، ويكون من فعله تعالى أو جارياً مجرى فعله تعالى ، وإذا وقع موقع التصديق فلا بد من دلالته على المصدق وإلا كان قبيحاً .

... باب ما يجب إعتقاده في الإمامة وما يتصل به أوجب في الإمام عصمته ، لأنه لو لم يكن كذلك ل كانت الحاجة إليه فيه ، وهذا ينافي من الرؤساء والإنتهاء إلى رئيس معصوم. وواجب أن يكون أفضل من رعيته وأعلم ، لقبع تقديم المفضول على الفاضل فيما كان أفضل منه فيه في العقول. فإذا وجبت عصمته وجب النص من الله تعالى عليه وبطل إختيار الإمامة ، لأن العصمة لا طريق للأئم إلى العلم

بمن هو عليها .

### الاقتصاد للشيخ الطوسي/ ١٥١

ولا طريق إلى معرفة النبي إلا بالمعجز ، والمعجز في اللغة عبارة عن جعل غيره عاجزاً ، مثل المقدور الذي يجعل غيره قادرًا إلا أنه صار بالعرف عبارة عما يدل على صدق من ظهر على يده وختص به ، والمعتمد على ما في العرف دون مجرد اللغة .

والمعجز يدل على ما قلناه بشروط: أولها أن يكون خارقاً للعادة ، والثاني يكون من فعل الله أو جارياً مجرى فعله ، والثالث أن يتعدى على الخلق جنسه أو صفتة المخصوصة ، والرابع أن يتعلق بالمدعى على وجه التصديق لدعواه .

... فعلى هذا لا يلزم أن يظهر الله على يد كل إمام معجزاً ، لأنه يجوز أن يعلم إمامته بنص أو طريق آخر ، ومتى فرضنا أنه لا طريق إلى معرفة إمامته إلا المعجز وجب إظهار ذلك عليه وجرى مجرى النبي سواء ، لأنه لابد لنا من معرفته كما لابد لنا من معرفة النبي المتحمل لمصالحنا. ولو فرضنا في النبي علمنا نبوته بالمعجز أنه نص على النبي آخر لاغنى ذلك عن ظهور المعجز على يد النبي الثاني ، بأن نقول: النبي الأول أعلمنا أنه النبي ، كما يعلم بنص إمام على إمامته ولا يحتاج إلى معجز .

وتجب معرفة الأئمة لأن الله تعالى فرض طاعتهم

رسائل الشهيد الثاني: ١٤٥/٢

الأصل الرابع: التصديق بإمامية الإثني عشر صلوات الله عليهم أجمعين ، وهذا الأصل اعتبرته في تحقق الإيمان الطائفة المحققة الإمامية، حتى أنه من ضروريات

مذهبهم ، دون غيرهم من المخالفين ، فإنه عندهم من الفروع ....

الكافي: ١٨٠/١

عده من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد بن خالد عن أبيه ، عن ذكره ، عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلي ، عن أبيه ، عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: إنكم لا تكونون صالحين حتى تعرفوا ولا تصدقوا ، حتى تصدقوا ولا تصدقوا ، حتى تسلموا ، أبواباً أربعة لا يصلح أولها إلا باخرها . . . إنما يتقبل الله من المتقين ، فمن اتقى الله فيما أمره لقى الله مؤمناً بما جاء به محمد عَلَيْهِ السَّلَامُ هيهات هيهات فات قوم وماتوا قبل أن يهتدوا وظنوا أنهم آمنوا ، وأشركوا من حيث لا يعلمون. إنه من أتى البيوت من أبوابها اهتدى ، ومن أخذ في غيرها سلك طريق الردى ، وصل الله طاعةولي أمره بطاعة رسوله ، وطاعة رسوله بطاعته ، فمن ترك طاعة ولاة الأمر لم يطع الله ولا رسوله ، وهو الإقرار بما أنزل من عند الله عز وجل ، خذلوا زيتكم عند كل مسجد والتمسوا البيوت التي أذن الله أن ترفع ويدرك فيها اسمه ، فإنه أخبركم أنهم رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تقلب فيه القلوب والأبصار .

إن الله قد استخلص الرسل لأمره ، ثم استخلصهم مصدقين بذلك في نذرهم فقال: وإن من أمة إلا خلا فيها نذير ، تاه من جهل ، واهتدى من أبصار وعقل. إن الله عز وجل يقول: فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ، وكيف يهتدى من لا يبصر ؟ وكيف يبصر من لم يتدارك ؟ إتبعوا رسول الله وأهل بيته وأقروا بما نزل من عند الله واتبعوا آثار الهدى، فإنهم علامات الإمامة والتقوى، واعلموا أنه لو أنكر رجل عيسى ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ وأقر بمن سواه من الرسل لم

يؤمن. اقتصوا الطريق بالتماس المنار والتمسوا من وراء الحجب الآثار ، تستكملوا أمر دينكم وتومنوا بالله ربكم ...

علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن حماد بن عيسى ، عن حرizer ، عن زرار ، عن أبي جعفر عَلَيْهِ الْكَلَمُ قَالَ: ذرورة الأمر وسنانه ومفتاحه وباب الأشياء ورضا الرحمن تبارك وتعالى: الطاعة للإمام بعد معرفته ، ثم قال: إن الله تبارك وتعالى يقول: من يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّ فَمَا أَرْسَلْنَاكُمْ عَلَيْهِمْ حَفِظًا .

الحسين بن محمد الأشعري ، عن معلى بن محمد ، عن الحسن بن علي الوشاء عن أبان بن عثمان ، عن أبي الصباح قال: أشهد أني سمعت أبا عبدالله عَلَيْهِ الْكَلَمُ يقول: أشهد أن علياً إمام فرض الله طاعته ، وأن الحسن إمام فرض الله طاعته ، الحسين إمام فرض الله طاعته ، وأن علي بن الحسين إمام فرض الله طاعته ، وأن محمد بن علي إمام فرض الله طاعته .

محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن الحسين بن سعيد ، عن حماد بن عيسى عن الحسين بن المختار ، عن بعض أصحابنا ، عن أبي جعفر عَلَيْهِ الْكَلَمُ في قول الله عز وجل: وَأَتَيْهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا . قال: الطاعة المفروضة .

أحمد بن محمد ، عن محمد بن أبي عمير ، عن سيف بن عميرة ، عن أبي الصباح الكناني قال: قال أبو عبدالله عَلَيْهِ الْكَلَمُ: نحن قوم فرض الله عز وجل طاعتنا ، ولنا صفو المال ، ونحن الراسخون في العلم ، ونحن المحسودون الذين قال الله: أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا أَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ .

أحمد بن محمد ، عن علي بن الحكم ، عن الحسين بن أبي العلاء قال: ذكرت لابي عبد الله عَلَيْهِ الْكَلَمُ قولنا في الاوصياء أن طاعتهم مفترضة قال فقال: نعم ، هم الذين قال الله تعالى: أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِكُمُ الْأَمْرِ مِنْكُمْ . وهم الذين قال الله

عز وجل: إِنَّمَا وَلِيْكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا .

وبهذا الإسناد ، عن أحمد بن محمد ، عن عمر بن خлад قال: سأله رجل فارسي الحسن عليه السلام فقال: طاعتكم مفترضة ؟ فقال نعم ، قال: مثل طاعة علي بن أبي طالب عليه السلام ؟ فقال: نعم .

وبهذا الإسناد ، عن أحمد بن محمد عن علي بن الحكم ، عن علي بن أبي حمزة عن بصير ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال سأله عن الأئمة هل يجرؤون في الأمر والطاعة مجرى واحداً ؟ قال: نعم .

علي ، عن محمد بن عيسى ، عن يونس ، عن محمد بن الفضيل قال: سأله عن أفضل ما يتقرب به العباد إلى الله عز وجل ، قال: أفضل ما يتقرب به العباد إلى الله عز وجل طاعة الله وطاعة رسوله وطاعة أولي الأمر ، قال أبو جعفر عليه السلام: حبنا إيمان وبغضنا كفر .

محمد بن الحسن ، عن سهل بن زياد ، عن محمد بن عيسى ، عن فضالة بن أيوب ، عن أبان ، عن عبد الله بن سنان ، عن إسماعيل بن جابر ، قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: أعرض عليك ديني الذي أدين الله عز وجل به ؟ قال: فقال هات ، قال قلت: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله والإقرار بما جاء به من عند الله ، وأن علياً كان إماماً فرض الله طاعته ، ثم كان بعده الحسن إماماً فرض الله طاعته ، ثم كان بعده الحسين إماماً فرض الله طاعته ، ثم كان بعده علي بن الحسين إماماً فرض الله طاعته حتى انتهى الأمر إليه ، ثم قلت: أنت يرحمك الله ؟ قال: فقال: هذا دين الله ودين ملائكته .

... ثم قال أبو عبدالله جعفر بن محمد صلى الله عليه ... وإنما يقبل الله عز وجل العمل من العباد بالفرضات التي افترضها عليهم بعد معرفة من جاء بها من عنده ، ودعاهم إليه ، فأول ذلك معرفة من دعا إليه ، وهو الله الذي لا إله إلا هو وحده والإقرار بربوبيته ، ومعرفة الرسول الذي بلغ عنه ، وقبول ما جاء به ، ثم معرفة الوصي ، ثم معرفة الأئمة بعد الرسل الذين افترض الله طاعتهم في كل عصر وزمان على أهله ، والإيمان والتصديق بأول الرسل والأئمة وآخراهم. ثم العمل بما افترض الله عز وجل على العباد من الطاعات ظاهراً وباطناً ، واجتناب ما حرم الله عز وجل عليهم ظاهره وباطنه ... .

#### الهداية للصدق ٦/

باب الإمامة. يجب أن يعتقد أن الإمامة حق ، كما اعتقد أن النبوة حق ، ويعتقد أن الله عز وجل الذي جعل النبي ﷺ نبياً هو الذي جعل الإمام إماماً ، وأن نصب الإمام و اختياره إلى الله عز وجل ، وأن فضله منه .

ويجب أن يعتقد أنه يلزم من طاعة الإمام ما يلزم من طاعة النبي ﷺ وكل فضل آتاه الله عز وجل نبيه فقد آتاه الإمام إلا النبوة ... .

باب معرفة الأئمة الذين هم حجج الله على خلقه بعد نبيه صلوات الله عليه وعليهم بأسمائهم .

يجب أن يعتقد أن حجج الله عز وجل على خلقه بعد نبيه محمد ﷺ الأئمة الإثنى عشر: أولهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ثم الحسن ، ثم الحسين ، ثم علي بن الحسين ، ثم محمد بن علي ، ثم جعفر بن محمد ، ثم موسى بن جعفر ، ثم الرضا علي بن موسى ، ثم محمد بن علي ، ثم علي بن محمد ، ثم الحسن بن علي ، ثم الحجة القائم صاحب الزمان خليفة الله في أرضه ، صلوات الله عليهم

أجمعين .

ويجب أن يعتقد أنهم أولوا الأمر الذين أمر الله بطاعتهم ، وأنهم الشهداء على الناس ، وأنهم أبواب الله والسبيل إليه والأدلة عليه ، وأنهم عيبة علمه وترجمة وحيه وأركان توحيده ، وأنهم معصومون من الخطأ والزلل ، وأنهم الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ، وأن لهم المعجزات والدلائل ، وأنهم أمان لأهل الأرض كما أن النجوم أمان لأهل السماوات ، ومثلهم في هذه الأمة كمثل سفينة نوح وباب حطة الله ، وأنهم عباد الله المكرمون الذين لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون. ويجب أن يعتقد أن حبهم إيمان وبغضهم كفر ، وأن أمرهم أمر الله ونهيهم نهي الله ، وطاعتهم طاعة الله ومعصيتهم معصية الله ، ووليهم ولـي الله وعدوهم عدو الله .

ويجب أن يعتقد أن حجة الله في أرضه و الخليفة على عباده في زماننا هذا هو القائم المنتظر ابن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام ، وأنه هو الذي أخبر النبي ﷺ به عن الله عز وجل بإسمه ونسبة ، وأنه هو الذي يملا الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً ، وأنه هو الذي يظهر الله عز وجل به دينه عليه السلام على الدين كله ولو كره المشركون ، وأنه هو الذي يفتح الله عز وجل على يده مشارق الأرض وغاربها ، حتى لا يبقى مكان إلا ينادي فيه بالأذان ويكون الدين كله لله ، وأنه هو المهدي الذي إذا خرج نزل عيسى بن مريم عليه السلام فصلى خلفه ، ويكون إذا صلى خلفه مصلياً خلف الرسول عليه السلام لأنه خليفته .

ويجب أن يعتقد أنه لا يجوز أن يكون القائم غيره ، بقي في غيبته ما بقي ، ولو

بقي في غيابه عمر الدنيا لم يكن القائم غيره ، لأن النبي ﷺ والأئمة علیهم السلام عرفوا باسمه ونسبه ونصوا به وبشروا .

ويجب أن يتبرأ إلى الله عز وجل من الأوثان الأربع: يغوث ويعوق ونسر وهبل ، ومن الأنداد الأربع اللات والعزى ومناة والشعري ، ومن عبدوهم ومن جميع أشياعهم وأتباعهم ، ويعتقد فيهم أنهم أعداء الله وأعداء رسوله وأنهم شر خلق الله ، ولا يتم الإقرار بجميع ما ذكرناه إلا بالتبري منهم .

### المقنة/ ٣٢

ويجب على كل مكلف أن يعرف إمام زمانه ، ويعتقد إمامته وفرض طاعته ، وأنه أفضل أهل عصره وسيد قومه ، وأنهم في العصمة والكمال كالأنبياء علیهم السلام يعتقد أن كل رسول الله تعالى فهونبي إمام ، وليس كل إمامنبياً ولا رسولاً ، وأن الأئمة بعد رسول الله ﷺ حجج الله تعالى وأوليائه وخاصة أصفياء الله ، أولهم وسيدهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، عليه أفضل السلام ، وبعده الحسن والحسين ، ثم علي بن الحسين ، ثم محمد بن علي بن الحسين ، ثم جعفر بن محمد ، ثم موسى بن جعفر ، ثم علي بن موسى ، ثم محمد بن علي بن موسى ، ثم علي بن محمد بن علي ، ثم الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى علیهم السلام ، لا إمامية لأحد بعد النبي ﷺ غيرهم ، ولا يستحقها سواهم ، وأنهم الحجة على كافة الانام كالأنبياء علیهم السلام وأنهم أفضل خلق الله بعد نبيه عليه وآلله السلام ، والشهداء على رعاياهم يوم القيمة ، كما أن الأنبياء علیهم السلام شهداء الله على أممهم ، وأنه بمعرفتهم وولايتهم تقبل الأعمال ، وبعد ادواتهم والجهل بهم

يستحق النار .

رسائل الكركي: ٢٩٨/٢

مسألة: معرفة تعداد الأئمة عليهم السلام شرط في صحة عقد النكاح ، أم يكفي معرفتهم وإعتقد إمامتهم إجمالاً من الزوجين من غير معرفة التعداد على الترتيب أو من غير تعداد مطلقاً؟

الجواب: إن كانت الزوجة عارفة فلا بد من معرفة الزوج .

العروة الوثقى: ٣١٨/٢

مسألة: استشكل بعض العلماء في جواز إعطاء الزكاة لعوام المؤمنين الذين لا يعرفون الله إلا بهذا اللفظ ، أو النبي أو الأئمة كلاً أو بعضاً ، شيئاً من المعارف ، الخمس واستقرب عدم الأجزاء ، بل ذكر بعض آخر أنه لا يكفي معرفة الأئمة بأسمائهم بل لابد في كل واحد أن يعرف أنه من هو وابن من ، فيشترط تعينه وتمييزه عن غيره ، وأن يعرف الترتيب في خلافتهم ، ولو لم يعلم أنه هل يعرف ما يلزم معرفته أم لا يعتبر الفحص عن حاله ، ولا يكفي الإقرار الإجمالي بأني مسلم مؤمن واثني عشري. وما ذكروه مشكل جداً ، بل الأقوى كفاية الإقرار الإجمالي وإن لم يعرف أسماؤهم أيضاً فضلاً عن أسماء آبائهم والترتيب في خلافتهم .

وتجب معرفتهم لأن الله تعالى فرض مودتهم

الغدير للاميني: ٣٢٤/٢

أخرج القاضي عياض في الشفاء عن النبي صلوات الله عليه أنه قال: معرفة آل محمد براءة من النار ، وحب آل محمد جواز على الصراط ، والولاية لآل محمد أمان من

العذاب. ويوجد في الصواعق/١٣٩ ، والإتحاف/١٥ ، ورشفة الصادي/٤٥٩ .

الغدير: ٣٠٧/٢

أخرج الحافظ أبو عبد الله الملا في سيرته أن رسول الله ﷺ قال: إن الله جعل أجري عليكم المودة في أهل بيتي ، وإنني سائلكم غداً عنهم. ورواه محب الدين الطبرى في الذخائر/٢٥ وابن حجر في الصواعق/١٠٢ و ١٣٦ والسمهودي في جواهر العقدin .

قال جابر بن عبد الله: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ وقال: يا محمد أعرض علي الإسلام .

فقال: تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدًا عبده ورسوله .

قال: تسلّني عليه أجرًا قال: لا ، إلا المودة في القربى .

قال: قرابتى أو قرابتك !

قال: قرابتى .

قال: هات أبأيتك ، فعلى من لا يحبك ولا يحب قرابتك لعنة الله .

فقال النبي ﷺ: آمين .

أخرجه الحافظ الكنجى في الكفاية/٣١ من طريق الحافظ أبي نعيم ، عن محمد بن أحمد بن مخلد ، عن الحافظ ابن أبي شيبة بإسناده .

وأخرج الحافظ الطبرى ، وابن عساكر ، والحاكم الحسكتاني في شواهد التنزيل لقواعد التفضيل ، بعدة طرق عن أبي أمامة الباهلى ، قال قال رسول الله ﷺ: إن الله خلق الأنبياء من أشجار شتى ، وخلقني من شجرة واحدة ، فأنا أصلها وعلي فروعها وفاطمة لقاحها والحسن والحسين ثمرها ، فمن تعلق بعاصن من أغصانها نجا ، ومن زاغ عنها هوى ، ولو أن عبداً عبد الله بين الصفا والمروة ألف عام ثم

ألف عام ثم ألف عام ، ثم لم يدرك محبتنا ، أكبه الله على منخريه في النار. ثم  
تلا: قل لا أسألكم عليه أجرًا إلا المودة في القربى .

الغدير: ٢٤٢/١

شمس الدين أبوالمظفر سبط ابن الجوزي الحنفي المتوفى ٦٥٤ ، رواه في  
تذكرةه ١٩٦ قال: ذكر أبوإسحاق الشعبي في تفسيره ياسناده أن النبي (ص) لما قال  
ذلك (يعني حديث الولاية) طار في الأقطار وشاع في البلاد والأمصار فبلغ ذلك  
الحرث بن النعمان الفهري فأناه على ناقة له فأناخها على باب المسجد ، ثم عقلها  
وجاء فدخل في المسجد فجثا بين يدي رسول الله (ص) فقال: يا محمد إنك أمرتنا  
أن نشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله فقبلنا منك ذلك ، وإنك أمرتنا أن نصلي  
خمس صلوات في اليوم والليلة ونصوم رمضان ونحج البيت وننزع كي أموالنا فقبلنا  
منك ذلك ، ثم لم ترض بهذا حتى رفعت بضبعي ابن عمك وفضله على الناس  
وقلت: من كت مولاه فعلي مولاه. فهذا شئ منك أو من الله !

فقال رسول الله (ص) وقد احمرت عيناه: والله الذي لا إله إلا هو ما هو إلا من الله .  
فولى الحرث وهو يقول: اللهم إن كان ما يقول محمد حقاً فأرسل من السماء  
 علينا حجارة أو ائتنا بعذاب أليم ! قال: فوالله ما بلغ ناقته حتى رماه الله من السماء  
 بحجر فوقع على هامته فخرج من دبره ومات ، وأنزل الله تعالى: سأَلَ سَائِلٍ بِعَذَابٍ  
 وَأَقِعٍ . الآيات... .

شمس الدين الشرييني القاهري الشافعى المتوفى ٩٧٧ (المترجم ١٣٥) قال: في  
تفسيره السراج المنير ٣٦٤/٤: اختلف في هذا الداعي فقال ابن عباس: هو النضر  
بن الحرث ، وقيل: هو الحرث بن النعمان . . . انتهى .

ملاحظة: لا ينافي هذا الحديث نزول الآية في مكة ، لأن ما وقع في المدينة يكون تأويلاً ، فيكون المعنى أن الحرج الفهري هو السائل بالعذاب الذي أخبر عنه الله تعالى قبل ذلك ، أو يكون مصداقاً للسائلين بالعذاب . على أنه لا مانع من القول بنزول جبرئيل مرة أخرى بالآية مؤكداً حادثة تأويلاً ، بل لا مانع من نزول الآية مرتين .

الشفا للقاضي عياض جزء ٤٧/٢

فصل. ومن توقيره (ص) وبره بر آله وذريته وأمهات المؤمنين أزواجه كما حضر عليه (ص) وسلكه السلف الصالح رضي الله عنهم ، قال الله تعالى: إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْيَتَامَةِ . الآية. وقال تعالى: وَأَزْوَاجُهُ أَمْهَاتُهُمْ . أخبرنا الشيخ أبو محمد بن أَحمد العدل من كتابه وكتبت من أصله ، حدثنا أبو الحسن المقرىي الفرغانى ، حدثتني أم القاسم بنت الشيخ أبي بكر الخفاف ، قالت حدثني أبي حدثنا خاتم هو ابن عقيل ، حدثنا يحيى هو ابن اسماعيل ، حدثنا يحيى هو الحمائى ، حدثنا وكيع ، عن أبيه ، عن سعيد بن مسروق ، عن يزيد بن حيان ، عن زيد بن أرقم (رض) قال قال رسول الله (ص): أَنْشَدَ كُمُ اللَّهُ أَهْلَ بَيْتِي ، ثَلَاثَةً . قَلْنَا لِزِيدَ: مَنْ أَهْلُ بَيْتِهِ؟ قَالَ آلُ عَلِيٍّ وَآلُ جَعْفَرٍ وَآلُ عَقِيلٍ وَآلُ الْعَبَاسِ .

وقال (ص): إِنِّي تَارِكٌ فِيْكُمْ مَا إِنْ أَخْذَتُمْ بِهِ لَمْ تَضْلُّوْا: كِتَابُ اللَّهِ وَعَتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي ، فَانظُرُوا كَيْفَ تَخْلُفُونِي فِيهِمَا .

وقال (ص): معرفة آل محمد (ص) براءة من النار ، وحب آل محمد جواز على الصراط ، والولاية لآل محمد أمان من العذاب .

قال بعض العلماء: معرفتهم هي معرفة مكانهم من النبي (ص) وإذا عرفهم بذلك ، عرف وجوب حقهم وحرمتهم بسببه. انتهى .

ونلاحظ أن القاضي عياضًا قد بتر حديث الغدير الذي يرويه مسلم وغيره ، فلم يرو إلا جزءاً من آخره، ثم فسر معرفة آل محمد بأنها معرفة نسبهم من النبي ﷺ أو معرفة معزته لهم، مدعياً أن الإنسان يستحق براءة من النار ! وهذا من عجائب الفتوى التي تجعل الجنة مشروطة بمعرفة نسب آل النبي صلى الله عليه وعليهم ! أما اتباعهم وإطاعتهم ، وموالاة من ولديهم ومعاداة عدوهم فلا يجب منه شيء ! وقد تعرض السيد شرف الدين لهذا الحديث في المراجعات ٨٢ وقال في هامشه: أورده القاضي عياض في الفصل الذي عقده لبيان أن من توقيره وبره ﷺ بآل وذراته ، من كتاب الشفا في أول ٤٠ من قسمه الثاني طبع الاستانة سنة ١٣٢٨ ، وأنت تعلم أن ليس المراد من معرفتهم هنا مجرد معرفة أسمائهم وأشخاصهم وكونهم أرحام رسول الله ﷺ فإن أبا جهل وأبا لهب ليعرفان ذلك كله ، وإنما المراد معرفة أنهم أولوا الأمر بعد رسول الله على حد قوله ﷺ: من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية. انتهى .

ومن الطريف أن القاضي عياضًا روى بعد هذا الحديث أحاديث أخرى تفسر

معرفة أهل البيت ع عليهم السلام بخلاف ما فسرها ، قال:

وعن عمر بن أبي سلمة لما نزلت: إِنَّمَا يُؤْيِدُ اللَّهُ لِيُذْهَبَ عَنْكُمُ الرِّجْسُ أَهْلُ الْيَتِيمِ ، الآية - وذلك في بيت أم سلمة - دعا فاطمة وحسناً وحسيناً فجللهم بكساء وعلي خلف ظهره ثم قال: اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً .

وعن سعد بن أبي وقاص: لما نزلت آية المباهلة دعا النبي (ص) علياً وحسناً وحسيناً وفاطمة وقال: اللهم هؤلاء أهلي .

وقال النبي (ص) في علي: من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وال من واله  
وعاد من عاده. وقال فيه: لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق . . .  
وقال أبو بكر (رض): إرقبوا محمداً في أهل بيته. انتهى !

**وتجب معرفتهم لأن الله تعالى فرض الصلاة عليهم**

رسائل الشري夫 المرتضى: ٢٤٩/٢

الرسالة الباهرة في العترة الطاهرة. بسم الله الرحمن الرحيم. قال (رض): مما يدل  
أيضاً على تقديمهم عليهم السلام وتعظيمهم على البشر أن الله تعالى دلنا على أن المعرفة  
بهم كالمعرفة به تعالى في أنها إيمان وإسلام ، وإن الجهل والشك فيهم كالجهل  
به والشك فيه في أنه كفر وخروج من الإيمان ، وهذه منزلة ليس لأحد من البشر  
إلا لنبينا صلوات الله عليه وبعده لامير المؤمنين عليه السلام والأئمة من ولده على جماعتهم السلام.  
لأن المعرفة بنبوة الأنبياء المتقدمين من آدم إلى عيسى عليه السلام أجمعين غير واجبة  
 علينا ولا تعلق لها بشئ من تكاليفنا ، ولو لا أن القرآن ورد بنبوة من سمي فيه من  
الأنبياء المتقدمين فعرفناهم تصديقاً للقرآن وإلا فلا وجه لوجوب معرفتهم علينا،  
ولا تعلق لها بشئ من أحوال تكليفنا .

وبقي علينا أن ندل على أن الأمر على ما ادعيناه .

والذي يدل على أن المعرفة بإمامية من ذكرناه عليهم السلام من جملة الإيمان وأن  
الإخلال بها كفر ورجوع عن الإيمان ، إجماع الشيعة الإمامية على ذلك فإنهم لا  
يختلفون فيه ، وإن جماعتهم حجة بدلالة أن قول الحجة المعصوم الذي قد دلت  
العقول على وجوده في كل زمان في جملتهم وفي زمرتهم ، وقد دلنا على هذه  
الطريقة في موضع كثيرة من كتبنا واستوفيناها في جواب التباينات خاصة ، وفي

كتاب نصرة ما انفردت به الشيعة الإمامية من المسائل الفقهية ، فإن هذا الكتاب مبني على صحة هذا الأصل .

ويمكن أن يستدل على وجوب المعرفة بهم عليهم السلام بإجماع الأمة ، مضافاً إلى ما بناه من إجماع الإمامية وذلك أن جميع أصحاب الشافعی يذهبون إلى أن الصلاة على نبينا صلوات الله عليه في التشهد الاخير فرض واجب ورکن من أركان الصلاة من أصل به فلا صلاة له ، وأكثرهم يقول: إن الصلاة في هذا التشهد على آل النبي عليهم الصلوات في الوجوب واللزوم ووقف أجزاء الصلاة عليها كالصلاحة على النبي صلوات الله عليه والباقيون منهم يذهبون إلى أن الصلاة على الال مستحبة وليس بواجبة .

فعلى القول الأول لابد لكل من وجبت عليه الصلاة من معرفتهم من حيث كان واجباً عليه الصلاة عليهم ، فإن الصلاة عليهم فرع على المعرفة بهم ، ومن ذهب إلى أن ذلك مستحب فهو من جملة العبادة وإن كان مسنوناً مستحباً والتعبد به يقتضي التعبد بما لا يتم إلا به من المعرفة. ومن عدا أصحاب الشافعی لا ينكرون أن الصلاة على النبي وآلـه في التشهد مستحبة ، وأي شبهة تبقى مع هذا في أنهم عليهم السلام أفضل الناس وإجلالهم وذكرهم واجب في الصلاة .

وعند أكثر الأمة من الشيعة الإمامية وجمهور أصحاب الشافعی أن الصلاة تبطل بتركه وهل مثل هذه الفضيلة لمخلوق سواهم أو تتعداهم ؟

ومما يمكن الإستدلال به على ذلك أن الله تعالى قد ألهم جميع القلوب ، وغرس في كل النفوس تعظيم شأنهم وإجلال قدرهم على تباهي مذاهبيـم واختلاف دياناتهم ونحلـهم ، وما اجتمع هؤلاء المختلفون المتباهيون مع تشتـت الاهـواء وتشـعب الاراء على شـئ كـاـجـمـاعـهـم على تعـظـيمـهـمـ من ذـكـرـنـاهـ وـإـكـبـارـهـمـ ، إنـهـمـ

يزورون قبورهم ويقصدون من شاطئ البلاد وشاطئها مشاهدهم ومدافنهم والمواضع التي وسمت بصلاتهم فيها وحلولهم بها ، وينفقون في ذلك الأموال ويستنفدون الأحوال ، فقد أخبرني من لا أحصيه كثرة أن أهل نيسابور ومن والاها من تلك البلدان يخرجون في كل سنة إلى طوس لزيارة الإمام أبي الحسن علي بن موسى الرضا صلوات الله عليهما بالجملال الكثيرة والاهبة التي لا توجد مثلها إلا للحج إلى بيت الله. وهذا مع المعروف من انحراف أهل خراسان عن هذه الجهة وازوراهم عن هذا الشعب.

وما تسخير هذه القلوب القاسية وعطف هذه الأمم البائنة إلا كالخارق للعادات والخارج عن الأمور المأثورات ، وإنما الحامل للمخالفين لهذه النحلة المنحازين عن هذه الجملة على أن يراوحوا هذه المشاهد ويعادوها ويستنزلوا عندها من الله تعالى الأرزاق ويستفتحوا الإغلال ويطلبوا ببركاتها الحاجات ويستدفعوا البليات ، والأحوال الظاهرة كلها لا توجب ذلك ولا تقتضيه ولا تستدعيه وإن فعلوا ذلك فيمن يعتقدونهم ، وأكثرهم يعتقدون إمامته وفرض طاعته ، وأنه في الديانة موافق لهم غير مخالف ومساعد غير معاند .

ومن المحال أن يكونوا فعلوا ذلك لداع من دواعي الدنيا ، فإن الدنيا عند غير هذه الطائفة موجودة وعندها هي مفقودة ، ولا لنقية واستصلاح ، فإن النقية هي فيهم لا منهم ولا خوف من جهتهم ولا سلطان لهم ، وكل خوف إنما هو عليهم فلم يبق إلا داعي الدين ، وذلك هو الأمر الغريب العجيب الذي لا ينفذ في مثله إلا مشية الله وقدرة القهار التي تذلل الصعاب ، وتقود بأزمتها الرقاب .

وليس لمن جهل هذه المزية أو تجاهلها وتعامي عنها وهو يبصرها أن يقول: إن العلة في تعظيم غير فرق الشيعة لهؤلاء القوم ليست ما عظمتهم وفختمتهم

وادعitem خرقه للعادة وخروجه من الطبيعة ، بل هي لأن هؤلاء القوم من عترة النبي ﷺ وكل من عظم النبي ﷺ فلا بد من أن يكون لعترته وأهل بيته معظمًا مكرماً ، وإذا انصاف إلى القرابة الزهد وهجر الدنيا والغفوة والعلم زاد الإجلال والإكرام لزيادة أسبابهما .

والجواب عن هذه الشبهة الضعيفة: أنه شارك أئمتنا عليهما السلام في حسبهم ونسبهم وقربائهم من النبي ﷺ غيرهم ، وكانت لكثير منهم عبادات ظاهرة وزهادة في الدنيا بادية ، وسمات جميلة وصفات حسنة ، من ولد أبيهم عليه وآلهم السلام ، ومن ولد العباس رضوان الله عليه ، فما رأينا من الإجماع على تعظيمهم وزيارة مدافئهم والاستشفاع بهم في الأغراض ، والاستدفاف بمحكمائهم للأعراض والأمراض ، وما وجدنا مشاهدًا معاينًا في هذا الشرك ، وإنما فمن ذا الذي أجمع على فرط إعظامه وإجلاله من سائر صنوف العترة في هذه الحالة يجري مجرى الباقي والصادق والكافر والرضا صلوات الله عليهم أجمعين ، لأن من عدا من ذكرناه من صلحاء العترة وزهادها ممن يعظمه فريق من الأمة ويعرض عنه فريق ، ومن عظمهم منهم وقدمه لا ينتهي في الإجلال والاعظام إلى الغاية التي ينتهي إليها من ذكرناه .

ولو لأن تفصيل هذه الجملة ملحوظ معلوم لفصيلناها على طول ذلك ولا سميانا من كيننا عنه ونظرنا بين كل معظم مقدم من العترة ليعلم أن الذي ذكرناه هو الحق الواضح ، وما عداه هو الباطل الماضح .

وبعد فمعلوم ضرورة أن الباقي والصادق ومن ولديهما من الأئمة صلوات الله عليهم أجمعين كانوا في الديانة والإعتقداد وما يفتون من حلال وحرام على خلاف ما يذهب إليه مخالفوا الإمامية ، وإن ظهر شك في ذلك كله فلا شك ولا شبهة على

منصف في أنهم لم يكونوا على مذهب الفرقة المختلفة المجتمعة على تعظيمهم والتقرب إلى الله تعالى بهم .

وكيف يعرض ريب فيما ذكرناه ، ومعلوم ضرورة أن شيخ الإمامية وسلفهم في تلك الازمان كانوا بطانة للصادق والكاظم والباقر عليهم السلام وملازمين لهم ومتمسكين بهم ، ومظهرين أن كل شئ يعتقدونه وينتقلونه ويصححونه أو يبطئونه فعنهم تلقوه ومنهم أخذوه ، فلو لم يكونوا عنهم بذلك راضين وعليه مقررين لا بوا عليهم نسبة تلك المذاهب إليهم وهم منها بريئون خليون ، ولنعوا ما بينهم من موافقة ومحالسة وملازمة وموالاة ومصافحة ومدح وإطراء وثناء ، ولا بدلوه بالذم واللوم والبراءة والعداوة ، فلو لم يكونوا عليهم السلام لهذه المذاهب معتقدين وبها راضين لبان لنا واتضح ، ولو لم يكن إلا هذه الدلالة لكتفت وأغنت . وكيف يطيب قلب عاقل أو يسوغ في الدين لأحد أن يعظم في الدين من هو على خلاف ما يعتقد أنه الحق وما سواه باطل ، ثم ينتهي في التعظيمات والكرامات إلى أبعد الغايات وأقصى النهايات ، وهل جرت بمثل هذا عادة أو مضت عليه سنة ؟

أو لا يرون أن الإمامية لا تلتفت إلى من خالفها من العترة وحاد عن جادتها في الديانة ومحجتها في الولاية ، ولا تسمح له بشئ من المدح والتعظيم فضلاً عن غايته وأقصى نهايته ، بل تثيرأ منه وتعاديه وتجريه في جميع الأحكام مجرى من لا نسب له ولا حسب له ولا قرابة ولا علقة . وهذا يوحي على أن الله خرق في هذه العصابة العادات وقلب الجبلات ، ليبين من عظيم منزلتهم وشريف مرتبهم . وهذه فضيلة تزيد على الفضائل وتربي على جميع الخصائص والمناقب ، وكفى بها برهاناً لائحاً و Mizan راجحاً ، والحمد لله رب العالمين . انتهى .

ملاحظة: نعرف قوة استدلال الشريف الرضي قدس الله نفسه عندما نلاحظ أن نি�شابور كانت مركزاً للعلماء والمذاهب المخالفة لأهل البيت عليهم السلام فمنها أئمة الحديث وأساتيد أصحاب الصدح والشخصيات العلمية السنوية. بل كانت إلى القرن السادس العاشر العلمية للسنة ، ومع ذلك كانت تخرج كلها لزيارة قبر الإمام الرضا عليه السلام في طوس ، كل سنة بقوافل كقوافل الحج !! ولا يتسع المقام للتفصيل .

الغدير للاميني: ٣٠٣/٢

في المقام أخبار كثيرة وكلمات ضافية توجد في طيات كتب الفقه والتفسير والحديث. ذكر ابن حجر في الصواعق ٨٧ قوله تعالى: إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا. وروى جملة من الأخبار الصحيحة الواردة فيها وأن النبي صلوات الله عليه قرن الصلاة على آله بالصلاحة عليه لما سئل عن كيفية الصلاة والسلام عليه ، ثم قال: وهذا دليل ظاهر على أن الأمر بالصلاحة على أهل بيته وبقية آله مراد من هذه الآية ، وإلا لم يسألوا عن الصلاة على أهل بيته وآله عقب نزولها ، ولم يجابوا بما ذكر ، فلما أجبوا به دل على أن الصلاة عليهم من جملة المأمور به ، وأنه صلوات الله عليه أقامهم في ذلك مقام نفسه ، لأن القصد من الصلاة عليه مزيد تعظيمه ومنه تعظيمهم، ومن ثم لما دخل من مر في الكسائ قال: اللهم إنهم مني وأنا منهم فاجعل صلاتك ورحمتك ومغفرتك ورضوانك على عليهم السلام وعليهم. وقضية استجابة هذا الدعاء: أن الله صلى عليهم معه ، فحينئذ طلب من المؤمنين صلاتهم عليهم معه .

ويروى: لا تصلوا على الصلاة البتراء ، فقالوا: وما الصلاة البتراء؟ قال: تقولون اللهم صل على محمد وتمسكون ، بل قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل

محمد. ثم نقل للإمام الشافعي قوله:

فرض من الله في القرآن أنزله  
يا أهل بيته رسول الله حكم  
من لم يصل عليكم لا صلاة له  
كفاكم من عظيم القدر أنكم  
فقال: فيحتمل لا صلاة له صحيحة ، فيكون موافقاً لقوله بوجوب الصلاة على  
الآل ، ويحتمل لا صلاة كاملة فيوافق أظهر قوله .

وقال في هامش الغدير: نسبهما إلى الإمام الشافعي الزرقاني في شرح المawahب  
و77 جمع آخرون .

وقال ابن حجر في ١٣٩ من الصواعق: أخرج الدارقطني والبيهقي حديث: من  
صلى صلاة ولم يصل فيها علىٰ وعلىٰ أهل بيته لم تقبل منه. وકأن هذا الحديث  
هو مستند قول الشافعي(رض): إن الصلاة على الآل من واجبات الصلاة كالصلاحة  
عليه ﷺ لكنه ضعيف ، فمستنده الأمر في الحديث المتفق عليه: قولوا اللهم صل  
على محمد وعلى آل محمد ، والأمر للوجوب حقيقة على الأصح .

وقال الرازي في تفسيره: إن الدعاء للآل منصب عظيم ، ولذلك جعل هذا  
الدعاء خاتمة التشهد في الصلاة ، قوله: اللهم صل على محمد وآل محمد  
وارحم محمداً وآل محمد ، وهذا التعظيم لم يوجد في حق غير الآل ، فكل  
ذلك يدل على أن حب آل محمد واجب .

وقال: أهل بيته ﷺ ساواه في خمسة أشياء: في الصلاة عليه وعليهم في التشهد.  
وفي السلام. والطهارة. وفي تحريم الصدقة. وفي المحبة .

وقال النيسابوري في تفسيره عند قوله تعالى: قُلْ لَا أَسْأَكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا مَوَدَّةٌ فِي  
الْقُرْبَى ، كفى شرفاً لال رسول الله ﷺ وفخرًا ختم التشهد بذكرهم والصلاحة  
عليهم في كل صلاة .

وروى محب الدين الطبرى في الذخائر ١٩ عن جابر (رض) أنه كان يقول: لو صليت صلاة لم أصل فيها على محمد وعلى آل محمد ، ما رأيت أنها تقبل .

وأخرج القاضي عياض في الشفا عن ابن مسعود مرفوعاً: من صلى صلاة لم يصل على فيها وعلى أهل بيته ، لم تقبل منه .

وللقاضي الخفاجي الحنفي في شرح الشفا ٥٠٥-٥٠٠/٣ فوائد جمة حول المسألة وذكر مختصر ما صنفه الإمام الخيصري في المسألة سماه: زهر الرياض في رد ما شنحه القاضي عياض .

وصور الصلوات المأثورة على النبي وآلته مذكورة في ( شفاء السقام ) لتقى الدين السبكي ١٨١-١٨٧ ، وأورد جملة منها الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد: ١٦٣/١٠ وأول لفظ ذكره عن بريدة قال: قلنا يا رسول الله قد علمنا كيف نسلم عليك ، فكيف نصلي عليك؟ قال قولوا: اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على محمد وآل محمد ، كما جعلتها على آل إبراهيم إنك حميد مجيد . انتهى . وقد روت مصادر إخواننا السنة هذا الحديث وصححته ، ولكنهم لا يعملون به إلا في صلاتهم ، فتراهم غالباً يصلون على النبي وحده في غير صلاتهم ، حتى في أدعيةهم ، مع أنهم رروا أن الدعاء لا يقبل ولا يصعد إلى الله تعالى إذا لم يصل معه على النبي ﷺ ورروا أن النبي علمهم كيفية الصلاة عليه ، فكأن استجابة أدعيةهم ليست مهمة عندهم !

ولا يسع المجال لايقاد الأحاديث الكثيرة في فضل الصلاة على النبي وآل ﷺ وأحكامها وكيفيتها التي يسمونها الصلاة الإبراهيمية ، وهي جديرة ببحث مفصل ، وقد ألف فيها عدد من القدماء رسائل مستقلة .

وقد روى أحاديث الصلاة الإبراهيمية الإمام مالك في كتاب الموطأ: ١٦٥ ، وكتاب

المسند/ ٣٤٩ ، وكتاب الام: ١٤٠/١ ، والبخاري في صحيحه: ١١٨/٤ - ١٩ وج ٢٧/٦  
 وج ١٥٧/٧-١٥٦ ، ومسلم: ١٧-١٦/٢ ، وابن ماجة: ٢٩٣/١ ، وأبو داود: ٢٢١/١-٢٢٢ ،  
 والترمذى: ٣٨/٥ ، والنسائى: ٤٥/٣ ، وأحمد: ١١٨/٤-٥٠ وص ١١٩-١١٨/٤ وج ٢٤٤ وص ٣٥٣/٥  
 وص ٤٢٤ ، والدارمى: ١٦٥/١ وص ٣٠٩ ، والحاكم: ٢٦٨/١-٢٧٠ ، والبىهقى فى  
 سنته: ١٤٦/٢-١٥٣ وص ٣٧٨-٣٧٩ ، والهيثمى فى مجمع الزوائد: ١٤٤-١٤٥/٢ ،  
 والهندى فى كنز العمال: ٢٦٦/٢-٢٨٣ وص ٥ ، وأورد السبوطى عدداً كبيراً من  
 أحاديثها فى الدر المنشور: ٢١٥/٥-٢٢٠ ، وغيره من المفسرين ، والفقهاء كالنوى فى  
 المجموع: ٤٦٦/٣ ، وابن قدامة فى المغني: ٥٨٠/١ ، وابن حزم فى المحلى: ٢٧٢/٣....  
 ولا نطيل بذكر كلماتهم .

#### الشفا للقاضي عياض جزء ٦٤/٢

في الحديث: لا صلاة لمن لم يصل على ، قال ابن القصار معناه كاملاً أو لمن  
 لم يصل على مرة في عمره. وضعف أهل الحديث كلهم رواية هذا الحديث .

وفي حديث أبي جعفر عن ابن مسعود عن النبي (ص): من صلى صلاة لم يصل  
 فيها على وعلى أهل بيتي لم تقبل منه. قال الدارقطني: الصواب أنه من قول أبي  
 جعفر محمد بن الحسين: لو صلية صلاة لم أصل فيها على النبي (ص) ولا على  
 أهل بيته لرأيت أنها لا تتم . . . .

فقال النبي (ص): عجل هذا ، ثم دعاه فقال له ولغيره: إذا صلى أحدكم فليبدأ  
 بتحميد الله والثناء عليه ، ثم ليصل على النبي (ص) ، ثم ليدع بعد بما شاء ، ويروى  
 من غير هذا السيد بتمجيد الله وهو أصح .

وعن عمر بن الخطاب (رض) قال: الدعاء والصلاحة معلق بين السماء والأرض فلا  
 يصعد إلى الله منه شئ حتى يصلى على النبي (ص).

وقال الأربيلـي في زبدة البيان/٨٤

التاسعة: إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا . . .  
 قال في الكشاف: الصلاة عليه واجبة ، وقد اختلفوا في حال وجوبها ، فمنهم من أوجبها كلما جرى ذكره ، وفي الحديث: من ذكرت عنده فلم يصل على فدخل النار فأبعده الله . . . ومنهم من قال: تجب في كل مجلس مرة ، وإن تكرر ذكره ، كما قيل في آية السجدة ، وتسميت العاطس وكذلك في كل دعاء في أوله وآخره ، ومنهم من أوجبها في العمر مرة وكذا قال في إظهار الشهادتين مرة ، والذي يتضمنه الاحتياط الصلاة عليه عند كل ذكر ، لما ورد من الأخبار. انتهى .  
 والأخبار من طرقنا أيضاً مثل الأول موجودة مع صحة بعضها ، ولا شك أن احتياط الكشاف أحوط ، واختار في كنز العرفان الوجوب كلما ذكر وقال إنه اختيار الكشاف . . . ثم قال في الكشاف: فإن قلت: فما تقول في الصلاة على

غيره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

قلت: القياس يتضمن جواز الصلاة على كل مؤمن ، لقوله تعالى: هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ ، وقوله: وصل عليهم إن صلوتك سكن لهم ، وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اللهم صل على آل أبي أوفى ، ولكن للعلماء تفصيلاً في ذلك ، وهو أنها إن كان على سبيل التبع كقولك صلى الله على النبي وآلـه ، فلا كلام فيها ، وأما إذا أفرد غيره من أهلـ البيت بالصلاـة كما يفردـ هو ، فمـكرـوه لأنـ ذلك صـارـ شـعـارـاً لـذـكـرـ رسولـ اللهـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولـانـهـ يـؤـديـ إـلـىـ الـاتـهـامـ بـالـرـفـضـ ! (راجع تفسير الكشاف: ٥٤٩/٢)

ولا يخفى ما فيه فإنـ ما ذـكرـهـ بـرهـانـ لـاـ قـيـاسـ ، وإنـ البرـهـانـ منـ العـقـلـ وـالـنـقلـ كـتابـاً وـسـنةـ كـماـ نـقـلـهـ ، وـمـثـلـهـ قـولـهـ تـعـالـى: وَيَسِّرْ الصَّابَرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُّصِيَّةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِحُونَ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَواتٌ مِّنْ رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ، فإنـها تـدلـ عـلـىـ أـنـ صـلـواتـ اللهـ

على من يقول هذا بعد المصيبة ، ولا شك في صدوره كذلك عن أهل البيت بل غيرهم أيضاً. فإذا ثبت لهم الصلاة من الله فيجوز القول بذلك لهم، وهو ظاهر اقتضى جوازه مطلقاً ، بل الإنفراد بخصوصه فلا مجال للتفصيل.... وإنما صار ذلك شعار الرافضة لأنهم فعلوا ذلك ، وتركه غيرهم بغير وجه ، وإنما هو مقتضى البرهان ، ومع ذلك لا يستلزم كونه شعاراً لهم ، ومتدواولاً بينهم تركه ، وإنما يلزم ترك العبادات كذلك فإنها شعارهم .

وبالجملة لا ينبغي منع ما يقتضي العقل والنقل جوازه بل استحبابه وكونه عبادة ، بسبب أن جماعة من المسلمين يفعلون هذه السنة والعبادة ، فإن ذلك تعصب وعناد محسن ، وليس فيه تقرب إلى الله تعالى وطلب لمرضاته وعمل الله تعالى وهو ظاهر ، ولا يناسب من العلماء العمل إلا الله .

ولهم أمثال ذلك كثيرة ، مثل ما ورد في تسليم القبور أن المستحب هو التسريح ، ولكن هو شعار للرفة فالتسليم خير منه ، وكذلك في التختم باليمين وغير ذلك، ومنه ذكر (علي) بعد قوله صلى الله عليه وعلى آله ، وترك الآل معه (ص) مع أنه مرغوب بغير نزاع، وإنما النزاع كان في الأفراد ، فإنهم يتركون الآل معه ويقولون صلى الله عليه !

والعجب أنهم يتركون الآل وفي حديث كعب حديث حيث يقولون سأله عن كيفية الصلاة عليه ، فقال عليه السلام قلوا: اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم .. إلخ. فتأمل .

وقال ابن أبي جمهور الإحسائي عن الصلاة البراء في كتابه غواي الثنائي: ٤٠/٢: وبمعناه ما رواه الإمام السخاوي الشافعي في القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع في الباب الأول ، في الأمر بالصلاحة على رسول الله صلوات الله عليه وسلم ولفظ الحديث:

ويروي عنه (ص) مما لم أقف على إسناده: لا تصلوا عليَّ الصلاة البتيرا ، قالوا وما الصلاة البتيرا يا رسول الله ؟ قال: تقولوا: اللهم صل على محمد وتمسكون ، بل قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد. أخرجه أبو سعد في شرف المصطفى. انتهى .

**ملاحظة:** كان أكثر علماء السنة في القرون الماضية يصلون على النبي في كتبهم بصيغة (عليه السلام) ونلاحظ ذلك بوضوح في مخطوطات كتبهم التي وصلت إلينا سالمة ولم تمسها يد المحرفين والنواصب. ويظهر أن حذف الصلاة على آل النبي ﷺ انتشر مع موجة التعصب العثماني الأخيرة ضد الشيعة. وقد ورث هذه الموجة وأفطرت فيها الوهابيون و (المحققون) والناشرون الذين أطعموهم من سحت أموالهم ، فمدوا أيديهم إلى كتب التراث وخانوا مؤلفيها فحذفوا منها وحرفوا كثيراً من الموضع ، ومن ذلك عبارة ﷺ ووضعوا بدلها (ص). والحمد لله أنه بقي في المحققين والناشرين أفراد أمناء وأصحاب ضمائر مستقيمة أثبتو الصلاة على آل النبي كما وردت في مخطوطات المؤلفين مثل مستدرك الحاكم. كما بقيت النسخ المخطوطة ومصوراتها وستبقى شاهدة على نواصب التحقيق والنشر .

كما ينبغي الاشارة إلى أن المسلمين الأوائل فهموا معنى التسليم في قوله تعالى: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صُلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ، بأنه التسليم لأمر النبي وليس السلام عليه ﷺ لأنَّه لم يقل وسلموا سلاماً. ولذا نجد أن الصلاة عليه استعملت مجردة في القرون الأولى بدون ( وسلم ) وإن كان الدعاء بتسليم الله عليه من نوع الدعاء بالصلاحة عليه ﷺ وسلم تسليماً كثيراً ، ولكنني أظن أنهم بعد أن حذفوا كلمة

(وآلها) التي كانت سائدة عند الجميع قرونًا طويلة وجدوا خلاً فملؤوه بكلمة ( وسلم) . وهذا موضوع مهم ، يحتاج إلى بحث واسع موثق .

وتجب معرفتهم لأنهم أهل الذكر الذين أمرنا الله بسؤالهم

بصائر الدرجات/٤١-٣٧

حدثنا العباس بن معروف ، عن حماد بن عيسى ، عن عمرو بن يزيد ، قال قال أبو جعفر عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُبَرَّكُ: وإنَّهُ لِذَكْرِكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تَسْأَلُونَ ، قال: رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَهْلَ بَيْتِهِ أَهْلُ الذَّكْرِ وَهُمُ الْمَسْؤُلُونَ .

حدثنا يعقوب بن يزيد ، عن ابن أبي عمير ، عن ابن أذينه ، عن بريد ، عن معاوية قال أبو جعفر عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُبَرَّكُ: فِي قَوْلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: وَإِنَّهُ لِذَكْرِكَ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ، قال: إِنَّمَا عَنَّا بَهَا ، نَحْنُ أَهْلُ الذَّكْرِ وَنَحْنُ الْمَسْؤُلُونَ . . . .

حدثنا أحمد بن محمد ، عن الحسين بن سعيد ، عن صفوان ، عن أبي عثمان ، عن المعلى بن خنيس ، عن أبي عبدالله عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُبَرَّكُ: فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذَّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ، قال: فذكرنا له حديث الكلبي أنه قال: هي في أهل الكتاب ، قال فلعنه وكذبه .

حدثنا السندي بن محمد ، عن علا ، عن محمد بن مسلم ، عن أبي جعفر عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُبَرَّكُ: فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذَّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ، أنهم اليهود والنصارى ، قال: إِذَا يَدْعُونَهُمْ إِلَى دِينِهِمْ ، ثُمَّ أَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى صَدْرِهِ فَقَالَ: نَحْنُ أَهْلُ الذَّكْرِ وَنَحْنُ الْمَسْؤُلُونَ .

حدثنا عبدالله بن جعفر ، عن محمد بن عيسى ، عن محمد بن سنان ، عن إسماعيل بن جابر وعبدالكريم ، عن عبدالحميد بن أبي الدليم ، عن أبي عبدالله

عليه في قول الله تعالى: **فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ** ، قال: كتاب الله الذكر ، وأهله آل محمد الذين أمر الله بسؤالهم ولم يؤمروا بسؤال الجهال. وسمى الله القرآن ذكراً فقال: وأنزلنا إليك الذكر لتبيّن للناس منزل إليهم ولعلهم يتفكرون .

### روضة الوعظين/ ٢٠٣

وقال البارق عليه في قوله تعالى: **فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ** ، قال نحن أهل الذكر. قال أبو زرعة: صدق محمد بن علي ، ولعمري إن أبا جعفر لمن أكبر العلماء .

### العدمة/ ٣٠٣

ومنها قوله تعالى: **فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**. وهذا أيضاً غاية في الأمر باتباعه ، لموضع الأمر بسؤاله ، وبجعله تعالى أهل الذكر ، والذكر هو القرآن ، وهو أهله بنص كتاب الله تعالى ، فوجب اتباعه واتباع ذريته ، لموضع الأمر بسؤالهم .

### نهج الحق/ ٢١٠

الثالثة والثمانون: روى الحافظ ، محمد بن موسى الشيرازي من علماء الجمهور ، واستخرجه من التفاسير الإثنى عشر ، عن ابن عباس في قوله تعالى: **فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ** ، قال: هم محمد ، وعلي ، وفاطمة ، والحسن ، والحسين. هم أهل الذكر ، والعلم ، والعقل ، والبيان ، وهم أهل بيت النبوة ، ومعدن الرسالة ، ومختلف الملائكة ، والله ما سمي المؤمن مؤمناً إلا كرامة لامير المؤمنين. ورواه سفيان الثوري عن السدي عن الحارث .

أمان الأمة/١٩٦

وأخرج الشعبي في تفسيره الكبير في تفسير قوله تعالى: فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ، عن جابر قال: قال علي بن أبي طالب: نحن أهل الذكر. وأخرجه الطبرى في تفسيره. وأخرج الحسکانى في ذلك روایات غيرها .

الخطط السياسية لتوحيد الأمة/٩٧

وما يؤكّد أنّهم أولو الأمر وأهل الذكر: أنّ الهدایة لا تدرك بعد النبى إلا بالقرآن وبهم معاً ، وأنّ الضلال لا يمكن تجنبها إلا بالقرآن وبهم معاً ، فهم أحد الثقلين بالنص ، وإن كنّت في شك من ذلك فارجع مشكوراً إلى صحيح الترمذى: ٣٢٨/٥ حديث ٣٨٧٤ ، وجامع الأصول لابن الأثير: ١٨٧/١ حديث ٦٥ ، والمعجم الكبير للطبرانى ١٣٧ ، ومشكاة المصايب: ٢٥٨/٢ ، وإحياء الميت للسيوطى بهامش الاتحاف ١١٤ ، والفتح الكبير للنبهانى: ٥٠٣/١ وج ٣٨٥/٣ والصواعق المحرقة لابن حجر ١٤٧/١ ، والمعجم الصغير للطبرانى: ١٣٥/١ ، ومقتل الحسين للخوارزمى: ١٠٤/١ ، والطبقات الكبرى لابن سعد: ١٩٤/٢ ، وخصائص النسائي: ٢١ ، ومجمع الزوائد للهشيمى: ١٩٥/٥. ولو لا الرغبة بالاختصار لذكرت لك ١٩٢ مرجعاً .

الخطط السياسية لتوحيد الأمة/٢٦٦

فإذا ذكر ذاكر أن الله تعالى قد أذهب الرجس عن أهل البيت وطهورهم تطهيراً ، جاءك الجواب سريعاً ، إن أهل البيت هم نساء النبي وحدهن ، ومنهن من يتبرع بالمباهلة إذا كان أهل البيت غير نساء النبي !

وإذا قيل إن النبي لا يسأل أجرأ إلا المودة في القربي ، قيل: كل قريش قرابة النبي ، بل كل العالم أقارب النبي ، وهو جد التقي ولو كان عبداً حبشاً !

وإذا قيل: هم أهل الذكر. قيل لك: إن العلماء هم أهل الذكر ، وهم ورثة الأنبياء! وباختصار فلا تجد نصاً في القرآن الكريم يتعلق بأهل البيت الكرام أو ببني هاشم ، إلا وقد حضرت له البطون ومن والاهما عشرات التفسيرات والتاؤيلات لإخراجها عن معناه الخاص بأهل البيت الكرام ! ولا تجد فضلاً اختص به أهل البيت الكرام إلا وقد أوجدت بطون قريش لرجالاتها فضلاً يعادله عن طريق التفسير والتاؤيل ! ومع سيطرة البطون وإشرافها على وسائل الأعلام ، وهيمتها على الدولة الإسلامية خلقت كافة الأوراق ، حتى إذا أخرجت يدك لم تكدر تراها .

معالم الفتن لسعيد أبوب: ١٢٣/١

والخلاصة: إن الروايات التي فسرت الآية بينت أن الذكر رسول الله وأن عترته أهله. وروي في قوله عز وجل: **وَأَمْرُ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَأَصْطَرَ عَلَيْهَا** ، إن الآية مكية وعلى هذا فالمراد بقوله: أهلك ، بحسب وقت النزول خديجة زوج النبي (ص) وعلي بن أبي طالب ، وكان من أهله وفي بيته أو هما وبعض بنات النبي (ص). وعلى هذا فإن القول بأن أهله جميع متبعيه من أمهه غير سديد . . . وروي أن النبي ﷺ ظل يأمر أهله بالصلاحة في مكة والمدينة حتى فارق الدنيا .

وفي الدر المثور أخرج الطبراني في الأوسط وأبونعيم في الحلية والبيهقي في شعب الإيمان بسند صحيح عن عبدالله بن سلام قال: كان النبي (ص) إذا نزلت بأهله شدة أو ضيق أمرهم بالصلاحة وتلا: **وَأَمْرُ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ** ، وروي أنه ﷺ كان يجي إلى باب علي وفاطمة ثمانية أشهر ، وفي رواية تسعة أشهر ويقول: الصلاة رحمةكم الله. **إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهَبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْيَتِيمِ وَيُطَهِّرُكُمْ تَطْهِيرًا . . .**

وتجب معرفتهم لأن الأعمال لا تقبل إلا بولائهم

الكافي: ١٨٣/١

محمد بن يحيى ، عن محمد بن الحسين ، عن صفوان بن يحيى ، عن العلاء بن رزين عن محمد بن مسلم قال: سمعت أبا جعفر عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُبَرَّكُ يَقُولُ: كُلُّ مَنْ دَانَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَ بِعِبَادَةِ يَجْهَدُ فِيهَا نَفْسَهُ وَلَا إِمَامٌ لَهُ مِنَ اللَّهِ فَسْعِيهِ غَيْرُ مَقْبُولٍ ، وَهُوَ ضَالٌّ مُتَحِيرٌ وَاللَّهُ شَانِي لِأَعْمَالِهِ ، وَمِثْلُهُ كَمُثْلِ شَاةٍ ضَلَّتْ عَنْ رَاعِيهَا وَقَطَّعَهَا ، فَهَجَمَتْ ذَاهِبَةً وَجَائِيَةً يَوْمَهَا ، فَلَمَّا جَنَّهَا اللَّيلُ بَصَرَتْ بِقَطْعِيْغٍ غَنْمًا مَعَ رَاعِيهَا ، فَحَنَّتْ إِلَيْهَا وَاغْتَرَتْ بِهَا ، فَبَاتَتْ مَعَهَا فِي مَرْبِضِهَا فَلَمَّا أَنْ سَاقَ الرَّاعِي قَطْعِيْغًا أَنْكَرَتْ رَاعِيهَا وَقَطَّعَهَا ، فَهَجَمَتْ مَتْحِيرَةً تَطْلُبُ رَاعِيهَا وَقَطَّعَهَا بَصَرَتْ بِغَنْمًا مَعَ رَاعِيهَا فَحَنَّتْ إِلَيْهَا وَاغْتَرَتْ بِهَا فَصَاحَ بِهَا الرَّاعِي: الْحَقِيقِيْ بِرَاعِيْكَ ، وَقَطَّعِيْغَكَ فَأَنْتَ تَائِهَةٌ مَتْحِيرَةٌ عَنْ رَاعِيْكَ وَقَطَّعِيْغَكَ ، فَهَجَمَتْ ذَعْرَةً مَتْحِيرَةً تَائِهَةً لَا رَاعِيَ لَهَا يَرْشِدُهَا إِلَى مَرْعَاهَا أَوْ يَرْدِهَا ، فَبَيْنَا هِيَ كَذَلِكَ إِذَا اغْتَنَمَ الذَّئْبُ ضَيَّعَهَا فَأَكَلَهَا ، وَكَذَلِكَ وَاللَّهُ يَا مُحَمَّدُ مَنْ أَصْبَحَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ لَا إِمَامٌ لَهُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَ . اَنْتَهَى . وَنَحْوُهُ فِي

المحاسن/٩٢ ، وَتَفْسِيرُ العِيَاشِي: ٢٥٢/٢ .

علل الشرائع: ٢٥٠/١

حدثنا محمد بن علي ماجيلويه رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامٌ ، عن عمه محمد بن أبي القاسم ، عن يحيى بن علي الكوفي ، عن محمد بن سنان ، عن صباح المدايني ، عن المفضل بن عمر ، أن أبا عبد الله عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُبَرَّكُ كَتَبَ إِلَيْهِ كَتَابًا فِيهِ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَبْعَثْ نَبِيًّا قَطْ يَدْعُ إِلَى مَعْرِفَةِ اللَّهِ لَيْسَ مَعَهَا طَاعَةٌ فِي أَمْرٍ وَلَا نَهْيٍ ، وَإِنَّمَا يَقْبِلُ اللَّهُ مِنَ الْعِبَادِ الْعَمَلُ

بالفريض التي فرضها الله على حدودها ، مع معرفة من دعا إليه. ومن أطاع وحرم الحرام ظاهره وباطنه وصلى وصام وحج واعتمر وعظم حرمات الله كلها ولم يدع منها شيئاً ، وعمل بالبر كله ومكارم الأخلاق كلها وتجنب سيئها .

ومن زعم أنه يحل الحلال ويحرم الحرام بغير معرفة النبي ﷺ لم يحل الله حلالاً ولم يحرم له حراماً ، وإن من صلى وزكى وحج واعتمر وفعل ( البر ) كله بغير معرفة من افترض الله عليه طاعته ، فلم يفعل شيئاً من ذلك ، لم يصل ولم يصم ولم يزكى ولم يحج ولم يعتمر ولم يغتسل من الجنابة ولم يتظاهر ولم يحرم الله ، وليس له صلاة وإن ركع وإن سجد ، ولا له زكاة ولا حج ، وإنما ذلك كله يكون بمعرفة رجل مَنَّ الله تعالى على خلقته بطاعته وأمر بالأخذ عنه ، فمن عرفه وأخذ عنه أطاع الله .

ومن زعم أن ذلك إنما هي المعرفة وأنه إذا عرف اكتفى بغير طاعة فقد كذب وأشرك ، وإنما قيل إعرف واعمل ما شئت من الخير فإنه لا يقبل منك ذلك بغير معرفة ، فإذا عرفت فاعمل لنفسك ما شئت من الطاعة قل أو كثر ، فإنه مقبول منك. انتهى. ورواه في وسائل الشيعة: ٩٥/١ .

وسائل الشيعة: ٩٠/١

وعن علي بن إبراهيم ، عن أبيه وعن عبدالله بن الصلت جمِيعاً ، عن حماد بن عيسى ، عن حريز بن عبدالله ، عن زرار ، عن أبي جعفر عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُبَرَّكُ (في حديث) قال: ذرورة الأمر وسنامه ومفتاحه وباب الأشياء ورضا الرحمن الطاعة للإمام بعد معرفته ، أما لو أن رجلاً قام ليه وصام نهاره ، وتصدق بجميع ماله وحج جميع دهره ، ولم يعرف ولاية ولی الله فيوالیه وتكون جميع أعماله بدلاته إليه ، ما كان له على الله حق في ثوابه ولا كان من أهل الإيمان. ورواه البرقي في

المحاسن عن عبدالله بن الصلت بالإسناد .

وعن محمد بن الحسن ، عن الصفار ، عن أحمد بن محمد ، عن ابن فضال ، عن علي بن عقبة ، عن أبيه عقبة بن خالد ، عن ميسير ، عن أبي جعفر عليه السلام ( في حديث ) قال: إن أفضل البقاع ما بين الركن والمقام ، وباب الكعبة وذاك حطيم إسماعيل ، ووالله لو أن عبداً صاف قدميه في ذلك المكان ، وقام الليل مصلياً حتى يجيئه النهار ، وصام النهار حتى يجيئه الليل ، ولم يعرف حقنا وحرمتنا أهل البيت لم يقبل الله منه شيئاً أبداً .

علي بن إبراهيم في تفسيره ، عن أحمد بن علي ، عن الحسين بن عبيد الله ، عن السندي بن محمد ، عن أبان ، عن الحارث ، عن عمرو ، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: **وَإِنِّي لَغَافِرٌ لِمَنْ تَابَ وَأَمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى** ، قال: ألا ترى كيف اشترط ولم تفعه التوبة والإيمان والعمل الصالح حتى اهتدى ؟ والله لو جهد أن يعمل ما قبل منه حتى يهتدى ، قال: قلت: إلى من جعلني الله فداك ؟ قال: إلينا . أقول: والأحاديث في ذلك كثيرة جداً .

مستدرك الوسائل: ١٤٩/١

وعن سلام بن سعيد المخزومي عن يونس بن حباب عن علي بن الحسين عليه السلام قال قام رسول الله صلوات الله عليه وسلم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: ما بال أقوام إذا ذكر عندهم آل إبراهيم وآل عمران فرحوا واستبشروا ، وإذا ذكر عندهم آل محمد اشمارت قلوبهم ! والذي نفس محمد بيده لو أن عبداً جاء يوم القيمة بعمل سبعين نبياً ما قبل الله ذلك منه حتى يلقى الله بولايتي وولاية أهل بيتي !

ورواه ابن الشيخ الطوسي في أماليه ، عن أبيه ، عن المفید ، عن علي بن خالد المراغي ، عن الحسن بن علي الكوفي ، عن إسماعيل بن محمد المزنی ، عن

سلام بن أبي عمارة ، عن سعد بن سعيد ، مثله .

( وقال في هامشه: كتاب سلام بن أبي عمارة/١١٧ ، أمالی الطوسي: ١٤٠/١ باختلاف  
يسیر وعنه في بحار الأنوار: ١٧٢/٢٧ ح ١٥ ).

أحمد بن محمد بن خالد البرقي في المحسن ، عن خلاد المقرى ، عن قيس بن  
الربيع ، عن ليث بن سليمان ، عن ابن أبي ليلى ، عن الحسين بن علي عليه السلام قال قال  
رسول الله صلوات الله عليه: إِلَّا زَمَوْا مُوْدَتَنَا أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ مَنْ لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ يَوْدُنَا أَهْلَ الْبَيْتِ  
دخل الجنة بشفاعتنا. والذى نفسي بيده لا ينفع عبد بعلمه إلا بمعرفة حقنا .

( وقال في هامشه: المحسن/٦١ ح ١٠٥ ، أمالی المفید/٤٣ ح ٢ باختلاف يسیر.  
أمالی المفید/١٣ ح ١ ، عنه في بحار الأنوار: ١٠١/٧٥ ح ٧ )

وعن أبيه ، عن أبي منصور السكري ، عن جده علي بن عمر عن العباس بن  
يوسف الشكلي ، عن عبيد الله بن هشام ، عن محمد بن مصعب ، عن الهيثم بن  
حماد عن يزيد الرقاشي ، عن أنس بن مالك ، قال رجعنا مع رسول الله صلوات الله عليه  
قافلين من تبوك ، فقال لي في بعض الطريق ألقوا لي الأحسان والأقتاب ففعلوا ،  
فصعد رسول الله صلوات الله عليه فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال معاشر: الناس ما  
لي إذا ذكر آل إبراهيم تهلكت وجوهكم ، وإذا ذكر آل محمد كأنما يفقأ في  
وجوهكم حب الرمان ، فوالذي بعثني بالحق نبياً لو جاء أحدكم يوم القيمة  
بأعمال كأمثال الجبال ولم يجي بولادة علي بن أبي طالب أكبه الله عز وجل في  
النار .

( وقال في هامشه: أمالی الطوسي: ٣١٤/١ باختلاف يسیر ، عنه في بحار الأنوار:  
١٧١/٢٧ ح ١٢. الاحسان: واحده حلس بكسر فسكون كحمل وأحمال: كساء  
يوضع على ظهر البعير تحت القتب—لسان العرب: ٥٤/٦ ، مجمع البحرين: ٦٣/٤

حلس ، والأقتاب: جمع قتب وهو بالتحريك: رحل البعير - لسان العرب: ٦٦٠/١ ،  
مجمع البحرين: ١٣٩/٢ قتب ) .

الغدير للاميني: ٣٠١/٢

عن ابن عباس في حديث عن النبي ﷺ: لو أن رجلاً صفن بين الركن والمقام  
فصلى وصام ثم لقي الله وهو مبغض لأهل بيته محمد ، دخل النار. أخرجه  
الحاكم في المستدرك ١٤٩/٣ وصححه ، والذهبي في تلخيصه .

وأخرج الطبراني في الأوسط من طريق أبي ليلي ، عن الإمام السبط الشهيد ، عن  
جده رسول الله ﷺ انه قال: إِلْرَمُوا مُوْدَتَنَا أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ مَنْ لَقِيَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ  
وهو يوْدَنَا دَخَلَ الْجَنَّةَ بِشَفَاعَتِنَا ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَنْفَعُ عَبْدًا عَمَلَهُ إِلَّا بِمَعْرِفَةِ  
حَقِّنَا. وَذَكَرَهُ الْهَيْشَمِيُّ فِي الْمُجَمَّعِ ١٧٢٩ ، وَابْنُ حَجْرٍ فِي الصَّوَاعِقِ ، وَمُحَمَّدُ  
سَلِيمَانُ مَحْفُوظٌ فِي أَعْجَبِ مَا رَأَيْتُ ٨/١ وَالْبَهَانِيُّ فِي الْشَّرْفِ الْمُؤَبِّدِ ٩٦/  
وَالْحَضْرَمِيُّ فِي رِشْفَةِ الصَّادِيِّ ٤٣/٤ .

وأخرج الحافظ السمان في أماليه بإسناده عن رسول الله ﷺ: لو أن عبداً عبد الله  
سبعة آلاف سنة ( هو ) عمر الدنيا ثم أتى الله عز وجل يبغض علي بن أبي  
طالب جاحداً لحقه ناكثاً لولايته ، لاتعس الله خيره وجدع أنفه. وذكره القرشى  
في شمس الأخبار ٤٠/٤ .

وأخرج الخوارزمي في المناقب ٣٩ عن النبي ﷺ أنه قال لعلي: يا علي لو أن  
عبد الله عز وجل مثل ما قام نوح في قومه وكان له مثل أحد ذهباً فأنفقه في  
سبيل الله ، ومد في عمره حتى حج ألف عام على قدميه ، ثم قتل بين الصفا  
والمروة مظلوماً ، ثم لم يوالك يا علي ، لم يشم رائحة الجنة ولم يدخلها .

عن أم سلمة عن رسول الله ﷺ أنه قال: يا أم سلمة أتعرفيه ؟ قلت: نعم هذا علي

بن أبي طالب. قال: صدقت، سجيته سجيتي ودمه دمي وهو عيبة علمي ، فاسمعي وشهادتي لو أن عبداً من عباد الله عز وجل عبد الله ألف عام بين الركن والمقام ثم لقي الله عز وجل مبغضاً لعلي بن أبي طالب وعترتي ، أكبه الله تعالى على منخره يوم القيمة في نار جهنم .

أخرجه الحافظ الكنجي بإسناده من طريق الحافظ أبي الفضل السلامي ثم قال: هذا حديث سنه مشهور عند أهل النقل .

وأخرج ابن عساكر في تاريخه مسندأ عن جابر بن عبد الله عن رسول الله ﷺ في حديث: يا علي لو أن أمتي صاموا حتى يكونوا كالحنايا ، وصلوا حتى يكونوا كالاوtar ، ثم أبغضوك لأكبهم الله في النار .

وذكره الكنجي في الكفاية/١٧٩ ، وأخرجه الفقيه ابن المغازلي في المناقب ، ونقله عنه القرشى في شمس الأخبار/٣٣ ورواه شيخ الإسلام الحمويني في الفراید في الباب الأول. وهناك أخبار كثيرة تضاهي هذه في ولاء أمير المؤمنين وعترته لا يسعنا ذكرها... .

— قال الشيخ أبوبكر بن شهاب السقاف، وهو شيخ محمد بن عقيل الحضرمي

صاحب النصائح الكافية:

وهو أسمى الحب رتبة	حب آل البيت قربة
يغسله مزن المحبة	ذنب من والأهم
يسكن الإيمان قلبه	والذي يبغضهم لا
عسلٌ في ضرعٍ كلبه	علمه والنسك رجسٌ
إبليس وحزبه	لعن الله عدو الآل

## وتجب معرفتهم لأنهم محال معرفة الله تعالى

الكافي: ٥٧٨/٤

محمد بن يحيى ، عن محمد بن أحمد ، عن هارون بن مسلم ، عن علي بن حسان ، عن الرضا عليه السلام قال: سئل أبي ، عن إتيان قبر الحسين عليه السلام فقال: صلوا في المساجد حوله ويجزى في الموضع كلها أن تقول: السلام على أولياء الله وأصنفائه ، السلام على أمناء الله وأحبابه ، السلام على أنصار الله وخلفائه ، السلام على محال معرفة الله ، السلام على مساكن ذكر الله ، السلام على مظهرى أمر الله ونهيه ، السلام على الدعاء إلى الله ، السلام على المستقررين في مرضات الله ، السلام على الممحصين في طاعة الله ، السلام على الأدلة على الله ، السلام على الذين من والأهم فقد وال الله ومن عاداه فقد عادى الله ومن عرفهم فقد عرف الله ومن جهلهم فقد جهل الله ومن اعتمد بهم فقد اعتمد بالله ومن تخلى منهم فقد تخلى من الله. انتهى . ورواه في من لا يحضره الفقيه: ٦٠٨/٢

من لا يحضره الفقيه: ٦٠٩/٢

... السلام على أئمة الهدى ، ومصابيح الدجى وأعلام التقى ، وذوى النهى ، وأولى الحجى ، وكهف الورى ، وورثة الأنبياء ، والمثل الأعلى ، والدعوة الحسنى ، وحجج الله على أهل الدنيا والآخرة والأولى ، ورحمة الله وبركاته ، السلام على محال معرفة الله ، ومساكن بركة الله ، ومعادن حكمة الله وحفظة سر الله ، وحملة كتاب الله ، وأوصياء نبي الله ، وذرية رسول الله صلوات الله عليه ورحمة الله وبركاته ورحمة الله وبركاته . . . . .

## المزار ١٧٦

باب زيارة جامعة لسائر الأئمة عليهم السلام وتجزؤك في جميع المشاهد على ساكنيها السلام أن تقول: السلام على أولياء الله وأصفيائه ، السلام على أمناء الله وأحبابه ، السلام على أنصار الله وخلفائه ، السلام على مجال معرفة الله ، السلام على معادن حكمة الله ، السلام على مساكن ذكر الله ، السلام على عباد الله المكرمين الذين لا يسبقونه بالقول ، وهم بأمره يعملون... .

## وتجب معرفتهم لأنها طريق معرفة الله تعالى

الكافي: ١٨٠/١

الحسين بن محمد ، عن معلي بن محمد ، عن الحسن بن علي الوشاء قال: حدثنا محمد بن الفضيل ، عن أبي حمزة قال قال لي أبو جعفر عليه السلام: إنما يعبد الله من يعرف الله ، فاما من لا يعرف الله فإنما يعبد هكذا ضلالاً. قلت: جعلت فداك فيما معرفة الله؟ قال: تصديق الله عز وجل وتصديق رسوله عليه السلام وموالاة على عليه السلام والإيمان به وبائمة الهدى عليهم السلام والبراءة إلى الله عز وجل من عدوهم ، وهكذا يعرف الله عز وجل.

## علل الشرائع: ٩/١

حدثنا أبي (رض) قال: حدثنا أحمد بن إدريس ، عن الحسين بن عبيد الله ، عن الحسن بن علي بن أبي عثمان ، عن عبدالكريم بن عبد الله ، عن سلمة ابن عطا ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: خرج الحسين بن علي (عليه السلام) على أصحابه فقال أيها الناس: إن الله جل ذكره ما خلق العباد إلا ليعرفوه ، فإذا عرفوه عبدوه فإذا عبدوا استغنووا بعبادته عن عبادة من سواه .

فقال له رجل: يابن رسول الله بأبي أنت وأمي فما معرفة الله؟ قال معرفة أهل كل زمان إمامهم الذي يجب عليهم طاعته؟

قال مصنف هذا الكتاب يعني ذلك: أن يعلم أهل كل زمان أن الله هو الذي لا يخلיהם في كل زمان عن إمام معصوم ، فمن عبد رباً لم يقم لهم الحجة فإنما عبد غير الله عز وجل .

وتجب معرفتهم لحديث: من مات ولم يعرف إمام زمانه

هذا الحديث بصيغه المتعددة متواتر في مصادرنا ومصادر إخواننا السنة ، ولكن المهم معرفة صيغته الأصلية وظروفه التي قاله فيها النبي ﷺ لأنه نص على الوصية بنظام الإمامة من بعده ﷺ .

لذلك نورد صيغه وتطبيقاته على مذهب أهل بيت النبي ﷺ ثم على مذاهب إخواننا السنة ، لكي نستكشف منها أصل الحديث. وقد أوردنا عدداً من صيغه ومصادره في ( معجم أحاديث الإمام المهدي علیه السلام ) ونضيف إليها هنا ما عثرنا عليه مجدداً .

### صيغ الحديث في مصادر مذهب أهل البيت

المجموعة الأولى: في وجوب معرفة الإمام من أهل البيت علیه السلام

روى البرقي في المحسن: ١٥٣/١

عنه ( أحمد بن أبي عبد الله البرقي ) عن أبيه ، عن النضر بن سويد ، عن يحيى الحلبي ، عن بشير الدهان قال قال أبو عبد الله علیه السلام: قال رسول الله ﷺ: من مات

وهو لا يعرف إمامه مات ميّة جاهلية ، ثم قال: فعليكم بالطاعة ، قد رأيتم أصحاب علي ، وأنتم تأتمون بمن لا يعذر الناس بجهالته ، لنا كرائم القرآن ، ونحن أقوام افترض الله طاعتنا ، ولنا الانفال ولنا صفو المال .

وروى في/ ١٥٤: عنه (أحمد بن عبد الله البرقي) عن أبيه ، عن النضر ، عن يحيى الحلبي ، عن حسين بن أبي العلاء قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: من مات ليس له إمام مات ميّة جاهلية ، فقال: نعم ، لو أن الناس تبعوا علي بن الحسين (عليه السلام) وتركوا عبد الملك بن مروان اهتدوا ، فقلنا من مات لا يعرف إمامه مات ميّة جاهلية ميّة كفر ؟ فقال: لا ، ميّة ضلال .

وفي تفسير العياشي: ٣٠٣/٢ ، عن عمار السباطي ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لا تترك الأرض بغير إمام يحل حلال الله ويحرم حرامه ، وهو قول الله: يوم ندعو كل أنس يأمامهم ، ثم قال قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: من مات بغير إمام مات ميّة جاهلية. فمدوا أعناقهم ، وفتحوا أعينهم ، فقال أبو عبد الله عليه السلام: ليست الجahلية الجهاء .

### ٣٧٦/١ وروى الكليني في الكافي:

الحسين بن محمد ، عن معلى بن محمد ، عن الحسن بن علي الوشاء ، عن أحمد بن عائذ ، عن أبي أذينة ، عن الفضيل بن يسار قال: إبتدأنا أبو عبد الله عليه السلام يوماً وقال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: من مات وليس عليه إمام فميته ميّة جاهلية. فقلت: قال ذلك رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ فقال: إِي والله قد قال. قلت: فكل من مات وليس له إمام فميته ميّة جاهلية ؟ قال: نعم .

وفيها: الحسين بن محمد ، عن معلى بن محمد ، عن الوشاء قال: حدثني عبد الكري姆 بن عمرو ، عن ابن أبي يعفور قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول

رسول الله ﷺ: من مات وليس له إمام فميتة جاهلية ، قال قلت ميتة كفر ؟  
قال: ميتة ضلال ، قلت: فمن مات اليوم وليس له إمام فميتة جاهلية ؟ فقال:  
نعم .

وفي/ ٣٧٧: أحمد بن إدريس ، عن محمد بن عبدالجبار ، عن صفوان ، عن الفضيل ،  
عن الحارث بن المغيرة قال: قلت لابي عبدالله ع: قال رسول الله ﷺ: من مات  
لا يعرف إمامه ، مات ميتة جاهلية ؟ قال: نعم ، قلت: جهلاً جهلاً جاهلية لا  
يعرف إمامه ؟ قال: جاهلية كفر ونفاق وضلال .

وفي/ ٣٧٨: علي بن ابراهيم ، عن محمد بن عيسى ، عن يونس بن عبد الرحمن ،  
قال: حدثنا حماد ، عن عبدالاعلى قال: سألت أبا عبدالله ع ع: عن قول العامة  
رسول الله ﷺ قال فقال: الحق والله . . . الحديث - كما في روايته الثانية بتفاوت .

وفي: ٣٧١/١: عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد ، عن علي بن النعمان ، عن  
محمد بن مروان ، عن فضيل بن يسار قال: سمعت أبا جعفر ع يقول: من مات  
وليس له إمام فميتة جاهلية ، ومن مات وهو عارف لامامه لم يضره تقدم  
هذا أو تأخر. ومن مات وهو عارف لامامه كان كمن هو مع القائم في فسطاطه .

وفي: ٣٩٠/١: عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن ابن سنان ، عن  
ابن مسakan عن سدير قال: قلت لابي جعفر ع: إني تركت مواليك مختلفين  
يتبرأ بعضهم من بعض قال: فقال: وما أنت وذاك ، إنما كلف الناس ثلاثة: معرفة  
الأئمة ، والتسليم لهم فيما ورد عليهم ، والرد إليهم فيما اختلفوا فيه .

وفي: ١٤٦/٨: يحيى الحلي ، عن بشير الكناسي قال: سمعت أبا عبدالله ع يقول:  
وصلتم وقطع الناس ، وأحببتم وأبغضتم ، وعرفتم وأنكر الناس ، وهو الحق ،  
إن الله اتخذ محمدًا ع عبدًا قبل أن يتخذه نبيًا وإن علياً ع كان عبدًا ناصحًا لله

عز وجل فصحه وأحب الله عز وجل فأحبه، إن حقنا في كتاب الله بين ، لنا صفو الأموال ولنا الأنفال وإنما قوم فرض الله عز وجل طاعتنا وإنكم تأتون بمن لا يعذر الناس بجهالته ، وقال رسول الله ﷺ: من مات وليس له إمام مات ميته جاهلية ، عليكم بالطاعة فقد رأيتم أصحاب علي طلاقه .

الغيبة للنعماني/١٢٧-١٣٠: كما في المحسن ، بسند آخر، عن معاوية بن وهب... . رجال الكشي/٤٢٤: قريباً من رواية الكافي الخامسة .

كمال الدين:٤١٣/٢: عن سليم بن قيس الهلالي أنه سمع من سلمان ومن أبي ذر ومن المقداد حديثاً عن رسول الله ﷺ أنه قال: من مات.. وليس له إمام مات ميته جاهلية ، ثم عرضه على جابر وابن عباس فقالا: صدقوا وبرروا ، وقد شهدنا ذلك وسمعناه من رسول الله ﷺ وإن سلمان قال: يا رسول الله إنك قلت من مات وليس له إمام مات ميته جاهلية ، من هذا الإمام ؟ قال: من أوصياني يا سلمان ، فمن مات من أمتى وليس له إمام منهم يعرفه فهي ميته جاهلية ، فإن جهله وعاده فهو مشرك ، وإن جهله ولم يعاده ولم يوال له عدواً فهو جاهل وليس بمشرك.

انتهى. ومثله في الإمامة والبصرة/٣٣

ثواب الأعمال/٢٠٥: قريباً من رواية الكافي الخامسة .

عيون أخبار الرضا:٥٨/٢: عن علي بن أبي طالب قال قال رسول الله ﷺ: من مات وليس له إمام من ولدي مات ميته جاهلية ، ويؤخذ بما عمل في الجاهلية والإسلام .

الإخلاص/٢٦٨: عن عمر بن يزيد ، عن أبي الحسن الأول ع طلاقه قال سمعته يقول: من مات بغير إمام مات ميته جاهلية ، إمام حي يعرفه ، فقلت: لم أسمع أباك

يذكر هذا يعني إماماً حياً فقال: قد والله قال ذاك رسول الله ﷺ قال: وقال رسول الله ﷺ: من مات وليس له إمام يسمع له ويطيع مات ميتة جاهلية .

رسائل المفيد/٣٨٤: كما في المحسن ، عن النبي ﷺ وقال: خبر صحيح يشهد به إجماع أهل الآثار ويقوى منobar صريح القرآن حيث يقول جل اسمه: يوم ندعو كل أنس بإمامهم ، فمن أوتى كتابه بيمنه فأولئك يقرؤون كتابهم ولا يظلمون فتيلاً .

دعائم الإسلام: ٢٧/١: وعنـه (الإمام الصادق ع) أنه قال في قول رسول الله ﷺ: من مات لا يعرف إمام دهره مات ميتة جاهلية ، فقال: إماماً حياً. قيل له: لم نسمع حياً ، قال: قد قال والله ذلك ، يعني رسول الله .

وعنه عـلـيـهـ عـلـيـهـ أـنـهـ قالـ فـيـ قولـ اللهـ عـزـ وـجـلـ يـوـمـ نـدـعـوـ كـلـ أـنـاسـ بـإـمـاـمـهـمـ ،ـ فـقـالـ:ـ بـمـنـ كـانـواـ يـأـتـمـوـنـ بـهـ فـيـ الدـنـيـاـ ،ـ يـدـعـىـ عـلـيـ عـلـيـهـ عـلـيـهـ بـالـقـرـنـ الـذـيـ كـانـ فـيـ ،ـ وـالـحـسـنـ بـالـقـرـنـ الـذـيـ كـانـ فـيـ ،ـ وـالـحـسـينـ بـالـقـرـنـ الـذـيـ كـانـ فـيـ ،ـ وـعـدـدـ الـأـئـمـةـ ،ـ ثـمـ قـالـ:ـ قـالـ رـسـوـلـ اللهـ عـلـيـهـ عـلـيـهـ عـلـيـهـ:ـ مـنـ مـاتـ لـاـ يـعـرـفـ إـمـاـمـ دـهـرـهـ مـاتـ مـيـتـةـ جـاهـلـيـةـ.ـ اـنـتـهـىـ.ـ وـرـوـاهـ فـيـ مـنـاقـبـ آـلـ أـبـيـ طـالـبـ:ـ ٢١٢/١ـ وـجـ ٢٤٦/٢ـ وـصـ ٤١٣ـ وـصـ ١٨/٣ـ ،ـ بـعـدـ رـوـاـيـاتـ.ـ وـرـوـاهـ الـحـرـ العـامـلـيـ فـيـ وـسـائـلـ الشـيـعـةـ:ـ ٣٥٢/١٣ـ .ـ

وروى نحوه في: ٥٦٥/١٨ وفي: ٤٩١/١١ وقال: ورواه علي بن عيسى في كشف الغمة نقلاً عن الطبرسي في إعلام الورى. وفي كنز الفوائد/١٥١: بسنـد آخر ، عن علي عـلـيـهـ عـلـيـهـ قـالـ:ـ قـالـ رـسـوـلـ اللهـ عـلـيـهـ عـلـيـهـ عـلـيـهـ:ـ كـمـ فـيـ رـوـاـيـةـ الـعـيـونـ.ـ وـفـيـ تـلـخـيـصـ الشـافـيـ:ـ ١٣٢/٤ـ كـمـ فـيـ رـسـائـلـ المـفـيدـ ،ـ مـرـسـلـاـ.ـ وـفـيـ إـثـبـاتـ الـهـدـاـةـ:ـ ٨٧/١ـ عنـ رـوـاـيـاتـ الـكـافـيـ.ـ وـفـيـ غـاـيـةـ الـمـرـامـ ٢٦٦ـ -ـ عنـ رـوـاـيـةـ الـكـافـيـ الـخـامـسـةـ بـتـفـاوـتـ يـسـيرـ.ـ وـفـيـ ٢٧٣ـ -ـ عنـ رـوـاـيـةـ الـعـيـاشـيـ الـثـانـيـةـ.ـ وـفـيـ تـفـسـيرـ الـبـرـهـانـ:ـ ٣٨٢/١ـ -ـ عنـ رـوـاـيـةـ الـكـافـيـ

الخامسة . وفي ٣٨٦ - عن رواية العياشي الأولى . وفي ٤٣٠/٢ - عن رواية العياشي الثانية . وفي تفسير نور الثقلين: ٥٠٣/١ - عن روایتی الكافی السادسة والخامسة . وفي بحار الأنوار: ١٢/٨ - عن رواية العياشي الثانية . وفي: ٧٦/٢٣ - عن رواية المحاسن الأولى . وفي ٨١ - عن رواية العيون . وفي ٩٢ - عن كنز الكراجکي بتفاوت يسیر . وفي ٧٨ - عن النعماني . وفي ٨٥ - عن ثواب الأعمال . وفي ٨٨ - عن كمال الدين . وفي ٨٩ - عن رجال الكشی . وفي ٩٢ - عن الاختصاص . وفي: ٣٣٧/٦٨ - عن رواية الكافی السادسة . وفي ٣٨٧ - عن رواية العياشي الأولى ، وفيه ( عيسى بن السری ، بدل يحيی بن السری ).

المجموعة الثانية: في أن معرفتهم وولايتهم من دعائم الإسلام

روى الكليني في الكافي: ١٩/٢

محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن صفوان بن يحيى ، عن عيسى بن السري اليسع قال: قلت لابي عبدالله عليه السلام: أخبرني بدعائكم الإسلام التي لا يسع أحد التقسيير عن معرفة شئ منها ، الذي من قصر عن معرفة شئ منها فسد دينه ولم يقبل الله منه عمله ، ومن عرفها وعمل بها صلح له دينه وقبل منه عمله ، ولم يضق به مما هو فيه لجهل شئ من الأمور جهله ؟

فقال: شهادة أن لا إله إلا الله ، والإيمان بأن محمدا رسول الله ﷺ والإقرار بما جاء به من عند الله ، وحق في الأموال الزكاة ، والولاية التي أمر الله عز وجل بها ولاية آل محمد ﷺ . قال: فقلت له: هل في الولاية فضل يعرف لمن أخذ به ؟ قال: نعم قال الله عز وجل: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِكُمْ أَمْرٌ مِّنْكُمْ . وقال رسول الله ﷺ: من مات ولا يعرف إمامه مات ميتة جاهلية . وكان رسول

الله عَلَيْهِ الْكَلَمُ وَكَانَ عَلَيْهِ عَلَيْهِ وَقَالَ الْأَخْرُونَ: كَانَ مَعَاوِيَةُ ، ثُمَّ كَانَ الْحَسْنَ عَلَيْهِ ثُمَّ كَانَ الْحَسِينَ عَلَيْهِ وَقَالَ الْأَخْرُونَ: يَزِيدُ بْنُ مَعَاوِيَةُ وَحَسِينُ بْنُ عَلَيْ ، وَلَا سُوَاءٌ وَلَا سُوَاءٌ

قال: ثم سكت ثم قال: أزيـدك؟ فقال له حـكم الأعور: نـعم جـعلـتـ فـدـاكـ قال: ثم كان عليـ بنـ الحـسـينـ ثـمـ كانـ مـحـمـدـ بـنـ عـلـيـ أـبـوـ جـعـفـرـ وـكـانـ الشـيـعـةـ قـبـلـ أـنـ يـكـونـ أـبـوـ جـعـفـرـ وـهـمـ لـاـ يـعـرـفـونـ مـنـاسـكـ حـجـهـمـ وـحـلـالـهـمـ وـحـرـامـهـمـ حـتـىـ كـانـ أـبـوـ جـعـفـرـ فـقـطـ لـهـمـ وـبـيـنـ لـهـمـ مـنـاسـكـ حـجـهـمـ وـحـلـالـهـمـ وـحـرـامـهـمـ حـتـىـ صـارـ النـاسـ يـحـتـاجـونـ إـلـيـهـمـ مـنـ بـعـدـ مـاـ كـانـواـ يـحـتـاجـونـ إـلـىـ النـاسـ ، وـهـكـذـاـ يـكـونـ الـأـمـرـ ، وـالـأـرـضـ لـاـ تـكـوـنـ إـلـاـ يـاـمـاـمـ ، وـمـنـ مـاتـ لـاـ يـعـرـفـ إـمـامـهـ مـاتـ مـيـتـةـ جـاـهـلـيـةـ ، وـأـحـوـجـ ماـ تـكـوـنـ إـلـىـ مـاـ أـنـتـ عـلـيـهـ إـذـاـ بـلـغـتـ نـفـسـكـ هـذـهـ ، وـأـهـوـيـ بـيـدـهـ إـلـىـ حـلـقـهـ ، وـأـنـقـطـعـتـ عـنـكـ الدـنـيـاـ تـقـوـلـ: لـقـدـ كـنـتـ عـلـىـ أـمـرـ حـسـنـ. اـنـتـهـىـ. وـمـثـلـهـ فـيـ تـفـسـيـرـ الـعـيـاشـيـ: ٢٥٢/١

وـفـيـ الـكـافـيـ: ٢١/٢: عـلـيـ بـنـ إـبـرـاهـيـمـ ، عـنـ مـحـمـدـ بـنـ عـيـسـىـ ، عـنـ يـوـنـسـ ، عـنـ حـمـادـ بـنـ عـثـمـانـ ، عـنـ عـيـسـىـ بـنـ السـرـىـ قـالـ قـلـتـ لـابـيـ عـبـدـالـلـهـ عـلـيـهـ ... كـماـ فـيـ روـاـيـةـ الـعـيـاشـيـ الـأـوـلـىـ ، وـزـادـ فـيـهـ: وـأـحـوـجـ مـاـ يـكـونـ أـحـدـكـمـ إـلـىـ مـعـرـفـتـهـ إـذـاـ بـلـغـتـ نـفـسـهـ هـاـهـنـاـ قـالـ وـأـهـوـيـ بـيـدـهـ إـلـىـ صـدـرـهـ ، يـقـولـ حـيـئـنـ: لـقـدـ كـنـتـ عـلـىـ أـمـرـ حـسـنـ. اـنـتـهـىـ. وـنـحـوـهـ فـيـ الـمـحـاـسـنـ ٩٢ـ وـنـحـوـهـ فـيـ وـسـائـلـ الـشـيـعـةـ: ٢٨٧/٢٠ـ عـنـ النـجـاشـيـ ٢٠٩ـ وـخـلـاـصـةـ الـرـجـالـ ٦٠ـ وـالـشـيـخـ ٢٥٧ـ وـالـفـهـرـسـتـ ١٤٣ـ وـجـامـعـ الـرـوـاـةـ: صـ ٦٥١ـ وـالـكـشـيـ ١/

.٣٦.١

وـفـيـ رـجـالـ الـكـشـيـ ٤٢٤ـ: جـعـفـرـ بـنـ أـحـمـدـ ، عـنـ صـفـوـانـ ، عـنـ أـبـيـ الـيـسـعـ قـالـ قـلـتـ لـابـيـ عـبـدـالـلـهـ عـلـيـهـ حـدـثـيـ عنـ دـعـائـمـ إـلـاسـلـامـ الـتـيـ بـنـيـ عـلـيـهـاـ وـلـاـ يـسـعـ أـحـدـاـ مـنـ

الناس تقصير عن شئ منها . . . كما في رواية الكافي الثانية بتفاوت . وفي ثواب الأعمال ٢٠٥ - كما في رواية الكافي الأخيرة . وفي تفسير الصافي: ٤٦٣/١ - عن رواية الكافي الثانية . وفي تفسير البرهان: ٣٨٣/١ - عن رواية الكافي الثانية، بتفاوت يسير . وفي بحار الأنوار: ٢٨٩/٢٣ ب٤ ح ٣٥ - عن رواية الكافي الثانية . وفي تفسير نور الثقلين: ٥٠٣/١ - عن رواية الكافي الثانية . وفي تنقح المقال/ ٣٦٠ - عن الكشي .

### المجموعة الثالثة: في أن الإمام من أهل البيت قد يغيب

روى الصدوق في كمال الدين: ٤٠٩/٢

حدثنا محمد بن إبراهيم بن إسحاق (رض) قال: حدثني أبو علي بن همام قال: سمعت محمد بن عثمان العمري قدس الله روحه يقول: سمعت أبي يقول سئل أبو محمد الحسن بن علي (عليه السلام) وأنا عنده عن الخبر الذي روی عن آبائه عليهما السلام: إن الأرض لا تخلو من حجة لله على خلقه إلى يوم القيمة ، وإن من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميته جاهلية ، فقال: إن هذا حق كما أن النهار حق ، فقيل له: يا ابن رسول الله فمن الحجة والإمام بعده؟ فقال: إبني محمد هو الإمام والحجۃ بعدي ، من مات ولم يعرفه مات ميته جاهلية ، أما إن له غيبة يحار فيها الجاهلون ، ويهلك فيها المبطلون ، ويکذب فيها الوقاتون ، ثم يخرج فکأنی أنظر إلى الاعلام البيض تتحقق فوق رأسه بنجف الكوفة .

وفي كفاية الأثر/ ٢٩٢: أخبرنا أبو المفضل (عليه السلام) قال: حدثني أبو همام قال: سمعت محمد بن عثمان العمري قدس الله روحه يقول: - كما في كمال الدين . وفي إعلام الورى/ ٤١٥ و ٤٤٢ - كما في كمال الدين بتفاوت يسير عن الإمام الباقي وفي كشف الغمة: ٣١٨/٣ - عن إعلام الورى ، بتفاوت يسير . وفي إثبات الهداة:

٤٨٢/٣ - عن كمال الدين ، وقال: ورواه علي بن محمد الخزاز في كتاب الكفاية .  
 وفي وسائل الشيعة: ٤٩١/١١ - أوله ، عن إعلام الورى . وفي حلية الابرار: ٥٥٢/٢ -  
 كما في كمال الدين ، عن ابن بابويه . وفي بحار الأنوار: ١٦٠/٥٨ - عن كمال  
 الدين ، وأشار إلى مثله عن كفاية الأثر . وفي منتخب الأثر: ٢٢٦ - عن كفاية الأثر .

كما توجد في مصادرنا أحاديث أخرى عديدة ، يمكن أن تصل إلى  
 مجموعات أخرى:

كالذى رواه في الكافي: ٣٩٧/١

علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن منصور ، عن فضل الاعور ،  
 عن أبي عبيدة الحذاء قال: كنا زمان أبي جعفر عليه السلام حين قبض نترد كالغنم لا  
 راعي لها ، فلقينا سالم بن أبي حفصة فقال لي: يا أبا عبيدة من إمامك ؟ فقلت  
 أئمتي آل محمد فقال: هلكت وأهلكت أما سمعت أنا وأنت أبا جعفر عليه السلام يقول:  
 من مات وليس عليه إمام مات ميتة جاهلية ؟ فقلت: بلى لعمري ، ولقد كان قبل  
 ذلك بثلاث أو نحوها دخلت على أبي عبدالله عليه السلام فرزق الله المعرفة فقلت لأبي  
 عبدالله عليه السلام: إن سالماً قال لي كذا وكذا ، قال فقال: يا أبا عبيدة أنه لا يموت منا  
 ميت حتى يخلف من بعده من يعمل بمثل عمله ويسير بسيرته ويدعو إلى ما دعا  
 إليه ، يا أبا عبيدة إنه لم يمنع ما أعطى داود أن أعطى سليمان ، ثم قال: يا أبا  
 عبيدة إذا قام قائم آل محمد عليه السلام حكم داود وسليمان لا يسأل بينة. انتهى.

وروى مثله في بصائر الدجالات/ ٢٥٩ ، ونحوه في ٥٠٩ وص ٥١٠

والذى رواه في أعلام الدين/ ٤٥٩

وأسأله أبوبصير عن قول الله تعالى: **وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتَى خَيْرًا كَثِيرًا** ، ما عنى

بذلك ؟ فقال: معرفة الإمام واجتناب الكبائر ، ومن مات وليس في رقبته بيعة لإمام مات ميّة جاهلية ، ولا يعذر الناس حتى يعرفوا إمامهم ، فمن مات وهو عارف بالإمامية لم يضره تقدم هذا الأمر أو تأخر ، فكان كمن هو مع القائم في فسطاطه. قال: ثم مكث هنئة ثم قال: لا بل كمن قاتل معه ، ثم قال: لا بل والله كمن استشهد مع رسول الله ﷺ. انتهى. ورواه في بحار الأنوار: ١٢٦/٢٧ - عن أعلام الدين .

### تفسير الحديث في مذهب أهل البيت ع

في هذا الحديث الشريف عناصر ومفاهيم عديدة ، نذكر أهمها: المفهوم الأول: أن النبي ﷺ بلغ الأمة نظام الإمامة من بعده، وأنه الطريق الوحيد لضمان عدم الوقع في الجاهلية. وأن الله تعالى جعل الإمام ركناً عملياً من أركان الإسلام مثل الصلاة والزكاة والحج، وجعل طاعته فريضة على كل مسلم.

### روي في الإمامة والتبصرة/٦٣

سعد ، عن محمد بن عيسى بن عبيد ، عن حماد بن عيسى ، عن إسماعيل بن جعفر: عن أبي عبد الله ع قال: جاء رجل إلى أبي عبد الله ع فسألة عن الأئمة ع فسماهم حتى انتهى إلى ابنه ، ثم قال: والأمر هكذا يكون ، والأرض لا تصلح إلا بإمام ، قال رسول الله ﷺ: من مات لا يعرف إمامه ، مات ميّة جاهلية. ثلث مرات .

المفهوم الثاني: أن الأئمة الذين قصدتهم النبي ﷺ هم الأئمة من ذريته ع فقد أخبره الله تعالى أنهم سيكونون في الأمة في كل عصر مع القرآن لا يفترقان حتى يردا عليه الحوض ، كما ورد في حديث الشفلين الذي صح عند الجميع .

بل روت مصادرنا أن النبي ﷺ قد نص في هذا الحديث على أن الأئمة من ذريته ففي مستدرك الوسائل: ١٧٦/١٨ قال:

أبو الفتح الكراجكي في كنز الفوائد ، عن محمد بن أحمد بن شاذان القمي عن أحمد بن محمد بن عبيد الله بن عياش ، عن محمد بن عمر ، عن الحسن بن عبد الله بن محمد بن العباس الرازي ، عن أبيه ، عن علي بن موسى الرضا ، عن آبائه ، عن أمير المؤمنين علیه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: من مات وليس له إمام من ولدي مات ميّة جاهلية ، يؤخذ بما عمل في الجahلية والإسلام. انتهى. ورواه في تفسير نور الثقلين: ٥٠٣/١ وص ٥٤٠ وج ٢٨٢/٢ وج ١٩٤/٣ وج ٢٤٠/٤ و تفسير كنز الدقائق: ٥٩٥/٢ ، وغيرها .

وقد روى جميع المسلمين شهادات النبي ﷺ في حق علي والحسن والحسين علیهم السلام وروى الشيعة شهاداته وشهادات علي والحسين في حق بقية الأئمة علیهم السلام ومن ذلك:

ما رواه البرقي في المحسن: ١٥٥: عن ابن فضال ، عن ثعلبة بن ميمون ، عن بشير العطار ، قال: قال أبو عبدالله علیه السلام: يوم ندعو كل أناس بإمامهم ، ثم قال: قال رسول الله ﷺ وعنه إمامكم ، وكم من إمام يجي يوم القيمة يلعن أصحابه ويلعنونه ، نحن ذرية محمد ﷺ وأمنا فاطمة علیها السلام وما آتى الله أحداً من المرسلين شيئاً إلا وقد آتاه محمد ﷺ كما آتى المرسلين من قبله ، ثم تلا: **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَدُرْسَيَّةً** .

وروى الطبرسي في أعلام الدين: ٤٥٩: عن أبي بصير عن الإمام الصادق علیه السلام في قول الله تعالى: **وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا** ، ما عنى بذلك ؟ فقال: معرفة الإمام واجتناب الكبائر ، ومن مات وليس في رقبته بيعة لامام مات ميّة جاهلية ،

ولا يعذر الناس حتى يعرفوا إمامهم .

**المفهوم الثالث:** أن هذا الحديث الثابت المتواتر ، يؤيد نفي أهل البيت وشيعتهم للروايات القائلة بأن النبي ﷺ لم يوص بشئ في أمر الخلافة ، لأنه يدل على أنه ﷺ قد أرسى نظام الإمامة وعين أشخاصه من ذريته ، كما أمره الله تعالى ، وهو في هذا الحديث يوجه الأمة إلى ضرورة معرفة الإمام في كل عصر ، فإن تعبير ( لا يعرف إمام زمانه ) يدل على أن مشكلة وجود الإمام في كل زمان محلولة في الإسلام بتكفل الله تعالى ببقاء ذرية نبيه إلى يوم القيمة و اختياره إماماً منهم في كل عصر ، وإنما هي مشكلة المسلمين في أن يعرفوا إمام زمانهم ويبايعوه !

والمتأمل في الحديث الشريف يرى أن اختيار الله تعالى محمدًا ﷺ للنبوة و اختيار آله من بعده للإمامية ، منسجم مع سنة الله تعالى في الأنبياء السابقين وذرياتهم ، وبالتالي فالحديث بعيد كل البعد عن عالم اختيار الناس لأنفسهم بعد النبي ﷺ وبعيد عن منطق تقسيم الأمر بينبني هاشم الذين كانت لهم النبوة ، وبين قبائل قريش الذين ينبغي أن تكون لهم الخلافة مناوبةً أو مغالبةً كما قالوا.... إلى آخر المنطق القرشى القبلي الذي ظهر في مرض النبي و يوم وفاته ، وانتصر في السقيفة في فترة انشغال أهل البيت بجنازة النبي ﷺ ! وسيطر على الحكم في تاريخنا الإسلامي إلى أن انتهى على يد العثمانيين بأسوأ نهاية !

**المفهوم الرابع:** أن المسلم في كل عصر لا يتم إسلامه حتى يبايع الإمام من ذرية النبي ﷺ بأن يعتقد به ويعترف بما له من حق الطاعة بأمر الله تعالى وأمر رسوله ﷺ . فالذي لا يعرف الإمام يكون فيه نوع من الجهل والجاهلية ، وإن مات على ذلك مات على نوع من الجاهلية .

المفهوم الخامس: أن أهل بيت النبي صلی الله علیه وعلیهم هم امتحان الأمة بعد نبیها ، فهم میزان الإسلام والجاهلية ، وهم میزان الإيمان والنفاق ، وهم میزان الوفاء للنبي ﷺ وإطاعته بعد رحیله أو عصیانه. وقد وردت أحادیث كثیرة في مصادر الطرفین تنص على هذه المفاهیم الإسلامية وتوکدھا وتوئیدھا .

من ذلك ما روتھ مصادر الطرفین وصححھ علماء الحديث ، من أن بغض علی علیشیة علامة على النفاق وعدم الإيمان بالنبي ﷺ .

فقد روى أحمد في مسنده: ٩٥/١ وص ١٢٨ وص ٢٩٢ عن زر بن حبيش عن علي (رض) قال: عهد إلى النبي (ص) أنه لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق. ورواه الترمذی في سننه: ٣٠٦/٥ ، وقال الترمذی في سننه: ٢٩٨/٥ :

حدثنا قتيبة أخبرنا جعفر بن سليمان ، عن أبي هارون العبدی ، عن أبي سعید الخدري قال: إن كنا لنعرف المنافقین نحن عشر الأنصار ببغضھم علی بن أبي طالب. هذا حديث غریب. وقد تکلم شعبۃ في أبي هارون العبدی ، وقد روى هذا عن الأعمش عن أبي صالح عن سعید .

وقال الهیثمی في مجمع الزوائد: ١٣٢/٩

وعن جابر بن عبد الله قال: والله ما كنا نعرف منافقينا على عهد رسول الله (ص) إلا ببغضھم علياً. رواه الطبرانی في الأوسط والبزار بنحوه ، إلا أنه قال ما كنا نعرف منافقينا عشر الأنصار ، بأسانید كلھا ضعیفة (....) .

وعن ابن عباس قال: نظر رسول الله (ص) إلى علي فقال: لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق ، من أحبك فقد أحبني ومن أبغضك فقد أبغضني ، وحبيبي حبيب الله وبغيضي بغيض الله ، ويل لمن أبغضك بعدي. رواه الطبرانی في الأوسط ورجاله ثقات إلا أن في ترجمة أبي الأزهر أحمد بن الأزهر النیسابوری

أن معمراً كان له ابن أخ راضي فأدخل هذا الحديث في كتبه ، وكان معمر مهياً لا يراجع وسمعه عبدالرزاق. وعن عمران بن الحصين أن رسول الله(ص) قال لعلي: لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق. رواه الطبراني في الأوسط ، وفيه محمد بن كثير الكوفي حرق أحمد حديثه وضعفه الجمهور ووثقه ابن معين ، وعثمان بن هشام لم أعرفه ، وبقية رجاله ثقات (....).

#### وروى في كنز العمال: ١٠٦/١٣

عن أبي ذر قال: ما كنا نعرف المنافقين على عهد رسول الله(ص) إلا بثلاث: بتكذبهم الله ورسوله ، والتخلف عن الصلاة وبغضهم علي بن أبي طالب. خط ، في المتفق .

#### وروى الحاكم في المستدرك: ١٢٨/٣

... عن ابن عباس رضي الله عنهما قال نظر النبي ﷺ إلى علي فقال: يا علي أنت سيد في الدنيا ، سيد في الآخرة ، حبيبك حبيبي وحبيبي حبيب الله ، وعدوك عدوي وعدوي عدو الله ، والويل لمن أبغضك بعدي. صحيح على شرط الشيختين ، وأبو الأزهري بإجماعهم ثقة ، وإذا تفرد الثقة بحديث فهو على أصلهم صحيح .

#### وروى الحاكم في: ١٣٥/٣

... سمعت عمار بن ياسر (رض) يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول لعلي: يا علي طوبى لمن أحبك وصدق فيك ، وويل لمن أبغضك وكذب فيك. هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

وروى الحاكم في: ١٤٢/٣ ، أن النبي ﷺ قد أخبر علياً بأن الأمة ستغدر به من بعده!

فقال: عن حيان الأسدى سمعت علياً يقول قال لي رسول الله ﷺ: إن الأمة ستغدر بك بعدي ، وأنت تعيش على ملتي وتقتل على سنتي. من أحبك أحبني ومن أبغضك أبغضني، وإن هذه ستختضب من هذا يعني لحيته من رأسه. صحيح. انتهى .

بل روى الشيعة والسنّة إخبار النبي ﷺ بأن مبغض علي عَلَيْهِ الْمَسْكُونَ (يموت ميّة جاهلية) فقد روى الصدوق في علل الشرائع: ١٥٧/١:

حدثني الحسين بن يحيى بن ضریس ، عن معاویة بن صالح بن ضریس البجلي قال: حدثنا أبو عوانة قال: حدثنا محمد بن يزید وہشام الزراعي قال: حدثني عبدالله بن میمون الطھوی قال: حدثنا لیث ، عن مجاهد ، عن ابن عمر قال بینا أنا مع النبي ﷺ فی نخلیل المدینة وهو یطلب علیاً عَلَيْهِ الْمَسْكُونَ إذا انتھی إلی حایط فاطلع فيه فنظر إلی علی و هو یعمل فی الأرض وقد اعْبَارَ ، فقال: ما ألم الناس أن یکنوك أبا تراب ، فلقد رأیت علیاً تمر و وجهه وتغیر لونه و اشتد ذلك علیه ، فقال النبي ﷺ ألا أرضیک یا علی ؟ قال: نعم یا رسول الله، فأخذ بيده فقال: أنت أخي وزیری و خلیفتي فی أهلي تقضی دینی و تبری ذمتي ، من أحبك فی حیاة منی فقد قضی لہ بالجنة ، ومن أحبك فی حیاة منک بعدي ختم الله لہ بالامن والإیمان ، ومن أحبك بعده و لم یرک ختم الله لہ بالامن والإیمان و آمنه یوم الفزع الأکبر ، ومن مات و هو یبغضك یا علی مات ميّة جاهلية یحاسبه الله عز و جل بما عمل فی الإسلام . وروى نحوه فی ص ١٤٤ ، وروى نحوه المغربي فی شرح الأخبار: ١١٣/١ ، وقال فی ١٥٧: وبآخر عن علی صلوات الله علیه ، أنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: إن الله أمرني أن أدنیك فلا أقصیك ، وأن أعلمك فلا أجفوك ، وحق علی أطیع ربی عز وجل ، وحق علیک أن تعي. یا علی من مات و هو یحبك کتب

الله له بالأمن والأمان ما طلت شمس وما غربت ، ومن مات وهو يبغضك مات ميّة الجاهلية وحوسب بعمله في الإسلام. انتهى. وروى في: ٤٧٧/٢: يا علي إنّه من أبغضك في حياتي وبعد موتي مات ميّة جاهلية ، وحوسب بعمله في الإسلام. يا علي أنت معي في الجنة. انتهى. وروى نحوه في مستدرك الوسائل: ١٨١/١٨ وص ١٨٢ وفيه ( من مات لا يعرف إمام دهره .. )

وروى محمد بن سليمان في مناقب أمير المؤمنين: ٣٢٠/١ ، وروى نحوه في: ٤٨٦/٢: فقال: محمد بن منصور عن أبي هشام الرفاعي محمد بن يزيد ، عن عبدالله بن ميمون الطهوي، عن ليث عن مجاهد: عن ابن عمر قال: بينما أنا مع رسول الله ﷺ في نخل بالمدينة وهو يطلب علياً إذ انتهى إلى حائط فاطلع فيه فنظر إلى علي وهو يعمل في الأرض وقد أغاره فقال له: ما ألم الناس أن يكتنوك بأبي تراب. قال ابن عمر: فلقد رأيت علياً تمر ووجهه وتغير لونه واشتد ذلك عليه فقال له النبي ﷺ: ألا أرضيك يا علي؟ قال: بلى يا رسول الله ، قال: أنت أخي وزيري وخليفتي في أهلي، تقضي ديني وتبرئ ذمتي. من أحبك في حياة مني فقد قضى نحبه ، ومن أحبك في حياة منك بعدي فقد ختم الله له بالأمن والإيمان ، ومن أحبك بعدرك ولم يرك ختم الله له بالأمن والإيمان وآمنه يوم الفزع الأكبر. ومن مات وهو يبغضك يا علي مات ميّة جاهلية يهودياً أو نصراانياً ، ويحاسبه الله بما عمل في الإسلام. ثم قال ابن عمر: لقد سماه الله في أكثر من ثلاثين آية سماه فيها كلها مؤمناً .

وقال في هامشه: هذا الحديث - أو قريب منه سند ومتناً - رواه الحافظ الطبراني في الحديث: ١٠٠ أو ما حوله من مسنّد عبدالله بن عمر من كتاب المعجم الكبير: ٣ من المخطوطة الورق ٢٠/ب .

ورواه الهيشمي في مجمع الزوائد: ١٢١/٩ ، وتوقف في صحته ، قال: رواه الطبراني وفيه من لم أعرفه. وقال عن رواية أخرى له: رواه أبو يعلي وفيه ذكريا الأصبهاني وهو ضعيف. وقال عن رواية ثالثة له في: ١١١/٩: رواه الطبراني في الكبير والأوسط وفيه حامد بن آدم المروزي وهو كذاب. وقال عن رواية رابعة له: رواه الطبراني في الأوسط وفيه أشعث ابن عم الحسن بن صالح وهو ضعيف ولم أعرفه. انتهى. وقد رأيت تضعيفه للأحاديث المتقدمة التي صححها الحاكم على شرط الشيوخين وعلى شرطه !

ولكن الهندي رواه ووثقه ، قال في كنز العمال: ٦١٠/١١ و ١٥٩/١٣: عن علي قال: طلبني رسول الله(ص) فوجدني في جدول نائماً فقال: قم ما ألم الناس يسمونك أبا تراب ، قال فرآني كأني وجدت في نفسي من ذلك: قم والله لأرضينك ! أنت أخي وأبو ولدي ، تقاتل عن سنتي وتبرى ذمتى ، من مات في عهدي فهو كنز الله ، ومن مات في عهلك فقد قضى نحبه ، ومن مات بحبك بعد موتك ختم الله له بالأمن والإيمان ما طلعت شمس أو غربت ، ومن مات يبغضك مات ميته جاهلية وحوسب بما عمل في الإسلام. ع ، قال البوصيري: رواه ثقات. انتهى .

المفهوم السادس: أن معنى (مات ميته جاهلية) يتفاوت حسب حالة الشخص فقد روى في الكافي: ٣٧٧/١ . . . عن الحارث بن المغيرة قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: قال رسول الله ص: من مات لا يعرف إمامه مات ميته جاهلية ؟ قال: نعم ، قلت جاهلية جهاء أو جاهلية لا يعرف إمامه ؟ قال جاهلية كفر ونفاق وضلال. ونحوه في المحسن: ١٥٥ ونحوه في الإمامة والتبصرة: ٨٢ عن الإمام الباقر

عليه الصلوة وفي رواية منها ( مات ميّة جاهليّة كفر وشرك وضلال ) .

وروى الصدوق في كمال الدين ٤١٣/٢: عن سليم بن قيس الهلالي . . . عن رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: من مات وليس له إمام مات ميّة جاهليّة . . . وإن سلمان قال: يا رسول الله إنك قلت من مات وليس له إمام مات ميّة جاهليّة ، من هذا الإمام ؟ قال: من أوصيائي يا سلمان ، فمن مات من أمتني وليس له إمام منهم يعرفه فهي ميّة جاهليّة ، فإن جهله وعاداه فهو مشرك ، وإن جهله ولم يعاده ولم يوال له عدواً فهو جاهل وليس بمسرك. انتهى. ونحوه في ٦٦٨/ .

وهذا الحكم النبوي غير عجيب ، وإن بدا شديداً ، لأن الجميع رواه عنه صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أبغض أهل البيت عليهم السلام أو نصب لهم العداوة فهو كافر . ولا يتسع المجال لاستعراض حكم الناصبي والناصبة في مصادر فقه الطرفين. ولذلك فإن قوله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مات ميّة جاهليّة ، وقوله في هذا الحديث: فإن جهله وعاداه فهو مشرك ، منسجم مع آية المودة في القربى ، وما رواه الجميع في تفسيرها. أما إذا كان موقف المسلم الجهل بأهل البيت عليهم السلام بدون موقف عدائى منهم . . فلا يكون ناصبياً. وفي الحديث الذي وثقه البوصيري دلالة مهمة على أن محب علي عليه السلام يموت على الإسلام ولا يحاسب بما عمل في الإسلام ، وأن مبغضه يموت على جاهليّة ويحاسب بما عمل في الجاهليّة وفي الإسلام !! فيكون علي عليه السلام ميزاناً لجميع الأمة مع رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

### تفسير الشيعة الزيدية للحديث

مسند زيد بن علي ٣٦١/

حدثني زيد بن علي عن أبيه عن جده عن علي ( ع م ) قال: من مات وليس له

إمام مات ميّة جاهلية إذا كان الإمام عدلاً برأًّ تقياً .

الأحكام في الحلال والحرام: ٤٦٦/٢

تقرير القول فيما روي عن النبي ﷺ أنه قال: من مات لا يعرف إمامه مات ميّة جاهلية .

قال يحيى بن الحسين صلوات الله عليه: إذا كان في عصر هذا الإنسان إمام قائم زكي ، تقي ، علم ، نقي ، فلم يعرفه ولم ينصره وتركه وخذه ومات على ذلك مات ميّة جاهلية ، فإذا لم يكن إماماً ظاهراً معروفاً باسمه مفهوم بقيامه ، فالإمام الرسول والقرآن وأمير المؤمنين ، ومنه كأن على سيرته وفي صفتة من ولده .

فتجب معرفة ما ذكرنا على جميع الاناس إذا لم يعلم في الأرض في ذلك العصر إمام ، و يجب عليهم أن يعلموا أن هذا الأمر في ولد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم خاصاً دون غيرهم ، وأنه لا يعدم في كل عصر حجة الله يظهر منهم إمام يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، فإذا علم كلما ذكرنا وكان الأمر عنده على ما شرحتنا ثم مات فقد نجا من الميّة الجاهلية ومات على الميّة المليّة ، ومن جهل ذلك ولم يقل به ولم يعتقد فقد خرج من الميّة المليّة ومات على الميّة الجاهلية . هذا تفسير الحديث و معناه .

### الفرق بين صيغ الحديث في مصادرنا ومصادر إخواننا

روت مصادر إخواننا السنة هذا الحديث بشكل واسع وصيغ متعددة ، وفي بعضها لفظة: إمام كما في مصادرنا ، وفي أكثر صيغه حل محلها لفظة: أمير . وقد خلت صيغه عندهم تقريراً من مادة معرفة الإمام وحل محلها بيعة الإمام أو الأمير .  
ونلاحظ وجود عناصر جديدة في رواياتهم ، منها أن يكون ذلك الإمام إمام

جماعة ، والمقصود به الذي يستطيع أن يسيطر على أكثرية الناس في منطقته ، مهما كان أسلوبه في السيطرة ، فهو في مصطلح إخواننا إمام جماعة ، ومن يعارضه إمام فرقة .

ومنها ، حرمة نكث بيته والخروج عليه .

ومنها ، أنه لا يشترط فيه أي شروط إلا أن يكون من قبائل قريش ، ويسيطر على أكثرية الناس في بلده ، أو أكثرية الأمة ..

ومنها ، أنه لا يجوز لغير قريش أن تتصدى لحكم المسلمين أو تطمع فيه ، كما أن الصراع القبلي بين قبائل قريش على الخلافة حرام . . . إلى آخر الإضافات التي تعكس الخلاف الدموي على الخلافة ومحاولته فرقائه بإسناد مواقفهم بتطوير هذا الحديث وغيره ! كما روت مصادر إخواننا تطبيقات الصحابة والتابعين لهذا الحديث ، خاصة عبدالله بن عمر ، وأبي سعيد الخدري .

والسبب في سعة روايته عندهم أن أصل الحديث كان مشهوراً ، وكانت السلطة تحتاج إليه - بشرط تحريفه ومصادرته - ليكون شعاراً لإثبات شرعيتها ثم لتحريم الخروج عليها ، ولذلك كثر توظيفه لمصلحة الحكم حتى لو كان في أول أمره خارجاً على الشرعية وسلط على المسلمين بالقهر والغلبة ، فقد استشهد بهذا الحديث معاوية بن أبي سفيان ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد: ٢١٨/٥: عن معاوية قال: قال رسول الله (ص): من مات بغير إمام مات ميتة جاهلية. وفي رواية من مات وليس من عنقه بيعة مات ميتة جاهلية. انتهى .

ولكن مهما كانت الفروقات في صيغ الحديث، فيه عنصران ثابتان عند الطرفين، وهما أن النبي ﷺ تحدث عن نظام الحكم من بعده. وأنه تحدث عن الإمام ونظام الإمامة ولم يتحدث عن نظام الخلافة .

وهذه الحقيقة رأس خيط في الإعتقداد بأن الله تعالى قد اختار نوع نظام الحكم للامة بعد نبيها ﷺ ووضع له آلية ، وأن هذا الحديث إحدى مفردات هذه الآلية التي وصلت إلينا باتفاق جميع الأطراف !

ومن السهل أن نتعقل معنى الحديث أو صيغة الحكم الإسلامي على مذهب أهل البيت ع وأن الله تعالى اختار ذرية نبيه للامامة من بعده ، وضمن بقدره استمرار وجود إمام منهم في كل عصر ، وكلف الأمة بمعرفته وبيعته ، وجعل خاتمهم الإمام المهدى الموعود ع الذي يظهر سبحانه على يده دينه على الدين كله، ويملا به الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً ، على حد تعبير جده المصطفى ﷺ .

وأما على مذهب إخواننا السنة فمن المشكّل أن يتعقل الإنسان أن مشروع الله تعالى لخاتم الأديان هو نظام الخلافة الذي بدأ يوم وفاة النبي ﷺ في السقيفة ، وامتد في تاريخ الأمة صراعات متصلة على الخلافة وأمواجاً من الإنقسامات والدماء ، حتى انتهى بسقوط الخلافة العثمانية ، واستسلام الأمة استسلاماً ذليلاً لأعدائها الغربيين !!

روايات إخواننا التي وردت فيها لفظة إمام

روى أحمد في مسنده: ٩٦/٤

عن عاصم عن أبي صالح ، عن معاوية ، قال قال رسول الله (ص): من مات بغیر إمام مات میتة جاهلية .

روى الطيالسي في مسنده ١٢٥٩

حدثنا أبوداود قال: حدثنا خارجة بن مصعب ، عن زيد بن أسلم ، عن ابن عمر قال: سمعت رسول الله (ص) يقول: من مات بغیر إمام مات میتة جاهلية ، ومن نزع

يداً من طاعة جاء يوم القيمة لا حجة له .

وروى ابن حبان في صحيحه: ٤٩٧

عن معاوية ، قال: قال رسول الله (ص): من مات وليس له مات ميّة جاهلية. وقال ابن حبان: قوله (ص): مات ميّة الجاهلية معناه: من مات ولم يعتقد أن له إماماً يدعو الناس إلى طاعة الله حتى يكون قوام الإسلام به عند الحوادث والنوازل ، مقتنعاً في الإنقياد على من ليس نعته ما وصفنا ، مات ميّة جاهلية .

وروى الطبراني في معجمه الكبير: ٣٥٠/١٠

حدثنا الحسن بن جرير الصوري ، ثنا أبو الجماهر ، ثنا خليل بن دعلج ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب ، عن ابن عباس قال قال رسول الله (ص): من فارق جماعة المسلمين قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه ، ومن مات ليس عليه إمام فميّته جاهلية ، ومن مات تحت راية عمية يدعو إلى عصبة أو ينصر عصبة فقتلته جاهلية .

وروى الحاكم في المستدرك: ١١٧/١

.. من خرج من الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه حتى يراجعه. وقال: من مات وليس عليه إمام جماعة فإن موته موتة جاهلية .

وروى الهيثمي في مجمع الزوائد: ٢١٨-٢١٩/٥

عن معاوية قال: قال رسول الله (ص): من مات بغير إمام مات ميّة جاهلية. وفي رواية من مات وليس في عنقه بيعة مات ميّة جاهلية. رواه الطبراني وإسنادهما ضعيف. انتهى. ولكن مال إلى تصحيحه في: ٢٢٥/٥

وعن معاذ بن جبل قال قال رسول الله (ص): ألا إن الجنة لا تحل ل العاص ، ومن

لقي الله ناكثاً بيعته لقيه وهو أجدم ، ومن خرج من الجماعة قيد شبر متعمداً فقد خلع رقبة الإسلام من عنقه ، ومن مات ليس لإمام جماعة عليه طاعة مات ميتة جاهلية. رواه الطبراني وفيه عمرو بن واقد وهو متزوك .

وعن أبي الدرداء قال قام فينا رسول الله(ص) فقال: ألا إن الجنة لا تحل ل العاص ، من لقي الله وهو ناكث بيعته يوم القيمة لقيه وهو أجدم ، ومن خرج من الطاعة شبراً فقد خلع رقبة الإسلام من عنقه ، ومن أصبح ليس لأمير جماعة عليه طاعة بعثه الله يوم القيمة من ميتة جاهلية ، ولو أذر عبد أنسه الناس يوم القيمة . رواه الطبراني وعمر بن روبية وهو متزوك .

#### وروى التوسي في المجموع: ١٩٠/١٩٠

حديث مسلم الآتي وقال: وأخرجه عن زيد بن أسلم عن أبيه عن ابن عمر بمعنى حديث نافع ، وأخرجه الحاكم عن ابن عمر بلفظ: من خرج من الجماعة فقد خلع رقبة الإسلام من عنقه حتى يراجعه ، ومن مات وليس عليه إمام جماعة فإن ميتته ميتة جاهلية. وأخرج مسلم من حديث أبي هريرة بلفظ: من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فميتته جاهلية. انتهى. رواه البيهقي في سننه: ١٥٦/٨ .

وروى في كنز العمال: ١٠٣/١: من مات بغير إمام مات ميتة جاهلية. حم ، طب ، عن معاوية .

#### وروى في كنز العمال: ٢٠٧/١-٢٠٨

من خرج من الجماعة قيد شبر فقد خلع رقبة الإسلام من عنقه حتى يراجعه. ومن مات وليس عليه إمام جماعة فإن موته موتة جاهلية. لك ، عن ابن عمر .

من فارق المسلمين قيد شبر فقد خلع رقبة الإسلام من عنقه ، ومن مات ليس عليه إمام فميتته ميتة الجاهلية ، ومن مات تحت راية عمية يدعو إلى عصبية أو

ينصر عصيبة فقتلته جاهلية. طب .

من فارق جماعة المسلمين شبراً أخرج من عنقه رقبة الإسلام ، والمخالفين بألوائهم يتناولونها يوم القيمة من وراء ظهورهم ، ومن مات من غير إمام جماعة مات ميّة جاهلية. أك ، عن ابن عمر .

وفي كنز العمال أيضاً: ٦٥/٦

من مات بغير إمام مات ميّة جاهلية ، ومن نزع يدأ من طاعة جاء يوم القيمة لا حجّة له. ط ، حل ، عن ابن عمر .

### رواياتهم التي فيها لفظ طاعة

روى ابن أبي شيبة في مصنفه: ٣٨/١٥

حدثنا علي بن حفص ، عن شريك ، عن عاصم ، عن عبدالله بن عامر ، عن أبيه قال: قال رسول الله (ص): من مات ولا طاعة عليه مات ميّة جاهلية ، ومن خلّها بعد عقده إياها فلا حجّة له .

وروى أحمد في مسنده: ٤٤٦/٣

عن عبدالله بن عامر ، يعني ابن ربيعة عن أبيه قال: قال رسول الله (ص): من مات ولّيست عليه طاعة مات ميّة جاهلية ، فإن خلّها من بعد عقدها في عنقه لقي الله تبارك وتعالى ولّيست له حجّة. وقال قال الحسن: بعد عقده إياها في عنقه .

وروى البخاري في تاریخه: ٤٤٥/٦ ، أوله ، كما في ابن أبي شيبة .

ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد: ٥/٢٢٣ و قال: رواه أحمد ، وأبو يعلي ، والبزار ، والطبراني. وروى نحوه في: ٢٥٢/٢ .. وغيرهم .. وغيرهم .

### رواياتهم التي توجب طاعة الحكم الجائر

وهي كثيرة جداً في مصادر إخواننا ، وقد وصل فيها التحذير إلى حد اعتبار التأثر على الحكم الجائر خارجاً عن الإسلام ، باغياً ، واجب القتل ، مهدور الدم ، يموت موتة جاهلية وأنه كافر مخلد في النار ، لكنه إذا انتصر صار حاكماً شرعاً واجب الطاعة ، وصار الخارج عليه ملعوناً كما كان هو ملعوناً قبل ساعة .. وهكذا تصنع السياسة ومخالفة الرسول !

روى مسلم في صحيحه: ٦/٢١

عن أبي هريرة عن النبي(ص)أنه قال: من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات مات مية جاهلية .

وروى مسلم في: ٦/٢٢

عن الحسن بن الربيع ، عن حماد قال: من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر عليه، فإنه ليس أحد من الناس خرج من السلطان شبراً فمات عليه إلا مات مية جاهلية ... انتهى. وروى نحوه ابن ماجة: ٢/٢٣٠

وروى الحكم في المستدرك: ١/١٨

عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: من فارق الجماعة فمات ، مات موتة جاهلية. انتهى. وروى نحوه أحمد في مسنده: ٢/٩٣ و ١٢٣ و ١٥٤ و ٢٩٦ و ٣٠٦ و ٤٨٨ و ٣/٤٤٥ و ٤٤٦ و ٣/٤٤٥ و ٤٨٨

وروى الهيثمي في مجمع الزوائد: ٥/٢١٨

وعن أبي هريرة أن رسول الله(ص)قال: سيليكم بعدي ولاء ، فيليكم البر ببره

والفاجر بفجوره ، فاسمعوا لهم. انتهى. والنسائي: ١٢٣/٧ ، والدارمي: ٢٤١/٢ ، والبيهقي في سننه: ١٥٧/٨ ، والهيثمي في مجمع الزوائد: ٣٢٤/١ وج ٢٨٦/٦ ، وكنز العمال: ٥٠٩/٣ وج ٥٢/٦ ، وابن حزم في المحتلى: ٣٥٩/٩..، وغيرهم..، وغيرهم. .

### مدرسة البخاري في تفسير هذا الحديث

لعل أكثر هذا الروايات صراحة في التأكيد على حرمة الخروج على الحاكم ، تلك التي تحذر المسلمين من موتة الجاهلية إذا هم لم يطعوه ويتحملوا منه مهما كانت أعماله مكرهه ، وقد اقتصر البخاري في صحيحه على هذه الروايات فلم يرو شيئاً في التحذير من ميتهة الجاهلية غيرها ! ولأن إطاعة الحاكم عنده ولو كان جائراً هي الضمان الوحيد لعدم رجوع المسلم إلى الجاهلية ، قال في صحيحه:

٨٧/٨

... عن أبي رجاء عن ابن عباس عن النبي صلى الله وسلم قال: من كره من أميره شيئاً فليصبر ، فإنه من خرج من السلطان شبراً مات ميتهة جاهلية. ورواه أيضاً في نفس الصفحة بعدة روايات. ورواه أيضاً في: ١٠٥/٨ ، ورواه مسلم في صحيحه: ٢٩٧/٦ ، والبيهقي في سننه: ١٥٦/٨ - ١٥٧ ، وأحمد في مسنده: ١/٢١٠ ، وص ٣١٠ ، ونحوه في: ٢/٧٠ وص ٩٣ وص ١٢٣ وص ٤٤٥ وفي: ٤٤٦/٣.

وروى الهيثمي في مجمع الزوائد: ٥/٢١٩ اعلاناً من الله ورسوله ببراءة ذمة المسلمين عند الله تعالى في طاعتهم لحكام الجور ، قال:

عن المقدام بن معدى كرب أن رسول الله (ص) قال: أطعوا أمراءكم مهما كان ، فإن أمرؤكم بشئ مما جئتكم به فإنهم يؤجرون عليه وتوّجرون بطاعتهم ، وأن أمرؤكم بشئ مما لم آتكم به فإنه عليهم وأنتم منه براء ، ذلكم بأنكم إذا لقيتم

الله قلتم ربنا لا ظلم فيقول لا ظلم ، فتقولون ربنا أرسلت إلينا رسلاً فأطعنهم بإذنك واستخلفت علينا خلفاء فأطعنهم بإذنك ، وأمرت علينا أمراء فأطعنهم بإذنك ، فيقول صدقهم هو عليهم وأنتم منه براء. رواه الطبراني وفيه إسحق بن إبراهيم بن زيريق وثقة أبو حاتم وضعفه النسائي ، وبقية رجاله ثقات. انتهى .

والفرية الكبرى في هذا الحديث أن الحاكم الجائر قد استخلفه الله تعالى على عباده وأمرهم بطاعته مهما عصى الله تعالى ( واستخلفت علينا خلفاء فأطعنهم بإذنك ) بل ادعى واضح الحديث أن ذلك يشمل عمال الحاكم وموظفيه أيضاً ( وأمرت علينا أمراء فأطعنهم بإذنك ) !

ومن العجيب أن مخالفي أهل البيت عليهما السلام يستكثرون أن يكون الله عزوجل اختار لهذه الأمة الثاني عشر إماماً بعد نبيها من ذريته ، وقد صحت رواياته عند الطرفين ، ولا يستكثرون مافي مصادرهم وعقائدهم من الإفتراء على الله تعالى بأنه اختار كل الحكام والطغاة والمفسدين في الأرض بل والكفار المستعمرين أئمة وحكاماً وأمر المسلمين بطاعتهم !!

### عبدالله بن عمر يطبق تفسير إخواننا للحديث

من أبرز من روی عنه حديث المية الجاهلية عبدالله بن عمر ، وقد اقتربت روايته بقصة عبد الله مع الحديث وتطبيقاته له في حياته التي امتدت إلى زمن الحجاج الثقفي وخلافة عبد الملك بن مروان ، وقد ذكرت مصادر الحديث والتاريخ والفقه أن عبدالله بن عمر كان يعارض كل تحرك ضد الحاكم مهما فسق وطغى بحجة هذا الحديث ، لأن المهم برأيه أن يكون في عنق المسلم بيعة لأحد ، أي أحد ، وأن لا ينام على فراشه ليلة إلا والبيعة في عنقه ، حتى لا يموت موتة

جاهلية !

روى مسلم صحيحه: ٢٢/٦

عن زيد بن محمد عن نافع قال: جاء عبدالله بن عمر إلى عبدالله بن مطیع حين كان من أمر الحرة ما كان زمن يزيد بن معاویة فقال: إطرحوا لأبي عبدالرحمن وسادة، فقال: إني لم آتكم لأجلس ، أتيتك لأحدثك حديثاً سمعت رسول الله (ص) يقوله ، سمعت رسول الله (ص) يقول: من خلع يداً من طاعة لقي الله يوم القيمة لا حجة له ، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية .

وروى ابن سعد في الطبقات: ١٤٤/٥

عن أمية بن محمد بن عبدالله بن مطیع ، أن عبدالله بن مطیع أراد أن يفر من المدينة ليالي فتنة يزيد بن معاویة ، فسمع بذلك عبدالله بن عمر فخرج إليه حتى جاءه قال: أين تريد يابن عم ؟ فقال: لا أعطيم طاعة أبداً ، فقال: يابن عم ، لا تفعل فإني أشهد إني سمعت رسول الله (ص) يقول: من مات ولا بيعة عليه مات ميتة جاهلية. انتهى. وروى نحوه أحمد في مسنده: ١٤٧٩/٣ - ١٤٧٨/١: عن عبد الله بن عمر. وروى نحوه الحاكم في المستدرك: ٧٧/١ و قال: هذا حديث صحيح على شرط الشيفين. وقد حدث به الحجاج بن محمد أيضاً عن الليث ولم يخرجاه. ورواه الطبراني الأوسط: ١٧٥/١ - كما في ابن سعد.. ورواه غيرهم .

وعبد الله بن مطیع الذي ذهب إليه عبدالله بن عمر لينصحه بالتسليم هو الذي اختاره أهل المدينة أميراً عليهم عندما ثاروا على ظلم بنى أمية وطردوهم من المدينة ، فأرسل يزيد جيشاً من الشام لغزو مدينة الرسول ﷺ وجرت بين أهلها بقيادة ابن مطیع وبين جيش يزيد معركة الحرة المشهورة التي استشهد فيها مئات

ممن بقي من الأنصار والمهاجرين ، واستباح على أثرها جيش يزيد المدينة ، وعاث فيها فساداً وتعدياً على الحرمات والأعراض ، وأخذوا البيعة من أهلها وختموهم في أعناقهم على أنهم عبيد أقنان ليزيد !

قال الذهبي في تاريخ الإسلام: ٣١٤/٦: وعن إسحاق بن يزيد قال: رأيت أنساً (رض) مختوماً في عنقه ، ختمه الحجاج ، أراد أن يذله بذلك ... وقال عمر بن عبد العزيز: لو تخطب الأم وجعلنا بالحجاج لغلبناهم ... وقال عاصم بن أبي النجود: ما بقيت لله حرمة إلا وقد انتهكها الحجاج ! انتهى .

ولابد أن يكون هذا الختم في زمن الحجاج ختماً آخر ختمه بنو أمية في أعناق أهل المدينة !!

وقال الذهبي في: ٢٧٤/٥

جمع ابن عمر بنيه وأهله ، وقال: أما بعد فإننا قد بايعنا هذا الرجل على بيع الله ورسوله وإنني سمعت رسول الله(ص) يقول: إن الغادر ينصب له لواء يوم القيمة يقال هذه غدرة فلان ... فلا يخلعن منكم أحد يزيد .

وقال الشاطبي في الاعتصام ١٢٨/٢ - ٢٩

عن نافع قال: لما خلع أهل المدينة يزيد بن معاوية جمع ابن عمر حشده وولده وقال: إنني سمعت رسول الله يقول: لينصب لكل غادر لواء يوم القيمة. وإننا قد بايعنا هذا الرجل وإنني لا أعلم أحداً منكم خلعه ولا تابع في هذا الأمر ، إلا كانت الفيصل بيني وبينه .

قال ابن العربي: وقد قال ابن الخطاط إن بيعة عبد الله ليزيد كانت كرهاً ، وأين يزيد من ابن عمر ؟ ولكن رأى بدينه وعلمه التسليم لامر الله والقرار عن التعرض لفتنة فيها من ذهاب الأموال والأنفس ما لا يخفى .

وقال النووي في شرح مسلم ٢٢/٦:

... ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميته جاهلية . . . في هذا دليل على مذهب عبد الله بن عمر كمذهب الأكثرين في منع القيام على الإمام وخلعه إذا حدث فسقه .

وقال الشاطبي في الاعتصام: ١٢٨/٢:

قيل ليحيى بن يحيى: البيعة مكرهة؟ قال لا ، قيل له: فإن كانوا أئمة جور؟  
فقال: قد بايع ابن عمر لعبد الملك بن مروان ، وبالسيف أخذ الملك !

وقال ابن حزم في المثلث ٤٥/١:

مسألة . . . ومن بات ليلة وليس في عنقه بيعة مات ميته جاهلية . . . عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله (ص): من خلع يدأ من طاعة لقي الله يوم القيمة لا حجة له ، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميته جاهلية .

وقال ابن باز في فتاوى: ٣٠٣/٤:

في صحيح البخاري: أن عبد الله بن عمر كان يصلي خلف الحجاج بن يوسف الثقفي وكذا أنس بن مالك ، وكان الحجاج فاسقاً ظالماً. انتهى .  
— ولكن النووي ادعى أن بيعة ابن عمر لعبد الملك كانت أيضاً خوفاً وتقية من بني أمية ، قال في شرح مسلم ٨ جزء ٩٨/١٦:

... قولهرأيت عبد الله بن الزبير على عقبة المدينة فجعلت قريش تمر عليه والناس حتى مر عليه عبد الله بن عمر فوقف عليه فقال: السلام عليك أبا حبيب. فيه استحباب السلام على الميت في قبره وغيره وتكريير السلام ثلاثاً. وفيه منقبة

لابن عمر لقوله الحق في الملا وعدم اكتراه بالحجاج ، لأنه يعلم أنه يبلغه مقامه عليه وقوله وشاؤه عليه ، فلم يمنعه ذلك أن يقول الحق ويشهد لابن الزبير بما يعلمه فيه من الخير وبطلان ما أشاع عنه الحجاج من قوله إنه عدو الله وظالم.. ومذهب أهل الحق أن ابن الزبير كان مظلوماً وأن الحجاج ورفقته كانوا خوارج عليه .

**وامتنع عبد الله بن عمر عن بيعة عليٌّ ، ثم ندم**

قال المسعودي في مروج الذهب: ٣٦١/٢

وقد عن بيعة علي جماعة عثمانية لم يروا إلا الخروج عن الأمر ، منهم سعد بن أبي وقاص ، وعبد الله بن عمر ، وبایع ( عبد الله بن عمر ) يزيد بعد ذلك ، والحجاج لعبد الملك بن مروان .

وقال ابن الأثير في أسد الغابة: ٢٢٩/٢-٢٢٨

ولم يقاتل في شيء من الفتن ولم يشهد مع علي شيئاً من حربه حين أشكلت عليه ، ثم كان بعد ذلك يندم على ترك القتال معه. أخبرنا القاضي أبوغانم محمد بن هبة الله ابن محمد بن أبي جرادة . . . حدثنا عبد الله بن حبيب أخبرني أبي قال قال ابن عمر حين حضره الموت: ما أجد في نفسي من الدنيا إلا أنني لم أقاتل الفئة الباغية ، أخرجه أبو عمر ، وزاد فيه مع علي .

وقال ابن عبد البر في الاستيعاب: ١/٧٧

وصح عن عبد الله بن عمر من وجوه أنه قال: ما آسى على شيء كما آسى أنني لم أقاتل الفئة الباغية مع علي (رض). ونحوه في: ٣/٩٥٣  
وروروا أن ندمه على عدم إطاعة علي كان شديداً إلى حد أنه كاد أن يثور في

وجه معاوية. فقد روى البخاري في صحيحه: ٣٤٨/٥: قال خطب معاوية فقال: من كان يريد أن يتكلم في هذا الأمر فليطلع لنا قرنه ، فلنحن أحق به منه ومن أبيه ! قال حبيب بن مسلمة: فهلا أجبته ؟ قال عبد الله: هممت أن أقول: أحق بهذا الأمر منك من قاتلك وأباك على الإسلام ، فخشيت أقول كلمة تفرق بين الجمع ! وجاء في تاريخ الإسلام للذهبي: ٣٥٥/٥٤: قال ابن عمر: فحللت حبوتي وهممت أن أقول: أحق به من قاتلك وأباك على الإسلام !

ثم كانت علاقاته حسنة معبني أمية ومع الشاعرين عليهم

روى البخاري في الادب المفرد/٢٩٩

عن عبد الله بن دينار أن عبد الله بن عمر كتب إلى عبد الملك ابن مروان يباعه فكتب إليه .. فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، وأقر لك بالسمع والطاعة .

وقال الذهبي في تاريخ الإسلام: ٨/١٩٥

عن عمير بن هاني قال: وجئني عبد الملك بكتاب إلى الحجاج وهو محاصر ابن الزبير ، وقد نصب المنجنيق يرمي على البيت ، فرأيت ابن عمر إذا أقيمت الصلاة صلى مع الحجاج ، وإذا حضر ابن الزبير المسجد صلى معه .

وقال ابن أبي شيبة في المصنف: ٤/٣٤٠

عن مغيرة عن رجل أنه رأى ابن عمر صلى خلف ابن الزبير بمنى ركعتين ، قال: ورأيته صلى خلف الحجاج أربعًا !

وقال الذهبي في تاريخ الإسلام: ٥/٦٠

وكان المختار محسناً إلى ابن عمر يبعث إليه بالجوائز والعطايا لأنه كان زوج

أخت المختار .. وكان (المختار) غلاماً يعرف بالانقطاع إلى بني هاشم ثم خرج في آخر خلافة معاوية إلى البصرة فأقام بها يظهر ذكر الحسين ، فأخبر بذلك عبيد الله بن زياد فأخذه وجلده مائة وبعث به إلى الطائف .. ثم أن عبد الله بن عمر كتب فيه إلى يزيد لما بكت صفية أخت المختار على زوجها ابن عمر .. فكتب يزيد إلى عبيد الله فأخرجه .. فأتى الحجاز واجتمع بابن الزبير فحضره على أن يباع الناس .

وقال الذهبي في تاريخ الإسلام: ٤٦٢/٥: إن المختار بن أبي عبيدة كان يرسل إلى ابن عمر المال فيقبله .

وروت مصادر الشيعة احتياطاً غريباً له في تطبيق الحديث

قال الطبرى الشيعي في كتابه المسترشد ١٦

عبد الله بن عمر الذي قعد عن بيعة على عليه السلام ثم مضى إلى الحجاج فطرقه ليلاً فقال: هات يدك لأباعك لأمير المؤمنين عبد الملك فإني سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: من مات وليس عليه إمام فميته جاهلية ، حتى أنكرها عليه الحجاج مع كفره وعنته .

وروى ذلك المحدث القمي في الكنى والألقاب ، وفيه: فأخرج الحجاج رجله وقال: خذ رجلي فإن يدك مشغولة ، فقال ابن عمر: أتستهزئ مني ؟ ! قال الحجاج: يا أحمقبني عدي ما بايعد علياً وتقول اليوم: من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية ! أو ما كان علياً إمام زمانك ؟ ! والله ما جئت إلى لقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بل جئت مخافة تلك الشجرة التي صلب عليها ابن الزبير. انتهى .

## ولم يزد أحد على ابن عمر في تطبيق الحديث إلا أبو سعيد الخدري

— مجمع الزوائد: ٢١٩/٥

وعن بشر بن حرب أن ابن عمر أتى أبا سعيد فقال: يا أبا سعيد ألم أخبر أنك بايعدت أميرين قبل أن تجتمع الناس على أمير واحد؟ قال نعم بايعدت ابن الزبير، فجاء أهل الشام فساقوني إلى حبيش بن دلجة فبايعدته! فقال ابن عمر: إياها كنت أخاف؟!

قال أبو سعيد: يا أبا عبد الرحمن ألم تسمع أن رسول الله (ص) قال: من استطاع أن لا ينام يوماً ولا يصبح صباحاً ولا يمسى مساء إلا وعليه أمير؟ قال نعم، ولكني أكره أن أبايع أميرين من قبل أن يجتمع الناس على أمير واحد. انتهى. وقال الهيثمي: رواه أحمد، وبشر بن حرب ضعيف.

### تحير إخواننا السنة في هذا الحديث قديماً وحديثاً

لا مشكلة عندنا نحن الشيعة بسبب هذا الحديث بل هو منسجم مع مذهبنا، وهو من أدلةنا على نظام الإمامة في الإسلام وأن النبي ﷺ قد بلغه إلى الأمة، وقد ثبت عندنا بأدلة قاطعة أن الله تعالى جعل إماماً هذه الأمة في ذرية نبيها، وكفافها مؤونة اختيار الحاكم وأخطار الصراع على الحكم، لو أنها أطاعت، أما إذا أعرضت الأمة عنهم ومشت خلف آخرين فالمشكلة مشكلتها، ولا يتغير من أمر الله تعالى شيء، ولا تبطل إماماً الأئمة الذين اختارهم الله تعالى.

أما طريق معرفة الإمام فهي النص عليه من النبي ﷺ أو من الإمام السابق، كما أنه يعرف بما يجريه الله تعالى على يده من المعجزات والدلائل لإثبات إمامته، وسأأتي ذلك في بحث الإمامة إن شاء الله تعالى.

ولكن هذا الحديث ، سبب مشكلة لا تنحل عند إخواننا السنة ، مهما تكن صيغه التي رووه بها ، لأنه يوجب عليهم معرفة الإمام في كل عصر أو بيته ، وإلا فإنهم يموتون موتة جاهلية على غير الإسلام !

فلا مخرج للنبي من الموتة الجاهلية ، إلا بأحد أمور أربعة: بأن يصير شيعياً ، أو يباعي إماماً قرشياً جامعاً الشروط ، أو يلتزم بأن الإمام الشرعي في الإسلام كل من تسلط على المسلمين ولو بالحديد والنار ، فتجب بيته وطاعته مهما عصى الله تعالى ، أو يكون على مذهب حركة التكفير والهجرة ! ومن لم يفعل ذلك ومات ، فموته جاهلية !!

قال الشهيد الثاني في رسائله: ١٥٠/٢:

واعلم أن من مشاهير الأحاديث بين العامة والخاصة وقد أوردها العامة في كتب أصولهم وفروعهم أن: من مات ولم يعرف إمام زمانه فقد مات ميتة جاهلية ، فنحن والحمد لله نعرف إمام زماننا في كل وقت ، ولم يمت أحد من الإمامية ميتة جاهلية ، بخلاف غيرنا من أهل الخلاف فإنهم لو سئلوا عن إمام زمانهم لسكتوا ولم يجدوا إلى الجواب سبيلاً ، وتشتت كلمتهم في ذلك ، ففائقاً بأن إمامهم القرآن العزيز ، وهؤلاء يحتج عليهم بأن القرآن العزيز قد نطق بأن الإمام والمطاع غيره ، حيث قال الله تعالى: أطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِكُمْ أَمْرٌ مُنْكَرٌ .

على أنه لو سلم لهم ذلك لزمهم اجتماع إمامين في زمان واحد ، وهو باطل بالإجماع منا و منهم ، كما صرحوا به في كتب أصولهم ، وذلك لأن القرآن العزيز منذ رحلة النبي ﷺ من الدنيا ، وقد حكمو بإمامية الأربعة الخلفاء في وقت وجود القرآن العزيز ، فيلزم ما ذكرناه .

وقائل إن الأمويين والعباسيين كانوا أئمة بعد الخلفاء الأربعة الماضين ، ثم استشكل هذا القائل الأمر بعد هؤلاء المذكورين ، فهو أيضاً من لا يعرف إمام زمانه .

فإن قالوا: إن الآية الكريمة دلت على أن كل ذي أمر تجب طاعته ، وأولوا الأمر من الملوك موجودون في كل زمان ، فيكون الإمام أو من يقوم مقامه متحققاً .

قلنا لهم ، أولاً: إنكم أجمعتم على عدم جواز تعدد الإمام في عصر واحد ، فمن يكون منهم إماماً؟ ولا يمكنهم الجواب باختيار واحد لأننا نجد الأمة مختلفة باختلافهم ، فإن أهل كل مملكة يطعون مليكهم مع اختلاف أولئك الملوك ، فيلزم اجتماع الأمة على الخطأ ، وهو عدم نصب إمام مطاع في الكل وهو باطل ، لأن الأمة معصومة بالإجماع منهم ، ومنا بدخول المعصوم عندنا .

ولا يرد مثل ذلك علينا ، لأن الإمامة عندنا بنص الله تعالى ورسوله ، وقد وقعا ، لا بنصب (أهل) الشريعة ، والإمام عندنا موجود في كل زمان ، وإنما غاب عنا خوفاً أو لحكمة مخفية ، وبركاته وآثاره لم تقطع عن شيعته في وقت من الأوقات وإن لم يشاهده أكثرهم ، فإن الغرض من الإمامة الأول لا الثاني .

وثانياً ، بأن ما ذكرتم من الملوك ظلمة جائزون لا يقومون بصلاح الشريعة في الدنيا فضلاً عن الدين ، وقد قال تعالى عز من قائل: **لَا يَنَالُ عَهْدِ الظَّالِمِينَ** ، أي لا تنال الظالمين ولا يتي ، والإمام من أعظم الولايات. انتهى .

## معرفة الإمام هي الحكمة

الكافي: ١٨٢/١

علي بن إبراهيم ، عن محمد بن عيسى ، عن يونس ، عن أيوب بن الحر ، عن أبي بصير ، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عز وجل: **وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا** ، فقال: طاعة الله ومعرفة الإمام .

الكافي: ٢٨٤/٢

يونس ، عن ابن مسakan ، عن أبي بصير ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال سمعته يقول: ومن يؤت الحكمة فقد أُوتِي خيراً كثيراً. قال: معرفة الإمام ، واجتناب الكبائر التي أوجب الله عليها النار. انتهى. ورواه في مستدرك الوسائل: ٣٥٤/١١.

لا يمكن للناس معرفة الإمام المعصوم ليختاروه

الكافي: ٢٠١/١

( عن الإمام الرضا عليه السلام من حديث طويل ): الإمام واحد دهره ، لا يدانيه أحد ، ولا يعادله عالم ، ولا يوجد منه بدل ، ولا له مثل ولا نظير ، مخصوص بالفضل كله من غير طلب منه له ولا إكتساب ، بل اختصاص من المفضل الوهاب. فمن ذا الذي يبلغ معرفة الإمام أو يمكنه اختياره، هيئات هيئات ضلت العقول وتابت الحلوم ، وحارت الألباب وخسئت العيون ، وتصاغرت العظام ، وتحيرت الحكماء ، وتقاصرت الحلماء ، وحصرت الخطباء ، وجهلت الالباء ، وكلت الشعرا ، وعجزت الأدباء ، وعييت البلغاء ، عن وصف شأن من شأنه ، أو فضيلة من فضائله ، وأقرت بالعجز والتقصير .

وكيف يوصف بكله، أو ينعت بكتنه، أو يفهم شيء من أمره ، أو يوجد من يقوم مقامه ويغنى عنه ، لا كيف وأني ؟ وهو بحث النجم من يد المتناولين ووصف الواصفين، فأين الاختيار من هذا ؟ وأين العقول عن هذا؟ وأين يوجد مثل هذا؟! أظنون أن ذلك يوجد في غير آل الرسول محمد ﷺ ، كذبهم والله أنفسهم... .

**معنى: إعرف الإمام ثم اعمل ما شئت**

وسائل الشيعة: ٨٨/١

محمد بن علي بن الحسين ، في معاني الأخبار عن أبيه ، عن سعد بن عبد الله ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن أبيه ، عن علي بن النعمان ، عن فضيل بن عثمان ، قال: سئل أبو عبد الله علّي عما روى عن أبيه: إذا عرفت فاعمل ما شئت ، وأنهم يستحلون بعد ذلك كل محرم ، فقال: ما لهم لعنهم الله ؟ إنما قال أبي علّي: إذا عرفت الحق فاعمل ما شئت من خير يقبل منك .

دعائم الإسلام: ٥٢/١

وعن أبي عبد الله جعفر بن محمد علّي أن رجلاً من أصحابه ذكر له عن بعض من مرق من شيعته واستحل المحرم ممن كان يعد من شيعته ، وقال: إنهم يقولون الدين المعرفة ، فإذا عرفت الإمام فاعمل ما شئت ، فقال أبو عبد الله جعفر بن محمد: إنا لله وإنا إليه راجعون ، تأمل الكفرة ما لا يعلمون ، وإنما قيل إعرف الإمام واعمل ما شئت من الطاعة فإنها مقبولة منك ، لأنه لا يقبل الله عز وجل عملاً بغير معرفة. ولو أن الرجل عمل أعمال البر كلها وصام دهره وقام ليله ، وأنفق ماله في سبيل الله ، وعمل بجميع طاعات الله عمره كله ، ولم يعرف نبيه الذي جاء بتلك الفرائض ثم معرفة وصيه والأئمة من بعده .

مستدرك الوسائل: ١٧٤/١

وعنه عليهما السلام أن رجلاً من أصحابه ذكر له عن بعض من مرق من شيعته واستحل المحارم وأنهم يقولون إنما الدين المعرفة فإذا عرفت الإمام فاعمل ما شئت ! فقال أبو عبدالله عليهما السلام: إنما الله وإنما إليه راجعون ، تأول الكفرة ما لا يعلمون ، وإنما قيل إعرف واعمل ما شئت من الطاعة فإنه مقبول منك ، لأنه لا يقبل الله عملاً من عامل بغير معرفة. لو أن رجلاً عمل أعمال البر كلها وصام دهره وقام ليه وأنفق ماله في سبيل الله وعمل بجميع طاعة الله عمره كله ولم يعرف نبيه الذي جاء بتلك الفرائض فيؤمن به ويصدقه ، وإمام عصره الذي افترض الله طاعته فيطيعه ، لم ينفعه الله بشئ من عمله ، قال الله عز وجل في مثل هؤلاء: وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً .

بعلي عرف المؤمنون بعد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

أمالي المفيد/ ٢١٣

حدثنا أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين قال: حدثني أبي قال: حدثني محمد بن يحيى العطار قال: حدثنا أحمد بن محمد بن عيسى ، عن علي بن الحكم، عن هشام بن سالم ، عن سليمان بن خالد ، عن أبي عبدالله جعفر بن محمد الصادق ، عن آبائه عليهما السلام قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يا علي أنت مني وأنا منك: وليك ولبي ولبي الله ، وعدوك عدوي وعدوي عدو الله .  
يا علي أنا حرب لمن حاربك ، وسلم لمن سالمك .  
يا علي لك كنز في الجنة وأنت ذو قرنها .

يا علي أنت قسيم الجنة والنار، لا يدخل الجنة إلا من عرفك وعرفته ، ولا يدخل النار إلا من أنكرك وأنكرته .

يا علي أنت والأئمة من ولدك على الأراف يوم القيمة تعرف المجرمين بسيماهم ، والمؤمنين بعلاماتهم .

يا علي لولاك لم يعرف المؤمنون بعدي. انتهى. وقد تقدم أن المؤمنين والمنافقين كانوا يُعرفون حتى في زمان النبي ﷺ بموقفهم النفسي من علي عليهما السلام.

## معرفة الآخرة والمعاد والحساب

### رسائل الشهيد الثاني ١٤٥

الأصل الخامس ، المعاد الجسماني. اتفق المسلمين قاطبة على إثباته ، وذهب الفلاسفة إلى نفيه وقالوا بالروحاني. والمراد من الأول إعادة البدن بعد فنائه ما كان عليه قبله . . لنفع دائم أو ضرر دائم ، أو منقطع يتعلقان به ، وذهب جمع من الأشاعرة إلى أن المراد منه هو إعادة مثل البدن لا هو نفسه ، وهو ضعيف لما سيأتي. واعلم أن العقل لا يستقل بإثبات المعاد البدني كاستقلاله بإثبات الصانع تعالى ووحدته ، بل إنما ثبت على وجه يقطع العقل بوقوعه بمعونة السمع .

### كشف الغطاء ٥

والقدر الواجب بعد معرفة أصل المعاد ، معرفة الحساب وترتيب الثواب والعقاب. ولا يجب المعرفة على التحقيق التي لا يصلها إلا صاحب النظر الدقيق كالعلم بأن الأبدان هل تعود بذواتها أو إنما يعود ما يماثلها بهيئاتها، وإن الأرواح هل تعدم كالأجساد أو تبقى مستمرة حتى تتصل بالأبدان عند المعاد ، وأن

المعاد هل يختص بالإنسان أو يجري على كافة ضروب الحيوان ، وأن عودها بحكم الله دفعي أو تدريجي .

وحيث لزمه معرفة الجنان وتصور النيران ، لا يلزم معرفة وجودهما الآن ولا العلم بأنهما في السماء أو في الأرض أو يختلفان .

وكذا حيث يجب معرفة الميزان ، لا يجب عليه معرفة أنها ميزان معنوية أو لها كفتان ، ولا يلزم معرفة أن الصراط جسم دقيق أو هو عبارة عن الإستقامة المعنوية على خلاف التحقيق .

والغرض أنه لا يشترط في تحقق الإسلام معرفة أنهما من الأجسام وإن كانت الجسمية هي الاوافق بالإعتبار ، وربما وجوب القول بها عملاً بظاهر الأخبار .

ولا تجب معرفة أن الأعمال هل تعود إلى الأجرام وهل ترجع بعد المعنوية إلى صور الأجسام ، ولا يلزم معرفة عدد الجنان والنيران وإدراك كنه حقيقة الحور والولدان .

وحيث لزم العلم بشفاعة خاتم الأنبياء لا يلزم معرفة مقدار تأثيرها في حق الأشقياء .

وحيث يلزم معرفة الحوض لا يجب عليه توصيفه ولا تحديده وتعريفه، ولا يلزم معرفة ضروب العذاب وكيفية ما يلقاه العصاة من أنواع النكال والعقاب. انتهى. ونكتفي هنا بهذه السطور عن معرفة الآخرة والمعاد ، وستأتي مسائله في محالها إن شاء الله تعالى .

\* \*

ويليه المجلد الثاني إن شاء الله تعالى ، وأوله بحث الرؤية .

\* \*

## فهرس المجلد الأول

## الفصل الأول

## الف طرة

٧ آيات فطرة السماوات والكون

٩ فطرة الله التي فطر الناس عليها

١٠ الفطرة الأولى والفطرة الثانية

١٢ الفطرة حالة استعداد لا تعني الاجبار وسلب الإختيار

## الفصل الثاني

## الفطرة والميثاق وعالم النر

٢١ عالم الذر

٢٣ تذكير الأنبياء بميثاق الفطرة

٢٨ كل مولود يولد على الفطرة

٣٠ وكل الحيوانات فطرت على معرفة الله تعالى

٣٥ التوجه الفطري إلى الله تعالى

٦٤ عوالم وجود الإنسان

٧٢ من روايات عالم الاظلة

٨١ من روايات عالم طينة الخلق

٨٥ من آيات وروايات عالم الملائكة

## الفصل الثالث

## الفطرة بمعنى الولادة في الإسلام

٩٩ قولهم من ولد على الإسلام فهو من أهل الجنة

١٠٠ القول بأن من ولد في الإسلام فهو من أهل الجنة

١٠١ الفطرة والنبوة والشرع الإلهية

١٠٤ معنى الفطرة والصيغة

١١٤ بحث في دور الفطرة والنبوة في الحياة الإنسانية

١٢١ أمور ورد أنها من الفطرة

١٢٤ أمور ورد أنها تضر بالفطرة

#### الفصل الرابع

١٢٧ تقوية الفطرة وتضييقها وإساءة استعمالها

١٢٩ قابلية الفطرة للتقوية والتخييب

١٣٦ قدوات البشرية في فطرتهم المستقيمة

١٣٦ آدم عليهما السلام فطرة الله تعالى

١٣٦ إبراهيم عليهما السلام إمام الإستقامة على الفطرة

١٤٢ نبينا عليهما السلام رائد العارفين ورائد سعادتنا

١٤٦ خط الفطرة لم ينقطع من ذرية إبراهيم

١٤٩ عمار علم الثابتين على الفطرة بعد النبي عليهما السلام

١٥٢ علي عليهما السلام إمام الثابتين على الفطرة

١٦١ ولاته علي عليهما السلام على صحة الفطرة وطيب المولد

#### الفصل الخامس

١٦٧ وجوب المعرفة والنظر

١٦٩ وجوب معرفة الله تعالى ومنظؤها

١٧١ معرفة الله تعالى وتوحيده نصف الدين

١٧١ لا تتحقق العبادة إلا بالمعرفة

١٧٣ فضل معرفة الله تعالى

١٧٤	الحث على مجالسة أهل المعرفة
١٧٤	فضل من مات على المعرفة
١٧٤	نعمه معرفة حمد الله وشكرا
١٧٥	نعمه معرفة كرم الله وآلاته
١٧٥	معرفة الله لا تكون إلا بالله ومن الله
١٧٦	لا يفوز الإنسان بالمعرفة إلا بإذن الله تعالى
١٧٧	الهداية والإضلal من الله تعالى لكن الإضلal باستحقاق العبد
١٧٩	دعا طلب المعرفة من الله تعالى
١٨٠	وسائل معرفة الله
١٨٠	أداة معرفة الله تعالى: العقل
١٨٨	من أسباب المعرفة وأثارها
١٨٨	ما يورث المعرفة
١٨٨	ما تورث المعرفة
١٨٨	ما يفسد المعرفة ويطفئ نورها
	<b>الفصل السادس</b>
١٩١	<b>خطر ضلال الأئمّة بعد المعرفة</b>
١٩٣	كان نبينا يخاف على أمته الضلال بعد المعرفة
١٩٤	وضع المعرفة فيبني إسرائيل بعد موسى
١٩٦	إتهامهم نبئهم موسى بأنه لم يعرف الله تعالى
١٩٦	بولس يصف فساد الناس في عصره وبعدهم عن المعرفة
١٩٧	المعرفة التي دعا إليها بولس الذي نَصَرَ النصارى
١٩٨	متى اخترع المسيحيون التثليث بعد التوحيد
٢٠١	<b>الفصل السابع</b>

## متى تجب المعرفة على الإنسان

٢٠٣	في أي سن يجب التفكير والمعرفة
٢٠٧	حكم الإنسان في مرحلة التفكير والبحث
٢٠٩	تجب المعرفة بالتفكير ولا يصح فيها التقليد
	الفصل الثامن
٢٢٣	المعرفة والعمل
٢٢٥	اشترط كل من المعرفة والعمل بالآخر
٢٣٣	أفضل الأعمال بعد معرفة العقائد
٢٣٤	أقل ما يجب ، وأقصى ما يمكن ، من المعرفة
٢٥٢	المعرفة لا تتوقف على علم الكلام
٢٥٦	ويكفي الدليل الاجمالي في المعرفة
٢٦٢	العجز عن معرفة ذات الله تعالى
٢٦٦	النهي عن الفضولية في معرفة الله تعالى
	الفصل التاسع
٢٦٧	أنواع من المعرفة والعارفين
٢٦٩	المعرفة الحقيقية والمعرفة الشكلية
٢٧٠	تحير المتصوفة في دور العقل في المعرفة
٢٧١	تحيرهم في الفرق بين العلم والمعرفة
٢٧٢	تصوراتهم عن العارف بالله تعالى
٢٧٤	المؤلفة قلوبهم بالمال لكي يعرفوا
٢٧٥	دعوة العدو في الجهاد إلى معرفة الله تعالى
٢٧٦	معرفة أهل الآخرة بدبيهية لا كسبية
٢٧٧	بحث للشيخ الطوسي في تعريف الإيمان والكفر

٢٨٠	بحث للشهيد الثاني في تعريف الإيمان والكفر
٢٩٢	هل يمكن أن يصير المؤمن كافراً
٢٩٤	هل تزول المعرفة والإيمان بإنكار الضروري؟
٢٩٨	هل أن الكافر يعرف الله تعالى؟
٣٠٢	بحث في معرفة الله تعالى عن طريق معرفة النفس
	الفصل العاشر
٣٢٩	معرفة النبي والأئمة صلوات الله عليهم
٣٣١	يجب على كل الناس معرفة النبي ﷺ
٣٣٤	يعرف النبي بالمعجزة والإمام بالنص والمعجزة
٣٣٥	وتجب معرفة الأئمة لأن الله تعالى فرض طاعتهم
٣٤٢	وتجب معرفتهم لأن الله تعالى فرض مودتهم
٣٤٧	وتجب معرفتهم لأن الله تعالى فرض الصلاة عليهم
٣٥٩	وتجب معرفتهم لأنهم أهل الذكر الذين أمرنا الله بسؤالهم
٣٦٣	وتجب معرفتهم لأن الأعمال لا تقبل إلا بولائهم
٣٦٩	وتجب معرفتهم لأنهم محال معرفة الله تعالى
٣٧٠	وتجب معرفتهم لأنها طريق معرفة الله تعالى
٣٧١	وتجب معرفتهم لحديث: من مات ولم يعرف إمام زمانه
٣٧١	صيغ الحديث في مصادر مذهب أهل البيت
٣٧٩	كما توجد في مصادرنا أحاديث أخرى عديدة ، يمكن أن تصل إلى مجموعات أخرى
٣٨٠	تفسير الحديث في مذهب أهل البيت ع
٣٨٨	تفسير الشيعة الزيدية للحديث
٣٩٤	رواياتهم التي فيها لفظ طاعة

٣٩٥ رواياتهم التي توجب طاعة الحاكم الجائر

٣٩٦ مدرسة البخاري في تفسير هذا الحديث

٣٩٧ عبدالله بن عمر يطبق تفسير إخواننا للحديث

٤٠١ وامتنع عبدالله بن عمر عن بيعة عليٰ ، ثم ندم

٤٠٤ تحير إخواننا السنة في هذا الحديث قديماً وحديثاً

٤٠٧ معرفة الإمام هي الحكمة

٤٠٧ لا يمكن للناس معرفة الإمام المعصوم ليختاروه

٤٠٨ معنى: إعرف الإمام ثم اعمل ما شئت

٤٠٩ بعلي عرف المؤمنون بعد النبي ﷺ

٤١٠ معرفة الآخرة والمعاد والحساب